

سلسلة الدراسات التاريخية 6

# المنهج النقدي في التاريخ

الثابت والمتغير  
في المواقف والكتابات



تأليف

مصطفى امحمد عبد الله السعدي  
فاضل الأمين محمد فكيحي



للطباعة والنشر





# المنهج النقدي في التاريخ

الثابت والمتغير  
في المواقف والكتابات

تأليف

فاضل الأمين محمد فكيني

مصطفى إمام عبد الله الشعباني

الجمهورية العربية الليبية الشعبية  
الاشتراكية العظمى

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية

بنغازي - ليبيا

رقم الإيداع (112)

ردمك 3 - 0239 - 1 - 9959 - 978 - ISBN

هاتف : 9097074 - 9096379 - 9090509

بريد مصور : 9097073

البريد الإلكتروني nat - lib - libya @ hotmail.com

اسم الكتاب

المنهج النقدي في التاريخ

الثابت والمتغير في المواقف والكتابات

المؤلفان

مصطفى امحمد عبدالله الشعباني - فاضل الأمين محمد فكياني

الطبعة الأولى

سنة النشر : 2008

## شكر وتقدير

نسجل بكل تقدير وامتنان شكرنا العميق للأستاذين الكريمين:

- الطاهر التباني عراب.

- الأخضر أبو القاسم العيساوي.

وذلك لدورهما في مراجعة مادة الكتاب ، وإبداء الملاحظات القيمة.

كما نقدم الشكر الجزيل للأستاذ: أبو القاسم الصغير أبو القاسم لمراجعته اللغوية لمادة الكتاب.

فلهم جميعاً كل الشكر والتقدير.

المؤلفان



## الفهرس

رقم الصفحة

الإهداء----- 13

المقدمة----- 15

### الفصل الأول

#### مدخل عام

أولاً- أسس المنهج العلمي في كتابة التاريخ----- 21

\*- تعريف التاريخ----- 21

\*- خصائص المنهج العلمي في كتابة التاريخ----- 22

\*- الشروط الواجب توافرها في الباحث----- 22

\*- إشكالية الكتابة الموضوعية حول مرحلة الجهاد----- 24

ثانياً- الأوضاع في ولاية طرابلس الغرب أواخر العهد العثماني الثاني----- 35

### الفصل الثاني

#### نقد كتاب

#### من قيادات الجهاد الليبي

#### الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي

\*- مراجعة ونقد الكتاب----- 55

\*- أولاً :- من حيث المنهجية----- 59

\*- التناقض بين عنوان الكتاب ومضمونه----- 59

\*- المصادر :------ 60

1- الرواية الشفهية----- 61

2- قصائد الشعر الشعبي----- 69

3- الكتب التاريخية----- 71

4- كتب المؤلف----- 71

5- الوثائق----- 73

6- الأوراق المنسوبة إلى مجاهد----- 86

\*- ثانياً :- من حيث المضمون :------ 94

أ- روايات وحكايات محمد سعيد القشاط عن قومه----- 94



- 94-----1- حكاية استشهاد جده دفاعا عن الوطن ضد الفرنسيين-----
- 94-----2- مسألة الانتساب إلى الدوحة النبوية الشريفة-----
- 100-----3- الصاق المؤلف بقبيلته بعض الصفات السيئة-----
- 101-----أ - الغدر والخيانة-----
- 103-----ب - الأنانية وحب الذات-----
- 104-----ج - أعمال السرقة والنهب-----
- 106-----د - الجهالة وإتيان المنكر من الأعمال-----
- 112-----و - التأكيد أن قبيلته الصيعان ليست من القبائل اللبية-----
- 116-----ب- الرد على المغالطات في الوقائع والأحداث التاريخية-----
- 116-----1- معركة درج-----
- 119-----2- حوادث الطابو والأسباب الحقيقية لإنشاء قائمقامية نجاد-----
- 3- نسب قيادة المجاهدين في المنطقة الغربية
- 127-----والجبل إلى الشيخ محمد سوف المحمودي-----
- 136-----4- اجتماع الكونت سفورزا مع المهاجرين في تونس-----
- 141-----5- مغالطات معركة الجوش الأولى 1917-----
- 149-----6- تشويه حقائق ونتائج صلح بني يادم-----
- 160-----7- سبب استقالة محمد بن الفقيه حسن من عضوية مجلس الحكومة-----
- 163-----8- إدعاء عدم تبعية قبيلة الصيعان لقيادة الحاج محمد فكيني-----
- 169-----9- معركة الوخيم ظروفها ونتائجها - مراسلات فكيني - غراتسياني-----
- 10- الادعاء بأن قبيلة الصيعان ظلت وحيدة
- 207-----تقاتل الطليان بعد سقوط الساحل والجبل-----
- 11- إدعاء تقديم الشيخ سليمان الباروني لعلي كلة
- 219-----إلى السلطات التركية لتعيينه رئيسا للمجاهدين-----
- 220-----12- مغالطات تشكيل حكومات ونظم سياسية خلال مرحلة الجهاد-----
- 226-----13 - مغالطة أسباب وفاة المجاهد عمرو غنغانة-----
- 227-----ج- بيان مواضع التحريف والتغيير في النصوص المقتبسة من :-
- 229-----1- النصوص المقتبسة من مذكرات الشيخ سليمان الباروني-----
- 232-----2- النصوص المقتبسة من كتابي "تحو فزان" و"إعادة احتلال فزان" ، لغراتسياني-----
- 238-----3- النصوص المقتبسة من كتاب "القبلة" ، لبيلا ردينيلي-----

**الفصل الثالث**  
**الثابت والمتغير**  
**في كتابات ومواقف**  
**الشاعر محمد سعيد القشاط**

- 245----- مفاهيم : الثوابت والمتغيرات ، المبادئ والمصالح ( مدخل عام )-----
- 246----- تحديد معاني المفاهيم عند محمد سعيد القشاط-----
- 252----- الثابت والمتغير في كتابات ومواقف الشاعر محمد سعيد القشاط-----
- 252----- المرحلة الأولى: من بداية الستينيات وحتى 1969/9/1 (قيام ثورة الفاتح من سبتمبر)-----
- 258----- المرحلة الثانية : منذ الفاتح 1969 وحتى الآن-----
- 271----- \* الخاتمة-----
- 281----- \* الملاحق-----
- 337----- \* المراجع-----



## تاريخ مجيد

(( **يحق** لنا أن نرفع الرأس عاليا أمام هذا التاريخ المجيد الذي تركه لنا أبائنا وأجدادنا ، وعلينا أن نأخذ من هذا التراث الخالد العظيم الزاد الذي لا ينتهي ، والذي لا يضعف أمام أية قوة مهما تجبرت اليوم زادا يمكننا من الصمود مرة أخرى في مواجهة الأعداء الذين لا يزالون يتربصون بالشعب الليبي ، ويتربصون بالأمة العربية التي ينتمي إليها الشعب الليبي... إن هذا السرد لهذه المعارك ، ولهذا التاريخ لا نتلذذ به ونستمع لهذه القصص التي فيها بطولة خرافية ، وفيها دراما يعجز عنها الخيال... ولكننا نستعرضها لكي نستخلص منها الدروس التي تتفعلنا في هذا اليوم ، وتتفع أبناءنا في الغد ، وتجعلنا نثق بأنفسنا.

**إننا** قادرون دائما على مواجهة الأعداء مهما بغوا أو تجبروا لأننا نشعر بأننا نحن أبناء أولئك الأبطال الذين لم يضعفوا أمام جيروت إيطاليا التي كانت دولة كبرى ، فعندما تواجهنا اليوم القوى الكبرى فنحن نبعث الماضي العظيم ليكون الزاد لنا في مواجهة تحديات الغد وبهذه الكيفية نكون قادرين على الصمود والثبات، وتحقيق النصر في النهاية ضد العدو ، كما حققه أبائنا وأجدادنا)).

من خطاب الأخ/ قائد الثورة في الاحتفال بذكرى معركة القرضابية بتاريخ 14 جمادى الآخرة 1386 و.ر الموافق 1977/6/2 ف .



## الإهداء

إلى كلّ الليبيين الشرفاء على مساحة هذا الوطن، الذين تصدّوا بشجاعة وعزم لجحافل الغزاة الإيطاليين.

وإلى كل الرجال ، والنساء ، والشباب ، والشيوخ ، والأطفال الذين تعرّضوا للقتل، والشنق، والنفي، والقهر، والظلم، والمذلة، على يد المستعمرين.

إلى ذلك الجيل دون استثناء، جيل المأساة، جيل التضحية التي من رحمها أضاءت في سماء هذا الوطن شمس الحرية والكرامة.

إليهم وحدهم ،،، نهدي

كلمة حقّ ضد أولئك العابثين بحقائق التاريخ، الذين قلبوا ظهر المجنّ لتاريخ مجيد ، صنعه الأجداد بدمائهم الطاهرة الزكيّة ، ونصبوا أنفسهم قضاة ضد جيل من زمن غير زمنهم يلفقون التهم ، ويصدرون الأحكام لتشويه تاريخ ذلك الجيل الذي عمّده الأجداد والأباء بالدمّ والمعاناة وليعيدوا زرع الفتنة والكراهية بين أحفاد أولئك الأبطال.



## المقدمة

يشكّل التاريخ للشعوب والأمم سجلاً يختزن آلامها وأحلامها ، ويرصد خطواتها التي تخطوها ، ويسجل دقائق حياتها وأحداثها ووقائعها ، وقد عنيت شعوب وأمم كثيرة منذ القدم بتسجيل حوادثها ، وحافظت على مصادرها ، حتى وصلت إلينا في عصرنا هذا ، فاستطاع الإنسان أن يعرف الكثير عن حضارات وشعوب انقرضت وانتهت.

ومما لا شك فيه أن الكتابة في حوادث التاريخ ، تحكمها ضوابط ومناهج تحدّد شكل الكتابة ، وأهدافها ، وتحدّد في ذات الوقت من محاولات التلاعب بحقائقه ووقائعه لأغراض شخصية ، كتحقيق مجد أو شهرة ، أو لأغراض كيدية لإخفاء الحقائق وطمسها ، وقد شغلت المرحلة الجهادية ضد الغزو الإيطالي كبيراً في وجدان جميع الليبيين ، لأنها تجربة فريدة في محيطها العربي والإسلامي ، من حيث انخراط الجميع وصمودهم في مقاومة المحتل لأكثر من عقدين كاملين في غياب سلطة عليا مركزية تقودهم عدا الفترة التي سبقت توقيع صلح أوشي لوزان ودون أن يشكّل عامل المكان أية قيمة أو حاجز في مشاركة الجميع أو تفاوت تضحيتهم ، برغم تفاوت الامكانيات والوسائل والعدد بين الجانبين ، وهذا الموقف الفريد جعل الجميع يتباهى بدوره وإسهامه فيه ولأن طبيعة المجتمع الليبي التي تميل إلى القبليّة وتغلب عليها البداوة ، فقد أصبح تفاخر الليبيين يتّجه بدلاً من الانصهار في فكرة واحدة تضمّ الجميع ، ويفتخر بها الكلّ من أقصى ليبيا إلى أديانها ، ولتشكّل فخراً واحداً للجميع ، فإنه يلاحظ أن الحال تغير إلى أن أصبح كلّ واحد يريد أن يظهر عظم مساهمة قبيلته ، أو أسرته عن الآخرين.

هذا المناخ العكاظي أفرز في مساحة من التسامح ، كتابات لنماذج من هؤلاء الكتاب وصلت حدّ التجريح ، والتزيف ، ونشر المغالطات ، ورسم الأدوار البطولية الدونكشوتية<sup>(\*)</sup> التي لا تؤيدها المصادر التاريخية على اختلافها ، وجرى العبث من طرف بعض الكتاب من منظور شخصي ، وقبله بالكثير من حقائق

---

\* - الدونكشوتية : نسبة إلى دون كيشوت بطل رواية (دون كيشوت) الرائعة للكاتب الأسباني الكبير ثرفانتس التي صدرت عام 1605 .  
ودون كيشوت هذا تخيل نفسه فارساً فأخذ على نفسه مهمة لم يكلفه بها أحد ، صانعاً الأمجاد الوهمية ، خلفاً انتصارات ، ومتصوراً هزائماً لأعدائه لا يراها غيره ، وخائضاً المعارك الخيالية أبرزها معركة مع طواحين الهواء التي ظنّها فرساناً متأهبين للهجوم



تاريخ الجهاد الليبي ، للنيل من جهاد أبطال وقبائل على امتداد مساحة هذا الوطن عمّدت تاريخه برحلة قاسية من الدّم والمعاناة ، والتشتت ، انتهت كلّها بتحالف العدو ، مع قسوة الطبيعة عليهم فاستشهد من استشهد ، وضاع من ضاع وسط بحر الرمال ترفه الملائكة إلى جنات الخلد هو ومن معه ، أما من استطاع أن يعبر مفازات الجحيم ، وبقي حيًا ، فقد نُفيَ وحرّم عليه الرجوع حتى لقي ربه ، ليبعث يوم القيامة رفيقا للصديقين والرسول .

وقد تجرّأ البعض من الأجيال اللاحقة التي لم تدق مرارة ظلم المستعمر وجبروته في قهر النفس الليبية الأبية ، التي تعودت على الحياة بعزّة وكبرياء ، تحركهم في الغالب رغبات وضغائن شخصية ، وإن كان ذلك تحت حجة البحث العلمي للحط من قيمة هذا السجل الخالد من الجهاد ، ومهاجمة كلّ الأبطال دون استثناء ، وهم في جوار ربهم خالدين في جنات الخلد ، حتى يتجاوز حرمة وقدسيّة استشهادهم ونفيهم ، ليصل بهم الحال إلى وصفهم بالخيانة ، والنكوص عن واجب الجهاد والتضحية ، مستخدمين في ذلك عبارات وأساليب حديثة المعنى ، ودون قراءة وتقييم موضوعيين لواقع تلك الأحداث ، وتداعياتها المختلفة ، وظروف تحركهم فيها .

وتطرّف البعض ممّن يضمّمهم هذا الاتجاه ، في إصدار الأحكام القطعية حول وقائع ذلك التاريخ ، ولعلّ أكثرهم تطرّفًا في الكلمة والمعنى ، الشاعر محمد سعيد القشاط الذي ترك ميدانًا كان يحظى فيه بالسبق والتميّز ، وهو ميدان الشعر حسب آراء نقاد الأدب ، ليقحم نفسه والآخرين وحقائق التاريخ في مناهات الخيال التي نسجها لتظل الدائرة تدور بين قول منه ، وردّ من آخر ، منصبًا نفسه مؤرخًا ومحللاً وقاضيًا وحكمًا ، يبرئ هذا ، ويجرمّ ذاك ، وشهوده ومحلّقيه : رواية شفوية نقلت عن ( قيل ) لم تسلم من التغيير والتشويه ، وتحريف متعمّد لنصوص المراجع التاريخية خاصة وأن ما ينشره يستند في معظمه على أوراق يقدّمها كوئائق تاريخية منسوبة إلى مجاهد ، أو قائد من قادة الجهاد ، وقد أثبت الباحثون أنها خضعت لعملية تغيير متعمّدة كما سيرد ذكره لاحقًا ، أو شاعر جمح به الخيال وهو بعيد عن أرض الواقع ، فقال شعراً تصوّره حقيقة ، ورغم كل الردود التي تناولت كتابات القشاط ، وقناعاته على المستوى الشخصي بعدم صحّة الكثير مما ينشره ، إلا أنه ظلّ مستمرًا في اتباع هذا الأسلوب عنادًا وجدالاً والذي ربّما كان لبعض تلك الردود إسهام في ذلك .

**يهدف** هذا الكتاب الذي نقدّمه للقارئ ، إلى دراسة ونقد المنهج الذي يتبعه القشاطر في الكتابة التاريخية ، من خلال تحليل مصادره ، ورواياته ، وتقنيد آرائه بالأدلة والوثائق ، ثم محاولة فهم شخصيته ، برصد كتاباته منذ الستينيات ، لمعرفة الثوابت والمتغيرات التي تحكم اتجاه الكتابة لديه ، بمعنى هل أن كتاباته تستند على قيم ومبادئ ثابتة آمن بها القشاطر ، ولم تتغير بتغير الأوضاع الاجتماعية والسياسية في ليبيا ، أم أن تغير تلك الظروف والأوضاع سواء على المستوى الخاص بمعنى تغير وضع ومركز الفرد اجتماعياً ووظيفياً واقتصادياً ، أو العام بمعنى تغير المجتمع أو قوانينه أو مؤسساته أو نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى نحو مخالف للواقع الأول أدى إلى تغير مواقف ومبادئ القشاطر باتجاه معاكس للوضع الأول ؟ .

وإذا كان هذا الكتاب ، يتناول بشكل عام المنهج الذي اتبعه القشاطر في الكتابة التاريخية في جميع كتبه التي أصدرها ، فإنه يركّز في التحليل على نصوص كتابه (( من قيادات الجهاد الليبي: الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي )) لأن هذا الكتاب تجاوز في مضمونه وأسلوبه أية قيود أو ضوابط منهجية أو أخلاقية ، ينبغي على المؤلف التقيد بها مراعاة لقيم المجتمع الليبي وخصوصيته . ويتضمن هذا الكتاب مقدّمة ، وثلاثة فصول ، بالإضافة إلى الخاتمة وملحق يضمّ عدداً من الوثائق أغلبها ينشر لأول مرة .

- **خصّص الفصل الأول** كمدخل عام للدراسة تم التركيز فيه على جانبين : **الأول** التعريف بمفهوم التاريخ ، وأسس المنهج العلمي في الكتابة التاريخية ، والشروط والضوابط التي ينبغي أن تتوفر فيمن يتناول هذا المجال ، إضافة إلى لمحة حول الإشكالية التي تواجه الباحث والكاتب في التاريخ الليبي خصوصاً حول مرحلة الجهاد ضد الإيطاليين ، لعدة اعتبارات أهمّها التعصّب القبلي والاجتماعي الذي لا يتقبل تناول تلك الأحداث التاريخية بروح من الموضوعية ، والنظر إلى أن وقائعها وحوادثها هي نتاج كل الظروف المحيطة بها آنذاك ، وأن فهم تلك الأحداث بروح علمية منصفة دون تعصّب من شأنه أن يسهم في تمتين اللحمة الوطنية وتقوية المناعة الاجتماعية ضد محاولات التفارقة بين أبناء الوطن الواحد ، **والجانب الثاني** اعطاء القارئ لمحة عامّة حول أوضاع المجتمع الليبي في أواخر العهد

العثماني الثاني ، وحتى بداية الغزو الإيطالي لليبيا ، وذلك من النواحي الاجتماعية والسياسية والعسكرية ، مقارنة بالاستعدادات الضخمة التي أعدتها إيطاليا لإنجاح حملتها العسكرية العدوانية لاحتلال ليبيا ، والتي يتبين من خلالها حجم التضحية الهائلة التي قدمها ذلك الجيل ، وحجم المأساة التي كان يعيش فيها .

- **أما الفصل الثاني فتناول** نقد منهج القشاط في الكتابة التاريخية من خلال مراجعة ونقد كتابه (( من قيادات الجهاد الليبي... )) من حيث التزام المؤلف بالمنهجية العلمية في الكتابة ، ودقة مصادره ، ثم تفنيد ما حواه مضمون الكتاب من مغالطات بالأدلة ، والوثائق ، وتبيان الأسلوب الذي اتبعه في تحريف الاقتباسات من المصادر المكتوبة ، لغرض تشويه صورة هذا المجاهد ، أو تلك القبيلة .  
كما نشير إلى أننا في هذه الدراسة النقدية لم نتعرض بالتحليل أو النقد لدور الشيخين علي كله والمبروك الغدي إلا في الحالات التي تستوجب ذكرهما فقط رغم أن القشاط تناولهما بهزلية ورسم لهما دوراً كرتونياً في المشهد العام لحركة الجهاد ، وذلك بمواقف وسلوكيات لا تليق بمن أراد لهما القشاط أن يكونا في هرم قيادات الجهاد الليبي ، حيث أساء لهما بالغ الإساءة .

- **وخصص الفصل الثالث** لمعرفة دوافع مثل هذه الكتابات ، وذلك بإجراء دراسة تحليلية على نصوصه المكتوبة ، والمنشورة منذ الستينيات وحتى الآن ، وبيان كيف تتغير الكتابات والمواقف لدى القشاط بتغير الظروف والأوضاع .

- **وتركزت الخاتمة** ، على استخلاص النتائج ، ودعوة الجميع من أبناء ليبيا إلى تفادي مثل هذه الكتابات التي من شأنها أن تؤدي إلى تصدع الوحدة الوطنية والتلاحم الاجتماعي ، وتنتشر الفتنة والتعصب بين قبائله ، ومناطقه المختلفة .

نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقتنا في تناول الموضوع قيد الدراسة بكل منهجية، ودون تحيز أو تعصب أو مغالطات أوتجني على أحد.

المؤلفان

طرابلس - 2008

# الفصل الأول

## مدخل عام



## أولا :- أسس المنهج العلمي في كتابة التاريخ

### \*- تعريف التاريخ

يتفق العلماء والمختصون العرب في أن التاريخ في اللغة العربية هو بيان للزمن والوقت ، وسردٍ للأحداث والوقائع ، ويرى ابن خلدون :- (( أن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشدّ إليه الركائب والرحال ... إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول ... وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق<sup>(1)</sup>)).

أما بالنسبة للغات الأوروبية فإن الكلمة مأخوذة من الأصل اليوناني ((Historia)) والتي تعني البحث والمشاهدة والتقصّي ، وعلى هذا المعنى يلاحظ أن هناك اختلاف واضح في تفسير معنى التاريخ لدى العرب والأوروبيين يتجاوز الشكل إلى ما هو أعمق من ذلك ، ففي حين توقفت الكتابة التاريخية لدى العرب عند بيان أخبار الزمان ، وسرد الوقائع ، ورواية الأخبار دون الاهتمام بالتعرف على الدافع الذي وراء الوقائع ، فإنها عند الأوروبيين أضافت بعداً آخر تمثل في أنها مجال للبحث والمشاهدة والتقصّي ، وتحليلها وفق منهج علمي منطقي متكامل وتعدّ دراسة التاريخ والإحاطة به من الأمور التي لا غنى عنها بالنسبة للفرد والمجتمع ، إذ من خلال دراسة الماضي يمكن للفرد والمجتمع من تحديد أسس عوامل تطوّره ، ومعرفة مشاكله ، بما يسهم في تلافي السلبيات ، واستخلاص الإيجابيات.

لذلك يلاحظ أن التطور الذي حصل في كتابة التاريخ بعد المراحل المنهجية منذ القرن التاسع عشر ، وهو رصد حركة الإنسان في مواجهة الطبيعة وتطويعها لخدمته ، واتساع مجالات حركته لتشمل مجالات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية ، وبالتالي فإن كل مجال من هذه المجالات كان يحتاج إلى درجة تخصصية لرصد ظواهره ، مما يتطلب وجود مؤرخين متخصصين في كل جانب معرفي أي وجود المؤرخ الاقتصادي ، والمؤرخ السياسي ، والمؤرخ الثقافي والمؤرخ

1 - عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق حجر عاصي، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1983، ص 13.

الاجتماعي ، ويحتاج كل منهم إلى إعداد منهجي كي يمتلك القدرة على الكتابة والمعالجة في مجاله .

#### \*- خصائص المنهج العلمي في كتابة التاريخ

أدى التطور العلمي في المجالات الطبيعية ، واستخدام المنهج التجريبي في فهم الظواهر الطبيعية ، إلى التساؤل حول إمكانية استخدام هذا المنهج في مجال العلوم الإنسانية ، خاصة وأن دراسة التاريخ أصبحت تقوم على جمع أكبر عدد ممكن من الوقائع التاريخية ، بهدف الوصول إلى أحكام شاملة تمكن الإنسان من فهم الأحداث الحاضرة على ضوء وقائع الماضي .

ويستند المنهج التجريبي في دراسة التاريخ على عدد من الخصائص والأسس منها

- 1- أن يكون الموضوع في إطار زمني ومكاني محدد .
- 2- أن يتم توفير أكبر قدر من المعلومات المتعلقة بالبحث ، وأن يتم دراستها دراسة نقدية تحليلية .
- 3- أن يتم إعادة تركيب ، وصياغة للمادة التاريخية صياغة علمية ، تتجاوز مرحلة السرد والوصف والتعليل .
- 4- الوصول إلى استنتاجات وأحكام تتحرى الدقة .

#### \*- الشروط الواجب توافرها في الباحث

إذا كان كل من يكتب في التاريخ يعتبر مؤرخًا ، فإن المسألة ستتعدى العمل المنهجي المتخصص الذي يقوم على أسس معينة لتصبح مسألة هواية ورواية دون ضوابط أخلاقية ، أو منهجية تحدد إطار البحث ، لذلك فإن الباحث لكي يكون مؤرخًا لابد أن يتحلى بصفات وأخلاقيات معينة ، وأن يمتلك المقدرة المنهجية في البحث ويحدد الدكتور السيد عبدالعزيز سالم الشروط التي يجب على الباحث أن يتحلى بها عند الكتابة في التاريخ وهي :-

(( 1- أن يكون محبًا للدراسة منصرفًا إليها ، غير متسرّعًا في بحثه تعجيلًا لمنفعة سريعة ، وأن يكون أميّنًا شجاعًا ، لا يكذب ، ولا ينتحل ، ولا يوافق أصحاب الجاه والسلطان ، ولا يخفي الحقائق أو يزورها ، وأن يبتعد عن حبّ الشهرة والظهور ، وألا يكون عمله من أجل كسب الألقاب ، أو الجاه ، أو المنصب بل يكون عمله من أجل الحقيقة العلمية .

2- أن يكون دقيقًا في بحثه ، والدقة هنا واجبة ، لأنها شرط أساسي يتطلّبه عمل المؤرخ ، وليست اتجاهًا أخلاقيًا ، وألا يحدث بكل ما يسمع دون تأكيد وتمحيص .

3- أن يكون لديه المقدرة على التنظيم والترتيب ، كي يستطيع التمييز بين الوقائع وتنسيق الحقائق ، وتحديد العلاقة بين الحوادث في الزمان والمكان ، حتى لا تختلط عليه ، ويفقد قدرته على الربط بينها ، ومن ثم يفقد صفته كباحث .

4- أن يتمتّع بقدر من الإحساس ، والذوق ، والخيال ، يتيح له إدراك آراء الغير ونوازعهم ، ويفهم بقدر المستطاع الدوافع التي حرّكت الشخصيات التاريخية لاتخاذ مسلك معيّن ، وأن يستطيع أن يشارك هذه الشخصيات مواقفها في ساعات اتخاذ مواقفها التاريخية الفاصلة .

5- أن يتمتّع بالروح النقدية الجادة ، بحيث لا يتأثر بالمسلّمات ، أو يقبل المعلومات وألا يصدّق كلّ نصّ ، أو مصدر دون تمحيص ، أو تدقيق ، لأن فقدان هذه الصفة تجعل الباحث مجردّ راوية ، يروي كل ما يبلغه من معلومات على أنها حقيقة واقعة مؤكدة ، كما أن على الباحث ألا يعفي نفسه من النقد الذاتي ، وهذا يعني ألا يراجع الباحث أفكاره ومواقفه السياسيّة نتيجة تغيير الظروف .

6- أن يكون نزيهًا في تناوله للوقائع ، بعيدًا عن الميول الشخصية ، والمصالح وعدم التحيز الشخصي سواء كان نتيجة محبة ، أو كراهية ، بحيث يعطي لكلّ طرف حقه .

7- ألا يتأثر في بحثه بالخرافة ، أو الأسطورة ، التي تقوده إلى المبالغة والانسياق وراء تضخيم الحدث دون تمحيص أو تدقيق ، وعدم الخضوع للآراء المسبقة سواء كانت آراء قديمة ، أو ذائعة الانتشار ، أو لها شهرة بين



الناس ، إضافة إلى عدم التأثر والانسحاق وراء التعصّب ، والتحمّس الزائد لأفكاره أو رأيه على أنه وحده على صواب وغيره مخطئين ، ويبدو ضرر هذا العامل في البحث التاريخي حين يدخل الباحث لدراسة موضوع ما متأثراً بوضعيته الفكرية أو الاجتماعية ، أو العنصرية ، أو القومية ، أو الدينية ليقف موقفاً معادياً للآخرين<sup>(1)</sup>.

### \* - إشكالية الكتابة الموضوعية حول مرحلة الجهاد

تثار الكثير من التساؤلات عند معظم المهتمين بدراسة التاريخ ، حول دوافع وغايات مثل هذه الكتابات التي تناولت حركة الجهاد ، وتأتي بالمتناقضات حول تلك الأمور التي جرت ، مما أوقع أبناء المجتمع في حساسيات ومشاحنات استندت على البعد القبلي الذي أصبح سمة تتحكم في السلوك الفردي ، وأصبح كل فرد يحاول أن يظهر نبل قبيلته وعظم دورها ، وأحياناً يختلق المواقف ، ويضع الروايات ويقدم الأوراق المشكوك فيها كوثائق يحتاج بها الآخرين .

وتراكم هذه المحدثات في الكتابة تدفع للتساؤل حول : لماذا هناك صعوبة في مناقشة وكتابة تاريخ الجهاد الليبي ضد الإيطاليين بروح علمية منصفة ؟ وماهي الأسباب التي تدعو الجميع إلى الحساسية المفرطة عند تناول الحديث عن هذه المرحلة ، فلا نقبل إلا أن نكون من أعظم المجاهدين تضحية دون الآخرين ؟ ولماذا يتجرأ البعض منا ليكتب تاريخاً آخر يحاول أن يناقض به ما أجمعت عليه المصادر ؟ لماذا ، ولماذا ؟ .

ومن وجهة نظر شخصية نعتقد أن هناك عدة عوامل مهمة كانت وراء صعوبة الكتابة الموضوعية الجادة والتاريخ العلمي المنصف لحركة الجهاد منها:-

### 1- التوثيق التاريخي

يقودنا هذا العامل إلى استعراض أهمية دور التوثيق التاريخي للأحداث وذلك من خلال التعرف على وجود الدراسات والكتابات التي تؤرخ وتوثق للحدث في حينه سواء كانت كتب أو سير ذاتية أو وصف أو سرد ، ومدى توفرها لأنها هي التي تشكل الإطار الذي يتم عن طريقه فهم الأحداث دون اجتهاد كبير ، فمن

1 - السيد عبدالعزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى، 1981، ص40

المؤكد أن تاريخنا في ليبيا يعاني بشكل عام من قلة الدراسات ، والأبحاث العلمية الجادة التي تتناول تاريخ الإنسان الليبي منذ القدم وحتى الآن ، ويردّ سبب هذا في غالب الأحيان إلى عدة أسباب وعوامل منها ما يتعلق بطبيعة وتركيبية المجتمع الليبي التي هي في الغالب نتاج بيئة أقرب للبداءة منها للحضر ، إضافة إلى أن الإنسان الليبي لم ينل حقه من التعليم بشكل عام إلا مع منتصف القرن الماضي ويكفي أن ندلل على هذا أن التقارير التي أعدت من جهات أجنبية خلال فترة الأربعينيات من القرن الماضي أكدت أن عدد الليبيين الذين يحملون شهادات علمية لا يتجاوزون أصابع اليدين وهذا بسبب سياسة التجهيل التي اتبعتها الأتراك تجاه الليبيين ، وعدم اهتمامهم بنشر العلم والثقافة بينهم ، وإلى السياسة الإستعمارية الإيطالية التي أتبعته عمداً لضمان استمرار تفوق العنصر الاستيطاني على أبناء البلد .

**وبخصوص** مرحلة الجهاد ضد الغزو الإيطالي ، فإن أغلب المصادر التي تؤرخ لتلك الفترة هي مصادر إيطالية وثقت لحروبها في ليبيا سواء كانت الدولة أو الأفراد الذين ساهموا في تلك الأحداث ، وأغلب هذه المصادر لم يترجم إلى اللغة العربية ، أو ترجم ولم ينشر .

**ويواجه** المؤرخ لتلك الفترة قلة وندرة الوثائق الوطنية لأسباب تعود إلى الظروف التي أحاطت بالمجاهدين وقياداتهم من قتل وتشريد ونفي ، ومصادرة لأموالهم بما فيها وثائقهم ، مما أدى إلى ضياع وتلف الكثير من الوثائق التي كانت بحوزتهم ، وإن وجدت فهي لاتزال حبيسة الأدرج ، ولم تتح الفرصة لنشرها لأسباب متعددة ، مما دفع بالبعض إلى محاولة وضع شكل أو نص روائي للحدث يعتمد في الغالب على مخيلة أو رواية شعبية تخرج من النص التوثيقي لتدخل مجال النص الأسطوري .

**أما** الأسلوب الذي تمثل في جمع الروايات الشفهية من أفواه المجاهدين فقد جرى إتباعه في فترة زمنية متأخرة عن فترة حدوث الوقائع ، ولم يشمل القادة الذين لعبوا الدور الأهم في تلك الأحداث بسبب وفاتهم ، ولكن يظل هذا الأسلوب يشكل مساهمة هامة في توضيح المشهد بكامله رغم ما يكتنفه من محاذير تضعف من الاعتماد عليه كمصدر رئيسي وأساسي في مواجهة الوثائق المكتوبة الرسمية.

وبهدف إظهار قيمة تلك التضحيات الجليلة ، وبيان حجم المأساة التي عاشتها تلك الأجيال المجاهدة من جميع أبناء الشعب الليبي ، قامت الدولة بإنشاء (( مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي )) والذي تغير اسمه لاحقا إلى (( مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية )) وذلك لغرض توثيق تلك المرحلة ووضع الدراسات والأبحاث حولها ، وفي هذا الجانب قام المركز بدور وجهد يسجل له بتقدير .

## 2- البناء القبلي للمجتمع الليبي

**جغرافية ليبيا الشاسعة وطبيعتها القاسية التي تميل في الغالب إلى النمط الصحراوي حوالي ((90%)) من الأراضي صحراء ، فرض على سكانها الاستمرار في الحياة بأسلوب الحياة الصحراوية التي تعودت عليه القبائل العربية البدوية المهاجرة ، وباستثناء بعض المراكز والواحات في طرابلس أو بنغازي أو مصراته أو درنه أو غدامس التي شكلت تجمعات سكانية تقترب في حياتها اليومية من نمط الحياة في المراكز الحضرية المدنية في الأقطار المجاورة .**

**ولذلك شكلت القبيلة بشكل عام الوحدة الأساسية في النسيج الاجتماعي للمجتمع الليبي ، ولم تتأثر القبيلة كمفهوم اجتماعي بتلك التغيرات التي مرت بالمجتمع ، أو بتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والإدارية من حيث تقسيم هذه الرقعة الجغرافية إلى وحدات إدارية منذ العهد العثماني (( المتصرفيات والنواحي والقائمقاميات والمديريات )) إذ لم تسهم هذه النماذج الإدارية في إذابة النزعة القبلية وصهرها في شكل جديد يتماشى ومفاهيم العصر الحديث ، بل إنها ساهمت تحت تنامي سيطرة النموذج القبلي على تأجيج الصراعات بين القبائل داخل التنظيم الإداري الواحد ، فشهدت تلك الوحدات الإدارية خلافات وصراعات تنامت حتى وصلت حد الإقتتال الدامي بما جرّه من آلام ومعاناة وضحايا ، وتخذقت كل قبيلة حول مفاهيمها ورؤيتها لما يجري حولها .**

**وفي ليبيا ماتزال الجماعات البشرية تتفوق تحت مظلة القبيلة حتى في مجتمعات المدينة التي شهدت انفتاحا ثقافيا على الآخرين ، حيث يلاحظ أن الفرد غالبا ما يعيد تأكيد انتمائه القبلي الذي يظل يلاحقه كظله مهما طال استقراره بالمدينة أو تشرّب من ثقافتها وأسلوب حياتها ، بل شهدت حياة المدينة تراجعاً واضحاً أمام غلبة السلوك البدوي ، فتجاوز البشر والأنعام التي وجدت مكاناً لها بين**

التجمّعات السكانية ، وأحيانا داخل أو فوق سطوح المنازل المتجاورة والمتلاصقة في حياة تبدو في ظاهرها متناغمة .

**والقبيلة** كنموذج اجتماعي تصطدم كثيرا مع مفاهيم التطور الاجتماعي والسياسي والإداري ، وهي تشكل مقاومة لمنطق التطور بشكل عام ، ومفهوم الدولة الحديثة القائمة على منظومة الحقوق والواجبات التي تتحدّد من خلالها العلاقات الأفقية على المستوى الاجتماعي ، أي علاقة الفرد بالفرد ، والفرد بالمجموع والعكس ، وليس علاقة المجموع بالمجموع فقط والعكس ، وكذلك العلاقات العمودية لكل الأطراف على المستوى التنظيمي الإداري للدولة ، ولكن ما يهمننا هنا هو النظر إلى تأثير الانتماء القبلي على سلوك الفرد والذي يدفعه كحالة فردية إلى التعصّب لقبيلته من واقع العلاقة العاطفية فقط التي تجمعها بأفراد القبيلة التي تنقل هذا التعصّب من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي العام للقبيلة وتحوّل بذلك إلى سلوك اجتماعي عام يئتم بالتنظيم والاستعداد لمواجهة الآخر بغض النظر عن صحة منطلقاته ، والآخر بدوره يقابل هذا الموقف بموقف مشابه له تضيع من خلاله أية فرصة للتعلّق ، وما يهمننا في الحقيقة هو بيان غلبة السلوك الاندفاعي المشحون بعاطفة إثبات الوجود تجاه الآخرين على منطقيّة الحقائق وسلامتها في كل المستويات والمجالات ، ففي المجتمعات المدنية التي تطوّرت وأدابت الفوارق الاجتماعية ، ووحدت الكثير من السلوكيات للأفراد ، وجعلت من التجمّعات السكانية قيمة فردية : بمعنى أن الفرد هو من يصنع ذاته وحياته وقيّمته بين الجماعة دون أن يستند إلى عوامل أو قوى أخرى تعزّز مكانته أو تحدّد وضعه الاجتماعي والتراتبى القائم على المهنية والكفاءة وليس على نسبه في المجتمع .

أما في المجتمع الليبي ومجتمعات الخليج بشكل خاص لتتشابه أنماطها والمجتمعات العربية بشكل عام نلاحظ أن المجتمع لم ينتقل بعد من الحالة التي كانت سائدة قبل ظهور الإسلام ، ونعني هنا بدقة أن مفهوم القبيلة الشامل كوحدة اجتماعية لم يتأثر كثيرا بالمواعظ الدينية ، وأنه ما يزال يسيطر على العقلية الليبية بشكل خاص والعربية بشكل عام ، وإن هذبته تعاليم الإسلام السليمة ، فالتفاخر والعصبيّة القبليّة والنظرة الاستعلائية التي تحمل قدراً من العنصرية ما تزال تحكم سلوك الجميع تجاه بعضهم ، ودون التوسّع في الشرح حول الموضوع ، فإن ما نشير إليه هو أننا لم نستفد من التطور الذي حدث حولنا خلال القرنين الماضيين الذي نقل تجمّعات سكانية من حالة الجماعة المسيطرة على الفرد إلى مفهوم الدولة

الحديثة الذي أطلق عملية النهوض الاجتماعي والسياسي والثقافي والعلمي الذي يؤثر إيجاباً في الثقافة والمعرفة والموضوعية في تناول الجوانب المختلفة من حياة المجتمع دون أن يثير ذلك الحساسيات أو الشعور بالظلم أو التهميش والإقصاء وبقينا نتعامل بنفس ذلك السلوك والمنهج القائم منذ قرون عديدة دون تغيير ، وكما رسمه الأجداد .

**ويجربنا هذا إلى القول :** إن معظم الكتابات التي تناولت حركة الجهاد في ليبيا طغت عليها العاطفة القبلية، وسعت إلى محاولة تفسير الوثيقة أو الحدث بمنظور قبلي ، حتى تلك التي لم تشر صراحة، وضعت إيماءاتها وإسقاطاتها القبلية بين السطور، وبرزت من خلال التحليل الموضوعي لتلك الكتابات النزعة القبلية التي تحاول أن تستأثر بالفضل والدور الأكبر في هذه الملحمة الجهادية دون أن يتم النظر إلى أن المشاركة كانت جماعية وإن تفاوتت الأدوار في الحجم ، أو تلك التي تسعى لقلب الحقائق باتجاه صياغة جديدة ، وإعادة رسم الدور الذي لعبته القبيلة في الماضي بأخر جديد ، من منطلق الشعور بتغيير الأوضاع الاجتماعية بفعل عوامل التطور في المفاهيم على المستوى العام .

**ونشير إلى أننا ونحن ننتقد مثل هذه الكتابات قد انطلقنا أيضاً في إعداد مادة هذا الكتاب من مشهد البعد القبلي ،** حين شعرنا بأن التهجم على القبيلة طال الثوابت والقيم ، وبلغ الحد الذي أصبح لزاماً علي أبنائها بما يفرضه عليهم الانتماء القبلي من قيود وواجبات ضرورة الإيفاء بحق القبيلة ، ولكن بقدر ما كان هذا الدافع قوياً بقدر ما اتجهنا إلى التحرر من النظرة القبلية الضيقة ، والنظر لذلك الماضي الذي نشترك فيه جميعاً بنظرة عامة تحاول أن توضح حقائقه ، دون أن تمسّ ثوابته المتمثلة في أن الجميع دون استثناء أدى دوره ، وتعرض للقتل والتهجير والنفي وأنه لا يحق لنا أن نتهم أو نحاكم جيلاً مهد لنا طريق الحرية بالدم ، أيّا كانت مواقف أطرافه التي هي دون شك مرتبطة بظروف تلك الأحداث وتعقيداتها وبموامل كثيرة كانت لها تأثيرات عميقة .

### **3- المشاركة الجماعية في أغلب معارك الجهاد**

**هذا التحليل للتركيبية القبلية ، ودور الانتماء القبلي في توضيح صعوبة تناول تلك المرحلة بحيادية وعلمية دون أن يغضب طرف أو يحتج آخر ،** نقودنا في الواقع إلى إشكالية أخرى عند التعامل مع مسألة تأريخ وتوثيق الجهاد ضد

الإيطاليين بلغة علمية ، فسيطرة العامل القبلي على أسلوب التفكير والمحاورة يمنع بل يطرد أية فكرة يمكن أن تؤدي إلى القبول بالمشاركة مع الآخر، فما وقع وحدث على أرض القبيلة من معارك ، فالفخر والمجد لها دون غيرها ، حتى ولو كان الحدث منسوباً إلى جمادٍ مفردٍ في قفرٍ مستوحش<sup>(\*)</sup> لم تستقرّ عليه القبيلة بعد، أو أن من صنعوا الحدث جاءوا لفيقاً<sup>(\*\*)</sup> من نجوع وأماكن بعيدة ، فطوال السنوات التي سبقت تحرك الجيوش الإيطالية الغازية للأرض الليبية ظلت إيطاليا تنتظر باهتمام لتقارير بعثاتها القنصلية ، وجواسيسها التي غالباً ما كانت تنتشر تحت غطاء الجمعيات العلمية التي جابت البلاد طويلاً وعرضاً تنقب عن الموارد، وتدرس طبائع الناس وطرق حياتها ، وعلاقاتها فيما بينها ، وإلى مؤسساتها الاقتصادية والتجارية التي كانت تتوسع في نشاطها بامتلاك الأراضي والمصانع والمصارف وإقامة المدارس والدور، وكانت إيطاليا ترسم خططها للاستيلاء على ليبيا على قناعة بأن الشعور السائد بوجود تعسفٍ وظلم من الأتراك على الليبيين سيكون أكبر عون لها في نجاح حملتها ، وأن الليبيين سيتقبلون قدومها كمنقذ لهم من عسف وظلم الأتراك لأن التقارير والتحليلات الإيطالية للأوضاع في ليبيا لم يكن مبالغ فيها، حيث إن واقع حال علاقة الليبيين بالأتراك لم تكن على ما يرام، فالضرائب تنقل كاهل الشعب، والجهل والمرض متفشي بين أبنائه، والمشاركة في تسيير الأمور شبه معدومة ، إضافة إلى النظرة الإستعلائية وآثار ثورات القبائل ضد السلطة التركرية وما جرته من حروب وتدمير للحصون والقصور المنتشرة على أعالي قمم الجبل وسفوحه ، والتي ما تزال شواهدنا ناطقة حتى يومنا على قسوة المعاملة وعنف الرد ، وتشتيت للقبائل التي كانت تقود هذه الثورة حتى أنها منعت وتوعّدت بمعاقبة من يحمل اسم أو كنية [المحمودي] نسبة إلى قبيلة المحاميد التي كان منها الشيخ غومة المحمودي يقود تكتل القبائل في الجبل في الثورة ضدهم .

**وقد أشار الرحالة الإنجليزي (جيمس ريتشاردسن)) إلى الحالة المأساوية التي وصلت إليها حالة الليبيين نتيجة للسياسة التعسفية التي اتبعها الأتراك ضدهم بعد القضاء على ثورة غومة ، وقدم نموذجاً لهذه الحالة وهي قبيلة الرجبان باعتبارها إحدى القبائل المشاركة في ثورة غومة المحمودي ، وذلك أثناء إقامته فيها لمدة خمسة أيام خلال رحلته من طرابلس إلى غدامس ، حيث لمس عن قرب**

\* - القفر المستوحش : المكان الذي لم يعتاده الإنسان مسكناً أو ذلك المحل البعيد عن العمران.  
\*\* - لفيقاً : جماعات.

في تلك الأيام الخمس أثار تلك السياسة القاسية ، ومعاناة الناس ، وقد عبّر عنها بالقول :- (( وعلى الرغم من حالة الفقر المدقع ، حلّ بالمنطقة محصلّ الضرائب المتجول في حراسة ستة من الجنود يتجسسون من حولهم ويغتصبون بالقوة ما يسد به هؤلاء المساكين رمقهم ، فما شهدته من مناظر مخزية تدمي القلب لم أسمع بمثله أبدا أيام المجاعة والقحط التي حلت بالإيرلنديين ، فأحد الرجال يؤخذ جملة الوحيد ويترك بدون ما يمكنه من إعالة نفسه ، وآخر يلقي ثوره الوحيد نفس المصير إنهم ينهبون كل شيء فقد اقتحموا منزلا مجاورا استولوا على كل ما به من شعير وقاموا بتفتيش المنازل الأخرى وحطموا كل ما بها وأكثر من هذا فقد جروا سكانها من رقابهم إلى القرى المجاورة وضربوهم بالسياط لا لشيء سوى لأنهم لا يملكون ما يدفعونه لهؤلاء الأشرار الملاعين ... تتراوح قيمة الضريبة الواجب على سكان الرجبان دفعها ما بين خمسمائة إلى ستمائة محبوب تسدد على ثلاثة أقساط سنويا ومع أن المبلغ ليس كبيرا في حد ذاته، إلا أنه يمثل في الواقع أكثر من قيمة ما يملكه جميع السكان.. وبسؤالهم عما إذا كانوا يملكون أسلحة ؟ أجابوا وكأنهم فرد واحد لا ولا شيء على الإطلاق فقد استولى عليها الأتراك بالكامل. وهكذا فبعد أن كان هؤلاء القوم مرهوبي الجانب، ويحسب لهم ألف حساب، فقدوا الآن كل شيء فإلى جانب انهيار وتحطم معنوياتهم، وفقدانهم جميع أسلحتهم باتوا لا يملكون ما يدافعون به عن أنفسهم ضد أتفه المنغصات ...))<sup>(1)</sup>

كل هذه العوامل كانت مؤشراً إيجابياً في تقديرات الإيطاليين بأن مسألة احتلال ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي ، ما هي إلا نزهة بحرية بسيطة لجنودها فالعدو الذي سيواجهونه هم الجنود الأتراك ، وهي حامية قليلة العدد والعدة بعد أن تمكنت عن طريق الأعياب السياسة ومتغيرات ولاءاتها من دفع بعض السياسة الأتراك إلى تهيئة الأوضاع في طرابلس الغرب بشكل يجعلها غير قادرة على مقاومتهم وصددهم ، من خلال نقل أغلب الجنود إلى اليمن لمواجهة توتر الأوضاع فيها ، ولم يُبقَ في حامية طرابلس إلا بضع مئات من الجنود.

ولكن ما لم يكن في حسابان وتقديرات الإيطاليين المستندة على تقارير بعثاتها وجواسيسها ومخبريها ، أنه مهما ساءت العلاقة بين الليبيين والأتراك ومهما كانت مستويات الظلم والعسف ، فإن ثمة عامل مهمّ وأساسي مرتبط بوجودان وعقيدة

1- جيمس ريتشاردسون ، ترحال في الصحراء ، ترجمة د. الهادي مصطفى أبو لكمة ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ، الطبعة الأولى ، 1993 ، ص 59-62.

الليبيين لا يمكن أن يتأثر أو ينعكس سلبيًا على مجريات تلك العلاقة، وهو عامل الارتباط الديني الذي كان موحدًا لهما ودافعًا قويًا للتماسك بينهما في أحلك الظروف خاصة وأن تركيا ((الآستانة)) مثلت المرجعية، ودار الخلافة التي يمثل معناها الكثير للمسلمين، وأن إيطاليا هي الدولة المسيحية التي تحتضن مقر البابوية وهي مرجعية السواد الأعظم من المسيحيين، وتأثير منها انطلقت في الماضي جيوش الصليبيين نحو الشرق العربي الإسلامي الذي شهد صدامات وصراعات غاب عنها أن الأرض التي تسعى لإستعمارها، هي أرض تجدر فيها الإسلام بما في هذه الكلمة من تناقض حادٍ على كل المستويات التاريخية أو العقائدية للمسيحية التي لم يُعرف لها أي مظهر من مظاهر الوجود أو التقبل بين سكانها، ويعزز هذا الرأي أن إيطاليا أنشأت في ليبيا عام 1876 (8) مدارس إيطالية لنشر الثقافة الإيطالية، وربط البلد ثقافيًا بها، وفي عام 1888 أوفدت المستشرق (كريسي) لموافاتها بتقارير عن سير العمل في المدارس وتأثيرها في ليبيا، وقد قدم كريسي تقريره الذي جاء فيه:- ((...إن العرب يعترفون بالثقافة العربية، والعقيدة الإسلامية متمكنة فيهم... وأن هذه المنطقة لا يمكن ربطها بإيطاليا إلا بالغزو العسكري...))<sup>(1)</sup>.

**والممتنع** لمسار حركة الجهاد يلاحظ أن العامل الديني الذي كان يعني الشعور الجماعي بأن الدين في خطر، وأن النصارى قادمون لتغيير المعتقد الذي كان بالنسبة لهم الهوية، فخصوصية البعد الديني لدى الليبيين لم تتركها إيطاليا أو تقدّر مداها مبكرًا، فالدين لدى الليبي مرتبط بالوجود، ومن ثم استلاب الأرض التي كانت بالنسبة لهم الشرف والعرض، ولذلك كان له الدور الأساسي في شحن وحشد القدرات القتالية، دون اعتبار لمسألة فارق القوة أو الإمكانيات، فأندفعت جموع الليبيين، الذين تنادوا من كافة المناطق والقبائل خارج حدود المدينة وكانت هذه الجموع تسارع في تشكيلات قبلية باتجاه الساحل والمدينة، التي كانت تخوض معاركها الأخيرة مكبلة بتنظيم قتالي نمطي، وسلطة تركية تبحث عن مخرج يحفظ لها ماء الوجه.

**وقد لمس الصحفي (( جورج ريمون )) أهمية العقيدة الدينية وتأثيرها على شدة مقاومة المجاهدين الليبيين، وذلك خلال رحلته التي قام بها أوائل عام 1912**

1 - ميلاد أبو سلامة المقرحي، الجالية الإيطالية في ليبيا: دراسة تاريخية اقتصادية، مجلة قورينا، العدد 4-5، السنة السادسة، مارس 1972، ص 24.



من منفذ (ذهبية) على الحدود مع تونس حتى منفذ (السلوم) مع مصر فقال :-  
( وبالرغم من أنني لم أتمكن من القيام بكل ما طلب مني ، إلا أنني وفقت مع ذلك  
في أن أرقب الناس والأشياء عن كثب ، خلال ظروف تتكشف فيها الحقائق كاملة  
وأتيح لي ، فيما أعتقد ، أن أسمع دقائق قلب العالم الإسلامي أكثر من أي مراقب  
غربي آخر ، وقد علمتني تجربتي هذه أنه مهما تكن عظمة القوى التي تتهدد هذا  
الشعب الليبي ، فإنه من المستحيل عليها أن تقهره ما لم يستسلم لها في النهاية بنفسه  
وأدركت كذلك أنه واجد الآن في دينه الإسلامي أعظم قوة يستند إليها في مقاومته  
للاحتلال الأجنبي ؛ ومن ثم فإن على أعدائه أن يتوقعوا منه مقاومة تقاس قوتها  
ومداها بمدى عمق إيمانه بعقيدته ))<sup>(1)</sup>.

**ولذلك فإن الوحدة الأساسية القتالية التي تحركت كانت القبيلة بواقعها  
الإجتماعي وبعدها الديني المتشدد ، الذي يرى أن غزو النصارى يستهدف تغيير  
الدين والملة ، وليست الكتيبة أو السرية بنمطها التقليدي ، ولذلك خاضت كل القبائل  
معاركها في عام الغزو الأول متحدة بشكل تام تحت عامل الدين أولاً ، والوطن  
ثانياً ، متشبثة ومستندة على إحساس بالانتماء إلى عمق إسلامي هناك في الأستانة  
ومتناسية في ذات الوقت خصوماتها ، واختلافاتها ، وعداوتها التقليدية ، التي  
تكوّنت بفعل طبيعة الحياة .**

**في كل معارك الجهاد ، وطوال فترة المقاومة لأكثر من عقدين من الزمن  
لم تتردد القبائل سواء بشكل جماعي ، أو ضمن مجموعات متفرقة في منازل  
الخصم ، وإن كان الصراع على بعد مئات الكيلومترات من موطنها ، لأن الأرض  
لم تشكل عنصر ارتباط مكاني ثابت للمجاهدين ، ينهي مقاومتهم بمجرد سقوطه في  
يد الأعداء ، ولذلك لم تستطع الجيوش الإيطالية القضاء على المقاومة في إقليم  
طرابلس ، إلا بملاحقتها حتى في مجاهل الصحراء ، واستخدام كل الوسائل القمعية  
من معتقلات وتهجير مثل : - معتقل تاردية بالرجبان ، ومعتقل الجوش ، ونفي  
وإغلاق منافذ الحدود لقطع التموين والإمداد بالسلح ، ولذلك يلاحظ أن كل  
المصادر التي تناولت معارك الجهاد ، أشارت إلى أنها تضم العديد من القبائل سواء  
من المناطق المجاورة مباشرة ، أو تلك التي تقطن مئات الكيلومترات بعيداً عن  
موقع المعركة ، فمثلا في معارك الشط ، والهاني ، وعين زاره ، وسيدي المصري**

1 - جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، ترجمة وتحقيق محمد عبدالكريم الوافي، مكتبة الفرجاني،  
طرابلس ، الطبعة الأولى ، 1972 ، ص 23.

على الساحل كانت جبهة المجاهدين تضمّ كل قبائل الساحل والجبل التي تتأدت لتلبية نداء الجهاد ، ولم تتفرد قبيلة وحدها بالتصدي للطلبان في أي معركة إطلاقاً ، وإنما كانت المواجهة دائماً جماعية سواء من خلال تجمع عدة قبائل ، أو وجود العديد من المجاهدين من قبائل أخرى متعددة ، في تنظيم قتالي عرفته معارك المجاهدين ومن الأمثلة التي تبدو واضحة على ذلك وتؤيدها كافة المصادر ، ويقاس عليها وضع كل القبائل ، أن قبيلتي الرجبان والزنتان اللتين ذكرهما الإيطاليون في أغلب مصادرهم أعداء لهم طوال الفترة من 1911-1930 شاركتا في معظم المعارك التي وقعت في ولاية طرابلس سواء في الساحل ، أو الجبل ، أو القبلية ، وصحارى فزان ، إلا أنه لا توجد معارك تذكر وقعت في مناطق استقرار السكان في القبيلتين في الجبل سوى معركة الكردون بالزنتان عام 1914 نظراً لوجود حامية إيطالية بها في معركة الهاني استشهد من قبيلة الرجبان (40) مجاهداً<sup>(1)</sup>، وفي معركة العجيلات كان عدد المجاهدين من الرجبان (54) ، وحول هذه المعركة تشير إلى أن الأخطاء المطبعية لبعض الكتب التي لا تتم مراجعة مادتها ، والتدقيق في مصادرنا جيداً قبل نشرها ، تؤدي إلى طمس أو تشويه بعض الحقائق ، وتتزع من البعض دوره لتمنحه للآخر، ففي كتاب صفحات خالدة من الجهاد الليبي: الجزء الثاني<sup>(2)</sup> ورد أن الشيخ سليمان الباروني وضع أسماء المجاهدين لمكافأتهم على عظم تضحياتهم في هذه المعركة التي يقول عنها أنها من أعظم المعارك ، وفيها يتبين أن السواد الأعظم من المجاهدين كان من قبائل الجبل في حين أن عدد المجاهدين من العجيلات، وهم أصحاب المكان الذي جرت فيه المعركة لا يتجاوز (20) مجاهداً ولكن الخطأ الذي وقع وينبغي تصحيحه والتنويه عليه هو أن المجاهدين الذين ينتمون إلى قبيلة الرجبان تم نسبتهم إلى قبيلة الرحيبات لأن كل الأسماء الواردة للمجاهدين (54) هي أسماء لعائلات من قبيلة الرجبان معروفة إلى يومنا هذا ولا توجد هذه العائلات في الرحيبات، رغم أن المؤلفة أشارت إلى إمكانية وجود بعض الأخطاء لعدم وضوح الحروف، ومع ذلك كان ينبغي التدقيق حتى لا تضيع حقوق وأدوار المجاهدين وتضحياتهم .

1 - انجيلو ديل بوكا ، على مقربة من المشنقة ، دار ميلالي ، الطبعة الأولى ، 2008 ، ص 31.  
2 - زعيمة الباروني، صفحات خالدة من الجهاد الليبي : الجزء الثاني ، بيروت ، الطبعة الأولى 1968، ص 229.

وعندما قامت الثورة المباركة ، وأعدت إحياء ملاحم الأجداد ، ومعاركهم وجهادهم ضد الغزاة ، كان من بين الإجراءات والإنجازات ، إقامة النصب التذكارية في مواقع المعارك تخليدًا لها وإبرازًا لدور المجاهدين ، وهنا كان على القائمين بتنفيذ هذا العمل التوثيقي الخالد أن يضعوا في لوحة الشرف التي تشير للمعركة أسماء المجاهدين ، وقبائلهم ، أو أسماء القبائل فقط إذا لم يتيسر الحصول على كل الأسماء ، حتى يكتمل العمل ويوثق الحدث كجهد جماعي ، لأن هذه النصب التذكارية ، تحولت مع مرور الأيام ، وتنامي النزعة القبلية التي تتسم بالعصبية في الحوار بين أبناء هذا الوطن ، إلى ملك للقبيلة تدّعيه لنفسها ، وأن التضحيات التي وقعت كانت من القبيلة دون غيرها ، وفي ذات الوقت لا يستطيع أحد آخر أن يتباهى أو يشير إلى أن قبيلته ، أو أهله ، كانوا ضمن المجاهدين الذين صنعوا تلك الملحمة دون أن يجد صوتًا يرتفع ولو همسًا بالاعتراض ... !!! أليس هذا من الأسباب التي تجعل من الكتابة في تاريخ تلك المرحلة أمرًا تكتنفه الصعوبات . ؟ .

وقد أدت كل هذه العوامل إلى بروز اتجاهات ركزت بشكل مباشر على تناول مرحلة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي بنظرة ضيقة تنحصر في رؤية قبلية ، وهذا الاتجاه يحاول أن يعيد صياغة أحداث تلك المرحلة برواية جديدة وضمّ هذا الاتجاه عددًا من الكتاب ، فمنهم من يحاول أن يعيد تفسير الأحداث اعتمادًا على تحليل لا يراعي الظروف المحيطة بالحدث آنذاك ، ومنهم من اعتمد الشعر ولغة الإطناب والمبالغة ، ليعيد صياغة الأحداث بعقلية شاعر ، واستند هذا الاتجاه على العصبية القبلية ، وإثارة النعرات .

وإذا كان من حقّ كل الأفراد أن يكتبوا عن دور قبائلهم ، أو أهاليهم ، أو أبناء جلدتهم ، وإسهاماتهم المختلفة في صناعة الأحداث التي مرّ بها المجتمع الليبي في مختلف المجالات ، سواء كانت أدوارًا علمية ، أو ثقافية ، أو جهادية إلى غير ذلك ، فإن هذا الحقّ يصبح مقيدًا حين يتعدى لإظهار هذه الأدوار ، حدّ التهجم على الآخرين دون وجه حقّ ، لا لشيء سوى الرغبة في مهاجمة الآخرين ، وتحريف الحقائق ، والطعن في المواقف بما يتعدى حدود الأدب حتى في المخاصمة دون الأخذ في الاعتبار أن كل الرجال والقادة الذين كان لهم دور في حركة الجهاد الليبي أيًا كان حجم هذا الدور ، هم أبناء عصرهم بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني إيجابية وسلبية ، فهم بشر لهم أحاسيسهم ، ومشاعرهم ، وآمالهم ، وطموحاتهم

ورغباتهم الشخصية ، وهم غير معصومين من الخطأ ، ومن غير اللائق أن نجعل تصرفاتهم في غمرة من الانفعال العاطفي فوق مستوى البشر، فُتُسبغ عليهم آيات الثناء والتمجيد والكمال ، ومن غير الأخلاقي أن نجرّمهم أو نشتمهم ، ونطلق عليهم الأحكام والإساءات بمنظور واقع اليوم .

**ويلخّص مرامي وأهداف هذا الاتجاه أحمد كريم بالقول:-** (( ولكن الذي يحزّ في نفس القارئ في بعض هذه الكتب، أن هناك عديداً من المحاولات لتحويل بعض المسارات التاريخية من الوطنية الليبية العامة إلى القبليّة وبتقافة قبليّة وتعصّب ضيق، ما أفقد هذه المجهودات سمتها الوطنية الشاملة وانحسارها في الإطار القبلي الضيق ... فكل كاتب يحاول الميل بطريقة أو بأخرى إلى قبيلته محاولاً وضعها في الطليعة، وبالتالي ضاعت القبائل الأخرى في هذا الخضم، لأن هذه القبائل لم ترزق بكاتب أو مؤرخ يكتب ويؤرخ لها، حتى وإن كانت هذه القبيلة قد ضحت بالنفس والنفيس ومع ذلك أصبحت نسيّاً منسياً. إضافة إلى ذلك حاول البعض اختزال قيادات كان لها دور بارز في تاريخ ليبيا بل ذهب البعض إلى محاولات هدفت إلى اختلاق أحداث لا وجود لها بقصد الإضرار بالآخرين...))<sup>(1)</sup>.

**ويضيف مؤكداً :-** (( أن التاريخ قد آل إلى تأليف قصص ، ولم يعد كما يجب أن يكون تاريخ أسباب ووقائع وأحداث ونتائج ووثائق...))<sup>(2)</sup>.

### **ثانياً:- الأوضاع في ولاية طرابلس الغرب أواخر العهد العثماني الثاني**

\*- أثار احتلال فرنسا السريع لتونس عام 1881م المخاوف لدى الأتراك من أن تقوم فرنسا بالتوسع شرقاً لاحتلال ولاية طرابلس، أو أجزاء منها ، خاصة وأنه تواجد في تونس تلك الفترة حوالي (50) ألف جندي مزوّد بمدافع وعربات نقل إضافة إلى وجود فيلق فرنسي بقيادة الجنرال (( فورتمون )) في الجزائر ، وهذه في مجموعها تشكل قوة لا يستهان بها في حال القيام بأعمال حربية تهدّد سلامة أراضي الولاية ، ولذلك عقد اجتماع بين ضباط الجيش التركي بالولاية يوم 1881/10/21م لدراسة الوضع العسكري واحتمالات التحركات الفرنسية ، وسبل مواجهتها ، وقد أعدّ المجتمعون عدداً من التوصيات والمطالب ، تركزت في معالجة مظاهر الضعف التي تعاني منها وحدات الجيش التركي الموجودة في

1 - أحمد كريم علي، المجاهدون المنسيون ، دار الكلمة ، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص 24 .

2 - المصدر السابق ، ص 26.

الولاية، وطالبوا في توصياتهم للباب العالي، ضرورة توفير الأغذية للجنود والأعلاف للحيوانات، سواء في مقرّ الولاية، أو في الوحدات المنتشرة في مختلف الأماكن ، ونقاط المراقبة ، وتوفير وسائل النقل، ومواد التموين ، والالتزام بتسديد مستحقات المتعهّدين، الذين يقومون بتوفير التموين للجيش في مواعيد منتظمة إضافة إلى بناء الاستحكامات العسكرية حول المدينة ، والمواقع المهمة ، وإنشاء مخازن الأسلحة والعتاد، وزيادة عدد أفراد الجيش الذي لم يتجاوز عدده ما بين (7-8) آلاف جندي، وهي قوة لا تتمكّن من الدفاع عن مساحة شاسعة في مثل مساحة ولاية طرابلس، إضافة إلى رفع قدرات الجيش القتالية بالتدريب المستمر.

**ولزيادة عدد الجنود ، والاستعداد والجهوزية للتصدي لأي مخاطر خارجية** أصدر الوالي أحمد راسم باشا توجيهاته لفتح مجال التدريب العسكري أمام الأهالي في المدن والقبائل في دواخل الولاية عام 1885م جاء فيها:- (( لا يخفى على الجملة أن أمر الجهاد الجليل الذي هو من جملة الفرائض المكلف بها كل مسلم عاقل وأهم مهمات شعائر الإسلام متوقف على كسب الملكة والمهارة في استعمال الأسلحة إذ على فرض وقوع تسلط والعياذ بالله تعالى من طرف الأجانب على هذه الولاية فلاشك أن المقاومة مع العساكر السلطانية الموسومين بالنصر لأجل المحافظة على المملكة فرض على جملة أهل الإسلام ... لأجل أن يصير تعليم استعمال تلك الأسلحة من العساكر الشاهانية إلى الأهالي ... ))<sup>(1)</sup>.

**وقد سارع الليبيون إلى الاستجابة لدعوات التدريب العسكري، وأبدوا استعدادهم ورغبتهم في التدريب ، حيث تشير الوثائق إلى أن مراكز التدريب فتحت في كل من : مصراته - سرت - زليتن - الخمس - مسلاته - ترهونة - غريان - زوارة - الرجبان - الزاوية - العجيلات ، وتشير إحدى الوثائق المؤرخة في 1899 إلى أن أهالي زواره تبرّعوا بالأموال لبناء ثكنة عسكرية.**

**كما أن أهالي غريان انخرطوا في عملية التدريب حتى بلغ عدد المتدربين (500) متدرب ، وكذلك مصراته وترهونة والخمس والعجيلات ، وقد أرسل أهالي قبيلة الرجبان برقية للوالي بتاريخ 1899/10/23م أكدوا فيها سرورهم وفرحتهم باستجابة الوالي لطلبهم للتجنيد ، والتدريب على السلاح ، خاصة أنهم سبق لهم التقدم مطالبين بالتدريب ، وتبرز البرقية المدى العالي بالشعور والوعي بالمخاطر**

1 - د. أحمد صدقي الدجاني، وثائق تاريخ ليبيا الحديث، جمع وترجمة الحاج عبدالسلام أدهم ، منشورات جامعة بنغازي ، دار صياد ، بيروت ، 1974 ، ص 35.

التي تهدد الوطن والدين ، وتعبر عن المشاعر الوطنية الحقة التي يشعر بها كل الليبيين ، وتقول البرقية :- ((... تعالى في أبرك الساعات وأشرف الأوقات تشرفنا بأمركم العالي التلغرافي المؤرخ 313/8 الذي ..... مراحم دولتكم وبه تبليغ ..... بواسطة قائمقام فساطو جوابا لما عرضه هؤلاء العبيد لأعتابكم العالية الحمد لله على حصول رضاكم وماهي إلا نعمة ومنة عظيمة . إن مصلحتها عابدة أيضا لنا وعلينا لإقامتنا بواجبات الإسلام ومحافظة للأهل والأوطان فإننا والله ممنونين وبرضاكم الذي هو رضا خليفتنا الأعظم حقا وصدقا متشكرين كيف لا وهي درجنا في سلك العسكرية الشريف ..... لمحافظة أرضنا وثرنا وحرماننا وأموالنا وعليهم ننالوا الرضا الأسنى فإننا داعيين للواسطة بيننا وهو قائمقام .... ثم لمقام دولتكم ..... شوكتكم العلية الذي أنتم الواسطة الكبرى لمتبوعنا الأعظم والخاقان المعظم حامى يقظة الإسلام نصره الله سلطاننا على الدوام الغازي عبدالحميد الثاني نصره الله وأيده خليفة رسولنا سيد الأمام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بأننا لرضائنا وممنونيتنا بادرنا بالعرض عبيدكم أهالي الرجبان والأمر والفرمان لحضرتكم من له الفضل والإحسان . 317/10/2 ))<sup>(1)</sup>.

واستكمالاً للاستعدادات ، أصدر السلطان عبدالحميد في عام 1902 فرمائاً بتطبيق التجنيد العسكري الإلزامي لمدة عامين ، وقد أثار هذا القرار احتجاجاً ورفضاً من بعض الفئات ، كالكورغولية الذين رأوا فيه مساساً بامتيازات وأوضاع كانت لهم كاعفائهم من التجنيد والضرائب ، ولكن في مقابل هذه الاستجابة لمسألة التجنيد والتدريب على السلاح من معظم القبائل الليبية ، كانت هناك قبائل أخرى ترفض مسألة التجنيد والتدريب ، تحت حجة أنها قبائل بدو رحل غير مرتبطة بالأرض (( لا دار ولا جدار)) ومن بين تلك القبائل : قبيلة الصيعان ، التي يورد عنها فارس العلاوي حواراً نقله بلقاسم كله عن والده علي كله ، حول موضوع التجنيد ، ونورده (( بتحفظ ))<sup>(\*)</sup> حيث يقول :- (( أما موقف قبيلة الصيعان من قانون التجنيد الإجباري فقد رواه أبو القاسم علي ضو كله نقلاً عن والده الشيخ علي

1 - الهاشمي محمد بالخير، الحس الشعبي بأهمية وضرورة الاستعداد العسكري قبل الغزو الإيطالي ، مجلة الشهيد العدد الرابع ، 1983 ، ص 51 " نقل بتصريف "

\* - التحفظ هنا أولاً على صحة الكلام المنسوب وحقيقة ما حدث ، إذ لاعتقد أن يتأخر أهالي الصيعان في الاستعداد للدفاع عن وطنهم والتدريب والتجنيد مثل بقية القبائل الليبية ، ولكن طالما أن المؤلف نشر هذه الحكاية في كتاب وبموافقة من الصيعان فقد أوردناها على أنها تمثل موقفاً منهم ، ويمكن للقارئ أن يستنتج منها العديد من التحليلات والمواقف. وثانياً كيف فات القشاطر أن يشير إلى هذه الرواية المنسوبة إلى أحد بطلي كتابه والتي تمثل موقفاً معيناً وتعني وجود أوراق أخرى للشيخ علي كله ربما لم يطلع عليها القشاطر ، أو أنه تركها لكتاب آخر !!

كله فقال " قال والدي إن مدير الجوش آنذاك محمد بييري المحمودي استدعى مشائخ الصيعان الأربعة وأبلغهم أن الباشا استدعانا جميعا أنا وأنتم ، وعندما استفسروا عن سبب الاستدعاء أخبرهم بأن الدعوة من أجل تنفيذ توصية التدريب العسكري وقد حرصهم المدير بأن لا يتعهدوا بشيء حيال هذه الخدمة العسكرية وقال لهم أنتم أناس تسكنون على الحدود وأن أهاليكم بدو لا جدار يحول بينهم وبين الفرار إلى تونس " ويتابع الشيخ علي كله حديثه قائلاً : " اجتمعنا 60 نفرا بين مشائخ ومدبرين خطب فينا الباشا ... وقال مفتتحاً بالقرآن : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ... ﴾ ، ثم أن الله سبحانه وتعالى أوصى بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة الوالدين ، وقرن طاعة الأمير الصالح المؤمن بطاعة الله ورسوله إخواني أولادي : جاءنا أمر أميركم - يقصد السلطان العثماني - يأمركم أن ينخرط أولادكم في الجندية ويتم ذلك بتدريبهم تدريباً عسكرياً لأن العدو مائل أمامنا والاستعمار الأجنبي متغلغل في هذا العالم وسيتم احتلالهم لبلادنا ((الدولة العثمانية)) والشعوب العربية والإسلامية جميعاً ... وعليه أميركم يطالبكم بأن تمتثلوا بطاعة الأوامر الصادرة بشأن الخدمة العسكرية حتى إذا جد أي طارئ يمكنكم الدفاع عن بلادكم - فماذا كان جوابنا نحن وخاصة الصيعان قلنا :- .. لا يمكننا التعهد بشيء حيال هذا الأمر لأن قبائلنا قبائل بدو رحل تسكن الصحراء ولا يمكننا التعهد بجمعها (( لا دار ولا جدار )) كما أن هؤلاء يعتبرون الخدمة العسكرية عبودية وعليه فإن جواسيس الأهالي معنا إن تعهدنا بشيء لن نجد أحداً في المنطقة عند عودتنا سيرحلون عن ليبيا إلى غيرها مثل تونس والجزائر ... يقول الشيخ علي كله :- (( لبث الباشا يحاول إقناعنا بالتي هي أحسن... وقبل أن يحين وقت الندم هداكم الله لامتثال أوامر أميركم ، وإلا فإن أميركم يبرأ إلى الله مما يلحق بكم إن لم تمتثلوا لهذا الأمر )) . فما هو جواب الصيعان على طلب الباشا الوالي ، يقول الشيخ علي كله ((...لم نستجب وانسحبنا فتخلى الباشا عن الدعوة إلى التجنيد ))<sup>(1)</sup>.

ويبدو من هذا الحوار أن الوالي لم يدخر جهداً ، وبكل الوسائل في محاولة إقناع الصيعان بالتدريب على السلاح ، إستعداداً لمواجهة أية مخاطر قد تتعرض لها الولاية ، باعتبارهم من أهلها ، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً أمام رفضهم القاطع رغم

1 - فارس أحمد العلوي ، تاريخ مدينة تيجي وقبائل الصيعان وبلدانهم ، مكتبة أوغاريت ، دمشق ، الطبعة الأولى 2000 ، ص 113 .

ما قدّمه من مبررات ودواعي تستوجب منهم الإسراع في الانخراط في التدريب على السلاح ، والحقيقة فإن هذا الموقف إن صحّ وقوعه فإنه يفسّر بشكل واضح موقف الصيعان كما ورد في الوثيقة رقم (10) في كتاب القشاط (( من قيادات الجهاد الليبي...)) ويؤكد في ذات الوقت سلامة تحليل مضمون تلك الوثيقة اعتماداً على مفرداتها والموقف من كل تلك الأحداث ، والعلاقة بين الانسان وأرضه التي انحصرت في معنى عبارة (( لا دار ولا جدار)).

\*- **ودفع** احتلال فرنسا لتونس إيطاليا إلى الإسراع في ضمان الاستحواذ على ليبيا ووقعت في هذا الشأن عدد من الاتفاقيات مع الدول الأوروبية لضمان تأييدها لاحتلال ليبيا ، أو على الأقل حيادها ، فأبرمت مع فرنسا اتفاقية ضمنت بها حياد وموافقة الحكومة الفرنسية ضمناً على احتلال إيطاليا لليبيا<sup>(1)</sup>.

**كما** استطاعت كسب تأييد بريطانيا ، ذلك انعكس في برقية لرئيس الوزراء البريطاني غراي الذي قال :- ((...إذا تغيّر الوضع القائم في حوض المتوسط فسيصبح احتلال إيطاليا طرابلس ضرورة ملحة حتى لا يصبح البحر المتوسط بحيرة فرنسية ..))<sup>(2)</sup>، وتم عقد اتفاقية سرية بين البلدين في 12 من فبراير سنة 1883 تم تجديدها عام 1902 بعد أن وافقت بريطانيا على تأييد إيطاليا في احتلال ليبيا وتحصلت إيطاليا كذلك على تعهد من ألمانيا خلال الفترة ما بين 1903-1905 بعدم التدخل العسكري في حال قيام إيطاليا باحتلال ليبيا ، وكذلك على اعتراف من النمسا بالموافقة على احتلال طرابلس شرط ألا تمتد الحرب إلى منطقة البلقان<sup>(3)</sup>.

**ولتهئية** الأوضاع لغزو ليبيا بدأت إيطاليا عن طريق الجمعيات العلمية في إرسال الرحالة الذين كانوا يجوبون البلاد ويعدّون التقارير والدراسات حول كافة الأوضاع السياسية ، والقبلية ، والاقتصادية ، والدينية ، كما بدأت في إرسال التجار ، وتشجيع الإيطاليين للاستقرار في أهم المدن الليبية ، بغرض تكوين جالية ذات وزن عند بدء الغزو وصل عددها في أوائل عام 1911 إلى (800) إيطالي وفتحت عدد من المؤسسات مثل المدارس والقنصليات ، وتم إنشاء فرع لمصرف

1 - د. محمد عبدالكريم الوافي، **الطريق إلى لوزان** ، دار الفرجاني ، طرابلس ، الطبعة الأولى ، 1977 ، ص 38  
2 - د. عبد المولى صالح الحرير، **التمهيد للغزو الإيطالي وموقف الليبيين منه** ، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي الجزء الثاني ، مركز دراسات جهاد الليبيين ، طرابلس ، 1984 ، ص 27 .  
3 - المصدر السابق ، ص 27.



روما الذي لعب دورًا هامًا في الإعداد لمرحلة الغزو العسكري ، حتى أنه في عام 1911 قَدَّرت قيمة استثماراته في ليبيا بحوالي خمسة ملايين دولار أمريكي<sup>(1)</sup>.

**وبحلول عام 1911** كانت كل الظروف على المستوى الداخلي في إيطاليا تشجع على احتلال ليبيا ، فكانت الصحف ووسائل الإعلام تلعب دورها في تحريك الشارع الإيطالي ، الذي أصبح يؤيد القيام بعمل عسكري خارجي لتخفيف حدة الاحتقان الاجتماعي والاقتصادي في بلد وصل عدد سكانه إلى (50) مليون نسمة ويعاني من ضائقة اقتصادية ، أدت إلى هجرة الكثير من أبنائه للخارج .  
أما على المستوى الدولي، فالدولة العثمانية بدأت في مرحلة الإحتضار وتواجه تحديات في أكثر من مكان وبقعة من أراضيها المترامية، التي بدأت قوى أوروبا بالتوافق فيما بينها في التهامها قطعة قطعة، وتشجيع النزعات الانفصالية عنها.

\*- **وعلى عكس المجتمعات في مصر وتونس الجارتين اللتين اُتسم فيهما النموذج الاجتماعي بنوع كبير من الاستقرار للمجتمع المدني ، وتزايد سلطة الدولة الممثلة في المدينة ، لتشمل نظمها وضوابطها كافة الإقليم ، وتستقر أنماط الحياة المدنية فيها بقوة من خلال انتشار الوعي لدى الفرد ، ونمو المؤسسات المختلفة ، وظهور الثقافة ، وانتشار التعليم ، وما شهدته الحياة السياسية فيها من تكوين جمعيات وأحزاب سياسية ، بما عكس اتجاه هذه المجتمعات إلى الأخذ بالنموذج الأوروبي الحديث .** فإن ليبيا بإقليمها طرابلس وبرقة ظلت تتأرجح ما بين النمط المدني والنمط القبلي السائد بكل مكوناته ، وسلوكياته التي لم تتفق في الكثير مع نمط المجتمع المدني المستقر في بعض المدن خاصة في طرابلس ، التي كانت تمثل حاضرة البلاد ومقر السلطة فيها ، وتمثل بداية نواة صغيرة لتشكيل هذا المجتمع المستقر وسط مجتمع يرتكز بقوة على روح القبيلة والبدوة ، والتي قاومت سلطة المدينة حتى جعلتها لا تتجاوز أسوار المدينة .

**من الخطأ القول أن العلاقة بين القبائل قبل الغزو الإيطالي كانت تسودها حالة التعاون، والسلم، والوفاق، أو أنه لا توجد عداوات أو خصومات بينها فطبيعة المجتمع الليبي الغارق في البدوة، في بيئة شحيحة الموارد، فرضت على قبائله نمط الحياة الذي يقوم على الصراع، من أجل الماء والكأ، ومن أجل الاستئثار بأكبر نصيب من الأرض، كما حدث في الحروب التي وقعت على الحدود أو تلك التي**

1 - محمد عبدالكريم الوافي، مصدر سابق ، ص 47.

وقعت بين قبائل الجبل في أماكن متعددة ، لذلك برزت التحالفات الصفية التي استندت على توافق في المصالح والمنافع ، (( صف يوسف وصف شداد )) ولم تقم على أسس عرقية ، أو جهوية ، كما أن انتشار السنوسية في بعض القبائل أدى إلى موقف رافض لها من قبائل أخرى ، ترى في اتباع هذه الحركة هرطقة وضلالة عبر عنها أحمد الجادوي في عدة مقالات كتبها ونشرها في جريدة مرشد الأمة التي تصدر في تونس أثناء زيارة له لمناطق الجبل عام 1908 حيث يقول:- (( وللطريقة السنوسية قوة انتشار هنالك إن لم أقل في "كافة الولاية" وعلى الأخص بين الطبقات البدوية ولدعاتها مقدره زائدة على التدجيل وإيهام التشبث بالأوهام ... وأن أمثال من ذكر في التدجيل كثيرون ، وأكبره في التضليل غير قليلين منهم الشيخ محمد السنوسي<sup>(\*)</sup> نزيل مدينة مزدة في التاريخ فإنه أدخل تحت نفوذه وصير من أتباعه كلا من سكان واحات مزدة وقبائل الزنتان وعروش الرجبان وغيرهم والكل يجوبون له ضعف ما تجبیه خزينة الحكومة منهم من أموال وقد استولى عليهم استيلاء البابا على العناصر الكاثوليكية، وهو استيلاء مميت منذر بوخامة العقبي دنيا وأخرى ))<sup>(1)</sup>.

**ونشير هنا بعجالة إلى أن الحركة السنوسية التي استقرت في شرق ليبيا استطاعت أن تؤثر في سلوك القبائل البدوية هناك ، الذي كان يتسم في الكثير منه بطغيان العرف القبلي، والبعد عن التعاليم الإسلامية ، وتمكنت في فترة وجيزة من وضع تنظيم اجتماعي ، تحت مظلة دينية ، يضم كل قبائل برقة تحت سيطرتها وامتد تأثيرها إلى بعض القبائل في إقليم طرابلس ، فأنشأت الزوايا في مزدة وطبقة على يد الشيخ عبد الله السني والشيخ محمد الأزهري ، والرجبان والحرابة على يد الشيخ أبو القاسم العيساوي<sup>(\*\*)</sup> عام**

\* - نعتقد أنه يقصد الشيخ محمد السني .

1 - محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، 1982، ص14.

\*\* - الشيخ أبو القاسم العيساوي: عالم وأديب، كان له نشاط واسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اتصل بمحمد علي الخطابي، وبفضل علاقته مع السلطات العثمانية سافر إلى الأستانة وحصل من السلطان عبدالمجيد على فرمان يسمح بإنشاء بعض الزوايا في ليبيا، وساهم في ذلك بدور بارز. درس على يديه الكثير من أبناء الرجبان وغيرها من أبرزهم المجاهد الحاج محمد فكيبي. وفي طرابلس درس على يديه الأديب المصلح محمد كامل بن مصطفى، وقد تولى نقابة الأشراف في منطقة الجبل الغربي خلال العهد العثماني الثاني، دفن عند وفاته عام 1308هـ بزوايا الرجبان ولا يزال ضريحه بها. انظر: محمد مسعود جبران (محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا) منشورات مركز الجهاد، ط2، 1996، ص 70، 71، 227؛ صادق مؤيد العظم (رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا)، ترجمة عبدالكريم أبوشويبر، منشورات مركز الجهاد، ط1، 1998، ص 111؛ محمد مسعود جبران (أحمد الفقيه حسن: الجد) منشورات مركز الجهاد د.ت، ص 202، لوثرروب ستودارد (حاضر العالم الإسلامي) تعريب عجاج نويهض، تعليقات شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971، مج1، ص140.

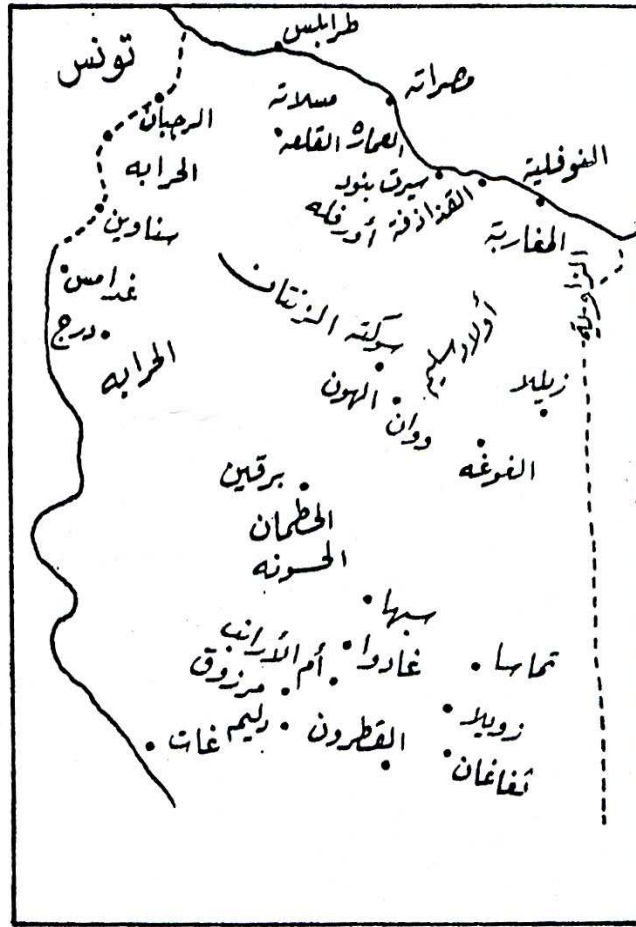
(( 1270 هـ ))<sup>(\*)</sup> والذي يوافق عام 1853م تقريباً وانضوت تحت هذه الحركة قبائل كثيرة منها : الرجبان ، والزنتان ، والحراية وأولاد بوسيف ، وورفلة ، وأولاد سليمان ، والقذافة ، وهي القبائل التي ظلت ترفع لواء المقاومة حتى عام 1930 . (( أنظر الخريطة المرفقة )) .

\*- زاوية الرجبان : إحدى أشهر الزوايا في غرب ليبيا ، أسسها الشيخ أبو القاسم محمد العيساوي حوالي سنة 1270 هـ ، وبعد مدة شرع في إنشاء زاوية طرابلس ، وفرغ منها حوالي سنة 1300 هـ ، وبقيت مشيخة الزاويتين في أبنائه ، إضافة إلى مشيخة زوايا أخرى مثل زاوية بنغازي وزاوية الحنية . وفي رواية للمرحوم المجاهد علي محمد فكيني نقلها عن الشيخ الأخضر محمد العيساوي حول تاريخ تأسيس زاوية الرجبان يقول :- (( نقلت عن الشيخ العالم الكامل السيد الأخضر محمد العيساوي بغرفته قرب الأزهر الشريف في شهر أبريل سنة 1958 ، والشيخ مدرس بالأزهر منذ خمسين عاماً قوله :- حسبما رويت عن والدي أن بناء الزاوية السنوسية ببلدة أولاد عطية بالرجبان ، أذن الإمام الأكبر سيدي محمد بن علي السنوسي تلميذه الشيخ بلقاسم العيساوي ببناؤها وسط منطقة الجبل الغربي بوطن الرجبان الذي يعد قلب الجبل النابض مع القبائل المجاورة كالزنتان والصيعان وغيرهم ، ولما تم بناء الزاوية اجتمع رجال القبائل في حفل ابتهاج وتأييد للمبدأ السنوسي - ( وهاجا ) - شاعرهم بهذا الزجل الحماسي :

بنيناك في عام سبعين	وابن السنوسي معانا
ولد فاطمة بنت لامين	بكلام ربي هدانا
قوال للحق والدين	رداع لاهل الشطانا
جا منزلك بروس لجبال	مع أهل الوفا والامانا
رجبان زنتان صيعان	وصفوف جملة حدانا
شجعان ركابت الخيل	ما يعرفوش الخيانا
يوم الخطر عدالت الميل	أهل الكرم والقطانا ))

وكان لزاوية الرجبان دور بارز في تعليم القرآن الكريم وحفظه ، وتدريب علوم الشريعة ، وتخرج منها عدد كبير من حفظة القرآن ، ومشايخ العلوم الشرعية . كما أسهمت بفاعلية في نشر الوعي الديني والثقافي والسياسي، وساهمت في حث الناس على التمسك بأهداب الدين والسلوك القويم ، وشجعت على دراسة القرآن ونشر العلم ، وأصبح لبعض الدارسين بها دور فعال في حركة الجهاد .

تولى التدريس بها العديد من المشايخ من مختلف مناطق ليبيا ، وكان لهم جميعا فضل كبير في تأهيل حفظة كتاب الله في أوائل الستينيات من القرن العشرين تم تجديدها ، ولم يبق من بنائها القديم سوى المسجد وضريح المؤسس . وعلى مدى العشر سنوات الأخيرة شهدت تطورا ملحوظا، وتوسعة لمبناها، وتزايد في أعداد الدارسين بها من المناطق المجاورة والبعيدة ، وفي المبنى الجديد قاعات وحجرات للدراسة ، ومكتبة عامرة ، وقسم داخلي مجهز للطلبة الوافدين الراغبين في حفظ القرآن الكريم . وفي عام 2002 افتتحت بها ثانوية للعلوم الشرعية وتم تخريج أولى دفعاتها في العام الدراسي 2004-2005 .



القبائل البدوية السنوسية في منطقة طرابلس

\*- الخريطة من كتاب: المجتمع الليبي ، د. عبدالجليل الطاهر ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1969 ، ص 287

كما ظهرت بوادر خلافات بين مناطق وقبائل الجبل ، ربما كان لشعور طرف باستئثار البعض الآخر بالإدارة ، أو مراكز السلطة الإدارية (( المتصرفيات )) فسعت لدى الباب العالي لاستصدار قرار لنقل وتغيير المراكز الإدارية إلى منطقة أخرى ، لإحداث ما تراه توازنًا في المصالح والمراكز ، الأمر الذي دفع بالطرف الآخر إلى السعي لإفشال هذا المسعى ونجح في ذلك .

ونشير إلى أن السلطة العثمانية لم تهتمّ بشكل جدّي لحلّ الخصومات ، أو الصراعات بين القبائل إلا بالقدر الذي يحقق مصالحها ، وربما كانت تشجّع مثل هذه الصراعات كي لا تعود تلك القبائل مرة ثانية للتوحّد ضدها ، كما حدث أثناء ثورتي : الشيخ (( غومة المحمودي )) والشيخ (( عبدالجليل سيف النصر )) اللتين صهرت القبائل في ثورة دامية ضدّ تعسف الأتراك فترة من الزمن (\*) .

\* - خلال الأعوام التي سبقت الغزو الإيطالي تعرّضت البلاد إلى موجة من الجفاف الحادّ امتدت لحوالي أربع سنوات ، فأهلكت الزرع والضرع ، واضطرّ الناس إلى النزوح في موجة من الهجرة القسرية نحو تونس ، حيث قدّرت أعداد المهاجرين بما يزيد عن (200) ألف نسمة ، وقد بلغ الجفاف ، وغضب الطبيعة من القسوة الحدّ الذي أصبح لا يطاق ، خاصة في مناطق لواء الجبل ، ففي النصوص التالية من البرقيات التي وجّهها وكيل متصرف الجبل (( المحاسب صبري )) إلى الوالي ما يشير إلى هذه القسوة ، والحال التي وصل إليها الأهالي قبيل الغزو الإيطالي بشهور معدودة ، وهي بقدر ما تشير إلى الوضع المأساوي للناس ، فإنها تشير إلى أنّ قسوة الطبيعة لم تؤثر في عزم الأهالي ، وإرادتهم في مواجهة الغازي المدجّج بكلّ أنواع السلاح .

ويقول المحاسب صبري :- (( إلى ولاية طرابلس الغرب .

يفهم من الأخبار التي تردنا من توابع اللواء عن حالة الأهالي بأنها مؤثرة وتبكي من له حمية ، نسمع هذه الأيام بمن يموت من الجوع في كل الأنحاء وهذا الحال غير خاف عن الأنظار إن بلدة مركز اللواء (\*\* ) بالرغم من كونها قرية صغيرة تتألف من عشرين أو ثلاثين منزل فقد أصبحت في حالة لا يمكن التنقل

\* لمزيد من الاطلاع على تركيبة المجتمع الليبي وعلاقات قبائله ، يمكن الرجوع إلى دراسة د/ محمد الطاهر الجرابي المعنونة (( الخصوصيات الليبية أو ثقافة الذنب والعار )) - مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .  
\*\* - يقصد يفرن .

داخل البلدة لكثرة المتسولين. إن تجمع ثلاثة أو خمسة منهم أمام أحد الأبواب وأنين التآلم الذي يصدر عنهم وبالخاصة النساء المسلمات العرايا والمتسولات اللائي يحملن أطفالهن وهم في حالة النزاع يشكلون منظرا جدا مؤلم ومؤثر .

**بالأمس** تعرض أحدهم لخطر الموت من جراء تنقيبه في المزبلة وأكله للفضلات لتسكين آلام جوعه وأخيرا وبكل صعوبة أمكن تخليص حياته واليوم فإن أحدهم في حالة النزاع بسبب أكله لفضلات الكناسة . إننا لا نملك أية وسيلة للحيلولة دون هذه النكبة العمومية ومع ذلك فقد شكلنا جمعية من موظفي اللواء والأعيان لجمع الإعانات . إن هذه العملية التي لا تجدي النفع المرجو لها في هذا المحيط الذي يباع فيه كل شيء بأضعاف ثمنه وإن جمع الإعانة من الموظفين الذين لا يكفيهم راتبهم لا يسبب إلا في زيادة ضائقتهم لأنه بعد يوم واحد من توزيع المساعدة يزيد عدد السائلين وإذا ما ذاع في القرى المجاورة نبأ توزيع الإعانة يسبب إلى هجوم الجياع على بلدة المركز ويسبب في عدم جدوى المساعدة الواقعة. أما الأعيان المحليين فإنهم بسبب فقدهم للأنعام التي ماتت من جراء الجفاف المستمر منذ عدة اعوام فقد أصبحوا ليس غير قادرين على الإسعاف وحسب ، بل غير قادرين على إعاشة أنفسهم وبما أنه ليس ممكنا تجاهل الحال الحاضرة التي يلاحظ أنها قد تؤدي للكثير من المساوي والمحاذير فإني استرحم جدا من مقامكم الكريم المتصف بالرحمة أن تتخذوا إجراء عاجلا لتخليص الفقراء والعجزة من الموت إلى أن يحين موسم الحصاد .

16 مارت سنة 1327 - 29 مارس 1911

المحاسب صبري

**الوالي** أحال البرقية عاجلا لمجلس الإدارة وهذا قرر بأن يخصص مبلغ لا يزيد عن خمسة آلاف قرش من صندوق بلدية لواء الجبل وتعيين شخصين من أعضاء مجلس الإدارة ومن البلدية لمشتري الخبز اللازم كل يوم وتوزيعه يدا بيد على الجياع . كما طلب من الجهات العليا تخصيص ثلاثين ألف قرش للتهوين على الأهالي ثم صدر الأمر للبلدية بأن تشتري 15 ألف كيلة شعير فتطحنها ثم توزع مرطة من الدقيق على الكبار ونصف مرطة على الصغار ولا أقل ما يكفي ثلاثة أيام من الخبز لإدارتهم في المدة القليلة المتبقية للحصاد ((<sup>(1)</sup>).

1 - د. أحمد صدقي الدجاني ، المصدر السابق ، ص 285.

كما أرسل وكيل متصرف الجبل هذه البرقية :-  
(عاجل جداً: إلى متصرف الجبل في طرابلس

ج17 مارت سنة 1327 إن عدم الإحساس بالجوع لهذه الدرجة خلال الشتاء ناجم عن سببين الأول لوجود ولو القليل من الحبوب بيد الأهالي لأجل البذار وكان لديهم التين والتمر . ثانياً كان لدى أفقرهم على الأقل عنزا أو اثنين .  
إنهم زرعوا البذار في الأرض وأكلوا وتمموا تينهم وتمورهم وكلما مستهم الحاجة باعوا واحدة أو اثنين مما يملكون من الماعز وبمرور الأيام استهلكوا ما بأيديهم وفرغوا منه . الغيث لم ينزل في وقته وما هطل منه كان قليلاً لم ينبت العشب فضعت الأنعام ونفق أكثرها ولم يبق لهم أملاً في الاستفادة من الأراضي لأن شجرة الزيتون التي كانت من قبل تساوي مائتان وثلاثمائة قرشا لا يوجد لها مشتر حتى بمجيديين ( أربعون قرشا ) . إنهم يموتون بعادية الجوع الذي يقاسوه في قبائلهم ولذا فإنهم يرحلون إلى جهات أخرى حتى قيل أن الرجال يهيمون على وجوههم تاركين زوجاتهم وأطفالهم في الطرق . إن الاحتياج يشمل ثلثي الأهالي بما فيهم فساطو ونالوت في حالة الخروج للظاهر أو للغابة يرى بكل حزن وأسى النساء والأطفال جالسون يأكلون المزروعات التي اصفر لونها من العطش وحتى إن أفرج الله بالغيث فإن هذا الاحتياج الشديد يستمر حتى نضوج الزرع . بعد ذلك يستطيع الذين لهم مزروعات أن يهونوا احتياجاتهم ، أما الذين ليس لهم زرع فلا شك أنهم سوف يغرقون في هذه المهانة .

إذا فإن الإبقاء على أرواح الذين لا يملكون شيئاً وناصبين آمالهم على نضوج الزرع والذين لا يملكون أي زرع كلاهما متوقف أمرهما على توزيع الطعام عليهم بطريق الإعانة من طرف الحكومة ، وفيما بعد إذا استكملت أسباب البدء فيإنشاء بعض الطرق بين مركز الولاية والأقضية يمكن استخدام الكثير من العمال والتقليل بذلك من عدد المحتاجين والتهوين من ضائقتهم معروض بإفادة مجلس إدارة اللواء .

17مارت سنة 1327

30 مارس سنة 1911

وكيل المتصرف المحاسب صبري ((<sup>(1)</sup>

وقد أكد التقرير الذي قدّمه نوّاب طرابلس في (مجلس المبعوثان) هذه الأوضاع من الآلام والمعاناة التي عانى منها الليبيون ، ورغم ذلك لبّوا نداء الجهاد جميعهم :- (( منيت البلاد مدة أربع سنوات متتالية بقحط شديد ، وما زلنا من سنتين نخاطب رجال الوزارة ونكاتيبهم من أجل تلافي أضراره . وكثيرا ما كان رجال وزارة حقي باشا يعترفون لنا بوجاهة مطالبنا ، ولكنهم مع ذلك أهملوا البلاد وتركوا أهلها يتخبطون في أزمة القحط وآلام الجوع .

ولما عدنا بعد انفضاض المجلس إلى طرابلس وجدنا مائتي ألف نسمة من أهلها قد هاجروا إلى تونس وغيرها فرارا من الجوع والقحط ، ورأينا أربعة آلاف شخص من الشيوخ والنساء والأطفال والمرضى قد لجأوا إلى مذلة السؤال ليسدوا رمقهم وينقذوا حياتهم من مخالب الموت . وكنا علمنا أن خمسمائة وأربعة عشر شخصا من هؤلاء ماتوا جوعا من شهر مارس إلى غاية شهر يوليه الماضي فقدمنا إلى الصدر الأعظم حقي باشا تلغرافا ورسائل بتاريخ 13 يوليه طلبنا فيها من الحكومة أن تصرف في هذا السبيل العشرة الآلاف جنيه التي وضعت في الميزانية اسم التخصصات غير المنظورة بموجب مادة قانونية خاصة ، وافق عليها المجلس في آخر اجتماعه الماضي ، ولكن الحكومة لم تعر هذا الطلب التفاتا .

وقد قررت الحكومة إرسال ألف كيلة إلى طرابلس وتوزيعها على الأهالي بطريق القرض لأجل البذر والأكل ، ووضعت لذلك مادة قانونية خاصة ، ولما عدنا من طرابلس إلى الأستانة ألقنا على الحكومة بطلب الإسراع في إرسال هذه الحبوب ومع الأسف نقول إن الحكومة تباطأت في الأمر إلى أن أعلنت الحرب ولم يرسل شيء من ذلك . وبهذا أصبح أبطال طرابلس المدافعون بأرواحهم عن حوزة الوطن بين عدوين : الإيطاليين المعتدين ، والجوع الذي لا يرحم (...))<sup>(1)</sup>.\*

---

1 - الشيخ الطاهر الزاوي ، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، دارف المحدودة ، لندن ، الطبعة الثالثة ، 1984 ص67.

\* - لم يواجه هؤلاء الأبطال عدوين فقط : الغزاة والجوع ، بل زاد عدوا ثالثا هو العقوق من بعض الأحفاد الذين ودون اعتبار لكل الظروف التي صاحبت الغزو الإيطالي لليبيا ، سخروا أقلامهم لمهاجمة ذلك الجيل ، ونصبوا أنفسهم قضاة ، ووصموا قاداته بالخيانة ، ومن بينهم محمد سعيد القشاط ، والذين ينبغي عليهم أن يتحلوا بالشجاعة فيقدموا اعتذارهم العلني لكل الليبيين عما بدر منهم من خطأ متعمد تجاه ذلك الجيل المقاوم .

\* - لمزيد من الإطلاع على الأوضاع الاقتصادية والصحية في ولاية طرابلس ، يمكن الرجوع إلى كتاب: الأوبئة والمجاعات في ولاية طرابلس الغرب 1835-1911 للمؤلفة: أمال محمد مجذوب ، مركز دراسات جهاد الليبيين 2006



\*- (( نحل معنا حضارة جديدة ، فإذا انصاعوا طواعية سيكونون قد أدوا خدمة جنيلة للإنسانية ))<sup>(1)</sup>.

بهذه العبارة التي تحمل في طياتها نذر الإبادة والفناء لليبيين إذا لم يرحّبوا بهذه الجحافل الغازية ديارهم ويستقبلوهم بالورود ، وهي تحمل أحلام إيطاليا التوسعية أعطى الجنرال كانيفا توجيهاته إلى الجنود المتوجهين لغزو طرابلس الغرب لبدء الحرب التي توقع أن تكون نزهة مسلية لجنوده ، هذه الحضارة التي يتحدّث عنها كانيفا حشدت لها إيطاليا (18) ألف جندي ، وأسطول بحري ضخم مكوّن من (12) سفينة حربية ، ووصل عدد الجنود في شهر ديسمبر إلى (100) ألف جندي لنقل الحضارة الأوروبية بقوة السلاح ، وزرعها على الأرض الليبية مخضبة بدماء مئات الألوف من الشهداء من أبناء ليبيا .

وبرغم سقوط واستسلام أكثر من مركز حضري في الساحل (( مجتمع المدينة )) في يد الإيطاليين ، بعد الانذار الإيطالي للحاميات التركية ، وبعد مقاومة عنيفة له ، وهذا في حقيقته يعكس أسلوب الحياة في المدينة بشكل عام في كل أنحاء المعمورة والتي في العادة تبدأ بالمقاومة المنظمة المرتكزة على السلطة القائمة ، ثم تميل في حالة الشعور بقوة الخصم، وعدم المقدرة على مواجهته، إلى اتباع قرار السلطة القائمة بالتسليم ، ومن ثم التفاعل مع المحتل على أرض الواقع الجديد إمّا بمقاومة سرّية ، أو الاندماج معه والتأثر والتأثير فيه ، ولعل هذا من أحد الأسباب المهمة التي جعلت تقديرات الإيطاليين حول غزوهم لليبيا ، يقوم على هذا التخطيط من خلال دراسة طريقة الاحتلال الفرنسي لتونس ، أو الانجليزي لمصر وغير ذلك في أماكن أخرى ، واعتقادهم أنّ الغزو هو مجرد نزهة بحرية ، ستلقى الترحيب من الأهالي ، وأنّ المقاومة ستكون فقط من الحامية التركية الضعيفة ودون الأخذ في الاعتبار مكونات المجتمع الأخرى ، التي لا تخضع بشكل مطلق أو مركزي للسلطة القائمة في المدينة ، لأن الشقّ الثاني من التركيبة الإجتماعية في ولاية طرابلس الغرب المقيم خارج أسوار المدينة ، والممثل في القبائل البدوية ((الرحل)) أو تلك التي تجمع في حياتها نمطيّ البداوة والحضر (( شبه الرحّل)) والتي بالرغم من كل العوامل والظروف القاسية من صراع وخصام ، وجوع

1 - أورخان قوادغلو ، مذكرات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا ، ترجمة وجدي كدك ، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ، ليبيا ، 1979 ، ص19

وجفاف فقد تناست كل خصوماتها ونزاعاتها ، وسارعت إلى التجمّع والتّوحد  
لنصرة المدينة ، ومواجهة الغزاة ، ولم يتمكّن الغازي من استغلال هذه الخصومات  
والنزاعات ، إلا بعد أن برزت الرغبات والمطامع الشخصية مرّة ثانية ، في لحظة  
من لحظات التاريخ الحرجة التي تختلط فيها الرؤى والمصالح .



## الفصل الثاني

### نقد كتاب

من قيادات الجهاد الليبي

الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي



(( إذا كانت الأمة لا تزال على الفطرة ، أو في طور  
بداوتها كثر اهتمام العامة من أهلها برواية تاريخها فيميل  
تاريخها المروي - الذي ينبعث من حاجات العامة ويوافق  
هواهم - إلى أن يكون قصة .

فإذا ارتقت الأمة كثر اهتمام المثقفين من أبنائها بالتاريخ  
فيصبح حينئذ تاريخها المبني على البحث في حياتها هي وعلى  
مقارنة أحداثها بأحداث الأمم المحيطة بها، أقرب إلى أن يكون  
علمًا<sup>(1)</sup>.

---

1 - عمر فروخ ، العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، المكتب التجاري ، بيروت ،  
الطبعة الثانية ، 1966 ص7.



## مراجعة ونقد الكتاب

في عام 2002 طبع محمد سعيد القشاط كتابًا بعنوان (( من قيادات الجهاد الليبي الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي )) ، وتم نشره عام 2004 وجاء هذا الكتاب تنمّة لكتبه الثلاثة السابقة التي أصدرها حول حركة الجهاد في طرابلس وهي :-

- خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام / الصادر عام 1978م .
- معارك الدفاع عن الجبل الغربي / الصادر عام 1983م .
- الصحراء تشتعل / الصادر عام 1998م .

وكسابقيه أثار الكتاب موجة عارمة من الانتقادات والآراء ، ائسّمت في معظمها بالانتقاد لما احتواه الكتاب من نقد وتجريح ، ومغالطات واتهامات ، وأحكام طالت أدوار العديد من القبائل ، وقيادات الجهاد الليبي في تلك المرحلة الهامة من تاريخنا بل حاولت كذلك إحياء النعرات القبلية تحت إدعاء البحث عن الحقيقة لجرّ المنطقة التي تتّصف بتركيبة قبلية معقّدة فرضتها طبيعة المنطقة ، وتشابك المصالح والتحالفات التي قامت بين القبائل منذ عهود بعيدة ، إلى فتن وعداوات ، ولو كان على حساب القيم والأخلاق والتعايش السلمي السائد بين الناس الذين نسوا مشاحنات الماضي ومآسيه.

وقد خرج المؤلف عن إطار البحث العلمي ، والمنهجية في تناول تلك الأحداث إلى الجدل المبني على روايات منسوبة إلى أفراد عاديين غير خاضعة للتحقيق والتدقيق في صحة الرواية ، وكذلك تفسيره المسبق الذي يعتمد على تطويع النص الوثائقي في الاتجاه الذي يخدم أغراضه الشخصية ، دون مراعاة لضوابط التأليف والبحث العلمي ، متخذًا في ذلك شعار (( الغاية تبرر الوسيلة )) إضافة إلى التعمّد في الاستناد على الأوراق المنسوبة إلى أحد المجاهدين والتي لم تتأكد صحتها بعد ، بحجة أنها وثائق دامغة في إصدار الأحكام القطعية تجاه تلك الأحداث ، وفي هذا المقام ينبغي القول إن المؤلف لم يستثن حتى قبيلته من التجريح والدّم ، وإلصاق الصفات السيئة التي تتكرها الأديان والأخلاق السمحة ، والعادات والقيم العربية الأصيلة واصفًا قبيلته بها ، وهو يظنّ أنه يمدحها ملصقًا بها صفات الغدر والخيانة، والنهب والسرقعة، والجهالة بإتيان المنكرات والمحرّمات، دون



التفريق بين الحلال والحرام ، والجبن والخوف ، إضافة إلى أنه أكد بالوثائق التي أرفقها بكتابه واعتمد عليها في حججه لمواجهة الآخرين ، أن قبيلته الصيعان ليست من القبائل الليبية . وهذا ليس بجديد عليه ، فقد هجا قومه ذات يوم في الزمن الماضي ، وأقسم ألا يعود إلى مسقط رأسه .

**وهذه الصفات السيئة إذ ننكرها ، فإننا نبرئ منها قبيلة الصيعان ولا نوافقها** عليها إطلاقاً تحت أية حجة أو ذريعة ، حتى وإن كان ذلك بحسن نية ظناً منه أنها صفات حميدة ، وسجايا عظيمة ، ولكن نجد أنفسنا ملزمين بذكرها لأنه ألزمتنا ضرورة الرد عليه بالحجة والدليل ، وفي هذا لن نتعدى ما ذكره في كتابه ، ولن نأت بجديد إلا لتوضيح مسألة مدعمة بالوثائق والأدلة .

**ولا يملك المرء حين يقرأ كتاب [ من قيادات الجهاد الليبي الشيخ علي كله** والشيخ المبروك الغدي ] إلا أن يفاجأ بمدى جرأة محمد سعيد القشاط وهو يتناول الأحداث التاريخية الهامة في حياة الشعب العربي الليبي، ويضع نفسه مؤرخاً وقاضياً، ومحللاً سياسياً وعسكرياً، ويتخذ مواقف ويصدر أحكاماً قطعية تبرئ هذا أو تجرم ذلك. وهذه الجرأة لم تكن مؤسّسة على منطقيّة الطرح، أو الموضوعيّة، التزم فيها بمنهجية البحث العلمي السليم، ووازن فيها بين الآراء والمواقف المختلفة بحيث اتخذ الموقف، أو جاهر بالرأي الأقرب إلى الموضوعيّة ومنطقيّة الأحداث، ولكن الجرأة كانت في التعمد المسبق في تحريف وتغيير النصوص، والوقائع وتقديم معلومات مغلوطه، وإصدار أحكام قاسية تنطلق من روايات وحكايات فردية ، أو مبالغ فيها تتسق في نمطها مع قصص [ الحكواتي ]، وهذه الجرأة الغريبة والتي لا تصدر إطلاقاً عن عاقل فطن يتوخى أن يقدم شيئاً لأجيال بلده ينير به طريقاً أو يهدي به سبيلاً، لتبقى في ذاكرتهم دفعت كل من اطلع عليه، أو قرأه إلى حالة من الغضب، نتيجة للشعور بأن مستوى الكتابة في تاريخنا وصل إلى هذا الحدّ.

**كما يدفع محتوى الكتاب القارئ رغماً عنه أيّاً كان مستواه الثقافي إلى حالة** من الحيرة والقلق الفكري المشوش، ليس لقوّة حجج المؤلف، أو براعة تحليله أو منطقيّة أحكامه، ولكن لأن الكتاب جاء مزيجاً من بعض الحقيقة، وكثرة الخيال والمغالطات، فشخصه أناس حقيقيون ، وأماكنهم حقيقية ، ومداهم الزمني حقيقي لكن الحكايات التي نسجها المؤلف عن كل شخصية وحدث ، كانت في الغالب لا تخضع للقياس، ولا للاستدلال، وكانت كل محاولة لوضع منهج أو خطة عمل لنقد كتابه والردّ عليه، رغم وجود الأدلة والبراهين والحقائق الدامغة التي تفند ما كتبه

تصطدم دومًا بالسطحية في التحليل والتناقض في المضمون، فما كُتِبَ في المتن لا علاقة له بما تصدّر الغلاف، ومن كان الجميع يتوقع أن يعرف عنهم حقائق جديدة من عنوان الكتاب تلاشوا بين عبثية كلماتهم، وقسوة أحكامه على الآخرين.

وإذ نؤكد مجددًا ونحن بصدد نقد منهجه في كتابة التاريخ ، أننا لا نحطّ من قدر أحدٍ جاهد ، فكلّ جاهد حسب قدره وقدرته ، وكلّ عانى وقاسى من طغيان هذا الغزو الغاشم ، ولكن لحقيقة الحدث وصناعته ومواقع وأقدار، كلّ أدى دوره في موقعه وحسب ترتيبه ومنزلته ، رحم الله الجميع من مجاهدين مقاتلين، وشيوخ ونساء وأطفال عزلّ ضعفاء ، كما نؤكد أيضًا أن هذه الدراسة بشكل عام، لا تقبل المسّ أو التشكيك إطلاقًا في جهاد كل الليبيين ، وكذلك في دور وجهاد أهالي قبيلة الصيعان ، فهم جاهدوا مثلهم مثل بقية كل القبائل الليبية التي اکتوت بنار هذه الحرب ، وتعرّضوا للنفي والاعتقال والتشريد ، ودفعوا كل غالٍ ورخيص في سبيل دينهم ، وبلدهم ، وإن تعرّضنا لهم خلال هذه الدراسة ، فإننا بذلك نحلل موقفًا لنوضح فكرة أو ننفي مزاعم ، أو نصحّ معلومة أوردتها القشاطر في كتاباته ، من واقع الوثائق المنشورة وغير المزورة ، أو من جزء من وثائق تنشر لأول مرة .

وتحاول هذه الدراسة قدر المستطاع الوصول إلى نتائج منطقية باستخدام المنهج العلمي الذي اتفق عليه العلماء في كتابة التاريخ ، من خلال معالجة ونقد نصوص كتابات الشاعر محمد سعيد القشاطر عن فترة الجهاد ضد الإيطاليين وخاصة كتابه الأخير (( من قيادات الجهاد الليبي .. )) ، ومدى حيادية الأحكام التي يصدرها بحق العديد من الزعامات الجهادية ، ودقة المصادر التي يعتمد عليها وأثر هذه الكتابات على تماسك نسيج الوحدة الوطنية بين الليبيين .

بدأ المؤلف كتابه بالهجوم على الأحياء والأموات ، بالقول:- (( كما لاقي الكثير من النقد اللاذع والتجريح الذي طال المؤلف من قبل أحفاد الذين تهاونوا في الجهاد أو ركنوا للعدو وفضحت أدوارهم ))<sup>(1)</sup>، وكأنه نبي مرسل أحيط علمًا بوقائع الماضي ، وحين يمضي به الخيال بعيدًا ، يصوّر للقارئ أنه وقف وحده بآياته التي تحوي الحقيقة الكاملة ، والتي أصبحت لأهميتها كما يدّعي من وثائق مركز دراسات الجهاد الليبي، يردّ على جموع المعترضين، ويفنّد حججهم ووثائقهم ولكنه

1 - محمد سعيد القشاطر، من قيادات الجهاد الليبي، دار أوثيا الجديدة ، طرابلس، الطبعة الأولى، 2002 ص7.

فجأة ينتبه إلى واقع حاله وضعف حججه ، فيقول:- (( وعلى الرغم من ذلك فإنني لا أستطيع أن أدعي أنني أملك كل الحقيقة ، فالحقيقة كاملة يعلمها الله وحده الذي لا تخفى عليه خافية ، أما في التاريخ فإن الحقيقة نسبية))<sup>(1)</sup>، ثم يعود فينقض قوله السابق ، فيقول:- (( إنني إذ أتحدث عن دور أي فرد أو قبيلة إنما أنطلق من وثائق ومخطوطات لا تقبل الجدل ثابتة مثبتة في ذيل الكتاب))<sup>(2)</sup>.

ولأن غايته من التهجم على الآخرين ، هو استخدامه كوسيلة لطرح أفكاره القبلية الضيقة التي يروج لها في هذا الكتاب ، فقد انتقل بسرعة من الإطار العام إلى الإطار القبلي مستهجنًا أن ينسبه البعض إلى قبيلة الزنتان ، لأنه ذكر في بعض كتبه السابقة دور قبيلته الصيعان ، واصفًا منتقديه بأنهم ينطلقون من حديث عاطفي خاليًا من المنطق والتوثيق ، وللتوضيح فإن من أشار إليه المؤلف بأنه نسبه إلى قبيلة الزنتان كان الأجدى أن يذكره بالاسم فهو باحث أكاديمي معروف وكتابه يُعدّ من المراجع المهمة في التاريخ الليبي ، وإن أخطأ في نسبه إلى قبيلة الزنتان لاشتباه الأمر عليه فتلك ليست مسبة أو تهمة يتبرأ منها القشاط ، أو يرى فيها انقاصًا لقدره .

أما تلك الإشارة فقد أوردها الدكتور علي عبد اللطيف حميدة في هامش كتابه [ المجتمع والدولة والإستعمار في ليبيا] فقال في الهامش (101):- ((معظم المؤرخين الليبيين تجنبوا الحديث عن الحرب الأهلية في الجبل لأنها أدت إلى كارثة أنهت المقاومة ، كما نجد في كتاب: الزاوي ، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ص 309، التليسي...بعد القرصاوية ... ومحمد سعيد القشاط: خليفة بن عسكر: الثورة والاستسلام " ... ومعارك الدفاع عن الجبل الغربي، ولكن رغم شجاعة محمد سعيد القشاط في تناول الموضوع إلا أن تحليلاته متحيزة إلى موقف قبيلته الزنتان وحلفائها في الحرب كما أن كتاباته تنقصها المراجع والتوثيق ))<sup>(3)</sup>.

1 - المصدر السابق ، ص8.

2 - المصدر السابق ، ص9.

3 - د. علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة والإستعمار في ليبيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1995 ، ص 176.

\* - لم تكن حرب الجبل هي التي أنهت المقاومة، وهي مغالطة تاريخية ، لأن المقاومة في إقليم طرابلس استمرت بعد ذلك 8 سنوات في مواجهة غراتسياني حتى عام 1930 ، وتناولها من طرف القشاط ليست شجاعة ، فهو لا يملك وثائقها وحفاتها، لأن الكتابة فيها على نحو ما يفعله القشاط هو إيقاظ للفتنة، وتدعو إلى عدم الكتابة عنها دون وثائق وتحليل موضوعي ودراسة شاملة لها . المؤلفان.

ويذكر في هذا المقام أن ردّ لجنة الباحثين في كتابهم: [السير والرد على التزوير] جانبه الصواب حين أرجعوا معنى كلام القشاطر إلى قبيلته بقولهم: - ((...ونقول نحن أن الضمير عائد على قبيلة الصيغان حسب مقتضى الكلام))<sup>(1)</sup>.

ونستعرض فيما يلي أوجه النقد المختلفة للكتاب من الناحيتين المنهجية والموضوعية:-

### أولاً:- من حيث المنهجية :

#### \* - التناقض بين عنوان الكتاب ومضمونه:-

من المتعارف عليه أن عنوان الكتاب عادة يعبر عن محتواه ، ولكن في هذا الكتاب يلاحظ القارئ أن هناك تناقضاً وتداخلاً في الشكل والمضمون ، إذ حمل الكتاب عنواناً عريضاً ملفتاً للانتباه كتب بالخط العريض بعبارة [ من قيادات الجهاد الليبي الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي ] وهي جملة تسبب من الوهلة الأولى دهشة للقارئ الذي لم تختزن ذاكرته المرتبطة بحركة الجهاد الليبي هذين الاسمين من ضمن الزعامات والقيادات التي تتبادر للذهن كلما تطرق الحديث إلى مرحلة الجهاد وصراع المجاهدين ضد الغزو الإيطالي . وهذه الدهشة تربك عقل القارئ الذي تعود على أسماء قيادات الجهاد الليبي المعروفة بدورها في حركة الجهاد ، مما يدفعه إلى محاولة قراءة الكتاب لمعرفة هاتين الشخصيتين [ البارزتين ] اللتين ربّما أغفلهما التاريخ والمؤرخون ، وقد يكون ذلك بقصد التحامل على دورهما ، أو لعدم توفر المصادر والوثائق التي تبرز [ الدور الهام والخطير] الذي لعبته كل شخصيّة في مراحل حركة الجهاد الليبي ، وفي اعتقاده أن بالكتاب وثائق جديدة غير منشورة ، استطاع المؤلف الحصول عليها ، ولدى تصفّح الكتاب يلاحظ أن مضمونه لا يتناول الشخصيتين المشار إليهما إلا في نسبة ضئيلة من محتواه ، فمن مجموع عدد صفحات الكتاب البالغة (559) صفحة ، كان نصيب الشيخ علي كلة من حيث ورود اسمه فقط (50) صفحة وبنسبة (9%) وكذلك كان نصيب الشيخ المبروك الغدي (41) صفحة وبنسبة (7%) من مجموع صفحات

1 - د. محمد عبد الوهاب وآخرون ، السير والرد على التزوير ، الدار الأطلسية ، تونس ، الطبعة الأولى ، 2006 ص 32.

الكتاب. وفي هذه الصفحات تم تناول الشخصيتين ببيانات ومعلومات سطحية يغلب عليها الطابع السردي المشحون بالعبارات العاطفية التي تزخر بها الروايات الشعبية على نسق روايات عنتره بن شداد ، والوزير سالم والسيرة الهلالية ، والتي تميل إلى التفخيم في العبارات والخيال الأسطوري ، مثل قوله :- (( كان كريماً صبوراً فارساً شجاعاً صموثاً إذا تكلم كان قوله الفصل...إذا صمم على شيء لا تستطيع أي قوة أن ترجعه عن تصميمه...وطنياً من الطراز الأول حمل السلاح ولم يلق به حتى النهاية. ))<sup>(1)</sup>.

أو قوله (( وكان... مفكراً حصيفاً ... يخشاه الأعداء أيما خشية...ويتوقع خططهم التي رسموها فينقضها وينكسها ))<sup>(2)</sup>.

**إضافة** إلى تسجيل وذكر مواقف متناقضة للشخصيتين ورسم صورة كاريكاتيرية لهما بحيث أساء إليهما قبل أن يُحسِنَ ، ولم نشأ في هذه الدراسة أن نتعرض لهما بالنقد أو بيان الطريقة التي تناولهما بها القشاط .

**أيضاً** من مجموع (33) وثيقة أرفقها بالكتاب ، يلاحظ أن هناك عدد (4) وثائق فقط جاء فيها ذكر للشيخين ، وأما من ناحية المراجع التاريخية التي تؤرخ لتلك المرحلة فلا يوجد أي ذكر له قيمة معرفية حول هذين الشيخين ، وباستثناء ما ذكر سابقاً فإن أغلب صفحات الكتاب تضمنت تهجماً متعمداً على أدوار القبائل والزعامات الوطنية في مرحلة الجهاد ، ومحاولة النيل منها ، وإطلاق العبارات وأحكام التجريم والتخوين ، استناداً على قول شاعر يسمع دويّ المعارك دون أن يختبرها ، أو راوٍ لا حظ له في مجالس القوم إلا ما نقل له ، أو سمعه صدفة إضافة إلى حشو الكتاب بأحداث وأمور لا علاقة لها بعنوانه ، وإثارة النعرات بذكر أحداث جرت في الماضي ، وكان لابد لها أن تقع لأنها مرتبطة بطبيعة أوضاع المجتمع الليبي آنذاك .

#### \* - المصادر :-

من المتفق عليه أن الكتابة في التاريخ ، أو في أي موضوع تحكّمها ضوابط وقواعد وأسس تراعي الجانب العلمي والمنهجي ، ولا بد للباحث والمهتمّ من معرفتها ؛ ولذلك جرت العادة أن يتم إعداد وتكوين الباحث على أساس أكاديمي

1 - محمد سعيد القشاط ، المصدر السابق ، ص19.

2 - المصدر السابق ، ص 20.

قد يستغرق السنوات كي يتمكن من الإلمام بهذه القواعد والمنهجية ، أو ببعض منها ومن أهم هذه الأسس ، هي المصادر التي يستعين بها الباحث في بحثه ، ومدى صحتها واتفاق الرأي حولها ، وكثيراً ما يتم التحفظ على القبول ببعض المصادر لسبب أنها لا تتسم ولا تنطبق عليها الخصائص ، والشروط الموضوعية ، مما ينقص من قيمة البحث ، أو ينفي صحة ما يرد فيه من آراء ونتائج واستنتاجات ويلاحظ أن القشاط استند في كتابه على عدد من المصادر التي اعتبرها أساسية ورئيسية :-

- 1- الرواية الشفهية .
- 2- قصائد الشعر الشعبي .
- 3- الكتب التاريخية
- 4- كتب المؤلف .
- 5- الوثائق
- 6- الأوراق المنسوبة إلى مجاهد .

### 1- الرواية الشفهية

من الحقائق التاريخية الثابتة أن نشأة كتابة التاريخ بالاستناد على الرواية الشفهية اقترنت بكتابة السيرة والمغازي والفتوحات ، وأن هذه النشأة اعتمدت الأسلوب العلمي الخالص ، والالتزام بالشروط التي وضعها علماء الحديث ، والتزم بها المحدثون ، وهذه ماثرة من مآثر علماء الحديث الذين عرفوا بالأمانة في نقل الحديث، وفرضوا وجوب تدقيق النص، والتزموا توخي الدقة حفاظاً على سلامة ما سمعوه، بعد أن أصبح تحرّي الرواية، والمجىء باللفظ منهجاً متبعاً، وقاعدة متعارفاً عليها ، وبعد أن أجمع جمهور أئمة الحديث والفقهاء على وضع الضوابط المشروطة بمن يمتحن بروايته ، واتفقوا على أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويهِ عاقلاً سالمًا من خوارم المروءة ، متيقظاً غير مغفل ، حافظاً إن حدث من حفظه عارفاً بالمعاني التي يذكرها . وقد هيأت هذه اللوازم لعلم التاريخ قاعدة كبيرة أسهمت في تنشيط حركة التأليف لتصبح بداية تنطلق منها ، وسمة ينفرد بها ومنهجاً متخصصاً بضوابطها، واقترنت رواية الخبر التاريخي بمصطلحات الحديث من سماع، وقراءة، وإجازة، ومناولة، ومكاتبة، وأخبار، ووصية. كما حرص المؤرخون على

السند الذي يمثل الركن الأساسي للمنهج التاريخي، وعلى الرغم من تفاوت المؤرخين واجتهادهم، وطريقة نقل الأخبار التاريخية، والتزامهم بمناهج مختلفة، إلا أنهم ظلوا حريصين على دقة الأداء، وسلامة الحرص وأمانة النقل، لأن هذه الخصائص كانت تشريعاً يحرص على تطبيقه المؤرخ ليأخذ مكانه في عالم يتوخى الدقة، ويحرص على الضوابط المتفق عليها<sup>(1)</sup>.

ومن المعروف أن أهم الأسباب التي دعت مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية أن يتبنى إطلاق مشروع الرواية الشفوية، هو الحرص على تدوين أحداث تلك المرحلة من أفواه المشاركين فيها، وكي يؤسس لعمل توثيقي يأخذ بالمنهج العلمي فقد أعد مجموعة من الباحثين علمياً، من خلال إقامة الدورات التدريبية لهم لتمكينهم من الإحاطة بطرق جمع الرواية، وتمحيصها، ومقارنتها ببعضها لاستخلاص رواية متكاملة، ومقاربة حول الوقائع والأحداث، تكون مرجعاً مسانداً للروايات الرسمية، وهذه العملية بطبيعة الحال لن تكون متكاملة إلا إذا خضعت للتدقيق، والتمحيص، فذاكرة المجاهد ترى الحدث حسب موقعه، وبالتالي تتفاوت الروايات من حيث إحاطتها بالتفاصيل من مجاهد إلى آخر، فمن كان في موقع القيادة، يراها وفق حسابات ومتغيرات مختلفة عن ذلك المجاهد الفرد، الذي سمع دوي الطبل قلبى نداء الجهاد، كما أن عامل الزمن يؤثر دون شك على ذاكرة المجاهد، فينسى بعض الأحداث، وقد يرسم صورة للحدث غير واقعية، ولذلك فمسألة الرواية الشفهية، وإن كانت من المصادر المهمة، إلا أنها تظل مرتبطة بضرورة التمحيص، والتدقيق، والمقارنة، إضافة إلى عوامل أخرى ترتبط بالشخص نفسه، ومدى صدقه، وأمانته في نقل الحديث، وموقعه ودوره في المعركة أو الحدث.

ولكن محمد سعيد القشاط لم يتقيد بأي من الشروط المتعلقة بضبط صحة الرواية الشفوية، لأنه لم يكن من الباحثين الذين أعدهم المركز لتسجيل الرواية الشفوية ولذلك فمن المآخذ عليه أنه أخذ يجمع وفق طريقته وأسلوبه، أي كلام ومن أي راوٍ، وأية رواية، ويضعها مستنداً وحجة في مواجهة الوثائق، دون التثبت من صدق الراوي، أو محلّه وموقعه في الحدث، كما أن أغلب رواياته هم من قبيلته، أو أنه يستشهد برواة من قبائل لها عداوة، أو موقف عند توجيه نقد

1 - د. نوري حمودي القيسي، منهجية البحث التاريخي عند العرب، مجلة المؤرخ العربي، العدد 43، السنة السادسة عشرة، بغداد، 1990، ص 209.

أو اتهام لقبيلة أو شخص ما ، وهذا من أبرز مظاهر الضعف ، والشكّ الذي يعترى كتاباته ، ويقال من الصدق في حديثه ، ويثير الجدل حولها ، والذي ينبع ليس من القيمة العلمية ، ولكن لما تسببه من حساسيات ومشاحنات .

**والملاحظة الجديرة بالانتباه هي تركيز القشاط على الرواية الشفوية** كمصدر أساسي في كتاباته ، وحصرها في أفراد عاديين من قبيلته ، يضع رواياتهم كضد للوثائق والمصادر التاريخية ، سواء تلك التي تؤرخ للحدث لحظة وقوعه أو تلك التي كتبت كأبحاث ودراسات استندت على وقائع الماضي ، والملاحظ أن القشاط في كتبه الثلاثة التي تدور حول نفس الأحداث والمواقع ، قد أخذ يتوسّع في كل مرّة بتناول شخوص أو وقائع ، ليضيف مزيداً من البناء الروائي لكتبه ، ونراه يتوسّع باضطراد في الاستناد على الرواة من قبيلته ، مع انخفاض نسبة الرواة من القبائل الأخرى الذين يخضعون لعملية انتقاء في الرواية والحديث .

**وهذا الأسلوب الذي اعتمده محمد سعيد القشاط في الرواية الشفهية ، دون** التثبت من صحة الرواية ، أو صدق الراوي ، أوقع أحد الباحثين الذين أعدّهم مركز دراسات جهاد الليبيين - عند مراجعته ونقده لأحد كتب القشاط - في مصيدة الأخذ بصحة الرواية التي أوردها القشاط ، وتفسيرها بشكل يسيئ لإحدى شخصيات تلك الرواية ، وفي هذا الخصوص نورد هنا كمثال يعبر عن هذه الحالة التي تعكس مخاطر الاعتماد على الرواية الشفوية دون التحقق من صحتها ، ومقارنتها مع الحقائق التاريخية .

**اعتمد محمد سعيد القشاط في كتابه ( خليفة بن عسكر )** عند حديثه عن فرار بن عسكر من سجنه في الزنتان ، على رواية امحمد بن يوسف بوصوة الذي قال:- ((..فقال لنا - [ يقصد خليفة بن عسكر]- الشيخ سوف يبات الليلة في الرّجبان عند محمد فكيّني فامشوا باتوا معاه واشبحوا لحكاية وهو توه يمشي للصيعان .

فخرجنا من عنده وتوجهنا للرّجبان حيث التقينا مع الشيخ سوف في منزل الحاج محمد فكيّني وفي ضيافته وبقوا حتى الصباح الشيخ سوف وعيسى تفوشيت ومحمد فكيّني وخليفة قرقاب يتحدثون . وكان الحاج محمد فكيّني يتحسر وهو غير مصدق على تسليم خليفة بن عسكر للطلّيان فكان يقول :- **صحيح مصحح خليفة يدفعوه للطلّيان ؟ لو كان واحد زي مطلقين حتى يدفعوه معليهش ولكن فارس جهاد**



اللي ما سلمش للطلّيان ... كيف يسلموه ؟<sup>(1)</sup>))، وقد علّق محمد سعيد القشاط على القول المنسوب للحاج محمد فكيّني بقوله:- (( وقول فكيّني "واحد مطّلين زي" نوع من التواضع في الجهاد ويقصد أنه لم يهاجر كسوف وغيره)).

وقد قام مصطفى هويدي- [ أحد الباحثين الذين أعدّهم المركز في مجال الرواية الشفهية]<sup>(2)</sup> - عند نقده كتاب خليفة بن عسكر في الفقرة (9) بالتعليق على ما ذكره الراوي ، وتعليق القشاط بالقول في الفقرة (9):- يفسر الكاتب بعض الأقوال بطريقة غير سليمة ، فمثلا في ص (49) يقول محمد فكيّني :-((... لو واحد مطّلين زي حتى يدخلوه للطلّيان معلّيش)) ، وهذا اعتراف صريح وواضح وجاء أمام بعض زعماء المجاهدين ، إلا أن الكاتب يفسر قول فكيّني بأنه نوع من التواضع في الجهاد ومن المعروف أن فكيّني له مواقف معروفة تجاه الإيطاليين وأذكر بالبيت الذي قاله الربيعي:-

فكيّني وبن شعبان لحقوا احسونة وباعوا ضراري حبهم طواحي

وأذكر كذلك - ومن داخل الكتاب - [ يقصد ص 369 من كتاب خليفة بن عسكر ] برسالة فكيّني إلى المريض التي يقول فيها :- (( ونحن اتفقنا على أنه من لا يخضع للقانون الأساسي نخضعه له حبا أو كرها ..)) وهنا يظهر تواضع فكيّني بوضوح كما أن غراتسياني أورد في كتابه :- " نحو فزان" ص 423 رسالة فكيّني إلى جالياني يقول له فيها :- (( إن ابني حسن قد درس في المدرسة الإيطالية وانضم إلى حزب الأحرار فإنه ذهب إلى وزارة المستعمرات للتحدث مع المسؤولين فيها وعند عودته قمنا بمقاتلة الباروني وابن عسكر ومات ابني حسن في ساحة المعركة..)) ، وجاء في نفس الرسالة :-(( ولما رأيت أن الباروني يعمل لنفسه ولجماعته" فقط فإنني كنت أول من استسلم ... ولم أتأخر عن العمل في القتال معكم وعن عمل كل شيء لمصلحتكم كما يعرف جنابكم ))<sup>(3)</sup>.

وهكذا من رواية شفهيّة وقع الباحث ((مصطفى هويدي)) في الخطأ العلمي ولم يتبع الأسلوب والمنهج الذي تم تكوينه وتدريبه عليه ، حين استند في نقده للرواية التي قدّمها القشاط على أن القول المنسوب للحاج محمد فكيّني صحيح

1 - القشاط ، خليفة بن عسكر : الثورة والاستسلام ، دار المسيرة ، بيروت، الطبعة الأولى، 1978، ص 49.

2 - شبكة المعلومات الدولية ، موقع مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، شعبة الرواية الشفهية ، ص 86.

3 - مصطفى هويدي ، عرض كتاب خليفة بن عسكر ، مجلة الشهيد ، العدد الرابع ، 1983 ، ص 270.

لا غبار عليه والذي كان من أولى أجديات البحث العلمي النزيه ، هو التشكيك في صحة القول والمطالبة بإثبات صحته ، مما أدى به إلى إصدار أحكام ، وتقديم حجج اعتمدت على قول الشاعر ((خليفة الربيعي)) - ولمن لا يعرف من هو خليفة الربيعي يمكنه الاطلاع على ترجمته في كتاب القشاط " خليفة بن عسكر " الصفحة (232)- رغم أن هويدي في موضع آخر من نقده في الفقرة (20) ناقض كلامه ، وشكك في تاريخ بيت الشعر المنسوب لخليفة الربيعي ، أما في الفقرة (24) فإنه يشكك في الرواية الشفهية من أساسها بالقول:- (( أما عن المنهجية فإن الأستاذ محمد سعيد القشاط لم يراعها ولم يتبع الطريقة العلمية السليمة في الكتابة ، إضافة إلى اعتماده على الروايات الفردية التي غالبا ما تكون قاصرة وناقصة لأنها تمثل وجهة نظر محدودة ، ومن جانب معين فقط . ولا يستطيع كاتب أو مؤلف أو باحث الاعتماد على رواية واحدة لأنه حتما سيقع في الخطأ الذي أملت عليه تلك الرواية ))<sup>(1)</sup>.

**ولا ندرى كيف تتيقن مصطفى هويدي من صحة الرواية الأولى، وما هو المعيار الذي اتبعه للتأكد من صحة القول المنسوب للحاج محمد فكييني، إضافة إلى اقتباسه لنصوص تتحدث عن أمور متباعدة زمنياً للاستناد عليها في غير محلها!?!.**

أما مناقشة صحة الرواية من عدمها ، والتي تتضح أنها غير صحيحة وتقع في مجال (( الكلام الموضوع ، أو الكذب الفاضح )) ، فهو ما يرويه الحاج محمد فكييني في مذكراته والتي يقول عنها المؤرخ الإيطالي [ انجيلو ديلا بوكا ] أنها من أدق المصادر التي تناولت تلك المرحلة ، وأن المعلومات الواردة فيها تفوق قيمة يوميات الحرب الليبية التي كتبها أنور باشا<sup>(2)</sup>، حيث ينفي الحاج محمد فكييني وجود أو مبيت الشيخ سوف عنده في الرجبان في تلك الليلة من أساسها فيقول:- (( ... وقبل ذلك بيومين أو ثلاثة مرّ علينا ذوات من نالوت اخوان ابن عسكر وقصدهم نظره في الزنتان ، فقلت لهم : فهموا خليفة بن عسكر أن يهرب لظرفنا ويقصد الشيخ سوف في الجوش وألا يخاف شيئا ، ولما أخبروه هرب في الحال على طريق قصر الحاج أدنى الجبال حتى وصل إلى الشيخ سوف في الجوش وأتى رجال نالوت وكاباو وبقوا كلهم مع الشيخ سوف .... ))<sup>(3)</sup>.

1 - المصدر السابق ، ص 276.

2 - انجيلو ديلا بوكا ، المصدر السابق ، ص 8.

3 - محمد فكييني ، البدر المنير لحقائق من حوادث طرابلس في العهد الأخير ، غير منشورة ، ص 11 .

وهكذا يتضح من هذا المثال ضعف الاعتماد على الرواية الشفهية ، التي أوقعت كاتبين (( باحثين عن الحقيقة في التاريخ )) في نسيج قصة اخترعها راوٍ . ونشير إلى أن هناك الكثير من الروايات في كتب القشاطر يمكن إيرادها كأمثلة على ضعف الرواية الشفهية ، ومن الملاحظات النقدية الهامة على كتابات القشاطر تتمثل في أن القاعدة العامة أن الباحث أو المؤرخ يزداد اطلاعه على المصادر بحكم البحث المستمر ، مما يعطيه القيمة العلمية مع مرور الزمن ، ولكن في حالة القشاطر الذي يسعى لأن يوصف بالمؤرخ ، نجد أنه ينكفي على ذاته وقبيلته فتأتي كتاباته في التاريخ مستندة على أقوال ، وحكايات ينقلها في الغالب عن رواة من قبيلته ربما في لحظة سمر ، مع إهمال لما يرد في الوثائق ، أو من الرواة من القبائل الأخرى ، كما أن الرواية الشفوية عند القشاطر لا تثبت على نسق واحد فتتغير الرواية حسب ظرف الزمان أو المكان ، ففي كتابه : (( سوف المحمودي )) الصادر عام 1969م أورد قصة عودة الشيخ سوف من تركيا لاستئناف الجهاد وأشار بالقول :- (( ويقول علي الجواشي : كدنا أن نموت بالعطش إذ نفذ ماؤنا في الصحراء ولم يعرف دليلنا موارد المياه ، ولا حتى الجهة التي تؤدي بنا إلى أقرب بئر . وكاد أن يفرط عقدا لولا رحمة الله التي تداركتنا عندما أكثرنا من الدعاء بأن سحر سحابة أمطرتنا كوتت لنا غدبرا عظيما أقمنا حوله ثلاثة أيام وملأنا قربنا وواصلنا المسير... ))<sup>(1)</sup>.

في هذه الرواية المنقولة عن أحد رواته (( علي الجواشي )) أن الدعاء كان جماعيا فاستجاب الله لهم وأنزل عليهم مطرا غزيرا ، أما في كتابه الأخير (( من قيادات الجهاد )) فالرواية ولفس الراوي تختلف كثيرا ، فيورد الرواية المنسوبة إلى (علي الجواشي) على النحو التالي :- (( في الطريق ضل بنا الخبير ونفذ ماؤنا وبقينا عطاشا عدة أيام ، الأمر الذي لم نستطع معه السير ولم تستطع جمالنا أيضا حملنا . فاسترحنا في قرارة من سدر وصعد سوف المحمودي إلى مرتفع عال وتيمم وصلى ركعتين ، ودعا الله قائلا : اللهم إن كنت تعرفني أنني مجاهد في سبيلك صادق النية فلا تقتلني ومن معي عطشا . وقام سوف من مكانه راجعا وقبل وصوله إلينا تكوتت سحابة وبرق فيها البرق وزمجر الرعد وانهمر علينا المطر حتى امتلأت تلك القرارة ، فشربنا نحن وجمالنا وملأنا قربنا ... ))<sup>(2)</sup>.

1 - محمد سعيد القشاطر ، سوف المحمودي حياته وشعره ، الطبعة لأولى ، 1969 ، ص 27.

2 - القشاطر ، من قيادات الجهاد الليبي ، ص 296.

**ويلاحظ** أن هذه الرواية تختلف عن الرواية الأولى رغم أن الراوي شخص واحد ، ففي الأولى : دعاء جماعي نتيجته أقرب للمنطق وتصديق العقل ، وفي الثانية : خيال وهرطقة ، وإساءة متعمدة للشيخ سوف ، حين يضعه القشاطر في صورة من يخاطب الله مباشرة ، ويضعه أمام خيارين إما أن يؤكد له أمام الجميع صدق جهاده وينقذه ومن معه ، أو لا يستجيب لدعائه ، فيفقد الشيخ سوف سمعته وجهاده !!.

**ويتضح** من التراجم التي يقدمها القشاطر عن الرواة ، وأغلبهم من قبيلته ((الصيعان)) أن جلهم أميون بسطاء ، لا حظ لهم في التعليم إلا ما ندر، بما لا يتجاوز حفظ بضع آيات قرآنية ، أو قراءة محدودة في الكتابات ، كما أن معظمهم في الغالب يمارس مهنة الرعي ، أو ينتظم في قوافل تمارس التجارة مع أباله تونس وهذه المهن بطبيعتها تجعل الفرد دوماً بعيداً عن مواقع الأحداث ، أو المشاركة فيها حيث أنه يقدمهم في الغالب بالقول : جاهد ثم هاجر وعاد بعد صدور العفو من إيطاليا ، لذلك تكون روايته للحدث نقلاً عن آخرين .

أما تلك القبائل التي كان لها دور رئيسي في حركة الجهاد، سواء على مستوى القيادة، أو المشاركة والاستمرارية في المقاومة، باعتراف كل المصادر فقد تجاهل القشاطر الاستناد على رواية مجاهديها، بل حاول أن يطعن في دورها وجهادها.

**وتوضح** الجداول التالية توزيع الرواة حسب القبائل :-

\*-جدول رقم (1) يوضح عدد الرواة نسبة للقبائل المنتمين إليها في كتابه "معارك الدفاع عن الجبل الغربي".

ر.م	عدد القبائل	عدد الرواة من كل قبيلة	اسم القبيلة / القبائل
1	1	14	الصيعان
2	1	7	ككله
3	2	5	الزنتان - العلالقة
4	3	4	الجعافرة - المحاميد - القواليش
5	1	3	الريابينة
6	1	2	طوارق
7	17	1	قماطة- الحرابية- أولاد بريك- زليتن- مرزق - أولاد بوسيف - القواسم- السبعة- الزاوية- ورشفانة- أولاد محمود - ترهونة- نالوت- أولاد شبل- قنطرار مزده - غريان - النيجر *

\*- أورد القشاطر رواة من النيجر، وهذا يدعو للتساؤل عن السبب الذي يدفعه لجمع شوارد الرواة وعدم الاعتماد على الرواة من القبائل الرئيسية في حركة الجهاد بالمنطقة.

\*-جدول رقم (2) يوضح عدد الرواة نسبة للقبائل المنتمين إليها في كتابه الأخير "من قيادات الجهاد الليبي"

ر.م	عدد القبائل	عدد الرواة من كل قبيلة	اسم القبيلة / القبائل
1	1	48	الصيعان
2	1	7	الريابينة
3	1	6	الزنتان
4	1	5	المحاميد
5	4	4	الجعافرة- القواليش- السبعة- القديرات
6	6	2	أولاد شبل - غريان- مصراته- ورفلة- الزاوية-ككله
7	9	1	نالوت- أولاد بوسيف- المشاشية- الحوامد- الطوارق- أولاد بريك- زليتن- قنطرار-مرزق

## 2- قصائد الشعر الشعبي

يعتمد القشاط كثيراً على الشعر الشعبي في تأكيد أحكامه ورواياته حيث يلاحظ أن جميع كتبه تضمنت العشرات من القصائد الشعبية، والتي في كثير من الأحيان يقدّمها كوثائق، يرى أنها تفسّر الحدث، بل ويحاول أن يدحض بها الوثائق الرسميّة التاريخية، ويبدو أن هذا له علاقة مرتبطة بطبيعة وتكوين شخصية القشاط، الذي هو في الأصل شاعر، والشعر في الأساس موهبة فطرية تخلق مع الفرد الذي ينميها ويصقلها مع مرور الأيام، وحينما تتمكّن من الفرد فإنه يظلّ يرى الحياة، وتقلّباتها بعيني شاعر، وقد أكد القشاط هذه المرجعيّة الشعريّة والتخيّليّة التي تكوّنت لديّه منذ الصغر فقال:- ((...وكان في شهر رمضان يقص على الحاضرين قصة أولاد هلال وكان يتغنى بأشعارهم بصوت عذب رخيم يجعلنا نحن الأطفال في ذلك الوقت نتكّس في مجموعات صامتة إلى جانب الشيوخ نسترق السمع لعمي أحمد بن حسن وهو يقصّ حكايات وبطولات أبو زيد الهلالي والحسن بن علي والجازية الهلالية من كتاب يقرأ فيه ولا يفارقه))<sup>(1)</sup>.

ومن المثير أن القشاط وهو يكتب التاريخ بلغة الشاعر، لا يتردّد في نقض هذه الضوابط العلمية، حين يقول:- (( لقد كتبت هذا الكتاب على ضوء الوثائق التي تحت يدي واعتبرت قصائد الشعر الشعبي وثائق تاريخية كما اعتمدت ذلك منظمة (اليونيسكو) ولذلك أوردت ما وجدته منها يؤيد موضوع الكتاب ))<sup>(2)</sup>. ولم يوضّح القشاط كيف، وعلى أي معيار، ومتى، وفي أي الدورات قرّرت منظمة اليونيسكو اعتماد الشعر الشعبي مصدراً تاريخياً، تؤرخ منه الأحداث التاريخية الهامة؟ ليقرّر ببساطة الاستناد عليها في تفسير، وتاريخ الحوادث الهامة.

وهكذا يضع القشاط الجميع أمام إشكالية منهجيّة في الكتابة، والقراءة في التاريخ وحقائقه، حينما يفرض قواعد جديدة تعتمد على خيالات، وصور وتكوينات شعريّة، ناتجة عن لحظات تخيّلية لشاعر، تسكنه مشاعر السعادة أو التعاسة، مشاعر التملق أو العدا، مشاعر الشجاعة التي يداني بها النجوم ومشاعر الضعف والذلّ اللتين يتوارى بهما تحت الثرى، وكلها مشاعر تعبّر عمّا يكتنفه من انفعالات اللحظة. وليفسّر بها القشاط الأحداث الجسام في تاريخ الأمة أو يناقض بها الروايات الرسميّة التي يرويها أحد صانعي الحدث.

1 - القشاط، المصدر السابق، ص 295.

2 - المصدر السابق، ص 534.

وعلى ضوء قواعد القشاطر فإن تفسير الأبيات الشعرية ينبغي أن يتم وكأنه مطابق لفظاً ومعنى لواقع الحدث، وهكذا يُجبرُ القشاطر القارئ على أن يفسر على سبيل المثال لا الحصر، قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم في معلقته المشهورة:-

### إذا بلغ الفطام لنا صبي      تخرّ له الجبابة ساجدينا

وهذا يعني وفقاً لمقياس القشاطر ومعيّاره:- أنه عندما يبلغ الرضيع من العمر سنتين وتقطمه أمه ، ويطرق ذلك الخبر مسامح جبابة العرب فإنهم يتوافقون إلى مضارب القبيلة معلنين لذلك الصبي خضوعهم التام، وانصياعهم لأوامره. وقد تضمّن كتاب القشاطر أكثر من (30) قصيدة، إضافة إلى (29) مقطعاً شعرياً تضمّن (74) بيتاً من الشعر، وكلها موزعة على (92) صفحة ، وبلغت نسبة تلك الصفحات إلى إجمالي صفحات الكتاب (17%)، وقد أوردها القشاطر تأكيداً وتفسيراً لأحكامه وآرائه ، وإن كانت بعض تلك القصائد الشعرية قيلت في زمن غير الزمن وفي حدث غير الحدث ، وليت الأمر اقتصر على الشعر الذي يتناول الحدث التاريخي ، ويخلو من الألفاظ التي تخدش الحياء العام، وتقذح في أعراض الناس، فأورد بعض الأبيات الشعرية التي نسبها إلى الشيخ سوف المحمودي في ذمّ الزواج والتظاهر مع إحدى القبائل ، رغم أنها تنتمي لذات الأورمة التي ينتمي إليها الشيخ سوف، أو تلك التي نسبها إلى أحد رواته ((الصغير سعد حلبودة)) حين يصفه في الترجمة مجاهداً ورعاً ، ثم يسجن في تركيا لفعل اجتماعي مذموم فيقول شعراً عن سبب سجنه:-

وراء الباب ديمه واقفين اترابه	في الحبس والمرمائة
غلب الترك فينا زخيم ابزار	وتسمع زريره وهرجته وعراكه
أخيه عكسهم ليام لما داروا	ومحبوس على سبة مرا هرواكة

وهذه كلها مؤشرات توضح المدى والمستوى في الفكر، والنضوج في البحث والتحليل العلمي، الذي وصل إليه محمد سعيد القشاطر بعد كل هذه السنوات الطويلة من الكتابة والتأليف.

ولكن فات القشاط أن يدرك أن استخدام هذه الوسيلة (القصيدة الشعرية) في الكتابة التاريخية سلاح ذو حدين، يمكن أن يرتدّ على صاحبه، فيوقع به ويحشره في زاوية الاتهام!! ويوضح ذلك حين يتم الأخذ بقواعد القشاط ومعاييرها عند معالجة نصوصه الشعرية حيال الحوادث التاريخية التي عايش وجودها.

### 3- الكتب التاريخية

استند القشاط في كتابه على بعض المصادر التاريخية مثل: الكتب والمذكرات التي وضعها زعماء وقادة معاصرون ومشاركون في صنع تلك الأحداث، مثل مذكرات الشيخ سليمان الباروني، كتابات الشيخ الطاهر الزاوي والقادة الإيطاليين أمثال: رودolfo غراتسياني وبيلا ردينيلي، ورايكس وغيرهم. ولكنه في مواضع كثيرة يلاحظ أنه يتعمد أن يبتز النص الأصلي ولا يكمله، أو يحذف جزءاً منه ويربط جملاً متباعدة من النص الأصلي بحيث يتغيّر معناه ويطوّعه بشكل يخدم اتجاه الكتابة لديه، كما أنه كثيراً ما يستخدم النصوص المقتبسة في غير مواضعها إذ يقتبس نصاً لاحقاً للتدليل على حدث سابق، وهي مسألة تخالف مبدأ النزاهة والحيادية، والأمانة العلمية، فالنصوص الواردة في هذه المصادر كلّ منها تتحدث وفق طبيعة الحدث الذي تشير إليه، فلا يجوز أن ينقل نصٌ يتحدث عن أمر، أو حدث وقع في زمن لاحق ليستشهد به لتأكيد أو نفي حدث آخر وقع قبله، وهو ما سنشير إليها بالنقد في مواضعها لاحقاً.

### 4- كتب المؤلف

ما يلاحظ على القشاط أيضاً أنه يتعمد الإشارة عند تأكيد الحدث، أو نفيه إلى كتبه فيقول:- (( أنظر كتابي )) وقد استخدم هذا الأسلوب بكثرة في كتاباته ومن المعروف أن الكتب أو الكتابات التي يدور حولها الشك، أو الجدل، تظلّ موضع عدم قبول لها، ولا يؤخذ ما يرد فيها على أنه صحيح، خاصة أن كتاباته يناقض بعضها البعض، فما كتبه في الستينيات يختلف عما سطره في السبعينيات وهلمّ جرّاً ولكن المؤلف يحاول أن يقحم الآخرين، وأن يثبت أن ما يقوله، أو يحاول أن يطرحه صحيح بالإشارة إلى ما كتبه سابقاً، وهذا أمر في حقيقته يعبر عن حالة من الأنا والنرجسية، تعكس الضعف والقصور في البحث العلمي.



ومن جانب آخر يلاحظ أن الكتب التي ألقها القشاطر ، وأصدرها منذ الستينيات وحتى الآن أي على مدى أكثر من (40) عاماً تصل إلى حوالي (75)<sup>(1)</sup> كتاباً بما فيها الكتب التي يشير إلى أنها تحت الطبع ، وهو رقم كبير يوحي للوهلة الأولى بغزارة الإنتاج العلمي ، وضلوع صاحبها في التأليف المتخصّص ، ولكن بمراجعة قائمة مؤلفات القشاطر ، وتصنيفها من حيث الموضوع يلاحظ مايلي :-

- \*- بلغ إجمالي الكتب (75) كتاباً منها :-
- (66) كتاباً في مجال الشعر منها :- (53) كتاباً منشوراً (( دراسات - دواوين - تحقيق وجمع دواوين لشعراء شعبيين )) و(13) كتاباً تحت الطبع .
- (3) كتب في الرحلات .
- (6) كتب تتناول التاريخ ، وهي كلها أثارت الجدل والطعن في محتواها لدى الكتاب ، والمهتمين ، والمختصين ، وتسببت في إثارة الحساسيات والنزاعات بين الكاتب ومعارضيه .

وما يهمّ في هذا الطرح هو وضوح أن القاعدة الأساسية في غزارة الانتاج والتأليف لدى القشاطر ، تركز أساساً على الجانب الشعري والأدبي ، وهو جانب يعتمد على المخيلة ، ولا يتقيّد بالضوابط العلمية ، فالشعر صور ، وتعبيرات يتصورها الشاعر دون قيود ، أو ضوابط تلقى الاستحسان كلما كان شيطان الشعر بارعاً في نسج الصورة الشعرية ، عندما يتلبّس صاحبه ، وهذا عامل نراه أساسي يصبغ كل كتابات القشاطر بطابعه الشعري التخيليّ ممّا يقلل من مقدرة القشاطر العلمية والكفاءة ، والنزاهة في التحليل عند الكتابة في التاريخ ، أو معالجة القضايا ذات الطبيعة العلمية ، لأن الدراسات والأبحاث العلمية لها معايير ومقاييس وضوابط منهجية صارمة .

ويقود هذا الاستنتاج إلى جانب آخر مهمّ له دلالة خاصة ، فإذا ما تتبّعنا الدراسة العلمية للقشاطر منذ حصوله على شهادة التدريس العامة من معهد المعلمين بطرابلس ، نلاحظ أنها لم ترتبط أو تتكوّن أكاديمياً على مدرجات الجامعة ، أو بين المكتبات ، والبحوث والدراسات العلمية ، وإنما تكوّنت على هامش الحياة العملية والوظيفية ، إضافة إلى أن مستوياتها العلمية التخصصية تكونت في مجالات مختلفة ولا يوجد رابط تخصصي بينها ، وأثر هذه العوامل التي ذكرناها يمكن ملاحظته

---

1 - القشاطر ، ديوان في ظلال السدر ، ص 217.

بوضوح في كتاب (( الإيطاليون في الجنوب الليبي : أرتال ميانى 1913-1915 )) والذي وضع القشاطر اسمه على غلافه بعبارة (( مراجعة وتحقيق د . محمد سعيد القشاطر )) ، وقال في تقديمه للكتاب:- (( بدأت أبحث عن الكتاب ، وليس من السهولة العثور على كتاب تم طبعه منذ أكثر من ستين سنة. وأخيراً تفضل مشكوراً صديقنا الأستاذ خيرى العرادي بإهدائه لي من مكتبته العامرة بالأردن . ولما كنت - مع الأسف - لم أحظ بمعرفة اللغة الإيطالية . إذ أنني من البدو الذين هاجروا من الوطن بعد استحالة المقاومة وبالتالي لم نتمكن من تعلم لغة العدو والتي كان تعلمها في ذلك الزمن يعتبر كفرةً (...))<sup>(1)</sup>.

**يتلاعب** القشاطر باللفظ والمعنى في مواجهة القارئ ، حين يضع نفسه مراجعاً ومحققاً لمادة هذا الكتاب بعد أن وضع نفسه مؤرخاً في فترة سابقة ، والتحقيق كما هو معروف يتناول في العادة وثيقة تاريخية قديمة مخطوطة ، ولا يتناول الكتب المطبوعة المنشورة ، ولا يدري القارئ ما الذي حققه القشاطر في كتاب مطبوع ومنشور ، إلا إذا اعتبر ما قام به من تصويبات في الأسماء والمواقع الجغرافية والمدن ، والقرى عملاً يرقى إلى مستوى التحقيق العلمي ينبغي أن يذكر!! ؟ ثم يقول في المقدمة أنه لم يتعلم اللغة الإيطالية لأنه هاجر ولم يتمكن من تعلمها فحسب صياغة القشاطر اللغوية فهو يتكلم عن ذاته في الهجرة والتعلم ، فمتى هاجر محمد سعيد القشاطر وهو المولود عام 1942 بالجوش وبعد مرور (11) عاماً على توقف الحرب في ليبيا بعد القضاء على المقاومة الوطنية ، وأيضاً انسحاب إيطاليا من ليبيا في الحرب العالمية الثانية !! ؟ ، أما إذا كان يقصد أن أهله الصيعان بسبب الهجرة لم يتمكنوا من تعلم الإيطالية ، ومن ثم تعليمها لأبنائهم ، فمتى هاجر الصيعان وهم قد استقروا في موطنهم بعد استسلامهم في معركة الجوش !!؟.

## 5- الوثائق

يسعى كل باحث إلى تضمين كتابه أو بحثه بعدد من الوثائق التي تؤكد وجهة نظره حيال المسألة التي يطرحها ويدافع عنها ، وتشكل الوثائق في العادة مصدر قوة للكتاب والكاتب ، خاصة عندما تكون مرتبطة ارتباطاً مباشراً بمضمون الكتاب ، وقد درج محمد سعيد القشاطر على تضمين كل كتبه التي أصدرها بملحق

1 - جويدو فورناري، الإيطاليون في الجنوب الليبي ، ترجمة عبدالرازق فوقي عبدالرازق عيد ، مراجعة وتحقيق محمد سعيد القشاطر ، مبنى فنون الجرافيك إيطاليا ، الطبعة الأولى ، 2007 ، ص 11.

في آخر الكتاب يضم عدداً مما أسماها ((الوثائق)) إلى جانب مجموعة من التراجم والصور الفوتوغرافية شملت معظم أبناء قبيلته يرى أنها تدعم وجهة نظره وصواب تحليله حيث بلغ عدد هذه الصور (31) موزعة على (21) صفحة وكانت نسبتها إلى مجموع صفحات الكتاب (4%) .

**وبنظرة تحليلية لوثائق كتابه (( من قيادات الجهاد الليبي...))** يلاحظ أن الكتاب اشتمل على عدد (33) أسماها وثيقة ، توزعت على (93) صفحة وبلغت نسبتها (17%) من مجموع صفحات الكتاب، وحيث أنه سبق اثبات أن عنوان الكتاب لا يتطابق ومضمونه، فإنه يلاحظ أيضاً فيما يتعلق بنوع ومضمون هذه الوثائق أنها تتطرق لعدد كبير من المواضيع أكثرها جانبي وهامشي ، وأحياناً لا علاقة لها بالموضوع الرئيسي الذي يفترض أنه مخصص للحديث عن شخصيتي الكتاب ((علي كلة والمبروك الغدي)) ودورهما في حركة الجهاد الليبي ، وأن الوثائق المرفقة ينبغي أن تكون ذات علاقة بهذين الشخصين ، وتدعم وجهة نظر القشاط حسب عنوان الكتاب .ومن الاطلاع على الوثائق تبرز عدة ملاحظات أولية هي:-

\*- الكثير من هذه الوثائق غير واضح القراءة في نصوصه الأصلية ، إضافة إلى شطب وحجب بعض الكلمات أو الجمل ، كما أن البعض منها لم يرفق بالنص الأصلي للوثيقة .

\*- بعض هذه الوثائق وضعها القشاط بنصّها التركي مكتفياً بتقديم فحوى مختصر لمضمونها يقول أنه نقلها شفاهة ، وكان الأجدى به لتأكيد مصداقية النصّ والشرح أن يورد ترجمة للنصّ ، رغم أن بعض تلك النصوص سبق ترجمتها ونشرت في كتاب ، ولكن القشاط تجاهل ذلك لسبب يبدو أنه لا يريد أن يطلع أحد على مضمون تلك الوثيقة!!!.

\*- ما أسماه بالوثائق الصادرة عن السلطات الإيطالية ينبغي مراجعتها وتأكيد صحتها عن طريق الأرشيف الإيطالي ، ومركز الجهاد الليبي ، نظراً للصياغة والشكل الذي قدمت بها.

\*- كثير من الوثائق لا علاقة له بالموضوع، وحشرت بقصد التهم على الآخرين.

- وتنوزع الوثائق المرفقة بالكتاب وفقا لما يلي:-
- \* - وثائق تتعلق بقبيلة الصيعان بشكل عام (16) وثيقة، أرقام:-  
( 1 إلى 11 - 14-25-26-30-31 ).
  - \* - وثائق تتعلق بقبائل الرجبان والزنتان بشكل عام (10) وثائق، أرقام:-  
( 15 - 16 - 17 - 18 - 19 - 20 - 21 - 27 - 28 - 29 ).
  - \* - وثائق يشير إلى أنها إيطالية (4) أرقام (12-13-32-33).
  - \* - وثائق تتعلق بمصراته ( واحدة ) رقم (22).
  - \* - وثائق تتعلق بقبائل الحدود ( واحدة ) رقم (23).
  - \* - وثائق تتعلق بورفله ( واحدة ) رقم (24).

وبتحليل مضمون هذه الوثائق حسب التقسيم السابق يلاحظ :-  
أولا :- فيما يتعلق بالوثائق التي تتناول قبيلة الصيعان وهي (16) وثيقة يلاحظ أنها تتناول أصل الصيعان ، وعددهم وأحوالهم ، وصراعهم مع قبيلة ورغمة.

\* - الوثيقة رقم (1) أوردتها على أنها شجرة (الولي الصالح أبوصاع ) وأرجع نسبه إلى الأدارسة ( أنظر فقرة : مسألة الانتساب إلى الدوحة المحمدية الشريفة ص 77 ).

\* - تتحدث الوثيقتان رقم (2-3) عن تعداد نفوس قبيلة الصيعان ، وهما مستندان صادران عن الفرعين البلديين ((تيجي)) و(( بدر )) وليدل بهما القشاط على كثرة قبيلته ورغم أن الكثرة أو القلة ليستا دائما معيارا ومقياسا لقوة وبأس القبيلة أو ضعفها.

\* - الوثيقة رقم (4) لا تعطي معنى يمكن فهمه من النص ، أو يرد فيها أي سبب اللهم إلا بسط الأيادي ، ورفع الأصوات بالنصر ، والعز ، والظفر ، وطول العمر للمقام العالي ، ويبدو أن القشاط وضعها في الكتاب للتدليل على وجود مراسلات لشيخ الصيعان ((سعد حلبودة)) مثل غيره من مشائخ القبائل الأخرى مع المقامات العلية في الدولة العثمانية .

\* - الوثيقة رقم (5) التي أشار إليها في الهامش بالقول أنها توضح امتناع الصيعان عن تسديد ثمن الأراضي ، وكذلك سبب قتلهم للقائمقام ، وتعنتهم على أوامر الحكومة ، فإن مطالعة النص لا تشير إلى المنحى الذي ذهب إليه القشاط

ولكنها تشير إلى أن الكلام يشمل أهالي المنطقة كلهم وهم : (( الحرابة وكاباو والحوامد والصيعان )) الذين تراجعوا عن الالتزام بتنفيذ ما وقعوا عليه سابقاً وأثاروا الضجة والتهجم على المأمورين ، وفيها يطلب الكاتب إرسال عسكر من السواري للسيطرة وإرجاع الأمور إلى نصابها ، كما يشير إلى أن سبب قتل الصيعان للقائمقام هو بتدبير ومشورة من أهل نالوت ، إذن فالتدبير والرأي من نالوت والتنفيذ والعمل من الصيعان ، وكما من منقذ لأمر لا يدري لماذا قام به ولأي سبب؟.

\*- الوثائق من رقم ( 6 إلى 9 ) تتحدث عن علاقة الصيعان مع قبيلة ورغمة وما تسببه هذه القبيلة من دمار ورعب في قبيلة الصيعان ، وتوضح الوثائق استجادهم بالسلطات التركية كي تحميهم من غارات تلك القبيلة . ( أنظر الفقرة المخصصة حول سبب إنشاء قائمقامية نجاد ، ص 100 ) .

\*- الوثيقة رقم (10) لها طابع خاص ، فهي مؤرخة في جماد الثاني 1331هـ — والذي يقابل عام 1912 م أي بعد الغزو الإيطالي بشهور معدودة ، والوثيقة ممهورة بتواقيع مشائخ الصيعان ، وموجهة إلى الوزير الأكبر التونسي ، وذلك للسماح لهم دخول تونس والالتجاء إليها لينعموا بحماية الدولتين الحامية والمحمية [ فرنسا وتونس ] .

إن قراءة مضمون الوثيقة ، وتحليلها وفق ألفاظ وعبارات نصوصها دون النظر للتركيبية الاجتماعية ، تشير إلى أن الصيعان لم يشاركوا في المعارك التي جرت ضد الإيطاليين منذ بداية الغزو وحتى تاريخ تقديم الوثيقة ، حيث يقول هذا الجزء من النصّ :- (( وبعد فإن المصححين أسفل هذا مع جملة عرشهم أولاد سلام صيعان لما دخلت دولة إيطاليا إلى عمالة طرابلس وشهدنا منها ما أحدثته بالأهالي الذين بقوا تحت نظرها فافشعرت جلودنا مما شاهدناه عيانا فاغتمنا فرصة الدخول إلى العمالة التونسية تحت ظل الدولتين الحامية والمحمية لها لما لهما من العدل والإنصاف الذي عاش في ظلها كل من التجأ إلى احترامها ... )) وفي هذا النصّ يلاحظ أن مشائخ القبيلة يتحدثون من جانب يبدو محايداً ، ولا علاقة له بما يجري في طرابلس من أحداث ، إلا إذا تماسّت هذه الحوادث بوضع القبيلة فهم رأوا (( شاهدوا )) عياناً ما وقع من تدمير ، وقتل ، ونفي للأهالي على يد

الإيطاليين فأعتراهم الخوف والرعب حتى اقشعرت جلودهم [ والقشعريرة هي أعلى مستوى في درجات الخوف : فيها رجفة وهذيان وغياب عن الوعي ] خوفاً أن يجري عليهم ما جرى على أهالي الولاية ، لذلك فقد اغتتموا أول فرصة لاحت لهم ليطلبوا من الوزير الأكبر دام عزّه وتمدّد ظله كي يدخلوا في حمايته ، التي يستمدّها من حماية الدولة الفرنسية المشهورة بالعدل والإنصاف ! ، ولم ترد أية إشارة منهم يفهم منها أنهم قاوموا أو قاتلوا حتى غلبوا على أمرهم ، فاضطروا إلى طلب الدخول في الحماية ، وكأنما الأمر لا علاقة لهم به ، أو كأنهم جالية غريبة مقيمة ، شأنها شأن جاليات كثيرة في طرابلس آنذاك ، وهذا الموقف يقودنا إلى أن نورد مواقف أخرى للمقارنة بينها في مثل هذه الأحداث ، فعندما تسامعت القبائل في الجبل بنزول الإيطاليين على شاطئ طرابلس وبقية المدن الأخرى ، سارعت إلى تنظيم صفوفها لملاقاة العدو ، ومحاربتة ، فهاهو الحاج محمد فكيني يقول في رسالة موجّهة إلى الشيخ سليمان الباروني :- ((... بعد السلام عليكم ، ورد لنا جوابكم اليوم الساعة واحدة ونصف ، واعلموا أن البارحة لما قدم مدير المال وأخونا مسعود وأخبروني كتبت لأعيان الزنتان وأعيان الرجبان وأكدت عليهم بملاقاتي بالمركز اليوم وأرسلت مخصوصين وبعد ساعتين أو ثلاثة قادم لطرفكم وربنا يحفظ ولايتنا نموت شهداء ولا نرضى بالذل والسلام ))<sup>(1)</sup>.

وكذلك رسالة الشيخ سليمان الباروني إلى قومندان الأسطول الإيطالي في بداية الغزو الإيطالي :- (( هجمت على بلادنا وعليها العلم العثماني فنزعت بدون وجه مشروع ودخلت البلاد بدون إذن فهتكت عساكر الحرمات ، وقتلوا الأولاد والنساء والشيوخ ، وارتكبوا أشنع الأمور: من تخريب الديار وتعطيل التجارة ونهب الأموال وقد جننا لاستخلاص وطننا المعزز منكم وأخرجناكم من الساحل وقصر الهاتي واستحكام المصري وما حول ذلك من السواني والبيوت ، ورأيت من الأبطال شجاعة وإقداما تزلزل الجبال حتى وصلنا الآن المنشية ، فسلموا تسلموا وارجعوا إلى أوطانكم ))<sup>(2)</sup>.

وشتان ما بين هذه المواقف التي تتمّ عن القوة والعزّة ، وتلك التي تستجدي الحامي والمحمي كي يجيرهم ، ولتبرير طلب الدخول أشار المشائخ أنهم

1 - زعيمة الباروني ، صفحات خالدة من الجهاد الليبي : الجزء الأول ، مطابع الاستقلال الكبرى ، مصر ، 1964 ص165.

2 - المصدر السابق ، ص176.

لا يستطيعون الرجوع إلى ولاية طرابلس ، فلا ملك لهم ولا دشره هناك يربطهم بها بما يفهم منه أن العلاقة هنا ليست علاقة وطن وانتماء وأصول ثابتة وإنما علاقة ملك ومقتنيات وأصول غير ثابتة :- (( وعليه فإننا راغبين من جناب الدولتين المذكورتين صدور الإذن لنا بالدخول للعمالة التونسية والاستيطان بها في المحمل الذي تعينه لنا الدولة والدخول تحت جميع المأموريات مثل أهل العمل لأننا لا نقدر على الرجوع حيث لا ملك لنا ولا دشره سوى ملكنا التي بنفزاوه راغبين من مراحكم إغاثتنا وإجابة مطلبنا (...)).

إضافة إلى أن هذه الوثيقة تتسف مزاعم القشاط التي أوردها حول صراع قبيلته مع فرنسا ، حين ذكر عددا من المعارك على الحدود ، فلا يعقل أن تلتجئ قبيلة إلى عدوها بعد أن سالت بينهما الدماء ، وتصفه بالعدل والرامي والمنصف هرباً من عدو آخر مماثل ، رغم أنهم لم يشيروا في مضبظتهم إلى أي صراع سابق معه.

\*- الوثيقة رقم (11) فهي أوراق عددها (14) ورقة أسماها القشاط وثيقة ، ونسبها كمذكرات لبلقاسم كلة . ( أنظر فقرة : الأوراق المنسوبة إلى مجاهد ، ص 69 ) .

\*- الوثيقة رقم (14) موضوعها هامشي يتعلق بتكليف الطيف الحطاب بمشيخة أولاد امحمد وذلك من طرف علي كله ، وبتصديق من الشيخ سوف المحمودي والملاحظة هنا شكلاً وموضوعاً تتعلق بأنه إذا كانت قبائل الصيعان قد تم وضعها في المعتقل بعد معركة الوخيم والجوش ، فكيف صدر هذا الأمر وأين إذا اعتبرناه صحيحاً ؟ ، إضافة إلى عبارات الرجاء والأمل الصادرتين من الشيخ سوف وعلي كله تجاه الطيف الحطاب كي يقبل هذه المهمة الجسيمة !!؟ .

\*- الوثيقة رقم (25) نقلها القشاط من مذكرات الشيخ سليمان الباروني وهي عبارة عن (ملحق) ضمن رسالة موجهة إلى الشيخ سوف المحمودي ويبدو أن القشاط أراد الاستناد عليها لرسم دور للشيخ علي كله، وإبرازه كقيادي في حركة الجهاد الليبي ، حين أشار في بعض رواياته في الكتاب إلى أن الشيخ سليمان الباروني بعد تعيينه والياً على طرابلس الغرب ، اصطحب على كله ليقدمه للسلطات التركية كي يتم تعيينه قائداً للمجاهدين في ولاية طرابلس ، لولا أن ألم

بالأخير مرض أقرده عن السفر فبقي هناك ، ولكن تفسير الوثيقة لا يشير من قريب أو بعيد لهذا الموضوع.  
(أنظر فقرة : إهداء تقديم الشيخ سليمان الباروني لعلي كله إلى السلطات التركية ، ص193).

\*- الوثيقة رقم (26) فهي قصيدة شعرية لشاعر متى قيلت ، وكيف ؟ وما أهميتها حتى توضع ضمن الوثائق، فهناك عدد كبير من القصائد الشعرية حول مرحلة الجهاد!!!.

\*- الوثيقة رقم (30) فهي خارطة أخذها القشاط من كتاب المؤرخ خليفة التليسي تظهر مواقع تواجد المجاهدين في القبلة بعد سيطرة الإيطاليين على منطقة الجبل والساحل ، ثم يعلق بالقول:- (( تواجد الصيعان في سنة 1927 في فزان)) وهو يريد بهذا التأكيد على وجود الصيعان كقبيلة ، رغم أنه لم يستعمل كلمة قبيلة كما فعل في كتابه ((الصحراء تشتعل)) حين أخذ الخارطة نفسها من المصدر نفسه وتعمد إدخال تغييرات على النص المرفق بها ، فوضع كلمة (قبيلة) محل كلمة (مجاهدون) وقد وضح أحمد كريم هذا التغيير في الخارطة في كتابه ((مجاهدون منسيون)). ودون ذكر أسماء المصادر التاريخية التي تؤكد استسلام الصيعان كقبيلة بعد معركتي الوخيم والجوش في هذا المقام ، فإن القشاط نفسه يؤكد ذلك حين أشار إلى وضع قبيلة الصيعان في معتقل الجوش في كتابه ((صدى الجهاد في الشعر الشعبي)). كما أن تواجد جماعات من الصيعان في القبلة خلال تلك الفترة كان صحيحاً كمجموعات مقاتلة ، أثرت الرحيل مع قبائل الزنتان والرجبان بعد معارك الوخيم والجوش والسلامات وتحت قيادة الحاج محمد فكيني ، كما يقول غراتسياني ((..ولقد كان إعادة احتلال هذا المركز كاباو قد نتج عنه نزوح جميع أهالي الرجبان والزنتان إلى القبلة فضلا عن بعض جماعات أخرى))<sup>(1)</sup>.

**ويوضح** غراتسياني تلك الجماعات بالقول :- (( قد تأكد أن أناسا من يفرن وبئر الغنم وككلة والريانية وجانب من أهالي الصيعان ممن انضموا إلى رجال الزنتان والرجبان من بقايا أهالي الوخيم والجوش قد حاربوا في السلامات))<sup>(2)</sup>.

1 - غراتسياني ، نحو فزان ، ترجمة طه فوزي ، مكتبة الصايغ ، 1976 ، ص 101.

2 - المصدر السابق ، ص103.



\*- آخر الوثائق المتعلقة بالصيعان هي رقم (31)، وكالعادة يتحف القشاط الجميع ببعض العبارات التي يقدّم بها الوثيقة فيقول:- (( والكتاب جاهز للطبع وجدت هذه الوثيقة منشورة في مجلة...))، ويبدو لأهميتها في توضيح وضع القبيلة سارع بإضافتها للكتاب.

ويتضح من قراءة هذه الوثيقة المهمة في رأي القشاط، وتحليل نصوصها أنها تتحدّث عن حكم جزائي مفروض على أهالي الصيعان، يلزمهم دفع ضرائب وفق جدول زمني، بالإضافة إلى أخذ رهائن وعددهم (16) رهينة حتى يتم تسديد الضرائب، وقد تعهّد عدد من مشائخ قبائل الرحيبات وفساطو على كفالة هؤلاء على أن يكون كافل الجميع أمام السلطات الشيخ علي بن عبد الرحمن أبي سيف.

والملاحظ بشكل عام على مجمل الوثائق المتعلقة بالصيعان التي سبق تحليلها أن القشاط لا يقرأ الوثيقة بتمعّن وتبصّر، بل يضع كل ما يجد فيه كلمة تشير إلى قبيلته، فكل هذه الوثائق التي يوردها القشاط ، وتتناول الصيعان تظهر الكثير من الجوانب السلبية في القبيلة، ولا تبرز الجوانب الإيجابية لها خاصة إذا كان القارئ أو المحلّل يجهل طبيعة المجتمع الليبي وقبائله، فمن وثيقة تشير إلى خوف الصيعان من ورغمة، واستنجادهم بالسلطات التركية لحمايتهم إلى أخرى تشير إلى تنصّلهم من الانتساب إلى القبائل الليبية، وعدم ارتباطهم بالأرض في وقت كانت الأرض في أمسّ الحاجة لمن يدافع عنها ، وطلب الحماية من فرنسا العادلة، الخ.

ثانياً:- الوثائق المتعلقة بقبائل الرجبان والزنتان وعددها (10) وهي بتواريخ مختلفة ومتباينة المواضيع ، والملاحظة العامة أنها ليست لها علاقة مباشرة بموضوع الكتاب ، إذا اعتبرناه يتحدّث ويتناول دور الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي ولكن القشاط وضع هذه الوثائق بنية مسبّقه يفصح عنها حين يقدّم أو يعلّق على الوثيقة ، فنراه مثلاً يورد الوثيقة رقم (15) المتعلقة باختيار زنتان القبلة للشيخ أحمد السني رئيساً لهم ، ويقدم لها بالقول:- (( وهي تدحض الذين يخترعون قيادات للزنتان غير أحمد السني ))<sup>(1)</sup> ، ولا أحد يدري أهمية وضع وثيقة في

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص469.

موضوع لا تتعلق به !!! ، أو حين يعلق على الوثيقة رقم (16) وهي رسالة للشيخ أحمد السني موجّهة إلى رئيس هيئة الاصلاح المركزية عام 1922 يطلب فيها إمداده بالعتاد وبعض الرجال، فيقول:- (( الملاحظ لهذه الرسالة أن الشيخ أحمد السني لم يجد من الزنتان والرجبان القوة الكافية للزحف على يفرن فما هو يطلب مائة جندي ومائة وخمسين فارسا لدعمه ، وكذلك السلاح والذخيرة من رئيس الهيئة ))<sup>(1)</sup>.

ويمكن أن نورد بعض الملاحظات على الوثيقتين والتعليق حتى يتبين سوء النية المسبق لدى المؤلف تجاه القبيلتين:-

\*- الشيخ أحمد السني، والشيخ سالم بن عبدالنبي كانا يقودان زنتان القبلة والمجموعات التي انضمت إليهم، ولا علاقة لهما بقيادة قبائل الزنتان المستوطنة في الجبل والتي كانت دائما تحت قيادة الحاج محمد فكيكي مع القبائل الأخرى مثل الصيعان والرحيبات والحرايه، والعواته، وقسم من الرياينة والقديرات ، باعتباره ممثل هيئة الاصلاح المركزية في المنطقة الغربية وليس كما يروج له القشاط ، أو محاولة البعض الإشارة إلى أن للزنتان قيادتهم المنفردة عن قيادة الحاج محمد فكيكي وذلك حتى انتهاء المقاومة في الجبل ولجوء المجاهدين إلى القبلة ، ويؤكد رأينا أن جميع مراسلات غراتسياني الموجّهة إلى الحاج محمد فكيكي تبدأ بعبارة (( رئيس محلة الزنتان والرجبان )) وكذلك ما ورد في مذكرات الحاج محمد فكيكي التي يشير فيها بتبعية هذه القبائل لقيادته ، حين يقول عن أحداث عام 1912 بعد صلح أوشي :- (( وعندما أتينا إلى بلدنا اجتمعت علينا أعيان الزنتان والرجبان قدر خمسين فارسا من غير الرجال ، واتفقوا انهم يمنعونني من الهجرة ، وأن الرأي الذي نتتجه لهم يقبلوه ولا يسمعون لسليمان كلاما ولا لغيره وإذا وقع الاتفاق بين الرجبان والزنتان فعموم الجبل لا يخالف لهما رأيا لأنهما أكبر قبائله وهما أقرب لبعضهما من بقية أهل الجبل ، فجعل لي ذلك الايئتناس وكلفتهم اليمين بكتاب الله العزيز فحضر لدينا مصحف القرآن ودار بين الحاضرين بواسطة أحد الطلبة وحلف به كل من حضر ذلك المجلس من الزنتان والرجبان وبعد أدائهم اليمين بالمصحف أرفقوا عليه يمين الطلاق بالثلاث ويمين العتق على أننا يد واحدة ولا

1 - المصدر السابق ، ص 473.

نترك بعضنا ونموت جميعا على صغير منا وما يبديه لنا الحاج محمد فكيني من الرأي والتدبير فلا نخالفه ونتبعه فيما يراه لنا من المصالح لما يعلمون من محبتي لهم ومودتي مع التجربة عندهم مراراً والوقوف في مصالحهم فهذا كله بحضور عموم أعيانهم وعلمائهم وحررنا مضبطة على هذا المنوال وجعلنا منها عدة نظاير، وعلى ذلك افترق المجلس الواقع في يوم الجمعة 12 في حجة الحرام سنة 1330 ومرادنا بالنظاير لئرسالها لعموم أوطان الجبل وقبائله ... ))<sup>(1)</sup>.

وجاء في المذكرات أيضاً :- (( وفي تلك الظروف صارت كبار السنوسية يرأسون في الحاج محمد فكيني حيث أنه الحاكم بقضاء فساطو ونظارة الجبال وأنه حاكماً على الزنتان والرجبان والرحيبات... ))<sup>(2)</sup>.

هذا بالإضافة إلى طبيعة العلاقة القائمة بين قبيلتي الرجبان والزنتان سواء على المستوى الاجتماعي الذي ربط بينهما في نسيج المصاهرة ، أو التحالف القبلي الذي كان يضبط حركتهما في الإطار القبلي كوحدة واحدة في السراء والضراء وكل ذلك أدى إلى بروز هذه القيادة الموحدة لهما.

\*- لا يوجد في رسالة الشيخ أحمد السني أي ذكر لقبائل الزنتان والرجبان ، والتي يحاول القشاط بسوء النية الواضح أن يخطئ الوضع القبلي ، بأن يشير إليها بالقول (( أنه لم يجد من الزنتان والرجبان القوة الكافية للزحف على يفرن ))<sup>(3)</sup>، وإنما كان الشيخ أحمد السني يتحدث عن وضع عام في القطاع الذي يتواجد فيه ، ويطلب إمداده ببعض الأسلحة والمقاتلين.

وكذلك تعليقه على الوثيقة رقم (17) التي يشير إلى أنها مضبطة مقدّمة من أهالي الرحيبات ، وعلق عليها بالقول في الهامش :- (( هذه المجموعة من الرحيبات وقفت مع الزنتان والرجبان ضد أهاليها الرحيبات . وفي الأخير أساءوا لهم واضطهدوهم ، وهاهم يخاطبونهم بهذا الاستعطف الواضح ))<sup>(4)</sup>.

وبالرغم من أن مثل هذا الكلام لا يحتاج للتوقف عنده ، أو التعليق عليه لأنه يفصح عن قصد ومرام المؤلف ، وإن كان هناك بعض التحفظ على صحة الوثيقة التي تخالف صياغتها المضابط الأخرى التي قدمتها القبائل، ولكن نشير إلى

1 - محمد فكيني ، المصدر السابق ، غير منشور ، ص 53 .

2 - المصدر السابق ، ص 153 .

3 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 473 .

4 - المصدر السابق ، ص 476 .

أن كل القبائل قدّمت مضبطة الطاعة والولاء للحاج محمد فكيني ، باعتباره ممثل هيئة الإصلاح المركزي ، والقائد العام لها خصوصاً في تلك الفترة ، ومن بين هذه القبائل قبيلة الصيعان التي ينتمي إليها القشاط ، ولذلك فلا يجوز لمن يريد أن يكتب في التاريخ ليوصف بالمحلل أو المؤرّخ ، طالما أنه كما يقول لا يملك كل الحقيقة أن يتهم الآخرين ، لأن الذين يهاجمهم القشاط ، لهم حقائقهم ووثائقهم وإن صمتوا فذلك احتراماً للتاريخ ، والجوار ، والتعايش ، والمعرفة الحقيقية بالآخر .  
( أنظر الفقرة المتعلقة بإدعاء عدم تبعية قبيلة الصيعان لقيادة الحاج محمد فكيني ص 141 ) .

أما تعليقه على الوثيقة رقم (18) بالقول :- (( هذه الوثيقة نشرناها في كتابنا خليفة بن عسكر ، وكتبنا تحتها [رسالة من الشيخ سوف إلى أعيان الزنتان يطالبهم فيها بالانضمام للمجاهدين في جهات مصراته] وقد قام من يدحض هذه الحجة وهنا ننشرها للقارئ ليفهم معناها دون تدخلنا وقد تركناها بأخطائها الإملائية ))<sup>(1)</sup> .  
وبالإطلاع على هذه الوثيقة المنسوبة للشيخ سوف والمؤرخة في عام 1923م الذي لا نعتقد أنه لا يعرف من هم جمرة ونواة التشكيلات الثورية ضد الإيطاليين كما يقول غراتسياني ، يلاحظ أنها تتحدث بشكل عام عن الدعوة للملّة الصفوف بعد تراجع المجاهدين إلى القبلة، وفيها يثمن الشيخ سوف جهاد الزنتان وأفعالهم في المعارك ، ولا تتضمن الرسالة أي طلب بالانضمام إلى المجاهدين في مصراته وإنما أراد القشاط بتضمينها اسمي المبروك الغدي والطاهر العكروت أن يجعلها مقدمة للوثيقتين: رقم (19) المرسلّة من صفي الدين إلى أعيان الزنتان عام 1924 والتي علّق القشاط عليها بالقول:- (( هذه الرسالة واضحة ودون أي شرح تطلب من الزنتان الانضمام للمجاهدين ومهاجمة العدو وتطلب قدوم وفد من أعيانهم مع الوفد ولقد سجل الوفد تقريره عن الزنتان ))<sup>(2)</sup> ، والوثيقة رقم (20) التي علّق عليها أيضاً بالقول:- (( رسالة من محمد رضا المهدي السنوسي يحرض ويحث فيها جماعة الزنتان على الجهاد وهي واضحة ولا يقلل من وضوحها من يحاول طمس الحقائق ))<sup>(3)</sup> ، بحيث يتوافق تفسيره لهما مع ما ذكره الشيخ الطاهر الزاوي في كتابه (( جهاد الأبطال )) من أن وفداً أرسل إلى الزنتان لدعوتهم للمشاركة في

1 - المصدر السابق ، 479 .

2 - المصدر السابق ، ص482 .

3 - المصدر السابق ، ص485 .

الحرب ولكن الزنتان تحجّجوا بأسباب وأعدار عن الجهاد !!! ولكن يبدو أن القشاط لم يأخذ في اعتباره أن هذه الرسالة في الواقع توضح أهمية دور الزنتان ووزنهم في حركة الجهاد ، وهذا يجعلنا نتساءل لماذا لم يخاطب المرسل قبيلة الصيعان مثلا ؟!! .

\*- أما في الوثيقة رقم (21) المرسلّة من متصرفّ الجبل ((علي بن تنتوش)) إلى الشيخ سالم بن عبدالنبي قائمقام القرّيات ، بشأن تعيينه قائمقام غريان ، والمؤرخة عام 1920 ، فيظهر المدى والمستوى الذي وصل إليه محمد سعيد القشاط عند تناول وتحليل وشرح الوثائق والأحداث ، حين يعلّق بالقول :- (( هذا التعيين تم من قبل وكيل دولة الوالي الإيطالي الماجور [وليتو] وعندما ذكرنا أن الشيخ سالم كان على اتصال بالإيطاليين في كتابنا "معارك الدفاع عن الجبل الغربي" هناك من اتهمنا بالتعامل ؟! ))<sup>(1)</sup>.

لم يضع القشاط الوثيقة ويحلّها ، ضمن مداها وزمنها ، فهذا التعيين لم يكن مكافأة من إيطاليا للشيخ سالم بن عبدالنبي ، وإنما كان نتاج عملية سياسية مهّد لها عمل جهادي كبير ، أرغم إيطاليا على أن تقبل بتوقيع صلح ، أتاح للمجاهدين إنشاء إدارة محلية ، والإشراف على تسيير أمورهم بالنّد والضمّد مع الإيطاليين ((صلح بن ادم )) وإذا كان محمد سعيد القشاط يتعمّد خلط الأمور، كي يلصق بهذا أو ذاك المجاهد تهماً تصل حدّ الغمز بعدم الثبات على المبدأ، أو التلميح أو التصريح بأفعال تدخل ضمن دائرة الخيانة والنكوص عن الجهاد ، فإن الأمر لا يبدو مختلفاً كذلك معه عند تطبيق منهجه وقواعده على هذه الأبيات الشعرية المختارة من قصيدته التي سمّاها وطنية ((إن بعد العسر يسر)) والتي نشرها في باكورة دواوينه [ بين نجوع البادية ] وقدمّ للديوان بالقول :- (( ديوان من الشعر الشعبي الليبي ضم بين دفتيه مختارات من القصائد في أبواب ومواضيع شتى تتجلى فيها كلها عاطفة جياشة ، وحرارة مخلصّة ، وصدق تعبير ودقة وصف ، ورقة عبارة ، هي صور ناطقة عن حياة الشاعر في ربوع ليبيا ومجتمعاتها )) . وفي هذه القصيدة يتبيّن مدى التصاق الشاعر وتعلقه بالنظام الملكي الذي يتبرأ منه الآن وذلك من خلال هذه المشاعر الجياشة لديه حيث نجده يتبرّم فيقول :-

1 - المصدر السابق ، ص 487.

ادريس فيها للشعب رزم  
على الشعب الليبي يخمم  
في قضية ها لوطن خدم  
رفعها ا ليا هيئة لمم  
اعلن بالمرسوم رسم  
والشعب مع الجيش انضم  
تحررنا والله رحم  
والليبية مثل الأم  
بدي الشعب الليبي ينعم  
من الحرب اللي فات غنم  
وصار الشعب اللي حاكم  
صار ابن الشعب رئيس  
يعيش ملك الأمة الإدريس  
على رفعت ها لوطن حريص  
على ترفيه الشعب حريص  
وكشافه ورئيس عظيم  
ادريس بحوال البر عليم  
توّه عشر اسنين قضينا  
مروا كيف البرق علينا  
وفيهم حققنا آمانينا  
والتعليم امسهل لينا  
وما ترسم حاجة إلا بينا  
وفي هيئة لمم بدينا  
بفضل اخطط ادريس الزينا  
رامي تاجه فوق جبينه

وقال نبغي استقلال  
وما يهنا له بال  
ا لتحقيق الآمال  
واللي يبغي نال  
اليوم يوم استقلال  
ورسموا في احتفال  
اتعيش دولة لبطل  
ما تجيب الدلال  
علم نجمه وهلال  
قرار واحد وخمسين  
وهو المحكومين  
ايسدد في خطواته  
عمم باصلاحاته  
يتم مشروعاته  
ويحيي فيه الدين  
ولي العهد الزين  
ايطول عمره أمين  
في عهد الحريه  
باصلاحات قويه  
للأمة الليبية  
حتى من الأميه  
في الجامعة العربيه  
لينا أصوات قويه  
وشعب الليبيين  
باني مجد متين(1).

1 - محمد سعيد القشاط ، ديوان بين نجوع البادية، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1963، ص 16.

\*- أما الوثائق أرقام: (27-28-29) المتعلقة بنتائج وغنائم معركة القاهرة عام 1914، فقد وضعت في الكتاب عمداً، لأن ما قام به المؤلف من تعليق لا يحتاج إلى أي تحليل أو مناقشة، وينطبق الحال على بقية الوثائق أرقام: (12-13-22 -23 -24 -32-33).

وبشكل عام ، كان على محمد سعيد القشاط وهو يهوى الكتابة في التاريخ أن يدقق في كتاباته وسلامة وثائقه ، ويستخدم الوثائق في مجالها الصحيح ويقدم لها أو يعلق عليها بعقلية الباحث المنصف الذي يبحث عن الحقيقة وأن يتحكم في عواطفه ومشاعره تجاه الآخرين ، حتى يظل الاحترام والتحليل الموضوعي قائماً بين الجميع ، لأن ما ينشره كوثائق سيخضع حتماً للتحليل والردّ والمناقشة ، ولا يجوز أن تظل كتاباته محلّ تفنيد كلما صدر له كتاب .

## 6- الأوراق المنسوبة إلى مجاهد

يورد القشاط أوراقاً يسميها [ وثائق صحيحة ] وينسبها لقائد من المجاهدين أو مجاهد ، ويضعها في مواجهة الوثائق الصحيحة ، ورغم أن الباحثين قد فوّدوا بالحجة والدليل هذه الأوراق وأثبتوا عدم صحتها ، إلا أنه استمر في الاستناد عليها ومحاولة إعادة فرضها على القارئ ، ويقدم في كتابه مصدرين يحوم الشك حول صحتها هما :-

(أ) - الأوراق المقدمة على أنها مذكرات المجاهد عون محمد سوف.

هذه الأوراق قدّمها القشاط في كتابه [معارك الدفاع عن الجبل الغربي] تحت مسمى (( مذكرات عون بن محمد سوف المحمودي )) ، في مواجهة الوثائق التي تؤرخ لتلك المرحلة ، وقد تناولها الأستاذ / مختار الهادي بن يونس بالنقد وأثبت أنها أوراق غير صحيحة دفع بها القشاط في لحظة من لحظات الغفلة والنسيان وقد تصبح ذات يوم من الحقائق التي يستند عليها ، بالقول:- ((...وقد ظلت هذه المذكرات محفوظة بأرشيف الشعبة ولم أطلع عليها إلا بعد صدور كتاب " معارك الدفاع عن الجبل الغربي " لمؤلفه الأستاذ محمد سعيد القشاط فألفيت بين دفتيه نصوصاً كثيرة عددها 16 نصاً تتفاوت في الحجم ما بين سطر إلى الخمسة عشر سطراً كشواهد منقولة مما قيل عنها أنها مذكرات عون بن محمد سوف الأمر

الذي حفزني أو دفعني إلى الاهتمام بها والاطلاع عليها ومن خلال الأوراق التي اطلعت عليها تبين أو تكشف لي بكل وضوح من خلال تغيير أسلوب حديث المذكرات أو لا وخلوها من أية بيانات ثانياً عدم صحة نسبة هذه المذكرات لعون إذ أن ذلك أراه غير صحيح وهو مجرد انتحال الأمر الذي يجعلني أتخفظ في نسبتها بالقول "مذكرات مجهول" .

((.... وجملة هذه الحقائق أسوقها لنستبين الحق من الباطل في هذه القضية التي يظهر فيها إهدار وانتهاك حرمة المتن بالاسقاط والدس . والتزوير في نسبتها بكل وضوح ..... إن أمانة التأريخ والتوثيق تفرض علينا التزام الطريقة الصحيحة باتباع منهج البحث وأصوله وإلا كنا في حالة غياب الضمير ....)) . ((هكذا وبكل بساطة ويسر وفي غفلة يتم تسريب وتمرير الجمل والعبارات وتعديل أخرى وتسقط الثالثة لعلها تصبح على مر الأيام حقائق ثابتة وتكون مصدراً من مصادر تاريخنا الذي لم نفلح بعد في كتابته بصورة صحيحة وشاملة لما يعتريه من عراقيل كعدم التزام الصدق والتجرد من الأنانية والروح القبيلية وعدم اتباع منهج البحث التاريخي وأصوله ، وندرة المصادر أيضاً ..... فعلى المؤرخ الكاتب أن لا يقبل أو يستخدم كل وثيقة أو أي محررة مهما كانت قبل التثبت من صحة نسبتها لكاتبها وصحة وخلو نصوصها من الدس وأيضاً صحة معلوماتها ، أي قبل استخدامها عليه أن يقوم بعملية نقد منهجي من جميع النواحي حتى لا يقع في الخطأ وحيائله مثل ما وقع الأستاذ القشاط الذي ربما كان عن حسن نية ولكن حسن النية لا يشفع ولا يبرر للكاتب موقفه مهما يكن . وعلى العموم فالنسخة السادسة التي استخدمها الأستاذ القشاط بها زيادات واضحة ربما كانت من وضعه ))<sup>(1)</sup>.

وقد ردّ القشاط على نقد الأستاذ مختار بن يونس بكتاب أسماه: (( مذكرات المجاهد عون بن سوف )) ، ويلاحظ أن ردّ القشاط جانبه الصواب ، وكان تكراراً لما ذكره سابقاً ، وهذا في الحقيقة مرتبط بتكوين القشاط العلمي ، فهو لم يؤهل أكاديمياً على اتباع منهجية البحث العلمي في الكتابة التاريخية ، وتحقيق النصوص وتدقيق الرواية وفق ضوابط المنهج العلمي المتعارف عليها ، وإنما يمارس كتابته وردوده وفق رؤية شخصية لا تستند على المنهج العلمي . ويمكن إيراد الملاحظات التالية:-

1 - مختار الهادي بن يونس ، ملاحظات نقدية حول المذكرات المنسوبة لعون سوف المحمودي ، مجلة الشهيد العدد الخامس ، 1984 ، ص 251 .



\*- **قَدِّم** القشاطر للكتاب في الصفحة الثالثة بالقول :- (( تحقيق وتقديم ... )) والتحقيق كما هو معروف علمياً عبارة عن دراسة شاملة للوثيقة من حيث العمر الزمني وصحة المضمون ، ونوعية الورق المستخدم ، والحبر المستخدم إلى آخر ذلك من الأدوات والأساليب التي يتبّعها المحقق كي يثبت صحة الوثيقة ويعطيها البعد العلمي لها . ولكن ما قدّمه القشاطر ليؤكد صحة موقفه وحجته هو تكرار ما سبق أن كتبه .

\*- **يُرْجِع** القشاطر عند الحديث عن المذكرات إلى أن كاتبها هو أحمد عون كما سمعها من والده عون سوف ، ولا احد ينكر على عون سوف جهاده ، أو يطعن في حديثه لابنه ، ولكن لا يجوز أن تنسب المذكرات إليه ، وإنما ينبغي أن تنسب لابنه أحمد عون سوف ومن ثم يتغيّر عنوانها ليكون مطابقاً للحقيقة ، وذلك من [مذكرات عون سوف ] إلى [ ذكريات وأحاديث أحمد عون سوف عن رحلة جهاد والده وجده ضد الإيطاليين ] ، وإلا فإن أيّ شخص مطلع على وقائع التاريخ يمكن له أن يكتب ما يشاء ، وينسبها إلى والده أو جدّه ، أو أيّة شخصية ، مدعيًا أنه أملاها عليه قبل وفاته ، أو أنه عثر عليها في مقتنياته ، وهذا الأمر لا يجوز من وجهة النظر العلمية المنهجية الوثائقية ، ولا يستقيم ولا يؤخذ به ، ويظلّ مجردّ كلام منتحل ، مع العلم أن المسألة أحيانًا قد تحتل القبول في حالة وجود الأصول التي عليها توقيع أو إمضاء المنسوب إليه الكلام ، مما يمكن أي باحث قد يشكك فيها من إجراء تحقيق لتحديد الفترة الزمنية التي كتبت فيها.

\*- **أورد** القشاطر في معرض ردّه في الصفحة (11) من كتابه (( مذكرات المجاهد عون سوف )) أنه التقى المجاهدين الذين أخبروه عن معارك الجهاد كما ذكرتها المذكرات ، وذلك لتأكيد روايته ، كما أشار في الصفحة (13) أنه التقى بأسر المجاهدين وعددهم (12) أسرة أكّدت كلها على صحة المذكرات ، وهنا يخلط القشاطر المسائل في بعضها البعض ، فالحوادث التي ذكرتها المذكرات نتفق جميعًا على وقوعها ، حتى نحن الذين خارج هذه الأسر الإثني عشر ، أو ربما لسنا من ذلك الجيل ، لو طلب منّا تأكيد تلك الحوادث لأنها حوادث عامة وقعت ، والجميع يعرفها من مصادر تاريخية مختلفة ، ولكن تظل هناك مساحة من التفاصيل الدقيقة التي قد نختلف في روايتها لسبب ما ، كأن تغيب عن ذاكرة هذا ، أو تضمها ذاكرة

ذاك . لكن أن يقول القشاط أن هذه الأسر أكدت له صحّة المذكرات ، فالتساؤل حسب رواية القشاط يدور حول ما إذا كانت هذه الأسر جميعها حاضرة لحظة إملاء المذكرات لتأكيد حدوث فعل الإملاء من عون على ابنه ، لأن تعبير القشاط الذي استخدمه كان بصيغة الجمع ، ويعني الحضور والمشاهدة ؟!!.

#### (ب) - الأوراق المقدمة على أنها مذكرات بلقاسم علي كلة.

يؤكد القشاط أنه اعتمد في إعداد مادة كتابه وبشكل أساسي فيما يتعلق بترجمة حياة الشيخ علي كلة على ما أورده ابنه بلقاسم ، والمذكرات التي يقدّمها على أنها نقلا عن والده .

ويقول في تقديمه لمصدر روايته الشيخ بلقاسم كلة ما يلي :- (( هو بلقاسم بن علي كلة ، ابن المجاهد الذي نحن بصدد الحديث عنه ، تركه أبوه صغيرا بتونس عندما هاجر إلى الشام....بقي بلقاسم مع أمه وإخوته إلى أن عاد والده إليهم عام 1926 مهاجرا إلى تونس حيث التأم شمل الأسرة .... ولكن الوالد رجع إلى سهل الجفارة في أواخر الثلاثينات وتوفي عليه رحمة الله وبقي بلقاسم بتونس مهاجرا يدرس القرآن في أحد الكتاتيب .... وفي أواخر الخمسينات رجع إلى أرض الوطن حيث استقبله أهله ومواطنوه بكل حفاوة وتقدير واتفق أهالي قبيلته على اختياره شيخا لقبيلته .... بقي بهذا المنصب إلى أن توفي عليه رحمة الله في أواخر الثمانينات ( بيدر) ترك ولدا لازال يقيم بالبلدة وبنينا . والشيخ بالقاسم من الشعراء المجيدين الذين تركوا ذخيرة من الشعر الشعبي أتمنى أن تجد من يجمعها في ديوان كما اعتمدت على روايته عن الجهاد في المنطقة ، وعن مذكراته التي كتبها كما سمعها من والده ... وبالرغم من أن الحاج بالقاسم لم يحضر الجهاد لصغر سنه إلا أننا أوردنا ترجمته هنا لأنه المصدر الرئيسي الذي اعتمدنا عليه في تسجيل حياة الشيخ علي بن ضو كلة .... وقد عرفت الحاج بالقاسم بعد عودته من الهجرة وجلست معه عدة مرات استمع لحديثه الشيق ، وشعره الرصين ، وحكمته البليغة وأدبه الجم ، ونوادره الشيقة.... وهو متوسط القامة ، أسمر البشرة ، به أثر الجدري على وجهه ، قلق ، لا يستطيع الصبر على سماع الرأي الذي يعتقد خطأه صريح إلى أبعد الحدود ))<sup>(1)</sup>.

1 - القشاط ، من قيادات الجهاد الليبي ، ص 420.

وعند تقديمه للأوراق في الوثيقة رقم (11) بملحق الكتاب يقول:- ((ضمن أوراق المرحوم الشيخ بالقاسم بن علي كله . ابن المرحوم علي بن ضو كله عثرنا على كراسة بها مذكرات قال أن والده علي كله سردها على مسامحه . وهي تحكي قصة جهاد والده وتاريخ حياته وتقع في أربع عشرة صفحة ننشر هنا صورتها بخط يد المرحوم بالقاسم كله وقد استترنا بها في حديثنا عن المجاهد علي بن ضو كله وأخبار رحلته إلى تونس وإلى الشام ))<sup>(1)</sup>.

وقبل تناول هذه الأوراق ينبغي توضيح ما يلي :-

- إن صاحب الأوراق بلقاسم كله لم يعايش فترة الجهاد حياة ، أو مشاركة في قتال وإنما عاش حياته في تونس بعيداً عن الحرب ، كما أنه لم ير والده حتى عام 1926 ، وقد يكون له من العمر آنذاك (20) عاما على أقصى تقدير ، كما أنه عاد إلى ليبيا في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي ، أي أن معلوماته عن الجهاد والمجاهدين ، ومعارك الجهاد ، وأماكنها مستقاة من أفواه الآخرين ، وليس مشاهدة أو مشاركة ، وحتى فترة بقائه مع والده لم تكن فترة طويلة ، فهو لم يعايشه في صباه فقد تركه وهاجر إلى الشام ، ثم عاد إليهم عام 1926 ، ثم تركهم بعد ذلك في أواخر الثلاثينيات.

لهذا تظلّ معلومات بلقاسم كله عن هذه المرحلة ، [وعن المنطقة وأماكنها ومشاهد أهلها ، كما يحلو للقشاش أن يشير إليها في كتابه مفرداً لها حيزاً كبيراً] كمعلومات رجل من الصين عن (قرعاة)<sup>(\*)</sup> القشاش التي ذكرها في كتابه في الصفحة (26) عند تعريفه بأراضي الصيعان ، إذا وقع الكتاب بين يديه واستهواه عنوانه يسمع بها دون أن يفهم معناها أو أين تقع !!.

- رغم ذلك يقول إنه اعتمد عليه في روايته عن الجهاد في المنطقة ، وعن مذكراته التي كتبها كما سمعها من والده . فهل يعقل أن يروي قصة الجهاد من لم يعيش مرحلتها ، أو يقاسي آلامها ، أل هذا الحد يصل مستوى البحث والكتابة حتى يبحث القشاش عن أي كلام أو رواية ليكتب تاريخ شعب عمّد بالدم ، وليستخدم أي حديث في مواجهة الحجج والوثائق.

1 - المصدر السابق ، ص 446.

\* - القرعاة : تعني الأرض المنخفضة الواسعة في الصحراء ، وعادة توجد بها أشجار سدر ، وتمتلئ بمياه الأمطار في فصل الشتاء ، فيقصد بها الناس للحرارة ، وسقي أغنامهم .

وقد أطنب في مدح بلقاسم كله فقال أنه استمع لحديثه الشيق ، وشعره الرصين وحكمته البليغة ، وأدبه الجم ، ونوادره الشيقة . ولكنه نسي فناقض نفسه حين قال أن بلقاسم كله ، قلق ، لا يستطيع الصبر على سماع الرأي الذي يعتقد خطأه ، صريح إلى أبعد الحدود . فالقلق نقيض الصبر والحكمة ، والصراحة إلى أبعد الحدود لاتستقيم والأدب الجَم ، فهذه الصفات تتناقض والحكمة والأدب الجم التي تمنح صاحبها الصبر والثقة والرزانة.

- يقول القشاطر في الفقرة الخاصة بتقديم الأوراق في الوثيقة رقم (11): (( عثرنا على كراسة بها مذكرات قال أن والده سردها على مسامعه )) .

إن كلمة عثرنا التي يوردها في تقديمه للوثيقة تحمل معاني كثيرة وتساؤلات عديدة فهي جاءت بصيغة الجمع ، وتعني مجموعة ، وهنا يبرز التساؤل هل كان المؤلف مكلفاً ضمن فريق بحث علمي من أحد المراكز البحثية لفرز مقتنيات وأشياء تخصّ المرحوم بلقاسم كله ، للاستتارة بها حول تاريخ تلك الفترة ؟ أو كان من أقرباء المرحوم من الدرجة الأولى ، فكان من ضمن الورثة بحيث أتيح له أن تصل يده إلى حاجيات المرحوم الخاصة !! أو أن أهل المرحوم وهم بذلك ربّما غير متعلمين ، أو لم ينالوا أي قسط من العلم ، فاستعانوا به لمعرفة ما تركه وفرز تلك الحاجيات ، وإبراز الأشياء المهمة فيها فعثر كما قال على هذه الأوراق !!

كل هذه الاحتمالات أو التساؤلات أشار إليها بكلمة (عثرنا) ، وهي بهذا المعنى صدفة موحياً بأنه حصل على كشف جديد ، وسبق يؤرخ لتلك المرحلة فقال إنه استنار بها في الحديث عن الشيخ علي كله .

وما يثير الانتباه أيضاً هو أن القشاطر في ترجمته لبلقاسم كله قال أنه عرفه منذ عودته من الهجرة ، واستمع إلى أحاديثه ، فهل ضنّ عليه بلقاسم كله ولم يذكر له شيئاً عن هذه الأوراق ، أم أنها لم تكتب آنذاك ، حتى يعثر عليها بعد وفاة صاحبها ؟!!!! حيث يلاحظ أن القشاطر عند ترجمته لعلي كله في كتابيه [ خليفة بن عسكر ، ومعارك الدفاع عن الجبل الغربي ] لم يشر إلى هذه الوثيقة لا من قريب ولا من بعيد ، رغم أن بلقاسم كله كان أحد رواته . فهل من أوراق أخرى ما تزال في جعبته ينتظر أن يموت من يريد أن ينسبها إليهم ؟! .

ماذا تحوي هذه الأوراق التي قال عنها أنه عثر عليها واستنار بها في حديثه؟  
رغم التحفظ عن إعطاء أي أهمية لهذه الأوراق التي لا تشكل أية قيمة  
علمية جديدة إلا أن المقام يفرض إبراز ما تحويه من مغالطات .

- \* مضمون الأوراق التي تقع في (14) صفحة تتحدث عن:-
  - التعريف بأسرة علي كله ، ويلاحظ أنها تحوي إطلاق ألقاب [ أمير وأمراء ]  
على أبنائها ، وهي معلومة غريبة عن المجتمع الليبي الذي لم يعرف الإمارة  
ومسمياتها خلال تلك الفترة ، كما لم يعرف الليبيون أن هناك إمارة في الصيعان
  - أخبار خروج المهاجرين إلى تونس.
  - اللقاءات التي تمت مع الكونت سفورزا ونتائجها.
  - التأكيد على أن الصيعان من القبائل التونسية.

\* نطاق الأوراق يتحدث عن فترة زمنية لا تتجاوز (6) شهور من خروج  
المهاجرين ، ومكانياً تونس ، وهي لا تتناول حركة الجهاد داخل ليبيا ، وإنما تدور  
محتوياتها حول ظروف وجود المهاجرين عام 1913 في تونس.

\* **يلاحظ** على الأوراق الركاقة والضعف في الأسلوب، ومن بين الملاحظات التي  
تؤكد الوضع المتعمد لنص هذه الأوراق من طرف آخر، هو استخدام مفردات  
وعبارات ليست من مصطلحات فترة الجهاد، أو حتى الفترة التي عاشها بلقاسم كله  
حتى الخمسينيات مثل: - المغرب العربي الكبير - الأوساط الليبية - الشعب الليبي  
- التاريخ العربي المجيد - نحيطكم علماً - الشرق الأوسط ، العالم العربي بأسره  
قابس مدينة من مدن تونس الاستراتيجية دول الغرب - مدينة سوسة أحسن مدينة  
استراتيجية من مدن تونس الجميلة - الخ من العبارات التي لا تتلاءم مع أسلوب  
ذلك الوقت، أما ما حوته من مغالطات فسيتم التعرّض لها في مواضعها من هذا  
الكتاب.

**ويوضح** د/ عاصم الدسوقي أستاذ التاريخ المعاصر في سياق إبراز  
دور المنهجية في الكتابة التاريخية أن على الباحث ضرورة القيام بعملية نقد للوثيقة  
من خلال عدة عمليات مترابطة من بينها تفحص الخط ، ومقارنته بالخط المعروف  
في تلك الفترة وتفحص اللغة التي كتبت بها الوثيقة ، مشيراً إلى أن الذين يزيقون

لغة الوثائق يجهلون هذه النقطة ، فتبدر منهم ألفاظًا وتراكيب غير معاصرة ، ثم يخلص بالقول :- (( والمذكرات السياسية التي تكتب بعد الوقائع بعدة سنوات تدخل في التاريخ أخطاء لا تعد ولا تحصى ، ولذا يجب النظر إليها بارتياح خاص ))<sup>(1)</sup>.

ونشك يقينًا في أنه لا وجود حقيقي لهذه الأوراق التي أسماها القشاطر مذكرات ونسبها إلى بلقاسم على كله ، وشكنا ينبع من مبررات منطقية مبنية على استنتاجات وتحليلات لمجمل ما اطلعنا عليه حول الموضوع ، فالقشاطر استغل الرواية الشفهية ، والأحاديث التي كان يسجلها مع بلقاسم كله ، أو تلك التسجيلات المتوفرة بالمكتبة الصوتية بمركز جهاد الليبيين ، ووضعها على شكل مذكرات ، وأشار أنه عثر عليها من بين مقتنيات المرحوم بلقاسم كله ، ودليلنا يقوم على أن الأسلوب نفسه، والسياق المتبع في صياغة هذه الأوراق ، أورده فارس العلوي في كتابه [ تاريخ مدينة تيجي وقبائل الصيعان وبلدانهم ] عند الحديث عن موقف الصيعان من قانون التجنيد الإجباري ، بما يؤكد أن المصدر واحد في كلتا الحالتين ، ففي حين أشار فارس العلوي إلى أن مصدر روايته المكتبة الصوتية بمركز دراسات جهاد الليبيين ، فإن القشاطر استهوته فكرة تحويل هذه الروايات الشفهية إلى مذكرات مكتوبة ، معتقدًا أن التاريخ لا يسجل كل التفاصيل التي تتيح للحقيقة مجالاً للظهور ، ومتناسيًا أن ما بني على غير أساس متين مآله إلى التهافت .

---

1 - عاصم الدسوقي، البحث في التاريخ: قضايا المنهج والإشكالات، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1991، ص 78.

## ثانياً: من حيث المضمون

### (أ) - روايات وحكايات محمد سعيد القشاط عن قبيلته.

#### 1- حكاية استشهاد جده دفاعاً عن الوطن ضد الفرنسيين

أشار القشاط في صفحة الإهداء فقال :- (( إلى روح جدي الذي استشهد دفاعاً عن الوطن ضد الفرنسيين إلى روح كل شهداء الوطن وشرفائه أهدي هذا الجهد المتواضع ))<sup>(1)</sup>.

لم يبيّن القشاط كيف استشهد جده دفاعاً عن الوطن ضد الفرنسيين ومتى؟ خاصة وأنه في تقديمه ترجمة عن والده يناقض نفسه فيقول :- (( والدي المرحوم الشيخ سعيد بن صميذة القشاط من مواليد 1903 هاجر إلى تونس مع والده سنة 1913 ضمن هجرة قبائل المنطقة الغربية بعد معاهدة أوشي وعاد إلى أرض الوطن بعد صدور العفو العام من الوالي الإيطالي سنة 1929م ))<sup>(2)</sup>.

فإذا كان جدّه هاجر سنة 1913 وبقي في تونس في ظلّ الحامية والمحمية : فرنسا وتونس ، كما قال مشايخ وأهالي الصيعان في مضبّطهم التي قدّموا إلى الوزير الأكبر يوسف جعيط ، فكيف تسنّى لجدّه الحصول على شرف الاستشهاد دفاعاً عن الوطن ضدهم بعد أن دخل في حمايتهم ؟!!!! ومتى !! ؟ .

وإذا كان قصده جدّه الآخر الذي قد يكون من جهة الأم فقد ذكره أيضاً في الصفحة (52) بأنه قتل في معركة شقة مزطورة ضد التوازين في معركة حول استياق غنم إلا إذا اعتبر أن سلب أو نهب غنم أو إبل تعتبر من معارك الجهاد.

#### 2- مسألة الانتساب إلى الدوحة النبوية الشريفة

مسألة الانتساب إلى البيت النبوي الشريف مسألة ينبغي أن تناقش بشكل علمي ومنطقي ، لأن هذه الإدعاءات كثر مروّجوها ، حيث أصبح الكلّ يتسابق لإثبات نسبه إلى الرسول عليه السلام .

ونشير إلى أن ظاهرة المرابطين والرباط شكلت في المجتمعات المغاربية ومن بينها المجتمع الليبي دلالات ومفردات ومسميات تختلف عن بقية الدول العربية والإسلامية الأخرى ، حيث يؤكد جميع الباحثين عند تناولهم لطبيعة المجتمع الليبي

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص5.

2 - المصدر السابق ، ص418.

وخصوصياته ، أن الخصوصية الدينية من أهم العناصر المرتبطة بالشخصية الليبية لذلك يلاحظ الباحث عند دراسته لفترات مختلفة من تاريخ هذا المجتمع ، تمسك أفراد بتعلم وحفظ القرآن الكريم وعلومه ، وانتشار الأضرحة ، والزوايا ، في كل أنحاء البلاد ، وكذلك الطرق الصوفية ، وهذا التأثير أنتج على المستوى الاجتماعي فئات اجتماعية ، حاولت الاستفادة من مزايا هذا المناخ بإسناد مرجعيتها ، أو نسبها إلى سلالة النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

ويشير أحد الباحثين في إطار تعرضه لتكوينات المجتمع الليبي إلى أن من سمات المجتمع الليبي، افراط قبائله وعائلاته في إرجاع نسبهم إلى الدوحة المحمدية الشريفة، موضحاً بأن الانتماء إلى الأشراف أو المرابطين، كان مرغوباً لعدة أسباب، لعل أهمها النبالة والتبذل الاجتماعي التي اقترنت باحترام وتجيل بقيّة شرائح المجتمع بما فيها الدولة ومؤسساتها، مما درّ على هذه الفئات كثيراً من المكاسب والمنافع لا سيما اقتصادياً ، كإعفائهم من دفع الضرائب واستئثارهم باللقب الشريف الذي أسدل عليهم قدسية دون سواهم:- (( هذه الامتيازات جذبت كثيراً من المحرومين والبؤساء لقرع باب نادي النبالة في أهل الكساء ، وذلك بالتصنّع بأنهم علويّو النسب بكل السبل بغض النظر عن شرعيّتها ، حتى يتسنى لهم التمتع بالسمو والخطوة والأهم تجنّب حملات الدولة الجبائية في عصر ائسم بضنك العيش وضيق ذات اليد ))<sup>(1)</sup>.

وعودة إلى كتابات محمد سعيد القشاط الذي يقول عند تعريفه بقبيلة الصيعان ما يلي:- (( الصيعان: تنتمي قبيلة الصيعان التي يرجع إليها بالنسب كل من الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي إلى جدها سيدي امحمد أبو صاع دفين جوف سببيه قرب سبيطة في القطر التونسي . وسيدي امحمد أبوصاع هو امحمد بن سليمان بن عمران بن أحمد بن عبدالله بن عبد العزيز بن عبد القادر بن عبد الرحيم بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ))<sup>(2)</sup>.

وقد أشار في الهامش رقم (1) في الصفحة (23) عند توضيحه لتسلسل النسب الذي أورده بالقول:- (( اعتمدت على تسلسل النسب من شجرة نسب سيدي

1 - فرج عبدالعزيز نجم ، القبيلة والإسلام والدولة، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2004 .

2 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 22-23 .



سلام أبو غراره الذي يؤكد أنه أخ سيدي امحمد أبوصاع ولو أن بعض الروايات تقول أن والد أبوصاع يسمى عرفة ((<sup>(1)</sup>).

كما أرفق في الملاحق بكتابه وثيقة أعطى لها رقم (1) وقال أنها شجرة نسب الولي الصالح سيدي امحمد أبوصاع قَدَّمها على النحو التالي :- (( وثيقة رقم (1) هذه المخطوطة هي شجرة نسب الولي الصالح سيدي امحمد أبوصاع عليه رحمة الله حيث [ ينحدر نسبه إلى] \* إدريس بن إدريس وإلى الحسن بن علي وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم وقد استطاع الأدارسة أو بالأصح إدريس هذا من إنشاء دولة في المغرب عرفت باسم الأدارسة و عدة إمارات أخرى في المغرب الأوسط وفي الأندلس ، كما ينتسب إليهم [أولاد امحمد] \* الذين أسسوا دولة في مرزق استمرت عدة عقود من الزمن وإمارة الأدارسة في عسير . وفي آخر المخطوطة هناك شهادة مجموعة من العلماء والقضاة كل في عصره سجل شهادته وتاريخ الاطلاع عليها . وهي منسوخة من الشجرة الأصلية " بفاس" والنسخة التي تم تصويرها بحوزة الحاج عثمان بن نصر السلامي القاطن [ بتيجي] وهي من الموروثات عن جده رحمه الله . والمخطوطة بتاريخ 1292هـ ولها تواريخ أخرى بعد هذا التاريخ ترمز إلى تاريخ نسخ المخطوطة آخرها سنة 1374 على يد سيدي محمد بن محمد العكرمي وتحمل شهادة بعض العلماء منهم محمد بن محمد القايدي الحرابي وآخرهم محمد الخطيب بن عبد الرحيم الجليدي الحامدي ((<sup>(2)</sup>).

وفيما يلي نبرز التغييرات الذي أحدثها المؤلف في الوثيقة المشار إليها وللتحفظ على القبول بصحتها فإننا نورد كلمة [ الوثيقة ] بين قوسين للدلالة .

1- تتكوّن [ الوثيقة ] من (5) صفحات مكتوبة بخط اليد القديم (( الخط المغربي)) ويلاحظ أن قياس عرض الكتابة في كل الصفحات متقارب جداً ، يتراوح ما بين (( 10.5 سم و 10.6 سم )) إلا في الصفحة الثانية حيث اختلف القياس بوجود

1 - المصدر السابق ، ص 23.

2 - المصدر السابق ، ص 425.

\*- هناك العديد من الأخطاء الإملائية في أغلب اقتباسات القشاط نذكرها كما وردت مع محاولة تصحيح ما يمكن تصحيحه في الهامش.

\*- الصحيح لغة هو القول " ينحدر نسبه من " أو " يرقى نسبه إلى " .

\*- الصحيح " أولاد محمد".

قياسات متعدّدة ، منها أن عرض الكتابة في بداية الصفحة حتى منتصفها حوالي ((9.5 سم)) ، تقلّ بعدها إلى حوالي ((8.5 سم)) ، وتعود مجدداً في آخر الصفحة لتتقارب مع بقية الصفحات ((10.5 سم)) .

2- الكتابة في بعض الأسطر في [ الوثيقة ] غير واضحة بحيث تخفي بعض ملامح الكلمات والأحرف التي ربما تؤثر في اتجاه معنى [ الوثيقة ] .

3- عند قراءة الصفحة الثانية يتمنّ رغم صعوبتها ، بسبب عدم وضوح حروفها كانت المفاجأة أن القياس المختلف في كتابة [ الوثيقة ] في هذه الصفحة يتحدث عن نسب أبوصاع ، ويرجعه مباشرة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم جميعاً ، فيقول النص:- (( .....هاذ ذرية الشيخ الكامل العاري سيدي محمد أبوصاع ابن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .....))<sup>(1)</sup>، وفي آخر الكلام يشير إلى أنها نسخت من الشجرة الأصلية التي كتبت منذ (400) سنة وأخرى منذ (700) سنة.

والذي نرجّحه بعد قراءة هذا الجزء من الصفحة الثانية أن هناك نصاً قد دُسّ وسط وثيقة أخرى ، كي يعطيه بعد القبول والصحة لدى القارئ ، ولكنه نسي وهو يحاول ذلك أن يحذف منه آخره الذي يشير إلى أنه نسخ من نسخة أخرى وليس بغريب عليه أن يفعل مثل هذه الأعمال ، فهو يقدم دائماً نصوصاً مطعوناً في صحتها كالمذكرات المنسوبة إلى المجاهد عون سوف المحمودي ، والتي أثبت الباحث مختار الهادي بن يونس أنها مزورة وكذلك المذكرات التي نسبها القشاش إلى بلقاسم علي كله ، على أنها مروية عن والده علي كله ، وهذه أيضاً مشكوك في صحتها ، وفق ما أوردها سابقاً عند الحديث عن المصادر المشكوك في صحتها.

4- أشار المؤلف في تقديمه [ للوثيقة ] بقوله:- (( وفي آخر المخطوطة هناك شهادة مجموعة من العلماء والقضاة كلّ في عصره سجّل شهادته وتاريخ الاطلاع عليها. وهي منسوخة من الشجرة الأصلية بفاس، والنسخة التي تم تصويرها بحوزة الحاج عثمان بن نصر السلامي القاطن بتيجي وهي من الموروثات عن جده رحمه الله.

1 - المصدر السابق ، ص 427.

والمخطوطة بتاريخ 1292هـ ولها تواريخ أخرى بعد هذا التاريخ ترمز إلى تاريخ نسخ المخطوطة آخرها سنة 1374 على يد سيدي محمد بن محمد العكرمي وتحمل شهادة بعض العلماء منهم محمد بن محمد القايدي الحرابي وآخرهم محمد الخطيب بن عبد الرحيم الجليدي الحامدي ((1).

**إلى هنا انتهى تقديم المؤلف وما يلاحظ عليه هو :-**

أ- [الوثيقة] التي قدّمها لا تتضمّن تسلسل نسب الولي أبو صاع أبًا عن جدّ حتى ينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء ، بل المستغرب أن هذه [ الوثيقة ] ترجع نسب الوليّ أبو صاع مباشرة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ، فهو ابن سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وما يمكن ملاحظته هنا أنه حين أرجع نسب الوليّ أبو صاع بتسلسل في الصفحة (23) من كتابه، فإنه قال [ اعتمدت في إرجاع النسب إلى شجرة نسب سيدي سلام أبوغرارة ]، أي من شجرة نسب أخرى ، وهذا يثبت أن [الوثيقة] التي قدّمها مدسوسة وضعت عمدًا، ولا علاقة لها بالموضوع ، وأن النصّ الذي رجّحنا بأنه مقتطع من وثيقة أخرى، قد تم وضعه ودسّته في هذه ((الوثيقة)) التي قد تكون صحيحة وتتعلق بنسب الأدارسة، ولكنها لا تتعلق بنسب الوليّ أبو صاع ويبدو التناقض واضحًا وجليًا بين تسلسل النسب الذي أورده القشاطر مع تسلسل نسب الأدارسة ، حيث أنه من المعروف أن جميع الأدارسة يتفرعون من (( 12 ابن هم أبناء ادريس الأصغر ابن ادريس الأكبر بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه)) (2).

أما القشاطر حين أرجع نسب أبو صاع إلى عبدالله أحد أبناء ادريس الأصغر الاثني عشر، فإنه أورد تسلسل نسب ادريس الأصغر الذي يفترض أن يكون مطابقًا لكل من ينتسب إلى الأدارسة، فقال ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبدالله بن محمد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه، ووجه الاختلاف هنا في اختلاف اسمي (( محمد ، الحسن المثنى )) .

1 - القشاطر ، المصدر السابق ، 425.

2 - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 136.

ب - حين أشار إلى أن هناك مجموعة من العلماء والقضاة كل في عصره سجّل شهادته وتاريخ الاطلاع عليها ، فإن المنطقي عند قراءة هذا النصّ أن [الوثيقة] قديمة تسبق وجود هؤلاء العلماء والقضاة ، بحيث تيسر لهم الاطلاع عليها في أوقات مختلفة حسب زمان كل واحد منهم ، ولكن الغريب أن ثنايا هذه [الوثيقة] تتحدّث عن أمور قريبة الوقوع زمنياً ، فقال بالنصّ في تقديمه [ للوثيقة ] ما يلي :- ((...والنسخة التي تم تصويرها بحوزة الحاج عثمان بن نصر السلامي القاطن بتيجي وهي من الموروثات عن جده رحمه الله...))<sup>(1)</sup>.

هكذا قال القشاطر بالنصّ دون تحريف أو تعديل لقوله المدوّن في كتابه وبما يعني أن هذه [ الوثيقة ] هي بيد الحاج عثمان بن نصر السلامي وقد ورثها عن جده وبالتالي فهو من المعاصرين ، وربما ما يزال على قيد الحياة ، أو أنه توفي منذ فترة ليست بعيدة وهو من المقيمين بمنطقة تيجي .

ولكن التساؤل هو : إذا كانت هذه [ الوثيقة ] قديمة وتورّخ لنسب الولي أبو صاع منذ (400) سنة أو (700) سنة على رواية أخرى ، فكيف يمكن أن تضمّ في سطورها اسم الحاج عثمان بن نصر السلامي الذي يمتلكها الآن وهي بحوزته وهو ابن هذا العصر والأوان !!! ؟ .

واسم الحاج عثمان بن نصر موجود على النحو التالي في الصفحة رقم (2) من الوثيقة ، وفي النص الذي أشرنا أنه تعمّد وضعه وسط تلك [الوثيقة] حين ورد كما يلي :- ((...من ذريتهم في الجوش نقلة الكلام بيد عثمان بن نصر السلامي الشريف الحسيني الإدريسي... وكان النسب بيد سيدي محمد بن محمد العكرمي الإدريسي الحسيني من نسل سيدي الشيخ الكامل العالم عبد القادر بن صالح وتوى بيد سيدي الحاج عثمان بن الحاج نصر وريح جدهم سيدي امحمد أبوصاع عقب سيدي زيد وعقب سيدي مهل وعقب سيدي ناجي المهير وعقب سيدي محمد بودخان وعقب سيدي ... وعقب سلام وسلام عقب ذريته أولاد سلام ومحمد عقب ذريته أولاد محمد والهميل عقب ذريته الهمائل هاذ ذرية الشيخ الكامل العاري سيدي محمد بوصاع ابن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهاذي نسخة نقلت من نسخة الشجرة

1 - القشاطر ، المصدر السابق ، ص 42.

العزيزة في جميع البلاد خيف عليها نقلتها حرفا بحرف .. كما هي مرسومة بجلد الفيل وبأحرف الذهب وشهد بتحقيقها ... فمنهم من الشيخ العالم سيدي علي رجاكم الفاسي ... وهي مؤرخة بأربعة مائة سنة . وأما النسخة المنسوخة منها مؤرخ بسبعة مائة سنة ... بيد سيدي الحاج عثمان بن نصر الشريف نسب جدهم من غير مفقود والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فهذه الشجرة الشريفة...))<sup>(1)</sup>.

### 3- الصاق المؤلف بقبيلته بعض الصفات السيئة.

سبقت الإشارة أن محمد سعيد القشاط وهو يهاجم كل القبائل الليبية خاصة تلك التي يقف منها موقفاً شخصياً نتيجة لملاسة أو خصام مع فرد من أفرادها ، أو تلك التي في سالف الأيام ربّما شعر منها بإهانة في جواب على طلب منه ، فاعتبر ذلك إهانة شخصية لقدره ، وجب أن يثار له ولو بعد حين .

كما أن المؤلف وهو في حمى التهجم والتطاول على كل القبائل لم يستثن حتى قبيلته التي أنجبته وأوته ، فأورد عنها حكايات وروايات لأحداث ظنّ أنه حين يذكرها يذكر شيئاً حسناً ، وأنه يعدّد خصالاً محمودة ، لكنه كان يقدر فيها ذمّاً ، فقد وصف أهلها بالجبن والخوف ، والغدر والخيانة ، والسرقعة ، والجهالة بآتيان المنكرات ، وعدم التفريق بين الحلال والحرام ، بل أنه نسبها إلى غير قومها ومحيطها ، فأكد بوثاقه التي قدّمها واستند عليها أنها ليست من القبائل الليبية .

وفي الحقيقة نحن لا نتجرأ أن نقول أو ندّعي على أهلنا قبيلة الصيعان قولاً دون سند ، أو حجة فيردّ علينا فيه ، أو يعاب علينا أننا ننقول قولاً أو نشتم قوماً ، وحاشا أن نفعل ذلك ، لكننا ننقل ما يقوله ، ونضعه أمام القياس والمنطق والمعنى ونفسره وفق الكلمات والعبارات التي أوردتها المؤلف نفسه ، فإن كان هذا الفعل حسناً فتلك شيمة وصفات قوم عرفناهم ، هم أهلنا قبيلة الصيعان ، وإن كان هذا الفعل سيئاً فهو قوله هو الذي يسعى ليظهر نقائص في قومه ، ولا نتعدّى ما يقول .  
وسنناقش كل صفة أطلقها على قومه على حده ، ونفسرها وفق عباراته ومدى توافقها مع المنطق والدين والعرف وما جرى عليه سلوك الناس .

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 427.

## أ- الغدر والخيانة.

يورد القشاط عند حديثه عن المبروك الغدي رواية تقول أن :- (( جد المبروك الغدي كان له عبد يذهب للصيد فقال له يوماً لقد قبضت على أرنب وأعطيته لجماعة مروا بي فقال الشيخ كلمة ذهبت مثلاً :- اكمش أرنبك لا يريح غزالك . وفي اليوم التالي رجع العبد بدون صيد إذ افتك أولئك الرجال الغزال الذي قبض عليه ، وقالوا له :- إن غزالك في الأبرق .

فأرتحل الشيخ بأولاده غاضباً حتى نزل بمنطقة سهل الجفارة في مكان يسمى حقة الشهب ، وقد كان الشيخ بأولاده الكبار يركبون خيولاً شهباً فأطلق الناس عليهم اسم الشهب ، وعند الظهر سأل الشيخ ابنته عن الإبل التي ترعى قريباً من الخيام فقالت البنت :

راضت بلا نهر لا قدع  
بنات الجمال الروامس  
طرالها كما ساحة الشرع  
فيها امظلل وشامس

فنشام الشيخ من رد ابنته وقد كان القوم الذين تركهم خلفه يتبعون أثره في مجموعة من الفرسان لاقتناص فرصة لاستياق إبله . فقال الشيخ لابنته :- خذيتها وعند المساء لحق به القوم من الشرق واستاقوا الإبل وقتلوا الأولاد وجرح الشيخ وفي رفقته الأخير سألته النسوة :-

لمن تركتنا يا جدي؟ أجابهم :- إن الذي يحملكم من هذه الأرض هو أبوكم .

وصادف أن جدي السابع المسمى عبد الحميد القشاط يبحث عن إبل له ضالة فوجد الخيام ووجد النسوة والأطفال ، وأخبروه قصتهم ، فوارى القتلى وذهب إلى خيامه وأحضر إبلًا وحملهم معه إلى منازلهم وحماهم ، وكان من بين الأطفال ذكيران هما عبد القادر وعطية . وكان عبد القادر هو الأكبر .

سمع عم الأولاد المسمى دبدوب بالخبر وجاء ليحمل بقية العائلات إلى خيامه ، رفض جدي ذلك واشتكى دبدوب إلى متصرفية الجبل الغربي في يفرن وحاول عبد الحميد القشاط أن يضع سمة الإبل لهؤلاء الأولاد كسمة إبله (أولاد شراده) وأقسم أن يفعل ذلك وكان الغزي قد بقيت منه عدة مواشي كانت ضالة .

وأقسم دبدوب أنه لا يمكنه ذلك ولا بد من وضع سمة قبيلة أولاد امحمد. وأخيراً اجتمع الصيعان ووضعوا سمة أولاد شرادة وسمة أولاد امحمد على الإبل ووضعوا علامة مميزة تحت النفقة للبعير ... ولما طال على عبد الحميد الذهاب

والرجوع إلى يفرن طلب من عبد القادر أن يقتل عمه . وفعلا تم ذلك ، وانتهت  
المخاصمة وبقي الشهب في قبيلة أولاد شراده ((<sup>(1)</sup>).

\* - هذه هي الرواية التي وضعها المؤلف على هذا النسق ، وأراد أن ينشرها بين  
الناس لتخترنها ذاكرتهم وتتوارثها أجيالهم ، لعلها تصبح ذات يوم من التراث  
الشعبي للمجتمع الليبي .

ولكن ونحن نوضح كيف أنه وصف أهله بالغدر والخيانة ، نريد أن نشير  
أنه حين وضع أسس روايته جعل الجاني أهالي (ورفله) ، الذين لم يراعوا جوار  
الرجل فطردوه ، وطاردوه لأخذ إبله ، ولكم أن تتصوروا كوكبة من الفرسان  
تطارد الشيخ من أراضي ورفله حتى سهل الجفارة موطن قومه ، وهي مسافة  
ليست بالقصيرة ، تختفي هذه الكوكبة من الفرسان نهائياً ، وتسير ليلاً ، كي  
لا يشعر بها لعلها تقتنص منه فرصة ، فتورده وأهله مورد المهالك !!!.

أما المجني عليه فهو شيخ طيب مسالم من الصيعان ، وأما المنقذ فهو جدّ المؤلف  
السابع ، وهو أيضاً من الصيعان ، ولكنه لم يوضح لنا كيف توافق وصول جده  
المنقذ ، هل لحظة انتهاء المعركة "هجوم فرسان ورفله" ، وقتلهم لأولاد الشيخ  
وجرحهم له " أم بعد ذلك؟.

يأتي المنقذ ليواري جثت القتلى ، وينقذ وصية الشيخ ولو خاض في سبيل  
ذلك بحرّاً من الدماء ، فقد أصرّ أن يضمّ إليه عائلة الشيخ المقتول ، وأن يخاصم  
أهلهم وذويهم ، فما الدافع لهذا الإصرار [ وإن كان يفهم حسب سياق الرواية أنها  
تتعلق بضم إبل أبناء الشيخ إلى إبله] حتى يرتكب في سبيل ذلك جريمة نكراء حين  
حرّض الإبن [ ولعله كان قاصراً ] على أن يقتل عمّه كي يبقى معه!!!!؟.

أليس هذا غدراً ، وخيانة ، وقتلاً للنفس ، وبتاً للفرقة بين أفراد العائلة  
الواحدة فهل يأمرنا ديننا وأخلاقنا أن نقتل الناس دون وجه حق ؟ ألم يقل الله  
سبحانه وتعالى في محكم آياته:- (( مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن  
قَتَلَ نَفْسًا يَغْيِرَ نَفْسًا أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا  
أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ))<sup>(2)</sup>.

فهل ما فعله الجد السابع لمحمد سعيد القشاط يعتبر من الأعمال التي  
يفتخر ويتباهى بها هذا الحفيد أمام جموع الليبيين ... !!! ؟ .

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 20-21-22.

2 - سورة المائدة ، الآية 32.

## ب- الأثانية وحب الذات.

يقدم القشاط رواية عن أصل قبيلة الصيعان فيقول :- (( تنتمي قبيلة الصيعان التي يرجع إليها بالنسب كل من الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي إلى جدها سيدي امحمد أبوصاع دفين " جوف سبيبه" قرب سبيطة في القطر التونسي . وسيدي امحمد أبوصاع هو امحمد بن سليمان بن عمران بن أحمد بن عبدالله بن عبد العزيز بن عبد القادر بن عبد الرحيم بن عبدالله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن علي بنت أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد نزل سيدي امحمد أبوصاع ضيفا على قبيلة " أولاد عوين وكان بين أفراد القبيلة خصام بسبب امرأة " فاتفقوا أن يوسطوا هذا الشريف لحل المشكل وأن يسأل المرأة عن رأيها . رجع الشيخ من عند المرأة غاضبا ، مصفرّ الوجه ولم يتكلم ، فذهب أخوتها إليها يسألونها عسى أن تكون قد أساءت الأدب مع ذلك الشريف . قالت لهم : لقد خيرني بين المتخاصمين فاخترته هو للزواج منه . فرح عقلاء قبيلة أولاد عوين بهذا الاختيار لأنه حل لهم المشكل وزوجوا الشيخ من ابنتهم التي انجبت له ابنه محمد الكوني وبهذا يكون أولاد عوين أحوال الصيعان ))<sup>(1)</sup>.

\*\*\*\*\*

هذه حكايته وروايته حول أصل الصيعان ، وتبدو سذاجة الرواية من أن أفراد قبيلة أولاد عوين كانوا يتخاصمون فيما بينهم على امرأة ، وأي امرأة تلك التي كادت أن تهلك القبيلة !!! دون أن يتجرأ أحد منهم على سؤالها ، ومعرفة رأيها فيمن تختاره زوجا لها ، حتى يأتي ذلك الشيخ الغريب ليتوسط لهم ، ويذهب ليسألها رأيها ، وطبعاً في هذا الجزء تبدو سذاجة الرواية في تناقضها مع طبيعة المجتمع العربي الليبي الذي يركز على سلطة الرجل ، فالرواية تقدّم هنا مجتمعا يستند على السلطة الأنثوية ، وهو يتشابه في ذلك مع بعض المجتمعات الإفريقية البدائية التي تقوم على تقديس مكانة المرأة وعلو سلطتها ، الأمر الذي أربه قبيلة بكاملها لم تستطع أن تتجرأ لتسأل هذه المرأة رأيها فيمن تختار.

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 22.



**ويصادف** وقوع هذه المشكلة مرور ذلك الشيخ الغريب الشريف الذي بدلاً من أن يتوسّط بين المتخاصمين ، فإنه يستأثر بالمرأة دونهم ، وإذا كانت هي قد عرضت نفسها عليه ، فالتساؤل هنا أي قيمة أخلاقية تمتلكها هذه المرأة التي كادت أن تهلك قومها في سبيل الحصول عليها ، ثم إذ بها تلقي نفسها أمام أول غريب يسألها ..!!! ، أما إذا كان الشيخ هو من عرض نفسه عليها فأى شرف وعلو لمن يخون ما استؤمن عليه؟.

أما المؤلف فيردّ فرح العقلاء من قومها إلى السذاجة والجهالة فقد ظنّوا أنهم اصطادوا صيداً ثميناً ، ولم لا ! فالنسيب شريف يدّعي نسبه إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .!!!.

**فأي قيمة أخلاقية ، وصفة حميدة أراد القشاط أن يصف بها أصل نسب قومه.**

### ج- أعمال السرقة والنهب.

**يقول المؤلف عند التعريف بالشيخ المبروك الغدي:-** ((...وتحسب له قبائل الحدود الحساب عندما كان يغير على مواشيهم ويستاقها منهم . ولم يحصل أنه أغار على إبل وأرجعت منه يوم أن كانت الإغارة على المواشي من فروسية العصر وبطولاته ... قبيلة المبروك الغدي " الشهب" أصلها من قبيلة أولاد امحمد العظيمة أولاد عمر وقد كان جدّهم يغير على إبل الغير- وهو موضوع تستهجنه قبائل الصيعان - لأنهم أشراف. والأشرف لا يأكلون مال الغير، فخاصموه ورحل مغاضبا لهم إلى مناطق ورفلله، حيث بقي هناك زهاء عشر سنوات.))<sup>(1)</sup>.

**ويقول أيضاً:-** ((...كانت قبائل النوائل تبادل ورغمة الغارات وتستاق حيواناتها وترد المعاملة بالمثل ، بعكس الصيعان الذين يرون أن استياق الإبل من المحرمات فلا يقومون بذلك بل يردون الغارات كمدافعين...))<sup>(2)</sup>.

**كما يورد عند تعريفه بـ (علي الغرياني) وهو أحد رواته ، فيقول :-** ((...وفي حوالي عام 1946 حاول التسلل عبر الأراضي التونسية مع شخص آخر يدعى حفيظ امحمد الجدي لجلب التموين لأسرته وتهريبه عبر الحدود فاصطدموا

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص20.

2 - المصدر السابق ، ص 56

بدورية من سبايس الفرنسيين وتبادلوا معهم إطلاق النار وجرح على الغرياني في هذه المعركة وقبض عليه مع رفيقه وأودعا السجن لعدة سنوات (...)(1).

يفتخر القشاط هنا بما يراه عملاً من أعمال البطولة والفروسية ، حين يصف إغارة أحد بطلي كتابه [ المبروك الغدي ] على إبل الغير واستيائها ، بأنها من فروسية العصر وبطولاته ، وقد نسي وهو يفتخر بمثل هذه الأعمال التي كانت حقيقة واقعة في دنيا العرب في جاهليتهم قبل أن يرحمهم الله ، ويختصهم برسالته السماوية التي جاءت لتعزز مكارم الأخلاق لديهم ، مثل الشجاعة والمرؤة والكرم وحفظ الجوار ونصرة المظلوم ، ولتقضي على عاداتهم السيئة ، وأفعالهم الرديئة مثل الاعتداء والقتل ، والنهب والسلب ، ومنكر الأفعال ، وقد صدق جعفر بن أبي طالب حين قال في حضرة النجاشي ملك الحبشة:- (( أيها الملك ، كئنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوي من الضعيف ، فكئنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كئنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ... ))(2).

بل أن الإسلام وهو يبطل هذه العادات والأفعال ، ويحرمها ويعتبرها من أعمال النهب والسرقه ، وضع لها عقوبات وحدود أنزلت من السماء ، فأعتبرها من أعمال الحرابة ، ومن يفعل ذلك تقطع يديه ورجليه بخلاف وينفى في الأرض ، قال تعالى:- (( إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ))(3).

فهل من أحد عاقل يرى في ما يستوجب إقامة حد الله فيه مفخرة يفاخر بها الآخرين ؟!!!!

1 - المصدر السابق ، ص 345

2 - عبدالحميد جودة السحار ، محمد رسول الله والذين معه: عام الحزن، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ص194.

3 - سورة المائدة ، الآية 33.

كما أنه من المعروف أن التهريب عبر الحدود يعد من الجرائم التي تعاقب عليها كل القوانين الوطنية والدولية ، وتعرض مرتكبها إلى أقصى العقوبات ، ولكن القشاط أوردتها مفتخرًا بها ، إضافة إلى أن هذه الحكاية فيها تعريض بسمعة شخص وعائلته بعد أن طواها الزمن .

#### د- الجهالة وإتيان المنكر من الأعمال.

لم ينسَ محمد سعيد القشاط حين اخذته الحمية ، حمية الجاهلية الأولى وهو يعدّ مناقب قومه من أن يذكر بلاده ، وهواءها ، وتربتها ، وحجارتها ، ومشاهد رجالها ويضفي عليها قدسية ، حتى جعلته يصور أفعال قومه وهم يدورون ، ويتوسلون بالحجارة لعلها تقربهم إلى الله زلفى ، على أنها من الأفعال التي يحسن ذكرها والتفاخر بها .

يقول القشاط :- (( كما بدأ الصيعان أخيرا في الاستقرار وبدأوا ينشئون مزارع من تيجي إلى الأراضي التونسية ، وكذلك من تيجي إلى بدر وحول قرية بدر ، وينتسرون من الحدود التونسية إلى عمق حوالي مائة كيلومتر شرقا ، ولهم مجموعات من الآبار المسماة باسم حافريها مثل ..... كما لهم أراض يسمونها بأسماء الأشخاص الذين يتولون حراثتها أو يقطنون بها مدة طويلة ... كما يسمون مناطق بأسماء أشخاص الذين قتلوا أو توفوا بها مثل .... والمشهد هو كومة من الأحجار يضعها البدو في المكان الذي قتل فيه الرجل المهم أو توفى فيه ... وكان الناس إلى وقت قريب عندما يمرون بمشهد من المشاهد يقرؤون عليه الفاتحة ويدورون برواحلهم عليه سبعة أشواط إن كان مشهورا ))<sup>(1)</sup>.

\*\*\*\*

هذا ما كتبه وثبته محمد سعيد القشاط في كتابه ، وهو يتناول ما أورده من أحداث تتعلق بقومه ، فالمؤلف يعرض بقومه ، وهم كما يقول من نسل الرسول عليه السلام أنهم يمارسون وثنية ، كوثنية الجاهلية حين يتمسحون بالحجارة ويدورون عليها سبعة أشواط ، كأنهم يطوفون بالكعبة الشريفة ، وكأن لسان حالهم يقول متمثلاً إنما نعمل ذلك لتقربنا إلى الله زلفى .

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 25-26.

فهذا الضريح الذي يراه القشاط مقدساً ، ما هو إلا مجرد تراب ، وطين ورمل وأخشاب ، وتحتة رفات ميّت ، وهذه المواد كثيراً ما يدوسها الناس بأقدامهم ومع ذلك تصبح مقدّسة يخشع البعض أمامها ويطوف حولها . والسبب كما يقال أنها تقوم فوق رفات رجل صالح ، أو هكذا يدعى . إذن فأين هو العقل والإيمان الذي يدفع البعض بالوقوف خاشعاً وعباداً ومتضرعاً أمام ذلك الضريح الذي يراه مقدساً ألم يحرم الله هذه الأفعال لأنها من عمل الشيطان ؟ ، وتؤدي إلى الانسياق وإتباع الشيطان ، فالأنصاب هي القبور المنصوبة للتقديس أي الأضرحة .. والله تعالى يحذر المؤمنين من عبادتها ويأمر باجتنابها ، فقال تعالى :- (( يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ))<sup>(1)</sup> .

وقوله تعالى :- (( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ))<sup>(2)</sup> .  
وقد صدق الشاعر وهو يصور حالة الجهالة والاعتقاد الخاطيء في مثل هذه الحالات حين يقول منتقداً هذه الأفعال :-

في المرابط يمسى وبيات	ليا كان صغيره اجدم
يطلب ينده في رشادات	بجاهك ياسيدي العالم
وناسي اللي في سبع سماوات	اللي في يده تقريج الغم
اللي ما خلى رسميات	ولا داير في الوسط صنم <sup>(3)</sup>

ومع ذلك فإن محمد سعيد القشاط لا يتورّع عن التباهي والتفاخر على جميع الليبيين بالقيام بمثل هذه الأعمال ، وينسبها بفخر لقومه ، وهي من أعمال الشيطان التي نهانا الله عن اتباعها ..!!!

\* - كما يروي قصة الثورة التي أطاحت بحكم عائلة بني تليس في ورفلله فيقول عن صيعان ورفلله :- (( ينتمون إلى قبيلة امحمد صيعان بدر وقد رحل جدهم النجار ... وقد ساهم النجار بعد وصوله إلى المنطقة في إسقاط حكم بني تليس في

1 - سورة المائدة ، الآية 90.

2 - سورة الأحقاف ، الآية 4.

3 - أبيات مختارة من قصيدة للشاعر يونس الصادق البصير يعارض فيها قصيدة " أرسم ولدي ناقة وجمل ..."

بني وليد ..... وتحكي الرواية أن شخصا من بني وليد كان عاجزا لا يستطيع العمل وليس له أولاد ذكور فطلب من الحاكم أن يعفيه من العمل فأجابه الحاكم أن لا مانع لديه شريطة أن يحضر ابنته للعمل مكانه .

وجاءت الطفلة الشابة تشتغل مع العاملين في نقل الحجارة ، وكانت إذا رأت أحدا من أفراد جماعة بن تليس تغطي وجهها لتحتجب منه ، أما إذا كان معها الآخرون من العاملين فإنها لاتحتجب فسألها أحد الشباب من رجال ورفلله العاملين معها :- لماذا لا تحتجبين منا نحن في الوقت الذي تحتجبين من أولاد تليس ؟ أجابته غاضبة ومختصرة :-إنني احتجب من الرجال ، وأنتم مثلي نساء ، فالرجال هم الذين يفرضون علينا العمل أنا وأنتم .

جواب مؤلم ومفعم بالاحتقار والإزدراء ، أغضب الرجل ، وأيقظت قولتها في نفسه شيئا أضره وفي اليوم الثاني اجتمع ثلاثة رجال :-

1- النجار جد الصيعان ببني وليد وهو الضيف القادم للمنطقة.

2- القجدار جد الصرارة أو السبايع.

3- خمخ جد السلاطات المناسبة.

واتفقوا على الثورة ضد أولاد تليس ، ومهاجمتهم يوم الجمعة في المسجد وكانت بجانبهم جيفة حمار ميت ، اتفقوا على أن الذي يصمم على الثورة ينهش من جيفة الحمار تأكيدا على التصميم . وفعلوا ذلك وهاجموا أولاد بن تليس وأبادوهم وخربوا مدينتهم التي لا تزال بقاياها حتى الآن ، وفر من بقي من أولاد بن تليس والتحق بقبيلة ورشفانة حيث حمتهم وكونوا بها قبيلة لا تزال حتى الآن بورشفانة ((1).

في هذه الحكاية لم يتورّع محمد سعيد القشاط عن الإساءة المتعمدة لقبيلة معروفة ذات بأس وشجاعة ونخوة ، وهي قبيلة ورفلله ، حين وصف رجالها بالخنوع والخضوع لسيطرة وجبروت ابن تليس ، حتى اضطرت الحرائر ذوات الخذور للعمل مع الرجال ، وليبلغ به درجة الاستهزاء بالقبيلة ورجالها ، أن يشير إلى أن من رفع الظلم والحيف عنهم وأسقط حكم بني تليس ثلاثة رجال أحدهم ضيف قادم من الصيعان .!!!!.

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 29.

**فالمعروف** أن تعريف الثورة في علم السياسة أنها ظاهرة نبيلة تستهدف تغيير واقع المجتمع إلى الأفضل ، وتبعًا لهذا فإن وسائلها ومنطلقاتها وأدواتها من المنطقي أن تكون نبيلة وظاهرة ، لكن المؤلف هنا يرسم صورة سلبية لوسائل ومنطلقات الثورة حين يجعل من كلمة السرّ فيها أكل جيفة حمار ميّت، ومتى؟ يوم الجمعة !!! **فهل كان على هؤلاء الثوار الثلاثة أن ينهشوا جيفة حمار لكي تتولد فيهم شراسة الضباع فيفنون ويبيدوا حكم بني تليس؟** فهل هذا كلام يقوله من يسعى إلى أن يوصف بالمؤرّخ أو الكاتب!!؟.

\*- **ويقول أيضاً:-** (( أما مجموعات الغرب التي وصلت إلى فزان صيعان ، جعافرة ، زاوية ، وغيرهم فإنهم قرروا الهجرة إلى تونس ... سنة كاملة منذ انطلقتهم في اليوم الأول من إدري ومنطقة الشاطئ إلى أن وصلوا الحدود النساء والأطفال حفاة ملابسهم رثة ، يتساقطون عبر الطريق الحافي المؤلم الطويل من المرض والعطش والجوع ، شربوا كل شيء سائل وجدوه تحت أيديهم وفي متناولهم الدم ، الفرث ، الأبول ، في محاولة للوصول إلى شاطئ النجاة ))<sup>(1)</sup>.

أما في رحلة العذاب والنتيئة هذه، فمن هم القوم الذين يصورهم المؤلف على هذه الحال البدائية المتوحشة: يشربون الدم، والبول، والفرث، وأية طهارة وكرامة تحلّ بهم ، فهذه صور لأناس متوحشين، لا يقيمون بالاً أو وزناً لقيم أو أخلاق في أسوأ صورة بدائية للإنسان، حتى يرى القشاطر في عمل كهذا مصدر فخر يتباهى به أمام الآخرين ، إذ لم يسبق لأحد من المؤرخين على اختلاف أجناسهم أو ممّن كتب عن معاناة الليبيين المرّة والقاسية خلال مرحلة الجهاد أن استخدم مثل هذا الوصف الموهل في السوقيّة والابتذال اللفظي.

أما قول القشاطر:- ((...وكان الصيعان لا يزوجون بناتهم لغير الصيعان ترفعاً بهن عن الآخرين ))<sup>(2)</sup>.

هذه مسألة اجتماعية صرفة ما كان على الشاعر محمد سعيد القشاطر أن يتباهى بها في المجتمع الليبي تحديداً ، خاصة وأن الدين الحنيف يدعونا إلى التقارب ، والتصاهر ، والتزواج بهدف خلق الألفة والمحبة بين الناس ، فقال تعالى

1 - القشاطر ، المصدر السابق ، ص268-269.

2 - المصدر السابق ، ص 27.

(( يأيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ))<sup>(1)</sup>.

ولكنه أيضا نبّه المسلمين ودعاهم إلى ضرورة حسن الاختيار ، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :- (( تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس )) .

إن ما أورده محمد سعيد القشاط من حكايات ليس بمستغرب منه ، فقد وجدنا ونحن نقلب صفحات من دواوينه أنه سبق له هجاء قومه ، وقوم آخرين أقام بينهم ، وله في هذا المقام قصائد أظهرت أنه لا يتورّع عن هجاء أحد حتى وإن كانت عشيرته أو قبيلته أو أهله إذا اختلف معهم أو شعر بتقصير تجاهه من أحد من أفرادها ، أو أنه لم يطق المقام في مكان ما فيهجوه ويذمه مكائفا وناسا ، وهذه القصائد منشورة في دواوينه القديمة والحديثة ، وهذا يوضح أن ما يقوم به من تهجم على رجال التاريخ خلال مرحلة الجهاد ضد الإيطاليين ، ليس بأمر مستحدث يتفاجأ به الناس، وإنما هو نتاج طبيعته التي جبلت على التهجم على الآخرين دون مراعاة لأية قدسيّة أو حرمة، أو وازع أخلاقي يمكن أن يشكل رادعاً لذلك، ونورد فيما يلي أمثلة لأبيات شعرية من هذه القصائد:-

#### \*- القصيدة الأولى (( جفي وطننا ))

قدّم محمد سعيد القشاط القصيدة بالقول :- (( اغتاض الشاعر من بلدته لأمر وسافر إلى المدينة ولما أطال بالغيبة بعث إليه أحد زملائه يطلب شعراً فكان هذه القصيدة :

جفي وطننا نجفوه جفو الجافي	وكيف ما جفي بأخذ جفانا وافي
نجفوه كيف جفانا	وطن الصغى والمرمده والهانا
جافي جفانا موكره شقانا	وجيت منه من مر الحنازل كافي
دار الجفي نجفوها	حلال نبعدوا وحرام كان انجوها
وكيف ما نستنا دارنا ننسوها	ونصبر ونغصب وحشتي واريافي
يجف دمعهم لنظار ويهونوها	كيف هنت هاذاكه الحبيب الصافي
نجفاه للشماته	للي جفانا عندهم ما تاته
وطن المرار جفيته	ولا جيته عندي بدت تلفيته
ولا الموح جابدي بدي ناحيته	و والله ما دون الحبايب خافي

1 - سورة الحجرات، الآية 13.

ستسيت والغالي العزيز انسيته      كيف ما غبي داره هبوب السافي  
نجاه ما نتفاجه      وطن لمعلق واسعات اتهاجه  
وماليه نحفي الجفو للهراجه      على الهدرزة كيف لقدور مكافي<sup>(1)</sup>

\* - القصيدة الثانية (( مكاتيب ربي ))

صادف أن جرى تعيينه في بداية حياته في إحدى قرى الجنوب الليبي  
ولكن لسبب لم يستطع أن يتأقلم مع البيئة ، فنظم قصيدة ضمنها شعوره ومشاعره  
تجاه هذه البيئة وناسها التي لم يألفها .

وقال عند تقديمه للقصيدة :- (( ذهب الشاعر إلى فزان فوجد أسماء قرى لم  
يألفها من قبل فرتب هذه القصيدة :

مكاتيب ربي العين يا ما تاره	زيغن و سمنو والجديد وقاره
مكاتيب بينشوفوها	محلات لازم نتعبوا وانجوها
رقاقات كيف الحبر بنخشوها	فيها القبالي دايره غباره
اخطا اللي كتبها خالكك نمشوها	بغت ناجسه والا بغت طهاره
من قال يصبح مسكني في (القرضه)	بالطوب مبني حوش شين ادياره
ويا موسعه ملك الاله في أرضه	وكل ذيب عل لونه وطاته داره
من قال نهدف تاوي	افيو من يصبح مسكني سبهاوي
متلقطه من تارقي وتياوي	من اتشاد جوها اتجهز السيارة
وكل شكل فيها يلتغي بلغاوي	لا هم عرب لا هو حديث نصاره <sup>(2)</sup>

\* - القصيدة الثالثة :- (تقصير)

قال القشاط في تقديمه للقصيدة :- (( لم يقم بعض الأقرباء بزيارة ابن  
الشاعر في المستشفى فلامهم على ذلك

اعمامك اللي نحتار كان احتاروا	لا نشدوا عل حالتك لازاروا
اعمامك اليوم تـوازوا	فريقين رزناهم اليوم ارتازوا
فريق للثوابت وين ما نعتازوا	ذهب صرف مايرجع نظيف اعيارُ

1 - محمد سعيد القشاط ، ديوان ريم على الغدير .

2 - محمد سعيد القشاط ، ديوان بين نجوع البادية ، ص 147.



وثمه فريق آخر رفیق امعازوا  
 بين الظواهر والجفير ايزازوا  
 واخرين بازوا وبوزوا وابوازوا  
 حازوا براد اقلوبهم وانحازوا  
 ما ابها الشدايد ساعه  
 وموحال تثمر صحبة الطماعه  
 ولا يوكدوا عند الشرق تبّاعه  
 أخ تف- حشاكم - على القنباعه  
 افرض لعباد الغايبه رتاعه

مشغول سعيه كاثرات انفاروا  
 لا يعرفوا للصايبات احكاروا  
 عقاب مندره كرفه شعير جفاروا  
 لا يكرفوا لا بسمعوا لا ياروا  
 اتحز الوكايد من خبيث اطباعه  
 واحيوط بنيان الخواينهاروا  
 اللي خشومهم والمكنسه يتباروا  
 اللي في الوجوه وجوههم يصفاروا  
 وكان قابلوك اعينهم بحداروا<sup>(1)</sup>

ويلاحظ أن القشاط أوضح في القصيدة من هم الأقارب ، فأشار إليهم صراحة بأنهم أعمام ابنه ، فإن كان يقصد الأعمام بالدم فهم إخوته وأبناء عمومته وإن كان يقصد الأعمام بالعصبية فهم رجال القبيلة كلهم ، وفي كلتا الحالتين لم يتحكم القشاط في مشاعره تجاه الآخرين فلامهم وإن كانوا أقرب الناس إليه ، وإذا كان هذا لومه فكيف يكون هجاءه؟ وصدق حين قال في إهداء ديوانه:- (( إلى المواقف التي أثارت مشاعري فنطقت شعراً )) وهذا الديوان احتوى على عدد كبير من القصائد التي تضمنت في أبياتها هجواً وتعريضاً بالآخرين .

و-التأكيد أن قبيلته (الصيعان ) ليست من القبائل الليبية.

من الغريب أن القشاط وهو يتحدث عن مرحلة الجهاد ، ودور القبائل الليبية في مواجهة الإيطاليين ، والتي يهاجمها ويتهمها بالتقصير ، أو الخيانة أو النكوص أو التراجع عن المواجهة ، وفي الوقت نفسه يعطي بعداً قيادياً مشرقاً لقبيلته ، التي يؤكد بذاته ، وفي كتابه نفسه وبوثائقه التي يستند عليها في مهاجمة الآخرين للنيل من أدوارهم ، أنها ليست من القبائل الليبية ، بل أنها من القبائل التونسية المهاجرة فعندما يعرف بقبيلته يقول:- (( تنتمي قبيلة الصيعان التي يرجع إليها بالنسب كل من الشيخ علي كله والشيخ المبروك الغدي إلى جدها سيدي امحمد ابو صاع دفين " جوف سبيبه" قرب سبيطلة في القطر التونسي ))<sup>(2)</sup>.

1 - القشاط ، ديوان في ظلال السدر ، ص148.

2 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 23.

كما يقول:- ((...ومن قائل أنه كان يدرس بالمغرب مع أخيه سلام ، ولما  
رجع إلى تونس وجد أباه قد توفي وترك مالا وأراض كثيرة ..))<sup>(1)</sup>.

كما نجد في الوثيقة رقم (10) بالملحق :- ((.... وإن كنا نحن في الحقيقة  
سابقا استقرينا بتراب تونس وأصحاب أملاك به منها عدة غابات بنفزاوة وعدة  
أبيار ماء أنشيناها وأراضي محارث لزراعات بعمل ورغمة ولنا جالية كثيرة  
تسكن الآن بالسواسي الذين كانوا مقبدين بعلم مدنين وعليه فإننا راغبين من  
جناب الدولتين المذكورتين صدور الأذن لنا بالدخول للعمالمة التونسية والاستيطان  
بها في المحمل الذي تعينه لنا الدولة والدخول تحت جميع الماموريات مثل أهل  
العمل لأننا لا نقدر على الرجوع حيث لا ملك لنا ولا دشره سوى ملكنا التي  
بنفزاوه .....))<sup>(2)</sup>.

وحيث يؤكد أنه استند في كتابه (( من قيادات الجهاد الليبي : الشيخ علي  
كله والشيخ المبروك الغدي )) على المذكرات التي قال: إن الشيخ علي كله أملاها  
على ولده بلقاسم كله . ودون الخوض في هذه الأوراق التي نتحقق على صحتها  
إلا أننا نجد أنفسنا في هذا المقام بالذات نتجاوز عن الموقف والتحقق ، ونجاريه في  
أن هذه الأوراق صحيحة وموثقة ، وغير مزورة كما يدعي ، وأنه يصح الاستناد  
عليها كوثيقة دامغة لتوضيح أو تأكيد حدث ، أو معلومة وقعت خلال تلك المرحلة  
والتي أجهد نفسه وأقحم الآخرين بأنها صحيحة ، وأنها أساس الكتاب في مواجهة  
كل الوثائق الدامغة الصحيحة التي تفقد مزاعمه ، ولذلك سنقرأ في ثنايا هذه  
الأوراق ونثبت ما يرد فيها كحقيقة لا تقبل التشكيك أو الرفض ، لأن القبول بصحة  
ما يرد فيها نحو قضية ، أو موقف معين كان المؤلف في كتابه قد ألزم كل الليبيين  
على ضرورة القبول بها كوثيقة صحيحة ، لا بد وأن تشمل صحتها كل ما تضمنته  
هذه الأوراق من معلومات وبيانات .

أورد المؤلف هذه الأوراق المنسوبة إلى بلقاسم كله في ما أسماها الوثيقة  
رقم (11) وتبدأ صفحاتها من الصفحة ( 447 ) وحتى الصفحة (460) من الكتاب.

ففي الصفحة (455) نجد النص التالي :- ((.....فكان الوفد الليبي المهاجر  
للمقيم يقولوا نحن من أهالي تونس أصل من قبائل تونسية ومن أشرفها وقبيلتنا  
تسمى الصيعان من أشرف البلاد التونسية وما يدل على صدق قولنا هذا أجدادنا

1 - المصدر السابق ، 27.

2 - المصدر السابق ، ص 444.

الكبار موجودين ضريحاتهم بالبلاد جدنا الكبير السيد محمد أبوصاع موجود  
ضريحه بسببيه وعلي أبو صاع بلجم عبد المؤمن بسوف وجبهاتنا التي كنا  
نستوطنو فيها هي سبخة بلاد غرب وسدرات الحاج قاسم الى المزوانة هذه بلادنا  
الأصلية ولا كن لما دخلت فرنسا سنة 1881 للبلاد التونسية وبموافقة باي تونس  
نحن حسب أوامر ديننا هاجرنا لبلاد تحت رعاية الدولة العثمانية من ذلك التاريخ  
الى 1911 حيث دخلت إيطاليا غازية البلاد الطرابلسية ووقع الحرب بين الدولة  
الغازية وأهالي طرابلس فحينئذ رجعنا الى تونس بلادنا الأصلية ودخلنا تحت  
طاعة الدولة الفرنسية وباي تونس فكان هذا جوابنا نحن الصيعان قدام  
استجوابنا مدة خمسة عشرة يوما ونحن في هذا الكلام مع المقيم الفرنسي )) .

وإذا كان الشيخ علي كله يؤكد أن قبيلة الصيعان من القبائل التونسية وأن  
تونس هي بلادهم الأصلية . فهل يتصلّ القشاط من هذا الكلام الذي ورد بمذكرات  
كله التي اعتمد عليها في مواجهة كل الوثائق الصحيحة ، وألف كتابًا تتجاوز  
صفحاته الخمسمائة صفحة استنادًا على ما ورد في هذه الصفحات التي يبلغ عددها  
بخط اليد (14) ورقة ، وينكر ذلك ، أم يقرّ بأن هذه المعلومات صحيحة وأن  
قبيلته كما أكد صاحب المذكرات أنها ليست من القبائل الليبية، أم أنه سيدفع بعدم  
صحة ماورد فيها بما يجعله يطعن في صدق قائده وشيخه؟.

إن كلّ أبناء الشعب الليبي يسجلون بكلّ فخر وتقدير وعرفان ، مساهمة  
أخوانهم العرب والمسلمين ، الذين تنادوا لتلبية واجب الجهاد ، وساهموا مساهمة  
فعّالة في مواجهة الغزو الإيطالي ، وقدموا الغال والرخيص نصره لإخوانهم الليبيين  
وخاصة أبناء الشعب التونسي الشقيق ، الذي لم تقتصر مساهمته على القتال فقط  
ولكنه احتضن المجاهدين وأسرههم ، بعد أن تغلبت عليهم القوة ، فأووهم وقاسموهم  
رغيف الخبز ، وأتاحوا لهم الحياة المستقرّة ، إلى أن كتب الله لهم العودة إلى ليبيا  
وقد تحرّرت من نير المستعمر .

غير أنه في هذا المقام ، وردًا على ما يكتبه القشاط من مهاترات ومغالطات  
فإن كل من يطّلع على ما يقدّمه من أوراق ، أو ما يسمّيها وثائق على أنها تحوي  
الحقيقة ، يندفع إلى التساؤل بكل عفوية فرضتها عليه وثائق القشاط:-

ما شأن محمد سعيد القشاط ، وشأن الجهاد في ليبيا ، وهو غير مكلف به  
فهو فرض عين على الليبيين فقط ، وإن ساهم في نصرته إخوانه الليبيين فهذا  
لا يمنحه حق التخوين والمفاخرة عليهم ، ولماذا يقحم نفسه في مهاترات  
وخصومات مع القبائل الليبية !!! ؟ .

## (ب) - الرد على المغالطات في الوقائع والأحداث التاريخية

تضمّن الكتاب الكثير من المغالطات في الوقائع والأحداث ، والتغيير والتحوير في المعلومة لغرض في نفس المؤلف ، الذي قام بحشو كتابه بأحداث لا علاقة لها بموضوعه ، وليس هناك سبب لإدراجها في الكتاب ، ونورد بيان هذه المغالطات عند مقارنة هذه النصوص المحرقة بنصوص الوثائق الأصلية ، أو شهادات أصحاب الشأن حيالها ومنها :-

### 1- معركة درج

دسّ المؤلف في الفصل الأول وتحت عنوان " الحرب مع فرنسا 1881-1911" هذه المعركة من ضمن المعارك التي أوردتها على أنها معارك مع فرنسا حيث قال:- (( شكلت قبيلة "ورغمة" التونسية "غزيا" سنويا يتوجه إلى بلدة درج النائية والقريبة من مدينة غدامس وذلك في فترة نضوج التمر حيث يتم قطع تمر درج والرجوع به على ظهور قوافلهم إلى بلدانهم . استمر هذا ديدنهم عدة سنوات وقرر أهالي درج تشكيل وفد والذهاب للقبائل المجاورة للاستجداء بها . وصل الوفد إلى الزنتان والرجبان الذين لبّوا النداء وشكّلوا مجموعة من الرجال المقاتلين يسبقون ورغمة إلى درج ، ويكمنوا في غابة النخيل ليفاجئوا فرسان ورغمة ويطلقون عليهم النار ويمنعونهم من الاستيلاء على ثمار النخيل . عند الموعد المحدد قدمت قوافل ورغمة يتقدمها الفرسان الذين فوجئوا بمقاتلي الزنتان والرجبان في الواحة ونشبت معركة سقط فيها عدة قتلى من الطرفين انسحبت بموجبها قوافل ورغمة دون أن تتمكن من قطع الثمار .

احتفل أهالي درج بالانتصار ، وأكرموا الزنتان والرجبان الذين كانوا سببا في هذا النصر ، غير أن الزنتان والرجبان رفضوا الانسحاب إلى بلدانهم وقرروا اقتسام قرية درج بين قبائلهم ، بحيث أصبح لكل قبيلة من القبائل شارعا من شوارع درج يدفع أهاليه إتاوة من محصولهم من التمر كل عام للقبيلة من الزنتان المخصصة لهم وأصبحت قرية [تقلقت] من نصيب الرجبان . وفي الأعوام 1959-1960 كنت مدرسا في هذه القرية ، وكان محل إقامتي بالمدرسة التي تقع خارج القرية يجاورها ضريح أحد الأولياء يسمى "سيدي الأخضر" . وكانت قوافل الزنتان تأتي في فصل الخريف ، وتستقر قرب ضريح سيدي الأخضر ويقوم أهالي الشارع المخصص لقبيلة القافلة بإطعام رجال القافلة وتوفير العلف لإبلهم

طيلة مكوئهم " بدرج " في انتظار التمر لتحميل القافلة . كما تقوم النساء من أهالي درج بتقديم مجموعة من الصناعات التقليدية كالأطباق وغيرها لرجال القافلة كهدية لنسائهم بعد عودتهم . وقال لي أحد الظرفاء من أهالي درج :- [ ليتنا تركنا ورغمة تستولي على تمورنا لعدة سنوات وانقطعت عن ذلك بدلا من هذا الاستعمار الذي وقعنا فيه منذ قرن من الزمان وأصبحنا كالمستجير من الرمضاء بالنار واستمرت هذه الحالة لأهالي درج إلى قيام ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 حيث تم إبطال هذه الإتاوة التي يدفعها أهالي درج سنويا للزنتان والرجبان<sup>(1)</sup> .

إن قراءة متأنية للنص تظهر الاتجاه الذي سلكه القشاط في حشو هذه المعركة ضمن معارك أخرى لا علاقة بينهما ، لدق إسفين في السلم الاجتماعي الذي يسود المجتمع الليبي الذي بنى على علاقات مزجت في أغلبها بالدم والتضحية والمناصرة للضعيف ، وردّ المظالم عنه ، وهو حين يطرح هذه الحادثة على هذا النحو فإنه يسعى إلى زرع بذور فتنة ، ليس بين قبيلتي الرجبان والزنتان من جهة وأهالي درج من جهة أخرى ، ولكنه يسعى في الأساس إلى نشر الفتنة بين أهالي القبيلتين المقيمين بمنطقة درج ، وأصبحوا من سكانها ، وبين أهالي درج الأصليين بعد أن تمازجت علاقاتهم ، وتصاهروا وترابطوا بعلاقات المودة والرحم .

#### ويمكن أن نورد الملاحظات التالية :-

- أ- إن هذه المعركة وقعت حقيقة لا خيالاً وكانت نجدة لأهالي درج ضحى فيها رجال قبيلتي الرجبان والزنتان بأرواحهم حماية لأهالي درج المسالمين .
- ب- لم تكن هذه المعركة ضد فرنسا، أو يمكن أن تحسب على هذا الأساس، وإنما كانت ضد قبيلة ورغمة التي وصفها فيرو بالقول:- (( لم تكن هذه القبيلة سوى عصابة من قطاع الطرق الذين يتراوح عددهم ما بين ألفين وثلاثة آلاف من الفرسان الذين كانوا يقومون بنهب الأراضي التونسية تارة وبنهب الأراضي الطرابلسية تارة أخرى ))<sup>(2)</sup>، ولذلك كانت هذه القبيلة تعتدي على القبائل الضعيفة المجاورة للحدود التونسية ، وكذلك على القبائل القوية التي كانت تماثلها في القوة والفروسية والشجاعة مثل: الرجبان والزنتان والنوائل والتي

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 71 .

2 - شارل فيرو ، الحوليات الليبية ، نقل وتحقيق د محمد عبدالكريم الوافي ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، الطبعة الثانية ، 1983 ، ص 687 .

كانت دوماً تتصدى لهذه الغزوات ، وقد أشار عالم الاجتماع الفرنسي "جيانى ألبرغوني" إلى قوة تلك القبائل وفروسيتها حين قال أن بعض الواجهات الودرنية (جهة تطاوين) أسروا إليه في معرض وصفهم خليفة بن عسكر [إبالجالي العفريت ] (( بأن زعيم نالوت ساوق بشجاعته وبطولاته الفرسان العرب من الزنتان والرجبان وورغمة ..))<sup>(1)</sup>.

ج - استتجاد أهالي درج بالقبائل المجاورة إلى حين وصولهم إلى قبائل الرجبان والزنتان ، وهم على مسافة بعيدة جداً منهم تتجاوز (400) كيلومتراً بعد أن مروا بعدة قبائل من بينها الصيعان ، يدعو إلى التساؤل لماذا لم تتقدم القبائل الأقرب لهم ومن بينها قبيلة الصيعان ؟ ويبطل التساؤل إذا ما عرفنا أن قبيلة الصيعان تعاني مثلها مثل أهالي درج من ظلم قبيلة ورغمة التي كانت تهاجمهم وتتهب ممتلكاتهم ، وكانوا هم في أمس الحاجة لمن ينصرهم ضد قبيلة ورغمة حسب ما هو مثبت في وثائق الدولة العثمانية.

د - العلاقة التي قامت بعد المعركة بين أهالي درج والقبيلتين ، كانت علاقة حلف وتحالف ، ما تزال حتى الآن تجد لها كل تقدير واحترام في قلوب أهالي الرجبان والزنتان ودرج .

هـ - ربط هذه العلاقة الاجتماعية بظاهرة الاستعمار ، وإقحام الثورة في مسألة اجتماعية ، ونسبه إليها أنها قامت بفعل إبطال هذه الأتوة كما يدعى ، أمر ينبغي عليه إثباته بالدليل والبرهان ، فالثورة جاءت لتعزيز العلاقات الاجتماعية والسلم الاجتماعي وتأكيد ، ولا يعتقد عاقل أن الثورة التي واجهت وطردت ثلاثة من أعتى أشكال الاستعمار من إيطاليين وبريطانيين وأمريكيين ، قد رأت في هذه العلاقة بين الرجبان والزنتان وأهالي درج علاقة استعمارية تطلب مواجهتها بفعل ثوري ، كما يدعى القشاط .

---

1 - فتحي ليسير ، خليفة بن عسكر بيوغرافيا قائد غامض ، مركز سرسينا للبحوث حول الجزر المتوسطية ، مطبعة صفاقس ، الطبعة الأولى ، إبريل 2001 ، ص 49.

## 2- حوادث الطابو ، والأسباب الحقيقية لإنشاء قائمقامية نجاد

أورد المؤلف في الفصل الثاني عند حديثه عن حوادث الطابو وإنشاء قائمقامية نجاد، النص التالي:- (( لجأت تركيا لبيع الأراضي لمواطنيها في البلاد العربية، وأصدرت قانونا عرف باسم قانون الطابو عام 1358هـ ولم يبدأ في تنفيذه بالنسبة إلى ليبيا إلا بعد إصداره بعدة سنوات. وعندما حاولت تركيا بيع الأراضي لأهالي المناطق الغربية وجاء قائمقام نالوت المسمى سليمان العزابي في لجنة لهذا الموضوع، ثار أهالي الصيعان وقتلوا القائمقام ومساعدته سليمان بن ساسي وحملوا إبلهم وارتحلوا حيث نزلوا بالقرب من الحدود خوفا من البطش التركي واستعداداً للمعركة التي قد يكون الأتراك يعدون لها ثأراً للقائمقام. ولكن [رجب باشا] والي طرابلس كان أبعد نظراً من أن يهاجم هذه القبائل من أجل موظف قتلوه. فبدأ معهم في سلسلة من المراسلات أفنعتهم فيها بالرجوع بعد أن أثبت لهم حسن نية الدولة ، وأنها عفت عنهم شريطة أن يدفعوا لأسر القتلى فدية. وأرسل إليهم ابنه [نجاد] صاحبهم في طريق العودة ترافقه فرقة من العساكر. وقد جمع الصيعان ستة وستين حقة دفعوها لأسر القتيلين. وسمى رجب باشا قائمقامية الحوض باسم ابنه [نجاد] وسمى الصيعان منذ ذلك التاريخ قوم [نجاد] ونجد مراسلات الشيخ سوف المحمودي باسم [قائمقام نجاد] وكانت هذه القائمقامية تضم الصيعان والنوائل والحرارات القديرات، وأولاد شبل وقصر الحاج. وفي عودة الصيعان من الحدود إلى أراضيهم برّ المشير رجب باشا بوعده وسجل باسمهم الأراضي التي بحوزتهم دون أن يدفعوا شيئاً...))<sup>(1)</sup>.

كما أن المؤلف أورد نصّ وثيقة إنشاء قائمقامية نجاد في صفحة (443) ولكن باللغة التركية مشيراً إلى أن الأستاذ عبدالسلام أدهم قد قام بشرح محتواها له لتأكيد ما أراد أن يشير إليه في هذا الموضوع.

وقبل أن نورد نصوص الوثائق التي تفنّد ما رواه محمد سعيد القشاط نشير

إلى الملاحظات التالية:-

\*- بدأ القشاط روايته عن حوادث الطابو بمغالطة تاريخية تتم عن التسرّع وعدم التدقيق في المعلومة ، حين أشار إلى أن تركيا أصدرت قانون الطابو عام 1358هـ

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص75.



وهو العام الذي يقابل في التقويم الميلادي عام " 1939 " ، مضيئاً أن تركيا لم تبدأ في تطبيقه إلا بعد عدة سنوات ، ولا أحد يدري على أي مصدر تاريخي ، أو راوٍ استند "المؤرخ" محمد سعيد القشاط على وجود دولة عثمانية قائمة إلى العام الذي يسبق ميلاده ببضع سنوات !!!! .

من جهة أخرى ، ثمة فكرة تتأكد للقارئ كلما ركز على تحليل كتابات القشاط هي أن القشاط لا يكتب بناء على قراءات وتحليلات لوثائق ونصوص تاريخية ، بل يكتب المحكي والمروي عن الرواة، دون أن يكلف نفسه عناء البحث والتدقيق والتحصيص ، ويستخدم كلمات ومفردات تبتعد عن المعنى الحقيقي للحدث ولا يجوز أن يستخدمها من يطمح أن يدعى بالباحث ، أو المؤرخ ، فهو يقول على سبيل المثال في هذا الموضوع:- (( لجأت تركيا لبيع الأراضي لمواطنيها في البلاد العربية ، وأصدرت قانونا عرف باسم قانون الطابو .....)).

هذه الجملة التي بدأ بها القشاط حكاية طويلة تبيّن للقارئ العربي العادي أن تركيا نتيجة لضائقة مالية ألمت بها ، أو لتعسف ظالم منها ضد العرب ، قامت بالاستيلاء على أراضيهم ثم أعادت بيعها لهم ، ونظمت عملية البيع وفق قانون أصدرته وأسمته قانون الطابو، وتدفع به إلى اتخاذ موقف عدائي تجاه سياسة الدولة العثمانية .

أما الحقيقة التي يذكرها التاريخ ، وكان ينبغي على القشاط أن يتناولها بعقلية الباحث المنصف، فهي أن من إنجازات الدولة العثمانية أنها وضعت قواعد التسجيل العقاري الذي حفظ الملكيات الخاصة والعامة منذ ما يزيد عن (300) سنة بعد أن اقتبست ذلك النظام التوثيقي من أوروبا، ثم قامت في عام 1858"1247هـ" بإصدار قانون سمي [ قانون الأراضي ] وهو يتكون من (132) مادة وفيه تم تقسيم الأراضي في جميع أنحاء الدولة إلى ( 5 ) أنواع من بينها الأراضي الأميرية ، ثم أصدرت بعد ذلك ما سمي [ بنظام الطابو ] وذلك عام "1275 هـ" كما أصدرت [تعليمات سندات الطابو ] عام 1276 هـ . وهذان القانونان يعتبران كلائحتين تنفيذيتين لقانون الأراضي ، وهما يوضحان كيفية القيام بإجراءات التسجيل ، وبيع الأراضي الأميرية ، وتحديد الرسوم الواجب دفعها وما إلى ذلك من إجراءات قانونية.

\*- قام المؤلف بسبك رواية أساسها امتناع أهالي الصيعان عن بيع أراضيهم وقيامهم بقتل القائمقام ومساعدته لهذا السبب ، وقد أجبرت قوة القبيلة الدولة العثمانية على ترضيتهم ، ومن ثم انشاء قائممقامية نجاد حسب الرواية المذكورة ، وقد استعان بوثيقة أشار إليها بالهامش رقم (1) وتحمل هذه الوثيقة رقم (5) في ملاحق كتابه وبالرجوع إلى نصّ الوثيقة رقم ( 5 ) وهي عبارة عن تقرير مقدّم من قائممقام نالوت وجملة من الأعضاء حول امتناع الصيعان وتراجعهم عن تنفيذ ما جاء في مضبطة الأراضي التي سبق أن وقعوا عليها بالقبول بمناصفة الأراضي بينهم وبين أهالي نالوت، وفي إشارته إلى مقتل القائمقام ومساعدته السابق ، أوضح أن السبب كان بتدبير من أهالي نالوت دون أن يشير أو يؤكد أن السبب هو بيع الأراضي أو غيرها ، والنصّ هو : - (( وعلى ما بلغنا وصار مسموعنا سبب قتل الصيعان لسليمان بن ساسي المومي إليه بتدبير من أهالي نفس نالوت ...)) ، أي أن التدبير كان من أهالي نالوت وليس من الصيعان.

\*- ذكر في الفقرة الثالثة أن رجب باشا كان أبعد نظراً من مهاجمة هذه القبائل ويقصد (الصيعان) ، وبدأ معهم مراسلات الخ ، وللقشاش غاية من الزجّ باسم رجب باشا في الموضوع ، فهو يقصد حين يذكر الأمر على هذا النسق أن يتشبه بنفس الموقف الذي اتخذته الوالي رجب باشا حين رفض التدخّل لوقف الحرب الدائرة بين قبائل الرجبان والزنتان من جهة ، وأولاد بوسيف من جهة أخرى ، وقد أورد الحكاية عبدالرحمن عزام في مقال بعنوان [عبرة الحرب في الجزيرة] جاء فيه : (( كان رجب باشا رجلاً فذاً غريب الأطوار بعيد النظر فوقع أثناء ولايته حادث جرّ إلى حرب طاحنة بين قبائل الزنتان والرجبان وأولاد أبي سيف . وكان بين يدي رجب باشا من الوسائل المادية ما يمكنه من منع الحرب أو إيقافها على الأقل كما أن له من النفوذ الأدبي ما يعينه على عمل ما يريد ولكنه أبى أن يتدخل وواجبه - فضلاً عن آمال الناس فيه - إن يتدخل فعجب الناس من أمره وألحفوا في سؤاله وهو لا يجيب . فلما جاء دور الإجابة عمل لإنهاء الحرب وإقرار السلم ثم همس في أذن الناس أنه أراد أن تتعلم هذه القبائل صناعة الحرب وأنه لذلك يأمل أن يكون الزنتان والرجبان وأولاد أبي سيف أعصى القبائل على الطليان وأمنعها في الدفاع عن البلاد يوماً ما .. ولم يعيش رجب باشا طويلاً ليرى كيف تحققت نبوءته. فإن

هذه القبائل استمرت في الكفاح ضد الطليان عشرين سنة حتى خرجت من أوطانها مهاجرة إلى الجزائر في سنة 1930))<sup>(1)</sup>.

لقد أراد محمد سعيد القشاط من سبك روايته على هذا النسق المشابه أن يرسم لقبيلته صورة القبيلة المقاتلة المنيعه ، كي يؤسس بعدها طرح ما يريد أن يطرحه من أدوار بطولية ، حين ذكر لاحقاً أن قبيلته هي القبيلة الوحيدة التي ظلت تقاتل الطليان بعد انسحاب كل القبائل الأخرى.

\*- أما فيما يتعلق بأسباب إنشاء قائممقامية نجاد ، فيلاحظ التحريف ، وعدم صحة الرواية التي قدّمها ، فالحقيقة أن الأسباب التي دعت السلطات العثمانية لإنشاء قائممقامية نجاد ، ليست حوادث الطابو كما يزعم القشاط ، أو كما ورد في بعض المقالات<sup>(\*)</sup> ، وإنما كان السبب هو السعي لحماية الصيعان من ظلم وتعدّيات قبيلة ورغمة التي أضرت بقبيلة الصيعان ، حيث تشير الحقائق المنقولة عن الوثائق العثمانية أن قبيلة الصيعان هاجرت إلى الأراضي التونسية هرباً من تعسف بعض الولاة الأتراك ( متصرف الجبل راغب بك المصري ) ، وجوره بالاعتداء بالضرب على أحد مشائخها، مما اضطر الوالي التركي حسن حسني إلى توجيه رسالة تعنيف وتحذير لمتصرف الجبل مؤرخة في 29 ذي القعدة 1304 يقول فيها:- ((...يروى أن بسبب ضربكم أحد مشايخ الصيعان رحلت قبيلته إلى تونس كما أن عدم ذهاب مشايخ النوايل إليكم وقدمهم إلينا كل سببه الخوف من الضرب إن هذا الإجراء من الأسباب الموجبة لنفرة الأهالي وتوحشهم .... إن أفراد أولاد خليفة وبني حامد يلحقون الأضرار بأهالي جانبنا وعدى ذلك فإن السماح لأهالي منطقة في حالة نزوحهم عن موطنهم بالبقاء بل الإقامة على حدود تلك المنطقة سياسة لا يجوز... الأمر الذي قد تؤدي هذه الأعمال إلى قيام الفرنسيين بالشكوى وأخيراً يضطرون للتحرك ضدنا أفيدكم بأن تحسين العلاقة بينكم وبين الصيعان والنوايل في هذه الآونة ليساعدوا مقام متصرفيتكم في ترحيل من ذكرت لجانب الشرق سياسة لها أهميتها وجوبها ))<sup>(2)</sup>.

1 - د. محمد عبدالوهاب الزنتاني ، حقيقة الدفاع عن معارك الجبل الغربي ضد الغزو الإيطالي ، الجزء الأول الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ودار اليوم للإعلام المحدودة ، طرابلس ، 1993 ، ص 255 .

\* - جاء في مقالة للدكتور محمد عريبي بعنوان (( الإرشيف الوطني في الجماهيرية ) أن سبب التسمية هو تكريماً لإبن رجب باشا "نجا" وهي معلومة غير صحيحة وتتناقض مع ماورد في رسالة الوالي حسين حسني المتعلقة بسبب إنشاء القضاء واقتراح تسميته .

2 - د . أحمد الدجاني ، المصدر السابق ، الوثيقة رقم 38 ، الصفحة 64.

ويورد القشاط أيضا في ملحق كتابه ((من قيادات الجهاد الليبي )) عدداً من الوثائق المتعلقة بهذه الأحداث، ومن بينها الوثيقة رقم (6) وهي عبارة عن رسالة موجّهة من والي طرابلس إلى أهالي الصيعان المقيمين في تونس يحثهم فيها على العودة إلى أوطانهم، ويتعهد فيها بحمايتهم من اعتداءات قبيلة ورغمة عليهم عند عودتهم، ويخبرهم بنية الولاية إنشاء قائمقامية لهم، وتقول الوثيقة:- ((... وإنكم راودتم الأهالي إلى الرجوع إلى وطنكم وأنتم خائفون من ورغمة والعمال إلى آخر ما ذكرتم ... فإذا تقرر هذا في أذهانكم وكان لكم مانع ترددتم في أجله وتوقعتم أن ورغمة يصدونكم أو يجبروا عليكم فعرفونا ونحن نعرف حضرة ذي الدولة والي تونس ونلتمس من مقام علياه أن يزيل ذلك المانع ولا جرم على ما نؤمله من حسن إنصافه أن يزيله أو نرسل مع ذلك مأمورا من طرفنا في عقد سبب من العساكر السواري الشاهنية يستقبلكم عند الحدود ويتفانم تمهيدا لبلوغ مرادكم ومن التسهيلات أيضا أننا جزمنا على جعل قائمقامية مجدده مواليه لكم وتكونوا من جملة أهاليها وبذلك تنظم الأمور ويحصل بالانتظام ما يريحكم وتحمدون عقباه ...))<sup>(1)</sup>.

وقد استمرت قبيلة ورغمة بتحريض من الفرنسيين على مهاجمة قبائل الحدود وإثارة الرعب فيها ، والاستيلاء على مواشيتها وأملأها ، خصوصا قبيلة الصيعان التي كانت تتعرض بشكل مستمر لعدوان هذه القبيلة ، وكذلك أهالي منطقة درج وإذا كان القدر قد أراد لأهالي منطقة درج أن يتخلصوا من تعديت تلك القبيلة بعد أن استنجدوا بقبيلتي الرجبان والزنتان اللتين سارعتا بالتصدي لقبيلة ورغمة وهزيمتها شر هزيمة ، وإجبارها على عدم تكرار غزو درج ، فإن الأمر لم ينتس لقبيلة الصيعان التي أخذت تستنجد بالسلطات التركية للتدخل ، وحمايتها ورفع الأذى عنها ، فهاهو الشيخ سعد حلبودة الصويعي يرسل رسالة إلى الوالي يخبره فيها بعزم قبيلة ورغمة الاستيلاء على وادي مغري الذي يشكل عصب الحياة للقبيلة ، وبدونه ستعاني القبيلة من شطف الحياة وقسوتها ، ويستنجد بالسلطات التركية لحمايتهم ، وهي مؤرخة في 20 محرم 1308 وفيها يقول:- ((...والحال سيدنا إذا هم فكوا وادي مغري إن هو لأبائنا وأجدادنا وملك من أملاكنا نصيروا محرومين من الحرث الذي هو المعيشة . المطلوب من حضرتكم أن تنظروا في حالنا ولا يصير علينا الظلم مع وجود دولتنا العلية ومنتظرين منكم ما يكون ذلك

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص437.

والسلام))<sup>(1)</sup>، رغم أن القشاطر قد بالغ في موضع آخر من كتابه في وصف الشيخ سعد حلبوده بالقول :- (( وكان له دور محمود في الدفاع عن الحدود عندما أرادت فرنسا زحزحتها لصالح تونس على حساب الأراضي الليبية...))<sup>(2)</sup>.

كما أورد القشاطر وثيقتين أخريين مكتوبتين باللغة التركية ، قدّم لهما على أنّهما توضّحان عودة الصيعان ، وإنشاء قائمقامية نجاد ، مشيراً إلى أن الأستاذ عبدالسلام أدهم قد قرأ له فحواهما ، ويبدو أن القشاطر أراد وضع هاتين الوثيقتين بنصّهما التركي حتى لا يطلع القارئ على مضمونهما ، وهما منشورتان في كتاب [وثائق تاريخ ليبيا الحديث] الذي أوردته القشاطر كمرجع في الهامش رقم (1) في الصفحة (68) ، ولكنه لم يثبتته في قائمة المراجع ، مما يؤكد إطلّعه على الوثيقتين باللغة العربية كما ترجمهما الأستاذ عبدالسلام أدهم في الكتاب المذكور.

ونورد فيما يلي الوثيقة الصادرة عن الوالي التركي حسين حسني التي توضح الأسباب الحقيقية لإنشاء قائمقامية نجاد ، والتي ترجمها الأستاذ عبدالسلام أدهم ونشرها في كتاب [وثائق تاريخ ليبيا الحديث] تحت رقم (147) وعنوانها:- ((رسالة من الولاية إلى نظارة الداخلية)) وهي ذاتها التي وضعها القشاطر بنصّها الأصلي (التركي) تحت رقم (9) في الصفحة (443) من كتابه (( من قيادات الجهاد الليبي)).

#### نص الوثيقة 147:-

##### رسالة من الولاية إلى نظارة الداخلية

لما كانت الإدارة التونسية تعامل بالتسامح مع رجال ورغمة المشهورين والمزعجين الذين عينتهم باسم سباهي على خط الحدود فإن هؤلاء يضايقون قبائل ناحية الصيعان التابعين إلى لواء الجبل الغربي والمقيمين على طول الحد الفاصل ليجبروهم على الهجرة إلى الدواخل إن مكافحة وإزالة المحذور داخل الولاية ممكن إلا أن إلحاق قبائل النواتل الشجعان والذين كانوا مجاورين ومحبيين للصيعان وقوة الظهر لهم ، إن إلحاقهم بقضاء زوارة أدى إلى فصم الرابطة التي كانت موجودة بين القبيلتين وعدى عن أنها ستزِيل بالتدريج القوة والتعاون الذي كان قديما بين الطرفين وبناء على ظهور الشقاق وعدم الوفاق بين الصيعان الذين أصبحوا

1 - المصدر السابق ، ص 440.

2 - المصدر السابق ، 285.

لوجودهم وأن ورغمة بالاستفادة من ذلك بدأت بين الفينة والفينة تهدد الصيغان وتنهب مكسوباتهم فقد أظهر الصيغان عجزهم ضد هذه الأعمال واستولى عليهم الخوف والوجل وعليه فمن أجل منع الاعتداءات والأضرار التي تحدث بين الفينة والأخرى من ورغمة . وبما أن المحافظة على تأمين واستقرار الصيغان هو المطلوب ونظراً إلى أهمية المنطقة التي يقيمون فيها وعجزهم بسبب الجهل والتخلف من التفريق بين الطيب والردئ وبما أن النوائل والصيغان المتصلين ببعضهم والمتجاورين أحوالهم وحركاتهم وأمزجتهم وعاداتهم متماثلة ولما تأكدنا من إمكان إدخال هاتين العشيرتين الهامتين والجسيمتين المقيمتين في البداية إدخالهم بالتدريج في نطاق الحضارة يجعل من الممكن إعمار أراضيهم الخالية من كل آثار العمران ولدى التدقيق تبين أن المراتب السنوية التي تجبى من ناحية الصيغان مقطوعة تبلغ (140380) وضريبة الأغنام (2259) وأن المتوسط السنوي لحساب الأعشار (34169) قرشا والمجموع (181809) قرش وحيث أن قبائل النوائل حتى الآن يعتبرون مستثيين من أداء ضريبة الويركور (الرأس) وأن ضريبة أملاكهم التي جرى إثباتها في الدفاتر وقدمنا كشف الموازنة ولكن لم تصدر بعد الموافقة الملكية عليها تبلغ (74778) قرش وبالنظر إلى إعمار سني أعشار أعوام (321، 22، 23) فإن حساب متوسط أعشارهم (230237) قرش أي أنه عدى ضريبة الأغنام لم يجري بعد تحضيرها إذا جرى ضمها إلى ما مجموعه (305015) فقد يحصل : (486824) قرش وبهذا يصبح من الممكن توحيد القبيلتين وتشكيل قضاء وفيما يتعلق بالتخصيصات لهذه العملية فإنه بإلغاء ناحية العالونة التابعة لقضاء النواحي الأربعة وبالنظر إلى ما بين القبائل من جوار ومناسبات فالحاقها بناحية الرقيعات يوفر مبلغ (1050) وبالإضافة إلى مخصصات مديرية الصيغان يبلغ (2145) قرشا يدفع منه إلى قائمقام القضاء المراد تشكيله (1125) قرشا ولمدير المال (450) ولكاتب التحريرات (350) ولأمين الصندوق (210) وللقرطاسية عشرة قروش . ولما كان توحيد القبيلتين وتشكيل قضاء من الدرجة الثالثة بموقع القراية باسم (نجاد) ويكون في الوقت الحاضر مربوط بمركز الولاية أشير إليه في الخريطة المقدمة طيه بحرف (م) أصبح ضروريا وذا فائدة لدفع شر المعتدين فإن تشكيل ما هو معروض أعلاه ممكن بإلغاء ناحية العالونة وإحاقها بناحية الرقيعات ، وأن يكون القائمقام الذي يعين لهذا القضاء من الواقفين على أمزجة

وعادات القبائل المذكورة ويرجح أن يكون بالفعل من رؤساء القبائل ، وبما أن السيد محمد الأمين أحد رؤساء قبيلة أولاد بوسيف التابعة إلى لواء الجبل الغربي مماثل في الشجاعة إلى تلك القبائل وتتوفر فيه الأوصاف اللازمة والكفاءة والإخلاص الأمر الذي يتناسب مع أهمية مركز النوائل والصيغان فإني أعرض واسترحم تعيين المومي إليه إلى هذه القائمقامية المقترحة و صدور المساعدة الجليلية لنظارتكم الجليلية، وذلك من أجل المصلحة والأهمية البالغة والأمر في ذلك لحضرة من له الأمر.

13 مارت سنة 1325

4 ربيع أول سنة 1327 و 26 مارس سنة 1909

والي الولاية

حسين حسني<sup>(1)</sup>

---

1 - د. أحمد صدقي الدجاني، المصدر السابق ، الوثيقة رقم 147، ص 252.

### 3- نسب قيادة المجاهدين في المنطقة الغربية

#### والجبل إلى الشيخ محمد سوف المحمودي

أشار القشاطر عند تناوله لبيدات الغزو الإيطالي لليبيا بأن أسطول إيطاليا دكّ مدينة طرابلس يوم 29 سبتمبر 1911 ، وأورد بالنصّ ما يلي:- (( تنادي الليبيون للجهاد ، وزحفوا من مختلف مناطقهم على العاصمة طرابلس وبنغازي للدفاع عنهما ، وكان الشيخ سوف المحمودي هو الشخصية المعروفة في المناطق الغربية فتكثرت حوله القبائل الغربية من ليبيا : الصيعان النوائل ، زواره عجيلات علاقة ، سعفات ، خويلد ، وريمه ، حميدات حرارات ، قديرات شعاليل صرمان الزاوية ، زنتان ، ورجبان ، وغيرها .. ))<sup>(1)</sup>.

إن الكتابة في التاريخ في العادة يحكمها منطق ، ومنهج ، وعقلانية وأخلاق وأمانة ، ينبغي أن تتوفر فيمن يتناول هذه الأحداث بحيث تعطي مصداقية للأفكار والآراء التي يطرحها ، ولا تؤثر العاطفة والميول ، والأهواء الشخصية والمزاجية والمؤثرات النفسية على الكاتب ، فيجرح إلى الانحراف في التفسير والتقرير ، خاصة وأن تاريخ المرحلة قاسم مشترك لكل الليبيين لا يجوز العبث به أو تحريفه من أيّ كان ، ولأيّ سبب .

لقد طرح المؤلف في هذا النصّ أفكاراً مجانية للواقع ، بعيدة عن الحقيقة وغير مطابقة للوثائق التي تناولت تلك الفترة تحديداً ، ودون التعليق على طريقتيه في ذكر أسماء القبائل التي تنادت للجهاد ، فإنه لم يتورّع عن الإساءة إلى الشيخ سوف المحمودي حين يقممه في رواية مفتعلة ، ويضعه قائداً عاماً التفت حوله قبائل المنطقة الغربية مخالفاً بذلك الحقيقة التي تؤكد كل الوثائق التاريخية المثبتة والموثقة ، بل تجاوز أكثر من ذلك حين أشار إلى معركة أبي كماش وجعل القيادة العليا للشيخ سوف على جميع المجاهدين بمن فيهم الشيخ سليمان الباروني الذي جعله لا يقود إلا (135) مجاهداً من الزنتان والرجبان فقط ، قائلاً في تعليقه على الجدول المرفق في كتابه :- (( وإن الأشخاص الذين ذكرهم الأستاذ مصطفى كله على قبيلته ، أما القيادة العليا فهي تحت راية الشيخ سوف المحمودي ))<sup>(2)</sup>.

إن نسج الروايات على النحو الذي أورده القشاطر يضع شخصية الشيخ سوف المحمودي أمام ردود تقنّد هذه الرواية وتنتقدها ، وبما لا يليق بقائد ومجاهد

1 - القشاطر ، المصدر السابق ، ص80.

2 - المصدر السابق ، ص81.



من حجمه أن يحمل أخطاء أحد الكتبة تقوده عواطف وأهواء ، يكون ضررها في كثير من الأحيان أكثر من نفعها ، هذا إذا كانت نيّاته سليمة ، أما إذا كان العكس فهي فرية يقصد منها دق إسفين بين القبائل من خلال التلاعب بحقائق التاريخ .

**فوقائع الأيام الأولى للحرب تشير إلى أن القائد الذي كان يقود المجاهدين في المعارك في ولاية طرابلس حتى توقيع صلح أوشى عام 1912 ، هو القائد التركي (نشأت باشا) ويعاونه من الجانب الطرابلسي الشيخ سليمان الباروني باعتباره مبعوث لواء الجبل ، والحاج محمد خليفة فكيني الرئيس الثاني لجمعية الاتحاد والترقي عن لواء الجبل ، وفرحات الزاوي عن الساحل ، والشيخ محمد سوف المحمودي ، والشيخ عبدالنبي بالخير عن ورفله ، ورمضان السويطي عن مصراته ، وأحمد المريض عن ترهونة ، وأبناء كعبار عن غريان ، والشيخ محمد بن عبدالله البوسيفي عن القبلة ، وعلي بن تنتوش عن ورشفانه الخ .**

**وتؤكد هذه الحقيقة المراسلات التالية التي تؤرخ لبداية الغزو، واستعداد أهالي الجبل جميعاً لمواجهة على الساحل الليبي ، وليس انتظاره إلى حين وصوله إلى الجبل حيث روت دمائم الطاهرة مختلف بقاع ومناطق الساحل ، وهي ذاتها التي تحدّد شكل ودور قيادات الجهاد في بدايات تلك المرحلة الهامة .**

\* - الوثيقة رقم (1)

(( مبعوث اللواء

إلى حضور أخينا الشيخ سليمان أفندي ، وكافة أعيان فساطو فساطو

بعد السلام عليكم ، ورد لنا جوابكم اليوم الساعة واحدة ونصف ، واعلموا أن البارحة لما قدم مدير المال وأخونا مسعود وأخبروني كتبت لأعيان الزنتان وأعيان الرجبان وأكدت عليهم بملاقاتي بالمركز اليوم وأرسلت مخصصين وبعد ساعتين أو ثلاثة قادم لطرفكم، وربنا يحفظ ولايتنا، نموت شهداء ولا نرضى بالذل والسلام .

13 أيلول 1329

13 سبتمبر 1911

أخوكم

محمد فكيني((1).

1 - زعيمة الباروني ، صفحات خالدة من الجهاد الليبي ، الجزء الأول ، ص165.

\* - الوثيقة رقم (2)

(( الحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حضرة الفاضل مبعوث لواء الجبل المحترم الشيخ سليمان الباروني

والحاج محمد افكيني وجماعة الجماعة.

بعد السلام عليكم ، وبعد لم نأخذ الخبر المفصل أبداً ، والآن سمعنا أن المركز ضبطه العدو ، لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ! تكررنا الكدر الذي ليس له وصف . بوصول هذا عرفونا مفصلاً بالواقع حالاً لأننا في دهشة ربنا يفرج ويسمعنا الخير ، والسلام

1328-13 أيلول

أحمد عراب      عمر أبو الأحباس      محمد بن سعيد  
عمر ...      سعيد بن عيسى      ساسي خزام      إبراهيم أبو الأحباس  
أحمد بن أحمد      علي بن محمد عبازة ((1)

\* - الوثيقة رقم (3)

(( الرئيس الثاني لجمعية الاتحاد أخونا الحاج محمد أفندي فكيني

جاءنا تلغراف في إرسال سواري المتطوعين سريعاً ، بناء عليه سنجتمع غداً كافة الموجودين هنا والرحيبات وقدرهم (25) يقينا إن شاء الله ، فاركب بنفسك وحضر لنا ما عندك ولا تترك أحداً . وهذه تذكرة الزنتان أرسلها لهم ليحضروا وتكون الحركة يوم الاثنين صباحاً إن شاء الله على اللواء ، وهاهو أرسلنا لهم تلغرافاً لإحضار فرسانهم عموماً . فالهمة الهمة في ذلك !! فإن الحال ضيق جداً لأنهم قالوا : تأخيركم دقيقة واحدة هو خسارة عظيمة . وقد جاء تلغراف الآن بأنه صار إعلان الحرب والتشبيت في الصلح جار ، لعلمهم لما رأوا قوة حركتنا خافوا قهرهم الله . فعلى كل الأحوال التأخر دقيقة واحدة مضر والسلام .

مبعوث

9 شوال 1329 - 18 أيلول

سليمان الباروني

وكلفهم يستصحبوا معهم مصروف حفظة على الأقل في طرابلس ، وإذا علمت أن الحال سيطول نتدبر في الأمر إن شاء الله ((2).

1 - المصدر السابق ، ص 165.

2 - المصدر السابق ، ص 167 .

\* - الوثيقة رقم (4)

((أخونا الرئيس الثاني للاتحاد والترقي الغيور الحاج محمد بك فكيني حفظه الله.

سلام عليكم ، غالبا لا تصير حركتنا غدا صباحا لأن الخيل القريبة لم تحضر إلى الآن ، وحسب المسموع أن خيل الزنتان كذلك لا تحضر غدا فأما أن تكون الحركة مساء أو بعد غد عند طلوع الشمس على كل حال ، وسنعرفكم غدا أيضا وسط النهار . وانظر وكيل الشيخ عبد الوهاب يسلم لك قيطونه لأنه حسب المسموع كبيرهم فلتنك القياطين حاضرة مربوطة إذا مرت عليها الإبل تجدها وإذا أمكن إرسالها على جمل غدا أو حمير إلى طرفنا لننصب الجميع في [ أو عثمان] تهيجا وتشجيعا للناس فأحسن أحسن ، ويكون رفعهم من هنا معا مرة واحدة ، أما حوائجك وما يلزمك فلتنك على جملك الذاتي . هاهي الإبل قادمة لطرفكم وخوفا من الفرار في الثنية بمناسبة الظلام رفق معها عدة أنفار للمراقبة إلى قصر الحاج والله الحافظ. حسب كلام ساسي أفندي أن الخيل في جهة الجبل ستكون كثيرة أكثر من جهتنا إن شاء الله ينستر الحال .

فساطو رئيس جمعية الاتحاد

9 شوال 1329-18 ايلول

سليمان الباروني ((<sup>(1)</sup>

\* - الوثيقة رقم (5)

(( إخواننا أشرف وأعيان وسائر أهالي قضائنا فساطو والرحيبات والرجبان والزنتان حفظهم الله / شوال .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وإنا نحمد الله في السراء والضراء توجهننا من عندكم على نية الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الدين وشرف الدولة ، وقد سمع نداعنا القاصي والداني ، ودوى صوت طبولنا وقرقعة سلاحنا بين الأودية والجبال ولكن مع الأسف لم نبلغ المرام ولم يحصل المقصد ، إذ قد وصلنا فندق ترينه فوافتنا الأخبار بدخول العدو مدينتنا بشبه تسليم أو طلب من سكانها - إن صح الخبر- فعظم علينا الأمر جدا فعدلنا على التوجه إلى زنزور للاجتماع بأعيانها

1 - المصدر السابق ، ص 168.

فبلغنا أيضا أنهم قرروا تقديم مضبطة إلى العدو في التسليم كأهل المدينة ، فآزاد أسفنا فلوينا أعنة خيلنا إلى معسكرنا وكان مركزه في سواني بني آدم شرقي المدينة فوصلناه واجتمعنا بالقومندان بعد نصف الليل ، فوجدناه ممثلنا غيظا على ما ارتكبه أهالي المدينة وما جاورها من السواحل من التسليم وبالذاكرة معه ومع الضباط تقرر لدينا لزوم الرجوع وعدم المكث إذ لا فائدة فيه ، حيث أن العدو لم يخرج قوته إلى البر ولا يمكن حصول المحاربة في هذا الزمن القريب . ثم ذكر لنا أن أهم شيء عنده هو إرسال الإبل إليهم لنقل ما عندهم من الذخائر والأسلحة إلى المحلات المنيعة من جبل غريان والجبل لحفظها هناك وبقاء المدافع وما يلزم من الذخائر الكافية إذا نشبت الحرب فرأينا هذا الفكر مناسباً ، وأن الأهم مقدم على المهم . فرجعنا إلى اللواء وقررنا مع أعيانه صرف الغيرة والاجتهاد في إرسال الإبل بدون تراخ . بناء عليه يلزمكم حمية وغيره إنسانية الاجتهاد في ذلك لينقل إليكم ما يلزم من السلاح مع ما يمكن نقله من الذخائر . والتلغرافات الواردة يوميا من دار السعادة تفيد أن الدولة مهتمة بولايتنا وأنها متشبثة بكل قواها في محافظتها والدفاع عنها ؛ فيلزمكم أن لا تصدقوا ما يرد إليكم من الإشاعات الكاذبة والأراجيف التي ينشرها أعداء الوطن وأصدقاء العدو .

ويلزمكم احترام المأمورين وامتثال أوامر الحكومة بدون تردد ولا شك ويلزمكم الاتحاد والاتفاق في كل ما يعود على الوطن والدين بالشرف والنفع ؛ وهذا رفقنا المحترم الحاج محمد افندي افكيني يشرح لكم حقائق الأحوال حسبما شاهدناها وسمعناها ؛ فليكن منكم العمل معه بيد واحدة وقلب واحد ، والله الموفق ، وإين تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم] .

جواب فسطو بعد رجوعنا من مركز الأردن في سانية بني آدم.

**ملحق خير إن شاء الله** تقرر عندنا بالذاكرة مع أعيان مركز اللواء جمع نحو 500 رجل من الشجعان الذين يفدون بأنفسهم وأرواحهم الدين والوطن والتوجه بهم إلى مركز القومندان بصفة عسكري متطوعين ، نقيم مع الأردن في سواني بني آدم لندفع الأعداء إذا أرادوا الهجوم إلى أن يتم نقل الأرزاق والمهمات الحربية من هناك إلى الجبل وغريان ، ثم نشكل جيوشا ببيادة وفرسانا للغارة والهجوم عليهم إذا حطوا في النخيل إلى أن يأتينا المدد من الدولة إن شاء الله فعلى من يرغب في نيل الجنة منكم أن يقيد اسمه ويحضر بعد 3 أيام ومعه زاد 4

أيام فقط [ أعني الزاد الذي يوصله إلى مركز الأردن ثم تكون مؤنثته من الأردن] فبادروا رحمكم الله فإن باب الجنة مفتوح أمامكم ومحجتها واضحة ومن يتأخر يندم ويصير محروما . وقد قررنا أن نتوجه نحن وحضرة القاضي وكيل المتصرف مع هذا الجند . والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور . ودمتم .

مبعوث الجبل: سليمان الباروني ((<sup>(1)</sup>)

#### \* - الوثيقة رقم 6

(( تلغرافات

من الشيخ سليمان الباروني ونائب مركز لواء الجبل ، إلى شجاعان الرياينه . بسم الله الرحمن الرحيم، من يبغى منكم الجنة وها هي قدامكم، أردنا المسير إلى مركز الفرقة بخمسمائة من شجاعان الجبل مستعينين بالله تعالى فاحضروا منكم 30 وارسلوهم في اليوم الثاني . ومع كل واحد نفقة ستة أيام . وبادروا الجنة والمبارزة وكونوا حاضرين ، والسلام عليكم وعلى المسلمين ورحمة الله وبركاته .

مبعوث الجبل : سليمان الباروني

" نسخة إلى الرحيبات " 28 أيلول 327 وكيل المتصرف : عارف

حضرة الأفاضل الكرام إخواننا سالم افندي وكيل المدير وأعيان وأشراف الزنتان كافة ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وإنا نحمد الله ، أرسلنا إليكم جوابا مفصلا عموميا مع رفيقنا الحاج محمد افكيني ، وقد انتخباه لأن يشرح لكم الأحوال ونخاطبكم بواسطته فيما يلزمنا وكلفناه بالإعتناء بذلك حسبة لله وخدمة للوطن والدين فيلزمكم مساعدته والمشاورة والتدبير معه بالاتحاد قلبا وقالبا والله ولي التدبير والسلام عليكم أجمعين . والمقدار الذي تتفقون عليه من الرجال يكون توجيههم إلينا بوجه السرعة والسلام / 17 شوال 1329-28 أيلول 327 .

مبعوث الجبل . سليمان الباروني ((<sup>(2)</sup>)

1 - المصدر السابق ، ص170.

2 - المصدر السابق ، ص171.

\* - الوثيقة رقم (7)

((غريان - وكيل متصرف الجبل : عارف

العلامة المفتي افندي والنفاتي بك وعلماء وأعيان غريان الكرام كافة : كان مرادنا زيارتكم ولضيق الوقت ولزوم سرعة إرسال الإبل إلى مركز الفرقة رجعنا إلى مركز اللواء ، مؤملين منكم عذرا اعتمادا على أخوتكم وحميتكم ، وسنزوركم بعد يومين إن شاء الله للمذاكرة في جعل غريان موضع قوتنا ومركز حكومتنا والمدافعة مع عساكرنا عن شرف دولتنا وديننا والله معنا ] إن تتصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم].

17 شوال 1329 28 أيلول 1327

أعيان فساطو محمد افكيني مبعوث الجبل : سليمان الباروني ((<sup>(1)</sup>.

\* - الوثيقة رقم (8)

(( غريان

الهادي بيك كعبار ، سمعنا بترككم المأمورية وتشريفكم غريان، فحملنا ذلك على غيرتكم الوطنية وحميتكم الدينية، فله دركم ! فالله الله في تأليف القلوب وجمع الكلمة والاتحاد على تشييت الأعداء وتطهير وطننا العزيز منهم بالاتفاق مع عساكرنا المظفرة، وسنزوركم قريبا للمذاكرة 17 شوال 329.

محمد فكيني وكيل المتصرف  
عارف حكمت  
مبعوث الجبل سليمان الباروني ((<sup>(2)</sup>.

ولكثر الوثائق التي تؤرخ لتلك المرحلة ، والصادرة عن الشيخ سليمان الباروني أو الواردة إليه ، باعتباره مبعوث لواء الجبل في المنطقة الغربية من ولاية طرابلس والشخصية المحورية في حركة الجهاد في تلك المرحلة ، فإننا نكتفي بإضافة وثيقتين توضّحان بالإضافة إلى ما سبق ، مركز ودور كل القيادات في تلك الفترة .

1 - المصدر السابق ، ص 171.

2 - المصدر السابق ، ص 172.

الأولى:- رسالة موجهة من الشيخ سليمان الباروني إلى قائد القوات الإيطالية.

\*- (( من زاره / 16 تشرين أول سنة 327.

[ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين].  
أو أذهبوا مستسلمين.

إلى قومندان الأسطول الإيطالي الراسي في مياه طرابلس الغرب العثمانية .

هجمت على بلادنا وعليها العلم العثماني فنزعته بدون وجه مشروع، ودخلت البلاد بدون إذن فهتكت عساكرك الحرمات، وقتلوا الأولاد، والنساء، والشيوخ وارتكبوا أشنع الأمور: من تخريب الديار وتعطيل التجارة ونهب الأموال وقد جئنا لاستخلاص وطننا المعزز منكم وأخرجناكم من الساحل وقصر الهاني واستحكام المصري وما حول ذلك من السواني والبيوت، ورأيتم من الأبطال شجاعة وإقداما تزلزل الجبال حتى وصلنا الآن المنشية، ومرادنا دخول المدينة لركز علمنا العثماني فيها كمان ، فسلموا تسلموا وارجعوا إلى أوطانكم، وإلا فالمسئولية عائدة عليكم أمام الدول المتمدنة في كل ما يترتب على معارضتكم إيانا من الضرر والخسارة لنا ولأهالي المدينة وقد أنذرناكم ولاعذر بعد الإنذار.

مبعوث الجبل

/ 16 تشرين أول 327

سليمان الباروني ((<sup>(1)</sup>.

الثانية:- رسالة الشيخ محمد سوف المحمودي إلى الشيخ سليمان الباروني.

(( جناب المحترم الفاضل سيدي مبعوث لواء الجبل الغربي سليمان بك الباروني

دام محفوظا بعناية الله تعالى.

سيدي، بعد إهداء السلام والتحية والإكرام. أعرض لجنابكم السامي: أني وصلت مركز القضاء ، وأول ما باشرت في شأن المسألة التي كلفتم بها العاجز ، وهي إرسال صورة تعليمات الانتخاب، فوجدت أمرا من مقام الولاية يشعر بتأخير الانتخاب ، إلى أن تقدم أصول حقيقية كونهم طلبوها من نظارة الداخلية وتفصيل ذلك عرضته لجنابكم تلغرافيا، وإن شاء الله كلما يقدم لنا شيء في هذا الخصوص نبينه لكم تفصيلا، كما هو واجب علينا.

1 - المصدر السابق ، ص176.

سيدي، المرجو من كمال فضلكم أن تعاونوا عتيق الجميع [غلامنا عيسى] على تقييد الشعير والدقيق الذي بطرفه وهو حمولة بعيرين. والبعائر أرسلناها مع حامل الجواب. وملتمسين العفو من تصديكم سيدي. طرق سمعنا بأن [جاوش الشوشة] صار العفو عليه. أرجوكم بيان الكيفية ولو تلغرافيا. يأتكم صحبة الحامل نصيب بلح من محصول الجوش. والسلام أفندم حضرتلري. قائمقام نزاد

5 أيلول 328 - التوقيع بخطه- سوف ((1))

أما فيما يتعلق بمعركة (أبي كماش) ، وقوله أن القيادة العليا للمعركة كانت للشيخ محمد سوف المحمودي ، وبأن كل القادة بمن فيهم الشيخ سليمان الباروني كانوا تحت رايته ، فهذه مغالطة تاريخية ، فكل المصادر التي تناولت هذه المعركة لم تذكر أن الشيخ سليمان الباروني كان موجوداً ومشاركاً فيها. إذ يشير الشيخ الطاهر الزاوي وهو من معاصري تلك الأحداث والمشاركين فيها إلى ذلك بقوله :- ((... وفي يوم احتلال زوارة احتل الطليان شبه " جزيرة المخابز" قرب قصر بوكماش وهي جزيرة فروة ، وكانت تسمى رأس المخبز . وقد هجم المجاهدون على هذه الجزيرة يوم 6 من جمادى الأولى محاولين استردادها فلم يوفقوا.

وكان لميدان زوارة أهمية كبرى لأنه يعرض طريق الإعانات إلى الخطر ولذلك عني بشأنه عناية خاصة، وجمع له المجاهدون من كل ناحية فاجتمع فيه مجاهدو زوارة وخويلد والسعفات والنوايل، وكلهم من سكان تلك المنطقة ، وانضم إليهم فريق كبير من مجاهدي العجيلات والزاوية ، واختير له من رؤساء المجاهدين الشيخ محمد سوف، والسيد عبدالرحمن أفندي العروسي والبنباشي محمود أفندي القلاي الزاوي . وعلى رأس هؤلاء جميعاً قائد المنطقة العام موسى بك اليميني وهو مشهود له بالحنكة والنبوغ في الفنون العسكرية))<sup>(2)</sup>.

ويوضح من ذلك أن المعلومات التي أوردها القشاطر غير صحيحة سواء عن قائد المعركة الفعلي ، أو تضمين مشاركة بعض القبائل فيها ، وكذلك وضع اسم الشيخ سليمان الباروني كقائد ثانوي فيها يقود (135) مجاهدا فقط.

1 - المصدر السابق ، ص186.

2 - الطاهر الزاوي ، مصدر سابق ، ص 133.



#### 4- اجتماع الكونت سفورزا مع المهاجرين في تونس.

يورد المؤلف تحت عنوان الهجرة والمنفى حكاية عن مقابلة المهاجرين عام 1913 مع الكونت الإيطالي سفورزا الذي لحق بهم في محاولة لاستمالتهم وترضيتهم للعودة إلى البلاد ، وقد استند في هذه الحكاية كما يقول على ما ورد في أوراق بلقاسم كله التي تقول:- (( كلفت الإدارة الفرنسية في تونس كلا من:-

1 - مسعود العربي عامل مدنين.

2- بلقاسم بن حمادي ، خليفة تطاوين.

3- الباش شاوش نصر الزعلوك شاوش القرع.

وذلك لاستقبال المهاجرين الليبيين وتبليغهم أوامر السلطات الفرنسية بأنها ترحب بهم ، وتستقبلهم في أراضيها شريطة أن يسلموا أسلحتهم على الحدود، ويدخلوا إلى البلاد. سلم المجاهدون أسلحتهم على الحدود للسلطات الفرنسية في [مدنين] واستقرت القبائل المهاجرة داخل التراب التونسي من أوائل أبريل 1913. وفي هذه الأثناء التحق بالمهاجرين مبعوث من إيطاليا يدعى الكونت سفورزا. وهذا الرجل كان أحد جواسيس الطليان الذين أرسلوه لزيارة ليبيا في بعثة ظاهرها علمي قبل الاحتلال الإيطالي لليبيا. وعندما هاجمت إيطاليا ليبيا قبض عليه المجاهدون وأسروه ، وسلموه للشيخ سليمان الباروني بصفته عضوا لمجلس المبعوثان. وقد أكرم الشيخ الباروني هذا الرجل وأطلق سراحه . فاتخذت منه إيطاليا وسيطا بينها وبين الشيخ الباروني الذي اشترط أن يمنح استقلالاً داخلياً لمنطقة الجبل الغربي سماها [ الحكومة المختارة ] يكون لها ميناء [ زواغة ] . وبعد أن انكسر المجاهدون في معركة الأصابعة لم يعد لهذا المطلب قيمة لدى الطليان ، فأرسلوا سفورزا ليلتقي بزعماء المجاهدين المهاجرين ويطلب منهم العودة إلى بلادهم. التقى سفورزا بالشيخ سليمان الباروني في تونس العاصمة، وطلب منه العودة إلى وطنه وإلقاء السلاح والعمل مع إيطاليا كمواطنين. ولكن الشيخ الباروني طلب منه أن يلتقي بزعماء المجاهدين المهاجرين بتونس. وكانت هذه المجموعة تتكون من:

الشيخ محمد سوف المحمودي

الشيخ سعد حلبوده - الصيعان

الشيخ علي كله - الصيعان

الشيخ خليفة الربيعي - الصيعان

الشيخ حرب النائلي - النوائل

الشيخ مفتاح الحراري - الحرارات  
الشيخ ضو بن الحاج اللافي - العلالقة  
الحاج السايح العلاقي - العلالقة  
عبد اللطيف العاشق - صرمان

اجتمعت المجموعة عند المراقب الفرنسي في قابس وقال المراقب الفرنسي للوفد: إن الدولة الإيطالية بعثت إليكم سفيرها للصلح معكم . ويطلب الاجتماع معكم في هذا الخصوص. واطلبوا المكان الذي ترغبون الاجتماع فيه فاتفقت المجموعة على أن يكون الاجتماع في سوسة . وفرت الحكومة الفرنسية عربة تجرها الخيول وتوجهوا إلى سوسة في 15 رمضان 1331 الموافق 1913/4/10 وقد استقبلهم عامل سوسة الذي تناولوا الفطور في ضيافته. وبعد الفطور توجه الوفد إلى شط (أبي جعفر) في أحد فنادقه المسمى (قهوة رستون) نزل الوفد حيث قدم إليه السفير الإيطالي ومعه ترجمان يهودي وسفير بريطاني. قال الراوي رحمه الله تعالى والذي الشيخ علي كلا عندما طلب منا السفير الإيطالي التعريف والبيان أعطيناها ما طلب وسمينا له الجماعة فردا فردا ووظائفهم في عهد الحكومة العثمانية فعند ذلك قام السفير الإيطالي بمفرده وسلم على الوفد الليبي سلاما جديدا آخر وحده وبعد ما تم عليهم وجلس في مكانه وتكلم بلغة عربية فصحاء فقال أحمد الله الذي أنجاكم من هذه الحرب بسلام وليس على الملك الخيرة في المستقبل وإن الدولة الطليانية دخلت على دولة مثلها وأنتم أهالي لتلك الدولة المدخول عليها من طرف إيطاليا لا كن أنتم لما قمتم في وجه إيطاليا وحاربتوها وكونتم لها حربة وكانت حرب شديدة كادت الدولة الإيطالية أن تنهزم فيها وتقهقرت أشد التقهقر وخسرت فيها خسارة كبيرة وكبيرة في كل شيء ليس الدولة الإيطالية مؤاخذتكم على هذه الحرب ضدها لا بل أعطت لكم الحق في ذلك وأنتم على الحق وهي الظالمة والغازية عليكم وأنتم ليس عملتم إلا الواجب الوطني والديني وأنتم بحريكم هذه عزيزم على دولة إيطاليا عزا (----) ولا كن الإنسان لا يعلم أين خيرته في الدولة الأولى و إلا في هذه . أيها الأبطال لا تسمع كلام المكاره والحساد من بعض الدول يقولون لكم إن إيطاليا دولة خائنة لهم لم تصلح والله إن دولة الإيطالية هي أصل أوروبا وهي العريقة في جميع البلاد والدول خرجت بعدها وهي رومة الحرة لا كن أسباب التي ضعفت بها دولة إيطاليا هو كرم أبنائها وتبديهم (---) الإيطاليين كامل يوميته خمسة فرنك ذلك الوقت يأتيه ضيف من أهله أو من غير موسم كرم

الضيافة لكن اليومية لم تكفي لذلك الكرم يتسول سواالا يومين أو ثلاثة مستقبلا يأتي يكرم ذلك الضيف ومثل هذه الأعمال التي كانت (----) الدولة الإيطالية وإن الدولة الإيطالية هي أصل أوروبا وهي البيت الكبيرة لأوروبا وهذا صحيحا طرف طرابلس الغرب ( - ) تعتبر في نظر دولة إيطاليا هي أصل العرب وأكرم العرب وأشجع العرب وهي أصل العرب (---) طرابلس الغرب ليس معدودة دولة (---) من دول العالم وهي فقيرة جدا على الجانب البحر الأبيض المتوسط وبها الرمال والصحارى عندما غزت عليها دولة إيطاليا وإن دولة إيطاليا من الدول الكبار ومن الأمم الكبيرة عدد وعدة فإن الشعب الطرابلسي على ضعفه وقلة عدده وعدم تدريبه وعدم تسليحه تسليحا نظاميا فقام في وجه الغزو الإيطالي بشجاعة وبسالته وكاد أن يهزم الدولة الإيطالية شر هزيمة لولا تقاعس الدولة العثمانية لكان النصر حليفه وخرج الغزو الإيطالي من أرض ( - ) وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشعب الطرابلسي من أصالة عربية صادقة لأن العربي الأصيل له ثلاث خصال الشجاعة والكرم والفخر ولاهم ثلاث الغنى والجبن والبخل وهذه الخصال الثلاث يتبعون غير العربي الأصيل وأن الشعب الطرابلسي حارب حرب في هذا العصر لم تحاربه أي أمة من الأمم العالم وأن دولة إيطاليا وجميع دول العالم قد أعجبت بحرب هذا الشعب الفقير وبسالته وشجاعته النادرة المثال وأن الشعب الطرابلسي بحربه وعتاده وصموده أمام دولة إيطاليا قد عز عزاء كبيرا عظيما على الدولة الطليانية بحربه فيها لأن الدولة ظالمة وغازية عليه هي على باطل وهو على الحق وأن الدولة الإيطالية كلفتني تكليفا شرعيا بأن ألتحق بالشعب الطرابلسي المجاهد وبرؤسائه وتطلب الدولة الإيطالية منكم الرجوع إلى بلادكم وأعدت معكم صلحا في هذا الشأن وبما تريدونه أنتم وليس بما تريده دولة إيطاليا وبما تملونه من شروطكم فإن الدولة تقبله وتجازيكم مجازات (---) كل من كان موظف في عهد العثمانية فإن وظيفته أعلى مما كان فيها. وقد رد المجاهدون بقولهم:- نشكرك على هذا الخطاب ولكن قولك لقد دخلت دولة على دولة ونحن ما شأننا؟ فهذا غير صحيح، فالدولة العثمانية لم تدخل لبلاد طرابلس بطريقة الغزو والاحتلال، ولكن دخولها كان بطلب من الأهالي سلموا لها بالرئاسة . ودولة إيطاليا دخلت غازية غاشمة قاومناها وشهرنا في وجهها السلاح قرابة العامين وكاد الشعب الطرابلسي أن يهزمها لولا أن الأقدار والظروف أبت، وبعد أن خسرت إيطاليا في الحرب أعظم خسارة في العتاد والرجال فنحن حاربناها

بكل ما استطعنا من قوة بأموالنا وأنفسنا في سبيل الله والوطن مصداقا لقوله تعالى  
وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون.. وإن العودة والصلح  
مع إيطاليا لن نرضى به ولا يكتبه عنا التاريخ العربي المجيد ((<sup>1</sup>)).

هذه هي رواية القشاط، ورغم أننا لا نودّ التعليق عليها فهي رواية تفصح  
عن نفسها بنفسها، وتبرز هشاشتها، وتوضح المستوى العلمي لمن أراد أن يتصدى  
للكتابة في التاريخ، إلا أننا نشير إلى أن المؤلف الذي أتى بهذه الرواية لم يتمالك  
نفسه التي تعودت اللعب في النصوص والكتابات أيا كانت وتطويعها كيفما يريد،  
فقد أعمل في النصّ الأصلي من الأوراق التي قدّمها كوثائق أساسية اعتمد عليها  
فحذف ما يريد وغير ما يريد.

وحتى يتبين للقارئ مقدار تلاعب القشاط بالنصّ وما حواه من مغالطات  
حيث جاء فيها أن الشيخ سليمان الباروني طلب من الكونت سفورزا الاجتماع  
بالمهاجرين فقال على لسان الباروني :- ((...فكان جواب الباروني أطلب جماعة  
المجلس المهاجرين الذي كنت متراًس رئاسته فإذا اتفقت أنت وإياهم على الصلح  
فأنا موافق ..)) ، وهذا معناه أن أصل الحلّ والربط في يد المجلس، وأن الشيخ  
سليمان الباروني يتبع رأي المجلس موافقة أو اعتراضاً.

أو حين تقول الرواية إلى أن الكونت الإيطالي طلب مقابلة وفد المهاجرين  
عن طريق المراقب الفرنسي حيث بعث لهم كروسة تجرّها الخيل، وتم الاجتماع في  
مدينة سوسة فقال:- (( ... فنزل الوفد الليبي بهذه القهوة وما إن استقر بهم  
الجلوس حتى جاءهم السفير الإيطالي ومعه ترجمان يهودي وسفير بريطاني  
لسلام السفراء عليهم، فتقدموا السفراء إليهم بالسلام وسلموا أحسن سلام ...)).  
وإذا تمّ التجاوز عن مسألة قدوم السفراء، وهي تحمل بذاتها غرابة لا يمكن  
توصيفها، فإن المغالطة التي لا يمكن أن تصدر من عاقل، فهو الكلام المنسوب إلى  
الكونت سفورزا، وهو كلام خطير، فالكونت يرى أن بلده ظالمة، وغازية وأن  
المهاجرين لهم الحقّ، وما عملوه فهو الواجب، وأن إيطاليا تقبل بالصلح معهم وفق  
شروطهم وما يريدونه !!! !!!

1 - القشاط، المصدر السابق، ص 101-105.

\*- يلاحظ القارئ أسلوب الصياغة الضعيف والغريب في اللفظ والمضمون، وقد نقلناه كما ورد في تلك الأوراق.

**ولمواجهة** هذا العبث والتلاعب بالأحداث التاريخية ، نستعين بوثائق صاحب الشأن الشيخ سليمان الباروني الذي كان قائداً للمجاهدين والمهاجرين في تلك الفترة ، وهي التي تقدم الرواية الصحيحة للأحداث.

**تقول** زعيمة سليمان الباروني ما يلي:- (( قال حفظه الله: ...ولما وصلت بلدة نالوت جاعني تلغراف من الكونت سفورسه ورفيقه ديسي في تونس يطلبان قدومي لاتمام المذاكرة فيما طلبناه بواسطة الوفد [ الإدارة المختارة ] ففهمت أنه لم يبلغهما ما حصل من تفهقرنا فتوجهت إلى تونس مظهرا أنني سأتذكر مع الكونت ... ثم رجعت إلى الحدود بدون أن اجتمع مع الكونت في تونس لأنه توجه إلى رومه يطلب من حكومته قطعاً للمذاكرة معنا لما بلغهم خبر الواقعة . ثم عاد إلى تونس وطلب قدومي بتلغراف فجئته من بن كردان ، وكلفني ببيان مطالب أخرى غير الإدارة المختارة ، لأنه لم يبق وجه لطلبها، فحررت له لائحة في عدة مواد يختص بعضها بمنافع الطرابلسيين عموماً، وبعضها بالمحاربين خصوصاً. ووعدني بالسعي لدى الحكومة في تنفيذها ، ورجب مني أن اطلب شيئاً مع ذلك لنفسي أو للمنتسبين إليّ ليسعى في الحصول عليه . فامتنعت رغماً عن إصراره وطلبت منه أن يسعى بدلاً عن ذلك في الحصول على عفو عمومي للأهالي المحاربين ؛ فطلبه من الحكومة تلغرافياً فأصدرت العفو وبلغه إليّ رسمياً بواسطة قنصل جنرال إيطاليا في تونس ، فبلغته إلى الأهالي . وقد كان كلفني هو والحكومة الفرنسية بأن أنصح الأهالي بالرجوع إلى أوطانهم ، متعلقة فرنسا بأن أراضي تونس ضيقة لاتتحمل غير أهلها ، فكتبت إلى الأهالي بعد حصول العفو ، فرجع البعض وبقي البعض وانتهت المذاكرات بيني وبين الكونت ، وقد ارتحل قسم من أهالينا الذين لم يدخلوا أراضي تونس إلى جهة فزان وغات بسلاحهم...))<sup>(1)</sup>.

وبحسب رواية الشيخ سليمان الباروني لم يحصل أي لقاء بين الكونت سفورزا والمهاجرين، وإنما جرى طلب العفو لهم بواسطة ، وقام الشيخ سليمان بإبلاغهم .  
**فمن يا ترى نصدق !!! قائد المجاهدين الشيخ سليمان الباروني، أم أوراق بلقاسم كله الذي لم يحضر أو يشارك في مرحلة الجهاد، وقد دفع به القشاطر الذي يسعى أن يوصف بالمورخ في مواجهة غير متكافئة مع الشيخ سليمان الباروني، وللقارئ والباحث أن يقارن بين النصين والروايتين أيهما صحيح، ويقبله العقل والمنطق.**

1 - زعيمة سليمان الباروني ، صفحات خالدة من الجهاد : الجزء الأول ، ص 466-467.

## 5- مغالطات معركة الجوش الأولى 1917.

أشار المؤلف في كتابه إلى معركة الجوش الأولى ، وأورد نصوصاً لبرقيات صادرة عن الشيخ سليمان الباروني ثم علق عليها بالقول :- (( أن هذه المعركة لم يحضرها الرجبان ولا الزنتان ولا الرحيبات وأن النصر حققه الرياينة فأرسل إليهم سليمان الباروني برقية شكر ))<sup>(1)</sup>.

وما يذكر في هذا الخصوص أن ردّ لجنة الباحثين من الزنتان في كتابهم [ السير والرد على التزوير]، اتسم بالعجلة وعدم الرجوع إلى المصادر والوثائق فاختلط عليهم الأمر في التفريق ما بين معركة الجوش الأولى التي يتحدث عنها المؤلف ، ومعركة الجوش الثانية، وذلك حين وافقوه على هذا الخلط في الوقائع وكأنه حقيقة فجاء ردّهم على أن كلامه ورواياته صحيحة، مستدّين على وقائع معركة الوخيم والجوش اللتين وقعتا عام 1922 وأتوا بمبررات ما كان لهم أن يوردوها فقالوا:- (( ... فمع من اشتبك العدو إذا ؟ ومن هم المجاهدون؟ أنظرأيها القارئ إلى هذا التناقض حينما كتب الدكتور القشاط على الصفحة 166 من الكتاب نفسه وفي معرض حديثه عن المعركة نفسها [أما وضع المجاهدين فإن الحاج فكيبي تمركز بقواته من مجاهدي الزنتان والرجبان ومن معهم حول مصدر المياه في وادي الوخيم ... وكان وصول الحاج فكيبي قبل وصول الإيطاليين بشهر أي أنهم في انتظار العدو.] ثم يعارض الكاتب نفسه بعد خمسة سطور فقط ويقول [ولم يحرك المجاهدون ساكننا للتصدي لهذه القوات قبل تمركزها ذلك المركز الذي لا يبعد أكثر من 7 كيلومترات عن موقع المجاهدين] ... لاشك أن القارئ يرى التناقض الغريب في أقوال الكاتب وكيف يرد على نفسه، فأى الأقوال نصدق وأيها نأخذ وكيف مرة ينفي الكاتب وجود الزنتان والرجبان والرحيبات ومرة أخرى يثبت هذا الوجود لهم دون غيرهم؟ فإما أن الكاتب ينسى ما يكتبه أو أن جميع ما كتبه لن يثق فيه من يقرؤه، أو أن يصدر القشاط كتاباً آخر للحكم بين القشاطين . ))<sup>(2)</sup>.

1 - القشاط ، من قيادات الجهاد ، ص 160.

2 - د. محمد عبد الوهاب وآخرون ، مصدر سابق ، ص 90.

وعودة لمناقشة الخلط في استخدام النصوص المقتبسة ، فإننا نورد أولاً ما كتبه ثم نقارن ذلك بالنصّ الأصلي من نفس المصدر الذي اقتبس منه ، لنبيّن كيف أنه يحوّر، ويخفي بعض الحقائق المتعلقة بهذه المعركة ليربط بين أحداث لاعلاقة مباشرة بينها ، ويؤلف منها رواية يتهجم فيها على قبائل الرجبان والزنتان والرحيبات وقياداتها، وليخفي عمداً حقائق أخرى في المعركة.

#### أولاً: - نصوص المؤلف.

يقول القشاط:- (( وعند غزو العدو الإيطالي للجوش في معركة الجوش الأول ها نحن نجد الشيخ الباروني يرسل برقية مستعجلة إلى متصرف الجبل يطلب منه نجدة الجوش، يقول:-

**مهم ومستعجل**

**متصرف الجبل**

ورد الخبر بأن قوة من العدو خرجت لأجل الغزو فأرسلوا إلى الزنتان والرجبان والرحيبات ليفزعوا إلى جهة (الجوش) وكلفوا الرياينة والمشاشة والحوض وككله بالفزع إلى الجفارة حين وصول هذا بدون تراخي وأرسلوا واحداً إلى الجوش قبل كل شيء يخبرهم.

والي طرابلس

سليمان الباروني

كتب وسط مارس 1334 ((<sup>(1)</sup>

ويمضي في تعليقه على هذه البرقية بالقول:- (( ولكن العدو وصل إلى الجوش واشتبك مع المجاهدين في معركة ضارية استمرت إلى الليل ولم يحضر أحد من الزنتان ولا الرجبان ولا الرحيبات. وقد استطاع ميلود الشقروني قائد العسكر وعيسى الباروني مدير الجوش من قيادة الدفاع عن القرية وحققوا النصر. وقد وصل الرياينة إلى السكفل وحققوا النصر في معركة [الطاحونة] حيث يخاطبهم الباروني في برقية إلى متصرف الجبل تقول:-

---

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 160.

متصرف الجبل يحيى بك الباروني.

بلغوا شكرنا العظيم لجماعة الرياينة الأبطال ومديرهم الغيور وأرسلوا الأسارى مع زاندرمة مسلحين لمحافظتهم وأعطوهم الأمان على أنفسهم وافهموا الزاندرمة بأن فرار واحد منهم موجب لإعدامهم واستقرضوا لهم مصاريف الطريق وترسل إليكم

كتب 31 مارت 1334

والي طرابلس

سليمان الباروني ((1))

إن حقيقة الأحداث من واقع نفس المصادر التي اعتمد عليها المؤلف وهي "مذكرات الشيخ سليمان الباروني" تشير إلى أنه لا علاقة لموضوع البرقية الأولى بموضوع البرقية الثانية، وأن كلا منهما تتناول موضوعاً مستقلاً عن الآخر وحقائق البرقية الأولى حول معركة الجوش، تشير إلى هروب الصيعان من المعركة ومعاقبة بعض مشايخها، في حين أن البرقية الثانية تتعلق بهجوم من العدو على محلة الرياينة المقيمة بالسكفل، والذين تصدّوا للعدو وألقوا به الهزيمة فكانت البرقية شكر وتقدير لهم على شجاعتهم، كما أنه لا علاقة للبرقيتين بمعركتي الجوش والوخيم عام 1922، ونورد فيما يلي الأحداث من واقع مذكرات الشيخ سليمان الباروني:-

أولاً :- فيما يتعلق بالبرقية الأولى (( معركة الجوش الأولى )).

إن الشيخ سليمان الباروني بحكم منصبه [ والي طرابلس الغرب ] إتخذ من الزاوية مقرّاً لحكومته التي شكلها لإدارة الحرب مع الإيطاليين، وقد بلغته أخبار بخروج قوات من العدو باتجاه الغرب، فأرسل برقيات مستعجلة إلى قائمي مقام المناطق المحيطة لتنبيههم بخروج العدو والاستعداد لملاقاته بما فيها البرقية التي أوردها المؤلف ، وكلها تحمل نفس التاريخ وتتعلق بذات الموضوع وهي كما يلي:-

(( قائمقام النواحي

يحتمل خروج العدو غداً وربما يسمع أصحاب الإبل هذا الخبر فيتأخرون عن المجئ إلى الزاوية فأرسل من يرافقهم إلى أن يصلوا الزاوية غداً هم والخيل .

1 - المصدر السابق ، ص 160-161.



[كتب] [مهم ومستعجل] وسط مارت 1334.

والي طرابلس  
سليمان الباروني

**قائمقام صرمان بك**

ورد الخبر بأن قوة من العدو خرجت إلى جهة الغرب فأرسلوا حالا من يعطيهم الخبر ليأخذوا حذرهم وتتوجه السواري إلى أن يعثروا في أثرهم ويقتفونهم وقد أرسلنا إلى عرب الزاوية والحوض وكذلك فإذا هم أخذوا شيئاً هذه المرة سنتوجه المسؤولية إلى كل أحد بسبب التفريط في الفزع .

والي طرابلس  
سليمان الباروني

[كتب] نهاراً الساعة 9- أحمد حمدي [ مهم ومستعجل] وسط مارت 1334 ((<sup>(1)</sup>).

**(( مهم ومستعجل**

**متصرف الجبل**

ورد الخبر بأن قوة من العدو خرجت لأجل الغزو فأرسلوا إلى الزنتان والرجبان والرحيبات ليفزعوا إلى جهة الجوش وكلفوا الرياينة والمشاشة والحوض وككله بالفزع إلى الجفارة حين وصول هذا بدون تراخي . وأرسلوا واحداً مخصوصاً إلى الجوش قبل كل شيء يخبرهم .

[ كتب ] وسط مارس 1334 والي طرابلس

سليمان الباروني ((<sup>(2)</sup>.

**ونتيجة** لهذه الاستعدادات ، اشتبك المجاهدون مع العدو ، وجرت معركة الجوش الأولى التي انتصر فيها المجاهدون ، وقد كتب الشيخ سليمان الباروني حول هذه المعركة ما يلي :- ((... وكان يوم 14 وصل الخبر بهجوم قوة العدو المركبة من 700 بيادة و 50 سواري على الجوش ومحاصرتهم القصر من الفجر

1 - زعيمة الباروني ، صفحات خالدة من الجهاد الليبي ، الجزء الثاني ، ص 200.

2 - المصدر السابق ، ص 201 .

إلى الساعة الثانية في الليل وكان داخله كوجك ضابط عيسى افندي الباروني مع نحو 36 نفرًا عسكريًا فقط وبقية الأهالي مهاجرين وصيغان هربوا...<sup>(1)</sup>.

وحول تقاعس الصيغان وهروبهم ، اتخذ الشيخ سليمان الباروني إجراء بعزل بعض مشائخهم، ثم عاد فقبل أعدائهم، كي لا يحرّمهم من الحصول على المعاشات والأرزاق كما أكد ذلك هو، ففي برقيته الموجهة إلى قائمقام الجوش إبراهيم بك ما يلي:-

(( نومرو 3

قائمقام الجوش إبراهيم بك

مدير الصيغان الشيخ نصر ومدير المهاجرين الشيخ الوحيش كنا عزلناهما بمناسبة محاربة الجوش وقد أتوا إلينا وبيّنوا أضرارًا فقبلناهما وأعدناهما إلى وظائفهما فأعطوهم مطلوبهم من المعاشات بدون نقصان والله الموفق.

[ مأمور إدارة الجوش ] سليمان الباروني

20 مارت 1334 - 21 جمادى الثاني 1336 ((<sup>(2)</sup>

ثانيا :- فيما يتعلق بالبرقية الثانية (( شكر الريانة )) .

شكّلت منطقة سهل الجفارة والجوش نقطة ضعف في حركة المجاهدين لانعدام الأمن فيها ، نتيجة لتعدييات العصابات التي كانت تهاجم الناس ، وعدم القدرة على ضبط الحدود ، وكان معظم هذه العصابات يتم تسليحها عن طريق فرنسا وإيطاليا ، وتكوّنت من أخلّاط من الناس من بعض القبائل التي على الحدود وبعض المهاجرين والصيغان ، وفي هذا الخصوص يقول الشيخ سليمان الباروني في رسالته الموجهة إلى نوري باشا قائد جيوش أفريقيا بتاريخ 28 تشرين الثاني 1333 في الفقرتين [ 5 ، 6 ] ما يلي :-

(( - 5 - الفرنسيين متخوف من جهة لالوت خصوصا بعض الأهالي ويعطى السلاح للذين يدخلون من هنا ويكلفهم بالغارة على جهة لالوت وقد حبس بعض

1 - المصدر السابق ، ص 256 .

2 - المصدر السابق ، ص 204 .

رؤساء بني يزيد وعمل على عربهم مراقبة لاتهمهم بالميل إلى هذه الجهة بعد أن قبضوا على الجوابات التي أرسلتموهم من ترهونه.

6- العدو ساكن خصوصاً بعد ضرب الغواص لزواره فإن مسألة الخروج فشلت لأن الجواسيس الذين قبضنا عليهم أمس أفادوا أن الغواص وجد في مرسى زواره وابوراً كان جاء من طرابلس بالشعير والأرزاق فرماه بثلاثة قنابل ولم يضره فهرب إلى طرابلس تحت حماية الطيارات ولم ينزل شيئاً إلا أنهم مجتهدون ليلاً ونهاراً في تحضير الاستحكامات بأخشاب النخل وشكلوا عصابات من الجماعات التي دخلت إليهم أخيراً من عرب الحوض والصبعان وبدأوا في الغارة على أغنام الحوض<sup>(1)</sup>.

ولمواجهة هذه الفوضى الأمنية ، والمحافظه على أرواح وممتلكات الناس وتقوية هذه المنطقة الضعيفة ، فقد اتخذ الشيخ سليمان الباروني بعض الإجراءات تمثلت في الطلب من قبائل الجبل المعروفة بقوتها وشدة مراسها في الحرب النزول أسفل الجبل ، والإقامة فيه لأجل تأمين المنطقة ، وناسها الطيبين من عبث هذه العصابات ونجده يقول في برقيته الموجهة إلى قائمقام الزنتان بتاريخ 3 شباط 1333 في الفقرة (7) ما يلي :-

(( نومرو 109 3 شباط 1333

قائمقام الزنتان بك

(7)- قررنا جمع العربان في أسفل الجبال لأجل محافظة حيواناتها وتأمين الطريق فاعمل جهدك في ترحيل الزنتان إلى أسفل البيضا والدناجي . وقد صار ترحيل الرياينة إلى جهة السكفل وترحيل صرمان والزاوية إلى جهة الورشفانية وكلفنا الشيخ سوف أن يجمع أهل الحوض وبعد عدة أيام قادم بنفسه إلى تلك الجهات وإلى جهة الغرب . سليمان ))<sup>(2)</sup>.

وقد استقرّ الرياينة في السكفل حسب الترتيب الذي وضعه الشيخ سليمان الباروني ، وفي هذا المكان تعرض نجع (نزل) الرياينة إلى هجوم من طرف العدو وحدثت معركة بين المهاجمين والمجاهدين وكلهم من قبيلة الرياينة ، الذين أبدوا

1 - المصدر السابق ، ص 171-172.

2 - المصدر السابق ، 176.

شجاعة نادرة ، حيث ألحقوا الهزيمة بالعدو وأسروا عددًا من جنوده ، وقد أشار الشيخ سليمان الباروني إلى المعركة ونتائجها في البرقية التالية:-  
( (كتب وسط مارت 1334 قائمقام صرمان ، رئيس مجاهدي الرياينة.

في هذه الساعة وصل بوستاجي الجوش وقال أن يوم الاثنين وهو في السكفل غار العدو في أربعين فارسا ومايتين وخمسين بيادة على نزل الرياينة ودامت المحاربة مدة ثم انهزم العدو واقتفوا إثره إلى أن محوهم عن آخرهم إلا سواريهم هربوا وأخذوا منهم سلاحا وجبخانه ودقيقا وأسروا منهم ثمانية عشر أسيرا وثلاثة من الخيل واستشهد بثمانية من الإبل ثمانية فقط ليس فيهم أحد من المعروفين الشيخ محمد جليان جرحا خفيفا وماتت فرسه وغنم فرسا وخمسة بنادق ومنتظرون التفصيل من المدير وقد مات رئيس الباندة المبروك الزنزوري .  
[ صار اعطاؤه إلى قائمقام صرمان ورئيس مجاهدين الرياينه بتاريخ 29 مارت 1334 نهارًا عند الساعة الثانية صباحًا].

والي طرابلس

سليمان الباروني))<sup>(1)</sup>

وكي يشد من أزر المجاهدين لترتفع معنوياتهم ، ويملؤهم اليقين بإمكانية تحقيق النصر على العدو ، فقد حرص الشيخ سليمان الباروني على أن يعلم كل المسؤولين في الأفضية بالولاية بهذا النصر المؤزر ، فنجده يرسل البرقية التالية :-  
( ( غريان، ترهونه، نواحي أربعة، صرمان، عزيزية، قائمقام بك مدير زنزور، متصرفية الخمس.

قال تلغراف متصرف الجبل أن العدو هجم على عرب الرياينه في وادي السكفل بقوة كبيرة وسواري ومعهم قنابل اليد صباح 27 مارت ودامت المحاربة أربع ساعات ثم انهزم العدو تاركًا تسعين قتيلا وغنموا منه سبعين بندقية وأربعة جمال محملة دقيقا وسكرا وجبخانة وأربعة من الخيل وحلاطات وكساوي كثيرة مع خمسة وعشرين أسيرا ومات للعدو عشرون فرسا واستشهد منا ستة رجال وامرأة وجرح عشرة رجال وامرأة وزندرمة وثلاثة جمال وفرس وحمار وهرب الباقون مشتتين

1 - المصدر السابق ، ص203.

والخيل في أثرهم ولم ترجع إلى وقت تحرير جواب المدير للمتصرف المبني عليه  
التلغراف [ كتب ] 28 مارت  
والي طرابلس  
سليمان الباروني ((<sup>(1)</sup>)

وتقديرًا للدور الذي قام به مجاهدو الرياينه ، وشجاعتهم في مواجهة العدو  
وهزيمته أرسل الشيخ سليمان الباروني إليهم برقية الشكر والتقدير التالية التي  
أوردها القشاط بقصد خلط الأحداث في محاولة للنيل من دور قبائل الرجبان  
والزنتان والرحيبات :-

(( متصرف الجبل يحي بك الباروني

بلغوا شكرنا العظيم لجماعة الرياينه الأبطال ومديرهم الغيور وأوصلوا الأسارى مع  
زاندرة مسلحين لمحافظتهم وأعطوهم الأمان على أنفسهم وافهموا الزاندرة بأن  
فرار واحد منهم موجب لاعدامهم واستقرضوا لهم مصاريف الطريق وترسل إليكم  
[ كتب ] 31 مارت 1334

والي طرابلس  
سليمان الباروني ((<sup>(2)</sup>)

---

1 - المصدر السابق ، ص213.  
2 - المصدر السابق ، ص211.

## 6- تشويه حقائق ونتائج اتفاق صلح بني يادم

يقول القشاط :- (( وقد أصبح علي الشنطة مندوبًا على الجبل ومستشارًا للحكومة الإيطالية بعد صلح بن يادم . وقد أصدر الوالي الإيطالي القرار التالي :-

إن والي القطر الطرابلسي

بعد اطلاعه على فصلي 23 و24 من قانون أساسي القطر الطرابلسي الصادر بتاريخ يونيو سنة 1919 عدد 931 .

وبما أنه في التحرير المؤرخ 3 سبتمبري الجاري المتقدم من أحمد بك المريض إلى الحكومة قد صار عرض الثمانية الوطنيين المنتخبين أعضاء القطر الطرابلسي وحيث أنه من التحرير المبحوث عنه ومن الاحتفال الواقع تحقق أن الغرض المذكور حصل باتفاق من رؤساء جهات طرابلس المختلفة .

يأمر بما يأتي :-

إن الذوات الآتي ذكرهم قد صار تعيينهم أعضاء لمجلس حكومة القطر الطرابلسي

عمر بك أبو دبوس

أحمد بك شتيوي

علي بك الشنطة

أحمد بك الفساطوي

محمد الصويعي بك

الحاج محمد فكيبي

محمد مختار كعبار

محمد بك الفقيه حسن

وسيصير تعيين رواتبهم بأمر آخر

حرر بطرابلس يوم 4 سبتمبري سنة 1919

الوالي مينزجر

كما صدرت عدة قرارات في هذا الشأن وتعيينات المأمورين للمناطق يتقاضون رواتب من الطليان . من ذلك التعيين التالي بعد الديباجة يقول :-

نأمر بما يأتي :

المادة الأولى : إن الوجيه علي بك بن تنتوش قد صار تعيينه متصرفًا للواء الجبل

**المادة الثانية:** في الملحقات الآتي ذكرها التابعة للواء الجبل قد صار تعيين الوجهاء المدروجة أساميهم أدناه في الوظائف المحررة بحذاء اسم كل واحد منهم .

قضاء غدامس القائمقام مسعود بك فكيكي

قضاء نالوت القائمقام خليفة بك بن عسكر

قضاء الزنتان القائمقام الحاج امحمد المخترش

قضاء الجوش القائمقام العزابي إبراهيم بك

قضاء ككلة القائمقام علي بك بن عبدالرحيم

ناحية الرحيبات المدير السيد محمد الشين

ناحية الرجبان المدير سالم الشاوش

ناحية الحوض المدير السيد محمد صهيب

ناحية الأصابعة المدير السيد عون السعداوي المحمودي

ناحية مزدة المدير السيد محمد بن الأمين البوسيفي

ناحية الخلايفة المدير السيد محمد بن الأمين الرياني

ناحية كاباو المدير السيد مسعود بوقطاية

ناحية الحرابة المدير عبدالقادر العيساوي

ناحية الصيعان المدير نصر بن الحاج خليفة

ناحية المهاجرين المدير السيد الوحيشي

**المادة الثالثة :** إن هذه التعيينات يكون اعتبارها من ابتداء تاريخ هذا الأمر

وسيصدر أمر آخر منا في تقدير رواتب المأمورين المومئ إليهم .

**حرر في طرابلس 30 سبتمبر سنة 1919**

**الوالي ميتزنجر**

وقد تفاوتت وطنية هؤلاء الأشخاص ، فمنهم من استمر موالياً للطلليان ومنهم من تذبذب في ولاءه ، ومنهم من امتشق السلاح عند تحرك القوات الإيطالية نحو احتلال الوطن . ومن القوائم السابقة يتضح لنا أن أغلب القيادات التي كانت للمجاهدين في معركة الوخيم كانت تتقاضى رواتب من الطليان قبل المعركة . من الرجبان الحاج محمد فكيكي الذي أنعمت عليه إيطاليا برتبة [ كوالير ] من قبل ملك إيطاليا في 1915/2/4 مع مجموعة من الأعيان منهم علي بن تنتوش ولم تلغ هذه الرتبة إلا بمرسوم في فبراير 1923 بأمر من ملك إيطاليا . وكذلك أخوه مسعود

فكيني وسالم الشاوش ومن الزنتان علي الشنطة وأحمد المخترش وسالم بن عبد النبي الذي عين وكيل قائم مقام غريان . ومن الحرابة إبراهيم بو لحباس وعبد القادر العيساوي ، ومن الصيعان المدير نصر بن الحاج خليفة.

إذن أغلب قيادات المجاهدين في معركة الوخيم الذين كان من المفروض عليهم منع الإيطاليين من التقدم لاحتلال الوطن ، كانوا على اتصال بالطليان ويتقاضون رواتب. ((1).

**ويلاحظ** أن القشاط وهو يقفز على مجريات الأحداث وتسلسلها ، يحاول أن يتصيّد جملاً وكلمات ، ثم يصدر أحكامه عليها بالإدانة ، وهو في هذا الأمر حاله حال من يفسّر الآية الكريمة ناقصة : (( ولا تقربوا الصلاة )) ليعني تفسيرها على هذا النحو منعاً قطعياً لأداء الصلاة ، ودون أن يكمل بقية الآية : (( وأنتم سكارى)) كي يكتمل التفسير على نحو صحيح وشرعي.

**لذلك فالقشاط** هنا يشير إلى تعيين أعضاء في حكومة القطر الطرابلسي وأن هؤلاء المعيّنين يتقاضون مرتباتهم من إيطاليا ، ولذلك فهو يستغرب ويدين ليصل إلى النتيجة التي يرغب في إبرازها ، حين يشير إلى أن المعارك التي وقعت مثل الوخيم والجوش والسلامات تحديداً كانت قيادتها تستلم رواتبها من الإيطاليين وبالتالي فلا يمكن أن تصدّهم أو تمنعهم .

**أما بخصوص** قوله أن أغلب قيادات معركة الوخيم كانت تتقاضى رواتب من الطليان ، فإن المؤلف يخلط في الأمور ، ويحاول أن يلصق اتهامات بقيادات الجهاد كي يعطي مبرراً لاستمرار صياغة الأحداث التي يرسمها لدور الشخصيتين والقبيلة بعد ذلك ، وقد تناسى المؤلف أن تلك الرواتب المرتبطة بتنظيمات إدارية في كيان أنشأه المجاهدون [ الجمهورية الطرابلسية ] لم تكن منحة من إيطاليا ، أو مقابل خدمات يقدمها هؤلاء القادة ، بل كانت نتيجة لشدة المقاومة ، وساعدت الظروف الدولية على فرضه على إيطاليا ، والوصول إلى هدنة واتفق معها على صيغة مشرّفة من الحكم الذاتي ، فيما عرف لاحقاً بصلح سواني بن آدم ، والذي قبلته إيطاليا على مضض ، وسعى المتشددون من الإيطاليين خاصة بعد وصول الفاشيست إلى سدّة الحكم إلى التنصّل منه ، بعد أن استكملوا استعداداتهم الحربية .

**لذلك فمسألة الرواتب** مسألة لا ينبغي أن تفسّر على النحو المنحرف الذي يجنح فيه خيال القشاط ، وتصويره بالشكل الذي يسيئ إساءة بالغة لذلك الجيل

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 161-164.



المجاهد لأن المرتب لم يكن هو الغاية في مفاوضات سواني بن آدم، التي لم تتطرق إلى أي ميزة من المزايا الشخصية، ولكن الاستقلال ونيل الحقوق السياسية والوطنية هو الأساس.

#### \* - حقائق ونتائج اتفاق صلح سواني بن يادم

في أواخر عام 1918 بدأت تظهر ملامح انتهاء الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا والدول المتحالفة معها ألمانيا والنمسا وبلغاريا، وانتصار بريطانيا وحلفائها وبعد توقيع اتفاقية الهدنة بين تركيا ودول الحلفاء يوم 1918/10/31 ولمواجهة الوضع الجديد بعد استسلام تركيا، وحتى لا يقع المجاهدون فريسة اتفاق آخر شبيه بصلح لوزان عام 1912 الذي تنازلت فيه تركيا لإيطاليا عن ليبيا دون أخذ رأي الليبيين، فقد تتادى قادة الجهاد وقرروا في مؤتمر مسلاته الذي عقد بتاريخ 1918/11/16، إنشاء حكومة لإدارة البلاد أسموها الجمهورية الطرابلسية تشكلت من مجلس ضمّ أربعة أعضاء ، ومجلس تشريعي يضم (22) عضواً وقد اتخذت من مدينة العزيزية مقراً لها ، وصدرت عن المجلس الرباعي عدة بلاغات تدعو الدول إلى الاعتراف بها، ومن ضمنها إيطاليا التي رفضت الاعتراف بالجمهورية الطرابلسية ، وبدأت المواجهة العسكرية بين الطرفين في عدة معارك منها معركة جنزور، ورأس الغولة ، ونتيجة للموقف المتشدد والمتصلب الذي اتخذه المجاهدون من جهة ، والأوضاع الداخلية التي تمرّ بها إيطاليا من جهة أخرى ، فقد طلبت إيطاليا الدخول مع قادة المجاهدين في مفاوضات حقناً للدماء ، وكى تتمكن خلال الهدنة من ترتيب أوضاعها على نحو يسمح لها في المستقبل فرض سياستها وتوجهاتها على المجاهدين ، ويقول الجنرال [باننوا] في رسالة موجّهة إلى عدد من زعماء المجاهدين بتاريخ 1919/2/26 :- (( الحكومة الإيطالية بيدها سلاحها وجيشها حاضر وتعلم أنكم أنتم كذلك حاضررون ولكن قبل انصباب الطرفين في المعارك رأيت واجبا عليها وعليكم حلّ كل شيء لكي لاتسفك الدماء ثانيا ، وأنا أظن في الإمكان فهم المشاكل بحضور الطرفين ... ولأجل هذا فأنا أسألكم الاجتماع ... وإنني منتظر إشعاراتكم أين وكيف ومتى تكون الملاقاة...))<sup>(1)</sup>.

1 - رسالة الجنرال باننوا إلى عدد من قيادات المجاهدين ، من أرشيف الحاج محمد فكيني .

- وقد بدأت المفاوضات يوم 1919/3/10م ، وانتهت بتوصل الجانبان إلى اتفاق مبدئي يوم 1919/4/21م ، ووافق عليه ملك إيطاليا بتاريخ 1919/6/1م وعرف فيما بعد بـ [ القانون الأساسي لقطر طرابلس ] ونصّ القانون الذي ضمّ (40) فصلاً على المساواة بين الليبيين والإيطاليين في كافة الحقوق المدنية والسياسية ، وقد ارتكزت قواعده الأساسية في المواد التالية :-
- 1- تسمى الحكومة [ حكومة طرابلس الغرب ]
  - 2- يدير أمر قطر طرابلس مجلس حكومة مؤلف من ثمانية أعضاء وطنيين ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسي من بين أعضائه ومن عضوين إيطاليين ينتخبهم النائب العام .
  - 3- يرأس هذا المجلس حاكم عام بيده السلطات الملكية والعسكرية معيّن من جانب ملك إيطاليا .
  - 4- يسن قوانين البلاد مجلس ينتخبه الأهالي ، يتمتع بما لمجالس الدول الأخرى المتمدنة من سلطات وحقوق ، وتكون مدته أربع سنوات كلما جدد انتخابه جدد مجلس الحكومة من بين أعضائه .
  - 5- لا تتفق ضرائب البلاد إلا فيها حسبما يقرره مجلس نوابها في وضعها وتوزيعها وجبايتها.
  - 6- لا يطبق من القوانين الإيطالية في طرابلس إلا ما يقبله مجلس النواب الطرابلسي ويوافق عليه لمصلحة البلاد .
  - 7- ينظم من أبناء البلاد جند وطني حسبما تقتضيه الحاجة وقائده هو الحاكم العام .
  - 8- للمواطنين حق التوظيف في الوظائف ملكية وعسكرية وقضائية وصحية وغيرها بالامتحان .
  - 9- التعليم الأهلي حرّ تحت إشراف الحكومة .
  - 10- اللغة العربية رسمية كاللغة الإيطالية .
  - 11- ينتخب الأهالي رؤساء البلديات في العاصمة وملحقاتها .
  - 12- يؤلف مجلس شرعي تستأنف إليه الأحكام الشرعية وهو يعيّن القضاة.
  - 13- للطرابلسيين الحائزين على شهادات عالية ، الحق في مزاوله المهنة الحرة كالتطب والمحاماة وغيرها في طرابلس .
  - 14- الطرابلسي والإيطالي متساويان في الحقوق .

15- الأوقاف تدار بمعرفة هيئة إسلامية .

16- تراعى حرية الدين والتقاليد الوطنية الحسنة كما في السابق .

وختتم مواد الدستور أو القانون الأساسي البالغ نيفا وأربعين فصلا بتوقعات الآتية اسماؤهم وهم :-

عن العرب : سليمان الباروني-أحمد المريـض- رمضان السويحلي- أحمد الصويـعي نيابة عن عبدالنبي بالخير .

عن الطليان : الجنرال ماجور تارديتي ، رئيس الدائرة السياسية - الجنرال [ياسكانو] رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإيطالي ((<sup>1</sup>)).

ودخل المجاهدون طرابلس في يوم مشهود ، واستقبلهم اللوالي يرافقه الجنرال تارديتي ، وتم خلال الاجتماع تقديم أعضاء الحكومة الوطنية للوالي الذي أصدر فيما بعد قراره الذي أشار إليه القشاش سابقا بتعيين أعضاء مجلس حكومة قطر طرابلس والهيئات الأخرى حسب نص الدستور .

وقد علق غراتسياني على هذه النتيجة التي توصل إليها الجانبان بقوله:- (( تلاشى نهائيا كل ظل لسيادتنا الفعلية على طرابلس الغرب وأصبح السبيل ممهدا للطمات شديدة جديدة نتلقاها )) ، ويضيف :- (( وقد انعقدت الاجتماعات الأخيرة في خلة الزيتونة في شهر مايو 1919 ، وفي 26 من ذلك الشهر تم تبادل الأسرى ودفع في نظير ذلك عدة مئات الآلاف من الليرات للزعماء العرب ، وقد قامت الاستعدادات في أثناء ذلك على قدم وساق في مدينة طرابلس لاستقبال الأعيان الآتين لتمثيل ذلك الشعب الذي كان يستعد للمرة الأولى في التاريخ لممارسة نوع جديد من الحرية لا عهد له به وللاحتفال بهم احتفالا عظيما والترحيب بهم بأجلى مظاهر الغبطة والسرور وكانت هذه الاحتفالات هي الأخرى من أعمال الإذعان التي لم يسمع بها أحد من قبل ))(<sup>2</sup>).

كما يقول أيضا :- (( كان الزعماء الرئيسيون الذين جعلوا حقنا مقصورا على سلطة وقتية وهمية غير مباشرة وعلى موقف من مواقف التسامح والهوان على سلطة هؤلاء الزعماء هم [رمضان الشتيوي] و [أحمد المريـض] و [الصويـعي الخيتوني] و [عبدالرحمن عزام] و [محمد فكيني] و [علي الشنطة] والأخوان

1 - محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي ، دار الفرجاني ، طرابلس ، الطبعة الأولى، 1974، ص 208.

2 - غراتسياني ، المصدر السابق ، ص 26.

[هادي ومختار كعبار] و[خليفة بن عسكر] وغيرهم ... وسوف نرى في معرض الأحداث كيف أن الانتقام الإلهي قد أصابهم الواحد تلو الآخر ((<sup>(1)</sup>).

**وعموماً** لا نريد أن نجادل محمد سعيد القشاط في أهمية صلح سواني بن آدم وأثره على الليبيين والإيطاليين ، وكيف كان كل منهما يراه وفق حساباته ووجهة نظره ولعلّ ثقل هذا الصلح ونتائجه على الجانب الإيطالي الذي رأى فيه إهانة لإيطاليا كان أكثر وطأة وإيلاماً ، فعمل على إفشاله ودعاه إلى استعمال القوة المفرطة واتباع سياسة جديدة تجاه ليبيا ، لفرض السيطرة عليها واستعمارها بكل الوسائل المتاحة ، ولكن نشير إلى أن إنشاء مجلس حكومة قطر طرابلس كان منصوصاً عليه في مواد القانون الأساسي الذي نتج عن صلح بن يادم ، والذي كان يهدف إلى تهيئة طرابلس للاستقلال الذاتي ، ومكّن أعضاء الجمهورية من أن تكون لهم أدوار هامة في تسيير دفة البلاد .

**وقد نصت** المادة 23 من القانون الأساسي على ما يلي :- (( إذا خلا منصب متصرف أو قائمقام أو مدير بعد ابتداء العمل بهذا الأمر يقع التعيين في الوظائف المذكورة بأمر من الوالي بعد استماع هيئة مخصوصة تسمى [مجلس الحكومة] يرأسها الوالي أو من ينوب عنه وهي تتألف من عضوين يعينهما الوالي وثمانية أعضاء ينتخبهم مجلس النواب المحلي من خارج المجلس ، وتجدد الهيئة المذكورة عند كل انتخاب جديد لمجلس النواب المحلي ))<sup>(2)</sup>.

**وأعطت** المادة الرابعة والعشرون حق تعيين أعضاء المجلس للوالي فنصّت على:- (( قبل انتخاب مجلس النواب المحلي فالأعضاء الثمانية يعينهم الوالي بأمر منه بوجه وقتي بناء على إشارة من رؤساء جهات طرابلس المختلفة بالاتفاق بينهم إن الأعضاء المذكورين يبقون في وظائفهم ما دام مجلس النواب المحلي الأول ))<sup>(3)</sup>. **ويتضح** من نصّ المادة السابقة أن اختيار هؤلاء الأعضاء الثمانية متروك لليبيين ، وبناءً على اتفاقهم دون تدخل من إيطاليا ، والتي كعادتها حاولت أن تتدخل لفرض بعض الأسماء ، ولكن رؤساء المجاهدين رفضوا ذلك .

1 - المصدر السابق ، ص 28.

2 - الطاهر الزاوي ، المصدر السابق ، ص 365.

3 - المصدر السابق ، ص 365.

كما حدّدت المادة السابعة والثلاثون القواعد التي تحكم تنفيذ هذه الآليات فنصّت :- (( الترتيب اللازمة للعمل بالأصول المدرجة في الفصول السابقة وسائر الترتيب العامة المتعلقة بإدارة القطر الطرابلسي ستوضع بأوامر ملوكية))<sup>(1)</sup>.

**وتنفيذًا للمادة الرابعة والعشرين من القانون الأساسي صدر مرسوم ولائي لتعيين أعضاء مجلس الحكومة الثمانية بتاريخ 4 سبتمبر 1919م.**

**ومن الطبيعي** عند إنشاء نظام للإدارة أو كيان سياسي ما، أن تكون له نواحي مالية وميزانية للإنفاق على أعماله، وصرف المرتبات للموظفين العاملين في أجهزته، وكذلك للأعضاء المنتخبين في مجالسه وهيئاته العليا، وفي مثل حالة القانون الأساسي لقطر طرابلس الذي لم يكن مئة أو عطفًا من إيطاليا على الليبيين بل كان نتاج صلابة موقف المجاهدين، وحنكتهم السياسية التي استفادت من الظروف الدولية السائدة آنذاك، والظروف الداخلية التي تمرّ بها إيطاليا نفسها من تصارع فيما بين الأحزاب، فأجبروا إيطاليا على أن تتفاوض معهم حول شكل سياسي وإداري يمنحهم حقوقاً، أثرت على شكل ومضمون المفهوم الإيطالي الإستعماري تجاه ليبيا الذي يتلخّص في أنها الشاطئ الرابع لإيطاليا.

**وحول طبيعة عمل مجلس الثمانية**، والأحداث التي رافقت عمله والدسائس التي استخدمتها إيطاليا لإفشال المجلس، وإعادة تركيبه وفق مصالحها بما يمكنها من السيطرة على قراراته، يقول رفائيل رابكس:- (( عين مجلس الحكومة الذي نصت عليه المادة 23 من القانون الأساسي بموجب مرسوم ولائي صادر في 4 سبتمبر 1919، وكانت حياته عصبية ومتعثرة عقد جلسته الأخيرة يوم 8 يونيو 1920، ولم يتمكن بعد ذلك من العمل لأن أعضاءه أحمد الشيتوي ومختار كعبار، ومحمد فكيني، وعلي الشنطة، انسحبوا الواحد تلو الآخر، وبالرغم من الدعوة المتكررة التي وجهت إليهم للحضور فقد فضلوا عدم الاستجابة والتغيب عن الجلسات، ولكي تعطى قوة للمادة 23 من القانون الأساسي كان من الواجب إضفاء شكل جديد على مجلس الحكومة وإعادة تشكيله، وفرض قواعد جديدة لتنظيم أعماله وحسن سيرها، وقد عالج المرسوم الولائي الصادر في أول يناير 1922م هذا الأمر، وتم بموجب مرسوم ولائي صادر في 26 مارس 1922م تعيين أعضاء مجلس الحكومة الجديد وهم : حامل وسام الضابط الأكبر [غراند

1 - المصدر السابق، ص368.

أوفيشالي] ، حسونه القره مانلي ، و[ الفارس ] الكاواليير أحمد الفساطوي] وهو كان أحد أعضاء المجلس المنحل ] ، و[ الفارس] الكاواليير موسى قرادة وأضيف إليهم بموجب مرسوم ولائي لاحق مؤرخ في 3 مارس 1923م الكوماندا تور يوسف خربيش مكافأة له على الخدمات التي قدمها ، واستحق عليها التقدير كما سيأتي ذكره فيما بعد ((<sup>1</sup>).

### إن تحليل النص السابق، يوضح النقاط التالية:-

- 1- إن تعيين أعضاء مجلس الحكومة تمّ بعد مضي أربعة شهور على توقيع القانون الأساسي، وهي الفترة التي تداول خلالها رؤساء المجاهدين في طرابلس لاختيار من يمثلونهم في مجلس الحكومة، وتمّ تقديم قائمة بأسمائهم يوم 3 سبتمبر 1919 م، وصدر بتعيينهم الأمر الولائي السابق في 4 سبتمبر 1919 م .
- 2- نتيجة لتدخلات الإيطاليين، وعدم رضاهم على ما آلت إليه الأمور في طرابلس، وشعورهم بالآثار السلبية لهذا الصلح على مستقبل مخططاتهم الإستعمارية تجاه ليبيا، كما بيّنه الكثير من الساسة والقادة العسكريين الإيطاليين فقد سعوا إلى إحداث إرباك في آلية عمل المجلس ، وإحداث انشقاق على مستوى الجبهة الداخلية للمجاهدين ، باتباع سياسة فرق تسدّ، والتي انجرّ بسببها عدد من المجاهدين ، فحدث اصطدام بين الليبيين في أكثر من جهة، وأدت هذه الأعمال إلى توقف المجلس عن عقد جلساته، التي كان آخرها بتاريخ 8 يونيو 1920م، حيث قاطع جلسات المجلس احتجاجاً على ذلك كل من: أحمد الشتيوي، مختار كعبار الحاج محمد فكيّني، علي الشنطة، وهم نصف أعضاء المجلس ويمثلون النقل السكاني والجهادي في منطقة طرابلس في الساحل والجبل، أي أن حضور هؤلاء الأعضاء فعلياً لأعمال المجلس، ومشاركتهم فيه لا تتجاوز (10) شهور من بداية تأسيسه.
- 3- خلال الفترة التي تلت انقطاع الأعضاء الأربعة عن حضور جلسات مجلس الحكومة ، وتطوّر الأمور على ما أوردناه ، كان الموقف الذي اتخذه عضو مجلس الحكومة محمد بن الفقيه حسن ، وهو يرى ما آلت إليه الأوضاع ، هو تقديم الإستقالة من عضوية المجلس احتجاجاً على تغيّر مهام المجلس،

1 - رفايل رابكس ، تأكيد السيادة الإيطالية على طرابلس الغرب ، مخطوط ، ص 428.

واتجاهها نحو أمور أخرى ، وهو موقف وطني يحسب له ، ولم يكن كما يدّعي القشاطر بسبب رفض مرتب أو مزايا مالية .

4- استمرّ مجلس الحكومة معطلاً ، وفي حالة توقف لأكثر من سنتين ، حيث سعت إيطاليا للاستفادة من هذه الظروف لتعيين أعضاء جدد محلّ الأعضاء المنسحبين المحتجّين ، بغية تحقيق مآربها ، وتميرر سياستها القائمة على شعار [ فرق تسد] عبر هذا المجلس ، خاصة وأن تلك الفترة شهدت تنامي النزعة الإستعمارية الفاشية ممثلة بالثالوث الإستعماري [ موسوليني- فولبي- غراتسياني ] ، ونجد فولبي إثر تعيينه في يوليو 1921م واليا على طرابلس ، وهو المعروف بدهائه وحكته السياسية ، وأساليبه الاستعمارية ، يتحدث عن هذه الظروف فيقول :- (( وصلت إلى طرابلس ، فوجدت وضعاً اسوأ مما كنت أتصور فقد كانت الروح الإيطالية منهارة ، ونفوس العرب مليئة بالرغبة والاستهانة والأراضي المحتلة قاصرة على مدينة طرابلس ، والثوار يجبون الضرائب في نفس تاجوراء، وكان الشريط الساحلي حتى زوارة داخل الأسلاك، كما كان احتلالنا للعزيرية والخمس معزولا ومحصورا داخل الأسلاك... وقد تكون لدي الانطباع بأننا نعيش في لبس، وأن هذا اللبس غير واضح بكل أبعاده لدى روما، وأن من الواجب تحطيمه بأي ثمن. وبينما كنت مستغرقاً بضمير مستشعر للواجب، في دراسة جميع السوابق السياسية والعسكرية التي جرت خلال العشر سنوات الماضية على الاحتلال، وبعد أسابيع قليلة من وصولي اقترحت على الحكومة المركزية موافقتي على احتلال مصراته البحرية، وغايتي من ذلك تحطيم المماتلات لتصعيد الوضع كله. وقد أنكرت عليّ حكومة روما الوسائل، وأبدت اعتراضاً على المبدأ، مبررة ذلك بأسباب سياسية داخلية خلافاً لرأي الوزير المسئول الذي كان يشاطرنى الرأي...))<sup>(1)</sup>.

وخلال هذه الفترة برز موسوليني المعروف بنزعتة الفاشية ، مستغلاً الشعارات القومية والوطنية ، لتهييج مشاعر الإيطاليين في الأحداث التي تمرّ بها إيطاليا والتخبط والفوضى السياسية نتيجة تصارع الأحزاب ، حيث تمكّن من الوصول للحكم في أكتوبر عام 1922م وقد إستطاع أن يوحدّ الجبهة الداخلية في

1 - د. خليفة محمد التليسي ، بعد القرصايبية ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1973 ، ص14.

إيطاليا ويقضي على الأحزاب ذات التوجهات المتعاطفة مع القضية الليبية ، فكان أكبر سند لمخططات الوالي فولبي تجاه طرابلس .  
أما تعطش غراتسياني لإشعال نار الحرب، ونقض الصلح القائم لإعادة الإستيلاء على طرابلس ، والقضاء على المقاومة فيها تمهيداً للسيطرة على باقي البلاد ، فقد وضح عبر استيائه من الوضع القائم ، وما آلت إليه الأمور ، فهو يرى أن السنوات ما بين 1919-1922 هي فترة الإذلال لإيطاليا فيقول:- (( وفي شهر سبتمبر 1919 أعلن الدستور الذي فسره الأهالي بطبيعة الحال وهو بشكله هذا على أنه اعلان عظيم عن ضعفنا . وماذا كان يهم الذين قبلوا هذا الصلح إذا كانت هناك في ترهونة وفي كل طرقا فزان وعلى طول الشاطئ وفي الوديان المملوءة بالأوحال والأودية المنعزلة لا تزال تبدو ناصعة البياض عظام جنودنا الذين قتلوا في عامي 1914 و 1915 ؟ كانت السياسة أي سياسة الاسترخاء والضعف والتردد قد أخذت تنفث سمومها وكل ما فيها من دناءة ومكائد إذ كان دعائها يهمسون قائلين [إننا جميعا أخوة ! ] ففقدنا بذلك الكثير في سنة 1919 التي كانت سنة الديماجوجية وسنة التنازل والهوان بالنسبة لإيطاليا ))<sup>(1)</sup>.

---

1 - رودولفو غراتسياني ، المصدر السابق ، ص 27.



## 7- سبب استقالة محمد بن الفقيه حسن من عضوية مجلس الحكومة.

يقول القشاطر وهو يتحدث عن مرحلة الجمهورية الطرابلسية وما تبعها من أحداث :- (( ولم تستمر الجمهورية طويلا وتم صلح سواني بن يادم الذي كان ضربة في صميم اللحمة الوطنية واعترافا صريحا بالانضواء تحت الحكم الإيطالي .... وعين الحاج فكيبي أحد ثمانية اعضاء تحت رئاسة الوالي الإيطالي يقيمون في طرابلس ويشرفون على تنفيذ بنود الصلح . وأرسل ابنه حسن إلى تورينو لدراسة الحقوق هناك ..... وقد كان الجميع الذين قبلوا مناصب بموجب الصلح يتقاضون رواتب مجزية من إيطاليا ، وقد اعترض المرحوم محمد الفقيه حسن على هذه الرواتب واعتبرها شراء ذمم ، وحاول إشعار الأعضاء بذلك وامتناعهم عن أخذها ولما لم يستجب أحد منهم إلى رأيه قدم استقالته من عضوية المجلس ، كما أخبرني ابنه الشاعر المرحوم أحمد الفقيه حسن .. ))<sup>(1)</sup>.

وكما تعود القشاطر حين يريد أن يغالط حقائق التاريخ أن ينسب الكلام شفاهة إلى الأموات ، ليتجنب أن يكذب الأحياء منهم ، وهذا ما فعله عند الحديث عن سبب استقالة محمد الفقيه حسن من عضوية مجلس الحكومة ، ونسب الكلام إلى ابنه أحمد الذي توفي رحمه الله ، وسبق له أن أورد كلاما لعدد من مشائخ الزنتان الذين استند على كلامهم، ورواياتهم في كتبه السابقة، وبعد أن وافتهم المنية عليهم رحمة الله ، نقض كلامهم ، بل وتجراً أن يصفهم بالكذب مدعيًا أن حقائق جديدة تؤكد له تفنّد ما ذكره هؤلاء من روايات، دون أن يتخلّق بأخلاق الإسلام الذي يدعو إلى ذكر محاسن الموتى.

إن سبب استقالة محمد الفقيه حسن من عضوية المجلس ، لم تكن بسبب مرتب أو مزايا ، بل أن سببها ما أورده هو في النصّ التالي الذي أرسله إلى جريدة اللواء الطرابلسي الذي لم يتضمّن أي ذكر لمرتب أو مزايا :-

### (( حضرة الفاضل القائم بتحرير جريدة اللواء الأغر

أنشر بواسطة لوائكم على عموم أهل الوطن صورة استعفائي من عضوية مجلس الحكومة الذي قدمته بتصريف قليل لوكيل والي الولاية ليكونوا على بيّنة من أمرهم والله يتولى هدايتنا في حركاتنا وسكناتنا وسائر تصرفاتنا وهذه هي الصورة.

1 - القشاطر ، المصدر السابق ، ص 153-154.

كانت آمال العموم من أهالي القطر الطرابلسي متجهة نحو مجلس الثمانية وكانوا معلقين عليه كل حاجاتهم وتمنياتهم حتى فيما هو خارج عن صلاحيته ودائرة وظيفته .

وسرعان ما انعكست الحال فعاد الأمل يأسا والرجاء خوفا والتوجه إعرضا وساعت الظنون فيما كان ويكون [ والسبب في ذلك على ما ظهر لي هو توالي انعقاد جلساته السرية التي لا يتجاوز عدد أعضائها النصف مع وجود غيرهم ] وتقريرها أمورا لا تعلم إلا بعد ظهور آثارها السيئة للعيان ظهور الشمس في رابعة النهار وتشكيل بعثات من بعض الأعضاء وإرسالها بصورة غير رسمية خطتها خفية لا يعرفها حتى بقية الأعضاء فضلا عن غيرهم .

ومع هذا فإن عدد جلسات المجلس الرسمية [ وقد مضى على تشكيله عام ] لم تتجاوز عدد الأصابع . ومن العجب أنه لم يتفق لأعضائه الثمانية أن يجتمعوا كلهم في جلسة ولو مرة واحدة من هذه الجلسات المعدودة .

ومما يبرهن على استياء الأهالي ونفرتهم من هذا السلوك وعدم رضاهم عن مجلسهم أن سلطة الحكومة قد تقلص ظلها في أكثر الملحقات وساد تحكم الأقوياء على الضعفاء وتغلب سلطان الأعيان والرؤساء على سلطان الحكومة . فطرد بعض القائماقين والمديرين من مراكزهم وعين غيرهم . وحبس أناس وأهين آخرون واعتدى فريق على فريق ، واغتصب أمواله يجري كل ذلك على مرأى ومسمع يشاهده أهل الجهة التي يقع فيها ولا يصل منه شيء إلى مجلسهم الوطني [ اللهم إلا بعض أعضائه الذين لهم الشأن الأول والأيدي العاملة في هذه الحركات والماجريات ] إلى غير ذلك من الأسباب التي لم تصل إلى المجلس في أوانها ليعالجها بالعلاج الناجع النافع ولا أخالها تخفى على الحكومة .

لما رأى العاجز هذه الأمور وأمثالها تزداد من يوم إلى يوم ويزداد معها قلق الرأي العام واستيائه من هذا السلوك وعدم رضائه عن المجلس [ الذي يعتبره الكثيرون منحلا ] كما رأيناها بأعيننا في جملة مكاتيب واردة من جهات مختلفة وسمعناه من كثيرين .

لما رأيت ذلك وأن فعل الفرد ينسب للجميع وأنه ربما خفي عن بعض من لا يعرف مسلكنا من سكان آفاق الولاية ، فعلت ما هو في امكاني واختياري فنشرت هذا الاستعفاء مرجحا الصالح العام على الصالح الخاص تاركا لعموم أهل الوطن إبداء رأيهم في هذا المجلس وحكمهم له أو عليه وانتخاب غيري إن شاؤا أو

حل المجلس وإعادة الانتخاب أو تأجيل ذلك إلى أن يتألف المجلس النيابي إذ الخيرة لهم في ذلك كله . والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل .  
طرابلس في 30 ذي القعدة سنة 1338

عضو مجلس الحكومة  
محمد بن الفقيه حسن ((1).

وإذا كان المرحوم محمد بن الفقيه حسن يثبت سبب استقالته في حينه وينشرها في جريدة اللواء بخطه وتوقيعه آنذاك .. فلماذا يورد القشاطر أسباباً أخرى لا علاقة لها بالموضوع من قريب أو بعيد، ولم يتطرق إليها صاحب الشأن.

---

1 - زعيمة الباروني ، صفحات خالدة من الجهاد الليبي ، الجزء الثاني ، ص410-411.

## 8- ادعاء عدم تبعية قبيلة الصيعان لقيادة الحاج محمد فكيني.

يقول القشاط :- ((... تبين لكل ذي عينين أن الإيطاليين سيهاجمون المنطقة الغربية وأنهم سيتقدمون باتجاه الجبل عن طريق الجوش . وهم في اختيارهم لهذه الطريق سيهاجمون قبائل الصيعان في المنطقة ويتخذون من يوسف خربيشة وأتباعه قاعدة لمساعدتهم ومركزا لانطلاقهم عندما يصلون إلى الجبل . وقال المثل ( إن الحديد بالحديد يفلح ) فهم سكان المنطقة وعلى خبرة بطرقها وآبارها وتضاريسها . انتقل الشيخ المبروك الغدي إلى الهيئة لإعلامهم بنوايا الطليان وطلب الدعم والمساعدة على صد الطليان قبل أن يتقدموا للجبل . كلفت الهيئة الحاج محمد فكيني بمن معه من الزنتان والرجبان ، والسبعة والغنائة وأولاد شبل والعواته والقنافيد ، والفاصلة ، والسلامات ليتصدوا للقوات الزاحفة ويقوموا بمساعدة الصيعان على ذلك ))(1).

ثم يضيف في موضع آخر:- (( ..غير أن هناك قيادات أخرى لم تستسلم ولم تمد يدها ضمن هذه المجموعات أمثال المبروك الغدي من الصيعان الذي ما إن علم بتقدم الطليان حتى توجه إلى هيئة الإصلاح المركزية يستند برئيسها الذي كلف الحاج محمد فكيني ومن معه من الزنتان والرجبان والقبائل الصغيرة الأخرى في الجبل لسد هذه الثغرة ، وبالتالي يتضح أن معركة [ الوخيم ومن بعدها معركة الجوش ومعركة السلامة] كانت مسبقاً محكوماً عليها بالفشل لضعف القيادة لدى المجاهدين وخور عزيمتها ))(2).

ومن النص السابق يلاحظ أن القشاط وهو يقفز على مجريات الأحداث وتسلسلها يحاول أن يتصيد كلمات ، وينظم جملاً ، ليوهم القارئ بأن لقبيلة الصيعان قيادة مستقلة ، وأن هدف الإيطاليين هو مهاجمة هذه القبيلة التي تناظرهم قوة وبأساً وإبادتها كي تنطفئ جذوة المقاومة في المنطقة ، ويتسنى لهم احتلال الجبل ، وأن استعداد المجاهدين هو لتقديم المساعدة للقوة الرئيسية [الصيعان] لمواجهة للطليان.

ولذلك فهو يعطي بعداً قيادياً لإحدى شخصيات كتابه وهو المبروك الغدي ، ويضعه في مقارنة عجيبة مع الحاج محمد خليفة فكيني، وفي مستوى

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 146.

2 - المصدر السابق ، ص 163.

واحد، فيشير أنه في حين استسلم الحاج محمد فكيني ومدّ يده للراتب ، فإن المبروك الغدي كان صلّباً ولم يستسلم مطبقاً يده ولم يمدها رغم كل وسائل الإغراء متناسياً أن المبروك الغدي شخصية ثانوية في حركة الجهاد ، وأن كل المصادر التي أرّخت لمرحلة الجهاد منذ عام 1911 وحتى 1931م خاصة مذكرات الشيخ سليمان الباروني ، التي كانت تتناول الأحداث المحيطة بالمنطقة وقبائلها لم يرد فيها ذكر المبروك الغدي إلا مرتين فقط، وأن نهايته كما يذكرها المؤلف كانت في الصفّ المعادي للمجاهدين حين انضمّ إلى خليفة الزاوي وقتل في أحداث تلك الفترة.

**وللتوثيق والتوضيح** نورد ما كتب عن المبروك الغدي في كل المصادر المكتوبة لنتساءل بعدها : هل يجوز إجراء مقارنة بين شخصيتين الأولى زعامة وقيادة لجهة جهادية عريضة ، والأخرى شخصية ثانوية لم يشر أي باحث أو مطلع عاصر الأحداث أو من الأجيال اللاحقة ، أو حتى من الوثائق الإيطالية التي أرّخت لسير المعارك والأحداث منذ بداية الغزو الإيطالي لليبيا إلى أن هذه الشخصية لعبت أي دور قيادي في تلك المرحلة ؟!!! .

\*- الوثيقة الأولى : برقية موجّهة إلى الشيخ سليمان الباروني.

(( نزاد - سليمان بك الباروني . متصرف اللواء ساسي خزام بك

#### **التوقيع [جمالي]**

أخذنا جواب من باريس من [عزيز ثابت باشا] مآله الاستفهام عن الحرب يقول فيه [هذه مراجعات مضرة] فرجعنا له الجواب . بعد ثمانية أيام نياشر الهجوم لا يخفاكم أن عموم الملة مترقبين المناوشات . المسموع من الإسكندرية بأن بنغازي منذ مدة باشروا الحرب حسب المسموع . العدو بلغ غريان العجيلات العالوفة- هكذا كتبت ولا أعلم مكانا يشبهها - ز- لما بلغهم ذلك فسد فكرهم وقالوا إن لم نياشر الحرب سترجع الأهالي وتقول : ليس هناك حرب ما دامت هذه سيرتنا والعدو عمر استحكاماته في كل مكان خارج القرى كما هو معلومكم وبهذا سيصعب علينا كل شئ ولنقل ومن طرف الله فضلا عن العال منتظرين منك التعريف عن كل الأحوال ومتى نياشر الحرب لأننا من هنا سنباشر . أرجوكم صدور أمركم إلى قائمقام نالوت ومدير الرحيبات أن يتداركونا بالمجاهدين ليكونوا مدد إلى النوائل وزواره . الصيعان رغبتهم في

الدقيق فقط بالخصوص . المبروك الغدي إياكم أن تتركوه إن تركتموه لا نأمن  
الخراب .. وهذه أمور بهتمكم تحصل افندم .  
13-14 كانون أول 328 بشول **عبدالله يوسف** ((<sup>(1)</sup>).

وما يلاحظ على هذه البرقية هو مطالبة عبدالله يوسف للشيخ سليمان الباروني إمداده بالمجاهدين من نالوت والرحيبات ، لشدّ أزر المجاهدين من النوائل وزواره ، في حين أنه يشير إلى يأسه من الاعتماد على الصيعان ، وهم أقرب جواراً للنوائل وزواره ، كما ينتهه بأخذ الحيطة والحذر ، وعدم الركون إلى المبروك الغدي لأنه يسعى إلى الخراب.

\*- الوثيقة الثانية : كتب الشيخ سليمان الباروني في مذكراته يقول :-

(( 17 نيسان ركبنا إلى العزيزية بعد الجلوس ومعنا المريض بك والصويحي بك وبن تنتوش بك وبقية الجماعة وفكيني بك ..... وأتى الغدي والختروشي من تطوين وأفادا أن مأموري فرنسا يشيعون أن الباروني يولي أحبابه [نفسه] ويؤخر العرب وهي [فتنة] يريدون إشاعتها...))<sup>(2)</sup>.

كما يتعمّد المؤلف في غياب الوثيقة التي تظهر حقيقة الحدث ، سرد روايات منقولة شفويًا عن الغير ، ونسج حكايات يقصد منها صياغة رواية تتسجم وطبيعة الحدث ليسجل بها موقفًا متميزًا يكون في الغالب لقبيلته ، وإن كان من صنع الخيال ، ومحاولة استبعاد تبعية قبيلته من قائمة القبائل المنضوية تحت قيادة الحاج محمد فكيني.

وللتأكيد على إنصواء قبيلة الصيعان مثلها مثل بقية القبائل في المنطقة تحت قيادة الحاج محمد فكيني ، نشير إلى أنه عند مراجعة كتابه الأول [ خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام ] إستوقفنا رواية تحت عنوان [ ابن عسكر والصيعان ] يقول فيها :- (( سار ابن عسكر من نالوت بحملته إلى يفرن حسب طلب الشيخ الباروني وفي السبع نصب مخيمه استعدادًا للمعركة جنوب الجوش وأرسل في طلب الشيخ نصر بن الحاج مدير الصيعان وبعض أعيانهم .

1 - زعيمة الباروني، صفحات خالدة من الجهاد الليبي ، الجزء الأول ، ص 195-196.

2 - زعيمة الباروني ، صفحات خالدة من الجهاد الليبي ، الجزء الثاني ، ص 248.

ولقد حدثني عبدالناصر براق وهو أحد أفراد الوفد قال : " جاء الشيخ نصر ومن معه إلى ابن عسكر في خيمته التي نصبها للقيادة وطلب منهم ابن عسكر الانضمام لمحاربة الرجبان والزنتان وعرب الشرق ولكن الصيعان رفضوا هذا الطلب وأجابوه نحن لا نقاتل المسلمين فإذا شئتم محاربة الطليان نحن معكم وإذا شئتم أن نتوسط بينكم بالصلح فنحن على استعداد أما محاربة المسلمين فلن نرضاها أبداً " .

والصيعان قوم أشراف لا يأكلون المنهوبة والمسروقة ولا يخللون أموال المسلمين . وقد اشتبه عليهم الأمر ففضلوا الحياد فاعتزلوا الحرب الأهلية هذه . غير أن ابن عسكر ارتكب خطأ في هذه المقابلة .. فإنه لما يئس من محاربة الصيعان معه أجابهم كما قال عبد الناصر براق وهو أحد الحاضرين .  
" كلكم زي بعض . بالحرام ما بعدهم هم إلا أنتم " ، فرد عليه الشيخ نصر :  
" يكمش فيك ربي " السماء مكموشة بغير عمد " ، وخرج جماعة الصيعان من الخيمة التي غطى خليفة بن عسكر رأسه ببرنسه فيها مغتاطًا من موقفهم .  
وسارت حملة خليفة بن عسكر حتى وصلت إلى فساطو وذهب هو بمجموعة قليلة إلى يفرن ليستطلع الباروني ويستشيريه في الخطة القادمة بناء على طلب الباروني . وقد كان للكلمة التي تفوه بها أثناء الغضب أثر سيئ في مستقبله العسكري<sup>(1)</sup> .

**هذا ما أورده محمد سعيد القشاط ، وثبته برواية شفوية كأساس لحدث وموقف شهم لقبيلته التي تآبى أن تنجرّ لقتال بين فئتين من المسلمين ، وتعرض القيام بدور لإصلاح الخلاف ، ولكن للحقيقة وجه آخر ينبع من الوثائق التي كتبها الصيعان لتوضيح موقفهم في هذه الأحداث ، فمن بين الوثائق والتي تنشر لأول مرة ، هذه الوثيقة التي أرسلها أهالي الصيعان إلى الحاج محمد خليفة فكياني معلنين أن سبب خلافهم مع خليفة بن عسكر ، هي الغنائم التي أخذها منهم بن عسكر وهم كما يقول القشاط [ لا يأكلون المنهوبة والمسروقة ولا يخللون أموال المسلمين ] ومعلنين فيها تقديم الولاء وتجديد قبول قيادته لهم كسائر عموم الولاية .**

**ويلاحظ أن من بين الموقعين على مضبطة الولاء والطاعة والعهد لقيادة الحاج محمد فكياني ، الشيخ المبروك الغذي الذي قدّمه القشاط قائدًا مناظرًا للحاج محمد فكياني !!! .**

1 - القشاط ، خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام ، ص 178 .

وتقول الوثيقة التي تنشر لأول مرة وهي مثبتة في ملاحق الكتاب بنصها الأصلي ما يلي :-

10 جمادي الثاني 1338  
(1920/2/29)

حضور جناب ذوي المكارم أعضاء حكومة القطر الطرابلسي  
الحاج محمد فكيبي وعلي بك الشنطة دام حفظهما أمين

بعد مزيد السلام عليكم ورحمته تعالى وأزكى تحياته والسؤال عن حالكم (غير مقروءة) وبعد فقد بلغنا وتشرفنا بجوابكم المؤرخ 12 جمادي أول سنة 1338 ، قولكم أن خليفة بك بن عسكر جعل اعلانات وبعثها لبعض محلات وكما لا يخفاكم معاملته السابقة معنا والفتنة التي وقعت بيننا وبينه وهي من جانب الغنائم التي أخذناها وهو أكلها منا فمن ذلك الوقت منقطعة العلاقة بيننا في جميع الأمور ولو أنه كاتبنا لا تظنوا يغرنا قوله ولا نعتبروا أحواله . وتعلموا أن عمومنا منسرة وممنونة بما جعلتم من تلك المصالح الذي حصلت وقولكم مناصحته هذا تعلموه لا ينظر قولنا ولا يمتثله ، ونحن مثلنا مثل عموم اسلام الولاية وقلدناكم أمورنا حيث جعلكم الله لتوفيق مصالحننا ولازلنا ندعو لكم بدوام العز وطول العمر والتوفيق في جميع أموركم والسلام .

10 جمادي الثاني سنة 1338

أعيان	أعيان	أعيان	أعيان
المبروك الغدي	محمد أبوطيب	الشيخ	الشيخ
مدير ناحية الصيعان	نصر بن الحاج	توقيع	قائم مقام الجوش
		إبراهيم أبو الأحباس <sup>(1)</sup> .	

مدير ناحية الصيعان  
نصر بن الحاج

توقيع  
قائم مقام الجوش  
إبراهيم أبو الأحباس<sup>(1)</sup>.

1 - ملحق رقم ( 30 ) من أرشيف الحاج محمد خليفة فكيبي، تنشر لأول مرة، ( الوثيقة رقم 3 بالملحق ).



ومما يؤكد إنصواء الشيخ المبروك الغدي تحت قيادة الحاج محمد فكيني ما أورده الباحث فتحي ليسير في حديثه عن المناوشات التي سبقت معركة الوخيم بالقول :- (( وبإزاء التطور الذي اتخذته الأحداث اضطر خليفة بن عسكر في 14 ماي إلى العودة للوطية ، أما محمد فكيني فإنه اكتفى يوم 20 ماي بعملية صغيرة في المكان المعروف بالهبيلة عهد بها إلى مبروك الغدي ))<sup>(1)</sup>.

---

1 - فتحي ليسير ، المصدر السابق ، ص 305.

## 9- معركة الوخيم : ظروفها ونتائجها - [مراسلات فكيني - غراسياني]

يقول القشاط تحت عنوان معركة الوخيم بداية الانكسار:- (( تبيّن لكل ذي عينين أن الإيطاليين سيهاجمون المنطقة الغربية وأنهم سيتقدمون باتجاه الجبل عن طريق الجوش . وهم في اختيارهم لهذه الطريق سيهاجمون قبائل الصيعان في المنطقة ويتخذون من يوسف خريشة وأتباعه قاعدة لمساعدتهم ومركزاً لانطلاقهم عندما يصلون إلى الجبل . وقال المثل [ إن الحديد بالحديد يفلح ] فهم سكان المنطقة وعلى خبرة بطرقها وآبارها وتضاريسها . انتقل الشيخ المبروك الغدي إلى الهيئة لإعلامهم بنوايا الطليان ، وطلب الدعم والمساعدة على صد الطليان قبل أن يتقدموا للجبل . كلفت الهيئة الحاج محمد فكيني بمن معه من الزنتان والرجبان ، والسبعة والغنائة وأولاد شبل ، والعواته والفتافيد والفاصلة ، والسلامات ليتصدوا للقوات الزاحفة ويقوموا بمساعدة الصيعان على ذلك ))<sup>(1)</sup>.

**ويضيف :-** ((...إذن أغلب قيادات المجاهدين في معركة الوخيم الذين كان من المفروض عليهم منع الإيطاليين من التقدم لاحتلال الوطن كانوا على اتصال بالطليان ويتفاوضون رواتب غير أن هناك قيادات أخرى لم تستسلم ولم تمد يدها ضمن هذه المجموعات أمثال المبروك الغدي من الصيعان الذي ما إن علم بتقدم الطليان حتى توجه إلى هيئة الإصلاح المركزية يستنجد برئيسها الذي كلف الحاج محمد فكيني ومن معه من الزنتان والرجبان والقبائل الصغيرة الأخرى في الجبل لسد هذه الثغرة وبالتالي يتضح أن معركة الوخيم ومن بعدها معركة الجوش ومعركة السلامة كانت مسبقاً محكوماً عليها بالفشل لضعف القيادة لدى المجاهدين وخور عزيمتها ))<sup>(2)</sup>.

**وفي الهامش رقم (1) كتب :-** (( يمكن الاطلاع على رسائل فكيني لغراتسياني في كتاب نحو فزان الذي يرى أن لا خلاف له مع الحكومة ولكنه ضد عودة أهالي الجبل للجبل ))<sup>(3)</sup>.

1 - القشاط ، من قيادات الجهاد الليبي ، ص 146.

2 - المصدر السابق ، ص 164-165.

3 - المصدر السابق ، ص 165.

كما يقول أيضاً: - (( بل إن الحاج فكيحيى كان يكاتب الجنرال غرساني قائلًا له " إنه لا يعترض على قوات الحكومة ، ولكنه يعترض على صعود البربر إلى الجبل ويجب إرجاعهم " ))<sup>(1)</sup>.

(( .. وفي الصباح من يوم 3 يونيو كرّ المجاهدون على هذه المجموعة وتم سحقها وأرسل إليها غرساني مجموعة من الفرسان لنجدها ولكنهم لم يستطيعوا فعل شيء بل سقط منهم عدة قتلى وضابطان من ضباطها وجرح الثالث عاد الإيطاليون إلى معسكرهم بعد أن أسقطت الطائرات عدة قنابل على المجاهدين ولم يستطع محمد فكيحيى الاستفادة من هذا الانتصار ولم يأمر قواته بمتابعة الإيطاليين ولا الهجوم على معسكرهم وبقي يتبادل الرسائل مع غرساني الذي يقول " وهكذا أتاح لي الفرصة للاستفادة من الوقت حتى تصل كتيبة المدد وذلك بفضل المفاوضات والأخذ والردّ " ..... بقي الحاج فكيحيى مسمراً بقواته في الوخيم والعدو على مرمى البصر أمامهم ولم يطلقوا عليه في مخيمه ولا رصاصة واحدة ولم يهاجموه استمر ذلك الوضع حتى مساء يوم 11-12 يونيو عندما كشفت استطلاعات المجاهدين تحرك العدو باتجاه الجوش ))<sup>(2)</sup>.

وقبل مناقشة ما كتبه القشاطر في كتابه الأخير، لنتصّح كتاباته وقصائده السابقة كما يعتبرها مصدرًا وثائقيًا مهمًا حول معركة الوخيم ، للمقارنة بينهما في ثبات الرؤية والموقف من القشاطر تجاه هذه المعركة وقائدها.

يقول الشاعر محمد سعيد القشاطر في قصيدته التي أسماها [نهار الوخيم] وقدّم لها بما يلي :- (( موقعة بين الليبيين والإيطاليين تخيلها الشاعر وقال عنها نختار منها الأبيات التالية :-

صار يوم في واد الوخيم ظلامه	يشيب رضيع المهدي قبل افطامه
وهافوا علينا خارجين المله	عساكر ودبابات جيش اروامة
لى ناس ما تعرف معاني الذله	مغرور ما حسب عرب قدامه
الزنتان والرجبان جوا ابعده	أصيود كاسره ع الصيده تطامه
صار جيش لعدا شاقى	ونزلت ادماهم في التراب سواقى
ما تفرز النازل من اللي راقى	ترك عدته واندفعه واخيامه

1 - المصدر السابق ، ص167.

2 - المصدر السابق ، ص 167-168.

نقص عددهم نصف النهار تفاضت      وربي قوي قادر نصر اسلامه  
وجيش العدو قلع اجيوشه ناضت      وتم طاح هल्ली قاصرات ايامه  
هالمعركة ربحناها      وشوق من معارك قبلها ووراها  
عطيناه كف يحير فيه دواها      اصيود لييبا تصعب على الدهامه(1)

كما تناول القشاط معركة الوخيم في أحد كتبه فقال:- ((...وموقعة الوخيم إذ استطاعت مجموعة من قبائل الصيعان والزنتان والرجبان من التمرکز على مياه الوادي وصد الإيطاليين حيث مات معظمهم بالعطش غير أن الكثرة كما يقال تغلب الأسد فانحصرت القوة والعدد بعد معركة دامت ثلاثة أيام ))(2).

ويتابع في موضع آخر من ذلك الكتاب فيقول:- ((.... وكان الشعراء الشعبيون يتابعون المعارك الواحدة تلو الأخرى منهم من هو في المنفى ، ومنهم من يخوضها مع رفاقه ولناخذ على سبيل المثال قصيدا للشاعر ضو العساس يتحدث فيها عن معركة يوم الوخيم وهي من المعارك الفاصلة التي استمرت ثلاثة أيام خاضتها قبائل الصيعان والزنتان والرجبان وبعض أفراد من بلدة الحراية متحدة جنبا إلى جنب ويقول الشاعر أنهم عندما نفذت ذخيرتهم ضربوا بالبنادق ضربا واستعملوها كالعصي ولم يتراجعوا حتى أبيد معظمهم ... ))(3).

كما نشر مقالاً في مجلة الوحدة العربية التي كان يرأس تحريرها عام 1970 وذلك ضمن سلسلة مقالات عن المجاهدين بعنوان ( واحد من المجاهدين : الحاج محمد بن خليفة فكييني )) جاء فيه:- ((.... وعندما زحفت إيطاليا بجيوشها عام 1922 ناقضة الصلح كان الحاج محمد فكييني على رأس المجاهدين من قبائل الزنتان والرجبان والصيعان والحراية الذين تصدوا لجيش غراتسياني في معارك الوطنية وسواني الكردي والوخيم والجوش والسلامات وقد قتل أحد ابنائه في معركة الوخيم وانسحب المجاهدون إلى القبلة حيث ترأس الحاج فكييني المجاهدين في معارك القبلة كزمزم والمويلحات وعلاق والعصمة ، في عام 1930 استولى الطليان على فزان فانسحب الحاج محمد فكييني بمن معه من المجاهدين إلى الصحراء الكبرى بجنوب الجزائر حيث مات معظم مرافقيه بالجوع والعطش حتى

1 - القشاط ، ديوان بين نجوع البادية ، ص24.

2 - محمد سعيد القشاط، صدى الجهاد اللببي في الأدب الشعبي ، دار لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1970، ص21.

3 - المصدر السابق ، ص 76.

وصل إلى تونس في عام 1931 واستوطن بها وكان محل استشارة المجاهدين وأولي الأمر منهم وقد حوكم من قبل الإيطاليين غيابياً وحكم عليه بالإعدام ومصادرة أملاكه...<sup>(1)</sup>.

**ويقول أيضاً:-** ((..لما شنت إيطاليا حملاتها لاحتلال الوطن في صيف عام 1922 وتقدم غراتسياني بقواته عن طريق زواره ، والوطية ، الحمراء ، وسواني الكردي لاحتلال الجبل تلقاه محمد فكياني على رأس قوات المجاهدين من الرجبان والصيعان والزنتان الحرابية وغيرهم من السبعة والغنايمة وجرت بينه وبين غراتسياني مكاتبات غير أن المجاهدين رفضوا التسليم وأصرروا على خوض الحرب دفاعاً على الوطن المفدى فخاضوا معارك الوخيم والجوش والسلامات كما قاد محمد فكياني المجاهدين في القبلية في معارك المويلحات والعصمة وعلاق ووادي أوال ))<sup>(2)</sup>.

**هذه النماذج المتعددة من كتابات محمد سعيد القشاط حول معركة وادي الوخيم والجوش ، فبالرغم من أن الكاتب واحد ، والمصادر التي يستقي منها روايته تكاد تكون واحدة ، ولكن هذه الكتابات تمايزت عن بعضها البعض، تبعاً لما يعترى القشاط من مشاعر وأحاسيس يترجمها مدحاً أو ذمّاً.**

**وتتمثل الأفكار الرئيسية التي يطرحها القشاط فيما يلي :-**

- أن القوة الرئيسية التي ستواجه الحملة الإيطالية على الجبل الغربي هي قبيلة الصيعان ، وقد أشار القشاط إلى أنها متمركزة في قرية الجوش بما تعني هذه الكلمة من تحقّر واستعداد ، للمواجهة الحاسمة التي ستحدّد مصير الجبل وقبائله ، وقد تحدّد مصير الوجود الإيطالي برمته في طرابلس ، وهي أدري بطرقها وتضاريسها وآبارها .
- أن قادة المجاهدين الذين كلفتهم هيئة الإصلاح المركزي بمساعدة الصيعان على مواجهة غراتسياني، هم قادة ضعاف العزيمة والقدرة، وعلى اتصال بالإيطاليين بما يتعذر معه تحقيق أي نصر على الإيطاليين .

1 - محمد سعيد القشاط ، واحد من المجاهدين: الحاج محمد بن خليفة فكياني ، مجلة الوحدة العربية ، العدد السادس ، 1 سبتمبر 1971 ، ص 82.

2 - محمد سعد القشاط ، خليفة بن عسكر ، ص 202.

- عدم قدرة قيادة المجاهدين على استغلال الظروف المواتية لصالحها لمهاجمة العدو وتحقيق النصر عليه ، وجنوحها لمهادنة العدو ومراسلته طلباً للمسالمة ولتحقيق منافع شخصية .

**والواقع** أننا لسنا بصدد مناقشة أو محاججة القشاط في سير المعركة أو الأمور المتعلقة بها ، لأن ذلك موجود في الكتب والمصادر الليبية والإيطالية على السواء، وهي بمجملها تتفق في طبيعة المعركة ونتائجها ، وعلاقات وأدوار كل الأطراف فيها ، ولسنا في حاجة لرواية جديدة ، ولكن ما يهمّ هو مناقشة هذه الأفكار التي يطرحها القشاط على بساط التحليل وفق ما توفر لدينا من وثائق:-

**أولاً:-** حاول القشاط الإيحاء بأن الهدف الأساسي للحملة الإيطالية هو القضاء على القبيلة المنيعية التي تقف حجر عثرة أمام صعودهم إلى الجبل ، وهي قبيلة الصيعان وقد أشار إلى أنهم متمركزون في الجوش ، وكلمة التمركز هنا يوردها القشاط على أساس الاستعداد والتحفز للمواجهة ، ويلاحظ أن القشاط استخدم هذه الكلمة بقصد إعطاء صورة المحارب المستعدّ للمواجهة ، رغم أن واقع الحال أن الصيعان متواجدون في أراضيهم وبيوتهم ، في حين وصف الآخرين بالانتشار في قراهم للتقليل من شأنهم ، ورغم أن كلمة التمركز قد تعطي معان أخرى لا تدل على الاستعداد للمواجهة ، بقدر ما تشير كذلك إلى حالة الذهول أو التربص لمعرفة ما ستؤول إليه نتائج المواجهة المرتقبة بين المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيّني والإيطاليين بقيادة غراتسياني . أما قوله فهم أدرى بتضاريسها وطرقها وآبارها ، وحتى لا يعتقد القارئ أن القشاط يتحدث عن منطقة وعرة في جبال الألب ، أو جبال تورا بورا الأفغانية نشير أنه يتحدث عن منطقة منبسطة في سهل الجفارة ، لا توجد بها موانع طبيعية كالجبال أو الوديان العميقة .

**لذلك** ومن وثيقة تنشر لأول مرة ، وهي الرسالة التي وجهها الجنرال غراتسياني إلى الحاج محمد فكيّني ، وتبدو من تاريخها في 4 يونيو 1922 وديباجتها أنها ردّ على رسالة الحاج محمد فكيّني إلى غراتسياني المنشورة في كتاب نحو فزان نقتطف جزءاً منها يتعلق بوضع وتمركز الصيعان ضمن دائرة

هذه المواجهة ، يقول غراتسياني :-

(( من سواني الكردي  
إلى الحاج محمد فكيني

قد أتانا جوابكم فهذه الليلة وبلغناه إلى طرف القورناتوري باش تكون متعرفين بالإستعاد الذي يجعله، وسانبلغو إلى طرفكم المضمون في الوقت الذي نستعدو على الجواب المذكور ....وقد نيهت بواسطة جوابي إلى مدير الصيعان لا يمكن أن تصير منهم مناشية مع عساكر الدولة إذا أتوا إلى الجوش ، وإذا صارت منهم مناشية فبعدين الطيار بخرب بيوتهم .....طيب أنا قد أمرت الطيار أن يرمي البومب على الجوش ، وإلى تاريخ اليوم يرمي على القصر وأركانه...<sup>(1)</sup>.

إنّ التمرکز الذي يتباهى به القشاط ، ويقول أنه لا يفلّ الحديد إلا الحديد وأنهم أدرى بطرقها وتضاريسها ، يعصره غراتسياني بجبروته في قبضته ، محذراً المتمركزين ، وهم على هامش دائرة اهتمامه الرئيسية في المواجهة من أن قيامهم بأية حركة أو فعل مهما كان ستكون نتيجته خراب بيوتهم وتدميرها !!! .

ثانياً:- أما قول القشاط أن قيادة المجاهدين تتصّف بالضعف، وخور العزيمة وعلى اتصال بالإيطاليين، فنشير إلى أن القشاط أخذ منحى تجرّد فيه من أخلاقيات الباحث المنصف، حين ضمّن روايته بعض الإشارات التي قصد منها التعريض بشخص الحاج محمد فكيني، وهو الغرض الأساسي الذي يسعى إليه القشاط بما يدل على انحرافية المنهج عن البحث العلمي، وسوء القصد مثل قوله:-(( إذن أغلب القيادات المجاهدين في معركة الوخيم الذين كان من المفروض عليهم منع الإيطاليين ... كانوا على اتصال بالطليان ويتقاضون رواتب..)) أو ((.. وبالتالي يتضح أن معركة الوخيم ومن بعدها معركة الجوش ومعركة السلامة كانت مسبقا محكوما عليها بالفشل لضعف القيادة لدى المجاهدين وخور عزيمتها)).

1 - ملحق رقم ( 97 ) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة ( الوثيقة رقم 8 بالملحق ) .

**ولنا تعليق على عبارته الأخيرة، فالقشاط يصف الحاج محمد فكيني بالضعف** وخور العزيمة، وهذا يتناقض كلياً بما عرف عن الحاج محمد فكيني من **الشدة والحزم والحكمة**، وقد سبق له أن نال وسام الشجاعة في معركة عجز الجيش التركي عن الفوز فيها، والتي يقول حولها القشاط في مقالة بمجلة الوحدة العربية:- ((هجمت فرقة من الجيش الفرنسي بالجزائر آنذاك على الأرض الليبية عام 1320هـ أرسل الحاج محمد فكيني قائدا للعسكر العثماني وتمكن من طرد الفرنسيين ونال إثر ذلك وسام الشجاعة بعد انتصاره في معركة سانية الرجل))<sup>(1)</sup>.

**كما أن كل التقارير الإيطالية تصنّف الرجل بالعدو السابع العداوة** والمقاتل الذي لا تلين قناته ، يقول أنجيلو ديلا بوكا:- (( ومن يناير حتى مايو من سنة 1925 - وباستقراء التقارير اليومية التي يرسلها فولبي إلى روما - لم تحدث مزعجات في ولاية طرابلس يمكن أن تعكر [طمأنينة الإقليم الكبرى] وإن وجدت سحابة ما فهي بعيدة في الشاطئ وفي فزان غير أن فولبي لا يبدو قلق بشأنها والواقع أنه كتب يقول [المعلومات تشير إلى أن أكبر شخصيتين من العصاة في الجنوب الغربي اللاجئ من الجبل عدونا السابع العداوة محمد فكيني ، وأحمد السني أكبر مريدي السنوسية في ولاية طرابلس ] وهي معلومات غامضة لكنها تتطابق مع التسليم أنهما عقدا العزم على التحرك وتؤكد سفرهما إلى مرزق لزيارة خليفة الدعيك الزاوي لمحاولة اقناعه بالاتحاد معهما وبالتالي مع أولاد سيف النصر.. ))<sup>(2)</sup>.

**كما يضيف أيضاً:-** (( ... ومن بين أولئك المهاجرين الأواخر بعض أسماء أجراء المجاهدين مثل ... وابن السبعين محمد فكيني الذي يكاد يفقد بصره والمقاتل دون توقف منذ سنة 1922.... ))<sup>(3)</sup>.

**ويقول العقيد أ . بيلاردينيلي :-** ((... كان محمد فكيني يمتاز بعزيمة صارمة ونكاه حاد ورباطة جأش ورسالة فائقة .... وعند انسحاب حاميات الدواخل إلى الساحل ، انضم إلى صفوف العصاة ، فحاربنا وقاتلنا بعناد وإصرار لا يلين حتى أنه أنفق قسما كبيرا من ثروته في سبيل ذلك ، فامتد نفوذه وانتشرت

1 - القشاط، مقال: واحد من المجاهدين، ص82.

2 - أنجيلو ديل بوكا، الإيطاليون في ليبيا: الجزء الثاني، ترجمة د. محمود علي التائب ، الجماهيرية ، 1995، ص 62.

3 - المصدر السابق ، ص 192.



سمعتة حتى اجتازت الحدود الفاصلة بين قائمقاميته والمناطق الأخرى ، فأصبح في مقدمة متزعمي حركة العصيان ضدنا ، وتزعم حركة المقاومة طوال فترة إعادة احتلالنا للجبل ومناطق الدواخل (1922) إلا أن الأحداث والتقلبات التي صادفها في حياته جرفته معها وجرفت معه ثرواته الطائلة : والآن يعيش آخر سنوات حياته لاجئاً في تونس بعد أن فقد بصره ((1).

ويقول رفائيل رابكس عن الأحداث التي تلت معركة الوخيم :- ((...هذا وقد توقع العقيد غراتسياني من محمد فكيني أن يقوم بعملية هجومية ، وتحسباً لذلك أرسل إلى الجبل الكتيبة الإيرتزية الرابعة ومعها مدفع واحد ونصف فصيل من السبايس لتعزيز فصائل باندة خربيش ، وقد صدق حدس العقيد غراتسياني ، إذ أن فكيني لم يذعن للهزيمة ، فلملم فلول المسلحين في الرجبان وفي الزنتان وبعض المجموعات الصغيرة الأخرى وشكل منها جميعها قوة شنّ بها هجوماً عنيفاً على السلامة يوم 18 يونيو معتقداً بأنه لن يجد في مجابهته سوى باندة خربيش ولكن تقديره قد ساء ، إذ تولى الرائد تراكيا قائد الكتيبة الإيرتزية الرابعة إدارة المعركة التي اشتركت فيها باندة خربيش ببسالة فائقة وأنزلت بمحمد فكيني ورجاله هزيمة نهائية نكراء ... ولقد قضى التقدم الكاسح الذي قام به العقيد غراتسياني ورجاله على كل محاولة للعدو للتصدي والمقاومة ، فقد أذعن أهالي الصيعان والحراية واستسلموا للحكومة ، وسلموا خمسمائة بندقية ...)) (2).

ونورد جزءاً من رسالة وجهها المجاهد بشير السعداوي للحاج محمد فكيني

بعد أن علم بوصوله سالمًا إلى تونس نهاية عام 1930 :-

(( سعادة المجاهد الكبير سيدي الحاج محمد بك فكيني حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد بشرني أخو الجميع أحمد فاضل بك بوصولكم إلى القطر التونسي سالمين فسررت من جهة وأسفت إذ أن البلاد فقدت بطلا من أبطالها وعضدا كبيرا من رجالها لأنكم من الذين أعزّ الله بهم الإسلام والمسلمين في تلك الديار ولقد كنتم السيف المسلط على رقاب الخائنين والكفار... وقد كفانا شرفاً أننا قمنا بواجب الجهاد وبذلنا ما في وسعنا لإنقاذ البلاد من مخالف

1 - بيلاردينيلي ، القبلة ، مخطوط ، ص 55.

2 - رفائيل رابكس ، المصدر السابق ، مخطوط ، ص 284.

المستعمرين وعذاب القوم الظالمين ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها ولكل أجل كتاب ولنا في رسول الله أسوة حسنة يوم هاجر من مكة مع أصحابه (...))<sup>(1)</sup>.

**ثالثاً:-** أما إشارة القشاط إلى المراسلات التي جرت بين الحاج محمد فكيني و غراسياني ، وقوله بأن :- (( الحاج محمد فكيني كان يكتب الجنرال غراسياني قائلاً له " أنه لا يعترض على قوات الحكومة ، ولكنه يعترض على صعود البربر إلى الجبل . ويجب إرجاعهم )) أو تعليقه بالقول :- ((... وبقي يتبادل الرسائل مع غراسياني (...)) أو قوله في هامش كتابه محل النقد:- ((يمكن الاطلاع على رسائل فكيني لغراسياني في كتاب نحو فزان الذي يرى أن لا خلاف له مع الحكومة ولكنه ضد عودة أهالي الجبل للجبل (...))<sup>(2)</sup>. وكذلك قوله :- (( لما شنت إيطاليا حملاتها لاحتلال الوطن في صيف 1922 وتقدم قرسياني بقواته عن طريق زواره الوطنية ، الحمراء ، سواني الكردي لاحتلال الجبل ، تلقاه محمد فكيني على رأس قوات المجاهدين من الرجبان والصيعان والزنتان والحراية وغيرهم من السبعة والغنايمة وجرت بينه وبين قرسياني مكاتبات غير أن المجاهدين رفضوا التسليم وأصرروا على خوض الحرب دفاعاً عن الوطن المفدى (...))<sup>(3)</sup>.

#### \* - مسألة المراسلات والبادئ بها .

يحاول القشاط من خلال كتاباته حول هذا الموضوع أن يلصق بالحاج محمد فكيني تهم تتعلق بالتقصير والنكوص ، وتغليب مصلحته الشخصية على الجهاد ومقاومة الإيطاليين ، وحصر المسألة في ثأر شخصي تجاه أهالي فساطو وأنه هو من بدأ المراسلات مع غراسياني ، وعرض عليه الاستسلام غير أن المجاهدين رفضوا ذلك وأصرروا على المواجهة التي كان الحاج محمد فكيني لا يريدتها .

1 - ملحق رقم (140) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة ( الوثيقة رقم 22 بالملحق ).

2 - القشاط ، من قيادات الجهاد ، ص 165.

3 - القشاط ، خليفة بن عسكر ، الثورة والاستسلام ، ص 202.

## أولاً: - حقيقة النص الأصلي لرسالة الحاج محمد فكيني المنشورة في كتاب [ نحو فزان ]

استخدم القشاط كلمة [ مراسلات ] بصيغة الجمع على إطلاقها مشيراً إلى أن هذه المراسلات موجودة بكتاب غراتسياني ، رغم أن كل تلك المراسلات التي يذكرها القشاط لا تتعدى رسالة واحدة فقط أوردها غراتسياني في كتابه [ نحو فزان ] ، وقد استند القشاط كما استند غيره ممن تناولوا تلك الأحداث ، أو جانباً منها على تلك الرسالة في تحليلاتهم وإصدار أحكامهم على مواقف الحاج محمد فكيني وصلت حد التخوين أو الهمز والمس صراحة وضمناً ، ولعل مرد ذلك غلبة الجانب العاطفي أو القبلي لديهم في ظل غياب الوثيقة التي تدحض تلك التحليلات ولذلك لم يتطرق أي من هؤلاء الكتاب والباحث إلى استخدام المنهج العلمي في التحقق من صحة الوثيقة ، خاصة وأنها لم تنشر بالكتاب بصيغتها الأصلية لأن غراتسياني لم يورد النص الأصلي باللغة العربية كما أشار بأنه استلمه من الحاج محمد فكيني ، وهو جانب مهم من الناحية التوثيقية والمنهجية لتأكيد وجود الرسالة من أساسها ، ومن ناحية أخرى ضمان ورود نفس الصياغة والمعنى ، أما أن توضع ترجمة لنص ، والأصل غير موجود ، فأمر يدعو من الناحية المنهجية العلمية إلى ضرورة الاحتياط والشك في صحتها ، لأن الكتاب في الأصل كتب ونشر باللغة الإيطالية ، ثم جرت ترجمته إلى العربية ، مما يدفع بالقول احتياطاً أنه ربما حدث تغيير في بعض عبارات الرسالة من المترجم السيد [ طه فوزي ] أثناء عملية الترجمة من خلال وضع كلمة مرادفة ، ولكن ليس لها من قوة التعبير ما للكلمة الأصلية ، وبالتالي كان ينبغي احتياطاً عدم التسرع في إصدار الأحكام وتسويق التحليلات المبنية على افتراضات تخيلية .

ولذلك نستسمح القارئ أن يتقبل منا محاوره ومناقشة ، ثم مقارنة نص الرسالة المنشورة في كتاب غراسياني ، والمنسوبة إلى الحاج محمد فكيني ، بالنص الأصلي للرسالة التي تنشر لأول مرة ، وبيان التغييرات التي حدثت على ألفاظها وتركيبها اللغوية ، وأدت إلى انحراف معانيها في اتجاهات مختلفة عن المعنى الأصلي ، كما أنها توضح حقائق جديدة تصحح بها مواقف رجال وقبائل ، وتعيد رسم تشكيل تلك الجبهة القتالية ، فتتزع عن بعض فخار حازه دون حق بجرة قلم المترجم ، وتعطيه لآخر سلب منه بدون حق ، ولتوضح الأمور ، فالتاريخ يسجل ولا يهمل شيئاً .

## أهم الفقرات في نصّي الرسالتين

1- ورد في الرسالة المنشورة في كتاب غراسياني [نحو فزان] النص التالي :-  
( ( لقد تسلمنا خطابكم وفهمنا مضمونه الذي يتلخص في أنكم تخبرونني باعتقالكم لابن عسكر الذي كان ينوي شن الحرب ، بينما تريدون أنتم الصلح بين أهالي الجبل إلى غير ذلك .. ) ) ، أما في النص الأصلي للرسالة فكان :- ( ( أمس ورد لنا جوابكم على قطعتي وما به فهمناه وخلصته أنكم مسكتم ابن عسكر الذي قصده الحرب ومرادكم تسكين الجبالية ... الخ .. ) ) .

**ويلاحظ القارئ أن النصين ليسا متطابقين في المعنى ، فالمترجم أعطى على لسان الحاج محمد فكيني لغراسياني موقفا نبيلًا ، ومهمة انسانية رائعة ، تمثلت في جهد الإيطاليين ، وتجشهم المصاعب من أجل إبرام الصلح بين [ الأخوة الأعداء ] ، في حين أن نص الرسالة الأصلية يشير إلى استخدام إيطاليا القوة لإرجاع البربر إلى بلدانهم .. ) ) .**

2- ورد في نص غراسياني :- ( ( وفي أثناء ذلك قام الحاكم العام بمهاجمة مصراته وعمل على أن يجتمع أعيان العرب ويكتبوا طلبات يتعهدون فيها بعدم الاضرار بالحكومة . ) ) ، أما في النص الأصلي للوثيقة فكان :- ( ( .. ووقع هذا الحرب الأخير من دولة الوالي على مصراته حتى اجتمعت الأعيان والهيئة الغربية وطلبوا مطالب لا تضر الحكومة .. ) ) .

**ويلاحظ أن في النص الأول أن الحاكم جمع الأعيان وأجبرهم على كتابة تعهدات بعدم الإضرار بالحكومة ، بما يعني التعهد بعدم التعدي عليها ، أما في النص الأصلي فإن هؤلاء الأعيان بإرادتهم اجتمعوا وكتبوا مطالب لا تضر الحكومة ، وليس تعهد ، والفرق واضح بين المعني في النصين .**

3- ورد في نص غراسياني :- ( ( أما ابن عسكر ، فإنه بالنسبة لنا أقل خطرا من الفساطوي ومن خربيش اللذين هما والباروني أعداء هذا الأقليم ومستغلوه في الماضي ... ) ) ، أما في النص الأصلي فكان :- ( ( فعندنا ابن عسكر أهون من فساطو وخربيشه لأنهم هو والباروني أهل فساد هذه الولاية أولا وأخرا .. ) )  
**ويلاحظ أن نص غراسياني انحرف حين غير كلمة فساطو التي تعني البلدة وأهلها إلى كلمة [ الفساطوي ] ، وهو الشخص المعروف أحمد الفساطوي ، خاصة**

وأنة كان مواليا للمجاهدين وواسطتهم ، مما ألقى بظلال ، وأثار تساؤلات من البعض حول مواقفه ، كما أن النص أساء بحدة إلى الشيخ سليمان الباروني حين وصفه بعدو الإقليم ومستغله منذ القدم . في حين أن النص الأصلي يشير إلى فساطو كبلد وأهل ، ولكنه لا يصف الباروني بعدو الإقليم أو مستغله ، ولكنه يعبر عن وجهة نظره كطرف تجاه الآخر خلال ذلك الصراع .

**4- ورد في نص غراسياني :-** (( وإنكم إذا أردتم السلام عودوا إلى أماكنكم في زواره . وليعقد الحاكم العام هدنة معنا ومع لجنة المريض بك الشرقية ورفقائه . لأننا نحن العرب كلنا بلا استثناء متفقون على أن الصلح أو الحرب يجب عملهما على أساس مشترك وعندما يتم عقد الهدنة سوف نناقش طريقة حقن الدماء وإعادة بناء البلاد التي تهدمت بسبب أنصاركم وعجرفة البربر ..)) ، أما في النص الأصلي :- (( فإذا تريد السلم ترجع بهم إلى محلاتكم بزواره ونجعل هدنة دولة الوالي معنا ومع الهيئة الشرقية مجلس المريض بك ورفقائه ؛ لأننا اتفقنا عموم العربان على أن يكون السلم والحرب على قاعدة عمومية وعندما تصير الهدنة ننظر المذاكرات التي بها حقن الدماء وعمارة بلدان الولاية الخاربة الناتجة بأسباب أحزابكم وقسم الجبالية ..)).

**ويلاحظ أن هناك تعميم في نص غراسياني ، فكلمة الأنصار مصطلح عام غير محدد ، إضافة إلى الإشارة إلى أن الخراب ناتج عن سلوك كل البربر . أما في النص الأصلي فهناك تحديد دقيق حين تشير الرسالة إلى أن الخراب ناتج عن سياسة أحزاب إيطاليا وتحديداً كما يفهم من بداية الرسالة [حزب مازيتي] و [قسم من البربر] ، ولذلك فهذا التحديد في اللفظ برسالة المجاهدين يرد الاعتبار للبربر في أنهم ليسوا كلهم من وقف مع إيطاليا، وإنما قسم منهم، في حين كان قسم آخر مع المجاهدين، وهذا جانب مهم ينبغي أن يتم تأكيده وإبرازه ، فلا يظلم قوم بجريرة بعض منهم أو يشوه تاريخ قبيلة أو منطقة بكامله.**

**5- ورد في نص غراسياني :-** (( وإنكم إذا أردتم فرض سيطرة البربر علينا فإننا سوف نعترف بكم دون شك كحكومة ، ولكن سوف نجاهد في سبيل ديننا ومن أجل وطننا وشرفنا حتى آخر نفس من أنفاسنا ..)) ، أما في النص الأصلي :- (( وأما

إذا كان مرادك ترقى الجبالية جبراً علينا فلاشك نعرفوكم دولة ولكن نحاربوا عن ديننا ووطننا وشرفنا الخ رفق ..)).

**ويلاحظ في النصين ، التباين الواضح في المعنى ، ففي حين يشير نصّ غراسياني إلى أن استخدام إيطاليا للقوة سيجعلهم يقبلون الاعتراف بها كحكومة وهذا أمر يفقدهم الحق المشروع في الدفاع ، ولكن الجملة اللاحقة تناقض الموقف السابق بآخر يتمثل في التصميم على المقاومة . أما النص الأصلي فهو يشير إلى أن المجاهدين يعرفون ويقدرّون قوة إيطاليا كدولة لها قدراتها وامكانياتها الكبيرة إذا أرادت أن تلتجئ إلى استعمال القوة ولكنهم لن يرضخوا لها وسيجاهدون بكل قوة للدفاع عن الوطن والدين والشرف فجاء المعنى متناسقاً مكملاً بعضه البعض .**

**6- ورد في نص غراسياني :-** (( أما إذا كتب الله لنا النصر فسوف نرضي ضمائرنا وإرادتنا ، وأما إذا انتصرتم أنتم فإننا سوف نلتجئ جميعاً إلى الصحراء ولكن البربر بفضل الله لن يستطيعوا الإقامة في بلادهم رغماً عنا . ولن يستطيع جنودنا أن يبقوا ساكنين . هذا هو عزم الجميع وتصميمهم ..)) ، أما النص الأصلي فهو :- (( فإذا نصرنا الله ذلك المراد ، وإذا غلبتونا ندخلوا عمومنا الصحراء وبعونه تعالى لا يقدر الجبالية أن يسكنوا بلادهم جبراً علينا ولن ترتاح عساكر دولتكم ، فهذا فكرنا الحرّ عمومًا ..)).

**ويلاحظ أن جملة [ ولن يستطيع جنودنا أن يبقوا ساكنين ] في نص غراسياني معطوفة على الجملة السابقة المتعلقة بالتهديد بعدم [ ترك البربر يستقرون في بلادهم ] ، مما يعطي الانطباع في التحليل إلى غلبة الجانب القبلي في المواجهة على الجانب الجهادي الوطني ، وأن العدو الرئيسي للمجاهدين هم البربر وليسوا الإيطاليين !! . ولكن في النص الأصلي فالأمر مختلف تماماً فالتهديد في جملة [ ولن ترتاح عساكر دولتكم ] موجّه مباشرة إلى [ الإيطاليين ] بما يؤكد استمرار المقاومة حتى وإن استطاع الإيطاليون هزيمة المجاهدين والانتصار عليهم وهذا ما حدث بعد تلك المعركة.**

**هذه في عجالة أهم النقاط المتباينة في النصين ، ونترك التحليل الشامل لها للمختصين ، ولكن هناك حقائق جديدة توضحت من خلال بروز النص الأصلي للرسالة ، ينبغي الإشارة إليها وتثبيتها حتى لا يضيع حق أحد ، أو يحوز آخر فخرًا لسواه .**

\*- فيما يتعلق بالتوقيع على الرسالة الواردة في كتاب غراسياني كان بعبارة:-  
( ( خادم الوطن - محمد فكيني وجميع أهالي الزنتان والرجبان والصيعان)).  
مما لا شك فيه أن مثل هذه العبارة تعطي الإحساس بالفخر والاعتزاز بتلك  
الصفة التي وصف بها الحاج محمد فكيني بأنه [ **خادم الوطن** ] ، وكذلك يفتخر أبناء  
تلك القبائل الثلاث: الرجبان والزنتان والصيعان بالتلاحم الذي جمعهم في تلك  
المواجهة العنيفة إلى جانب القبائل الأخرى كالسبعة والحراية والقنافيد والفياصلة  
والسلامات وأولاد شبل والغنايمة والعواته وجانبًا من القديرات وقسم من الرياينة،  
وغيرها من القبائل الأخرى، ولكن في النص الأصلي لهذه الوثيقة تحديدًا لا توجد  
هذه الصفة في التوقيع، وإن كانت موجودة في رسائل أخرى للحاج محمد فكيني،  
وفي مواقف أخرى، فتلك العبارة التي ذيلت الرسالة نستنتج أنها كانت من صياغة  
غراسياني وحده فكتبها حرفيًا اعتمادًا على ورود هذه الصفة في رسائل أخرى  
للحاج محمد فكيني.

في كل المراسلات المتبادلة بين الجانبين والتي بلغ عددها (11) رسالة  
كان غراسياني يوجّه رسائله مباشرة إلى الحاج محمد فكيني بالقول :- ( ( إلى  
الحاج محمد فكيني رئيس محلة الزنتان والرجبان)) وتحديدًا اعترافًا منه كقائد  
للجبهة المواجهة له ، وفي المقابل كان الحاج محمد فكيني باعتباره القائد الأعلى  
للمجاهدين يوجّه الرسائل بتوقيع ما يمكن أن نطلق عليه [ **مجلس الحرب** ] المكوّن  
من مجموعة من المجاهدين بلغ عددهم في الرسالة المشار إليها على سبيل المثال  
(16) مجاهدًا وكان اسمه يرد دائمًا متوسطًا اسماءهم [ ليس في الأول ، وليس في  
الآخر ] ، وهذا يعكس أن كل تلك الرسائل في معركة وادي الوخيم والجوش كانت  
تعبّر عن رأي جماعي في المسائل الهامة التي تقرّر مصير المواجهة ، ولا ينبغي  
أن تنسب إليه كشخص ، حتى وأن كان الحاج محمد فكيني القائد الأعلى للمجاهدين  
ولجبهة القتال وهذه الجماعية في الردّ والتي تنعكس أيضًا في المسئولية الجماعية  
لم يخرج عن سياقها الحاج محمد فكيني إلا في رسالة واحدة هي آخر رسالة بين  
الجانبين يوم 10 يونيو أي قبل الحرب بيوم فقط وفي هذه الرسالة حدد الحاج محمد  
فكيني مواقفه كلها فقال :- ( ( .. نحارب عن ديننا ومسقط رؤسنا إلى النهاية ثم  
نلتجوا لأحد الدول المجاورة وإلا المولى تعالى يجعل لنا مخلص . الخلاصة العاجز

لست دولة ولا اعطوني أوطان الجبل الرياسة العمومية بل فكري تقديم المصالح الدولية والوطنية ...<sup>(1)</sup>.

**هذه الحقيقة الأولى** التي ينبغي أن تثبت فطري التخابر هما :- [ **القائد الإيطالي غراسياني**] يوجّه رسائله إلى قائد مناظر له هو الحاج محمد فكيكي . [ **مجلس حرب للمجاهدين جماعي**] يردّ على غراسياني . ولذلك تنتفي عن الحاج محمد فكيكي إدعاءات تفردّه بالردّ دون المجاهدين ، أو المماطلة ، أو المداهنة بطلب مصالح خاصة على نحو ما يشير به البعض ، أو ما حاول غراسياني زرعه بين السطور بالقول أن الحاج محمد فكيكي كان يرأسه .

**أما الحقيقة الثانية** فهي أسماء المجاهدين وانتمائهم القبلي الذين كانوا يمثلون [ مجلس الحرب ] والذين كانوا يردون على رسائل غراسياني ويتحملون مسؤولياتهم في تلك المواجهة ، لم يكونوا بالتشكيلة التي وردت في نص رسالة غراسياني [ الرجبان والزنتان والصيعان ] إذ من خلال مراجعة تلك الأسماء والقبائل التي ينتمون إليها ، اتضح أنهم ينتمون إلى قبائل :- [ الرجبان والزنتان والسبعة ] وأن مجاهدو الصيعان حشروا محل مجاهدي قبيلة السبعة في [ مجلس الحرب ] ، ولذلك ينبغي إعادة الاعتبار لهؤلاء المجاهدين من قبيلة السبعة . **وهذه الحقيقة** تتوضح أكثر إذا حللنا رسائل غراسياني وفق سياق الأحداث فحين يشير غراسياني [ ثلاثة مرات ] في رسالتين مؤرختين في ( 4 ، 9 ) يونيو بأنه قام بالتنبيه على مدير الصيعان بعدم محاربة عساكره إذا أتوا الجوش ، وكذلك عدم التعدي عليهم ، وإلا فإنه سيقوم برمي القنابل على قصر الجوش وتهديمه ، وأسباب قيامه برمي القنابل ، فهذا التحديد والفصل في المخاطبة يؤكد معرفة غراسياني الدقيقة بناءً على معلومات مخبريه بطبيعة القوى المواجهة له ، وأماكن تركزها مما يشير إلى أن قوة الصيعان الرئيسية رغم تبعيتها لقيادة الحاج محمد فكيكي إلا أنها مستقرة ومتمركزة في الجوش تحديداً وليس في وادي الوخيم حيث معسكر الحاج محمد فكيكي وقواته الرئيسية التي تضم قبائل الرجبان والزنتان والسبعة والحراية والرحيبات والغنايمة والعواته ، وجانباً من القديرات وغيرها من القبائل الأخرى وهذا بطبيعة الحال لا ينفي وجود تنسيق بين القوات المتمركزة في الوخيم ، أو تلك المتواجدة في الجوش وكذلك وصول بعض النجدات أو الجماعات من الصيعان إلى

1 - ملحق رقم (104) من أرشيف الحاج محمد فكيكي ، تنشر لأول مرة ( الوثيقة رقم 15 بالملحق ) .



الوخيم للمشاركة ، كما حدث عندما كلف الحاج محمد فكيني المبروك الغدي بعملية حربية محدودة في الهبيلة .

**ففي رسالته يوم 4 يونيو يقول غراسياني :-** (( وقد نبهت بواسطة جوابي إلى مدير الصيعان لا يمكن تصير منهم مناشبة مع عساكر الدولة إذا أتوا إلى الجوش وإذا تصير منهم مناشبة بعدين الطيار يخرب بيوتهم ))<sup>(1)</sup>، وفي رسالته يوم 9 يونيو يقول:- (( لم أذرتك سابقا أنت مع مدير الصيعان فعليه نكرر لك الأسباب:-

**أولاً-** هجوم مسلحينك على السبائس من غير سبب بحيث أذرتك سابقا بجواب طويل وطالب الأفكار السلمية .

**ثانياً-** لكوني أذرت مدير الصيعان فإذا صار التعدي والتجاوز على بعض المسلحين الذين هم بمعيتي نصير مجبور برمي القنابل الطائرة على محلاتكم وكذلك صار الأمر .... وبينت لك فيه أسباب رمي القنابل الطائرة وخاطبت فيه حتى مدير الصيعان بذلك (...))<sup>(2)</sup>.

#### **ثانياً:- بيان البادئ بالمراسلات**

**حاول** غراسياني أن يخفي حقيقة أنه البادئ بمراسلة الحاج محمد فكيني حتى لا يظهر بمظهر الضعيف وهو المدجج بمختلف الأسلحة ، ومعاه السلاح المدهش كما كان يهدد في رسائله حين قال :- (( ولقد شجعت الظروف السيئة التي أحاطت بالألاي زعيم الثوار الحاج محمد فكيني فكتب إليّ عدة خطابات يطلب مني أن أعيد البربر إلى المنطقة الساحلية وبعد ذلك أتحدث معه في معسكره . وهكذا أتاح لي الفرصة للاستفادة من الوقت حتى تصل كتيبة المدد بفضل المفاوضات التمهيدية والأخذ والرد ))<sup>(3)</sup>.

**أما حقيقة الحال ،** ومن الاطلاع على الرسائل المتبادلة بين الجانبين والتي تنشر لأول مرة يتضح بأن البادئ بالمراسلات هو غراسياني حين أرسل رسالة إلى الحاج محمد فكيني من مقره في زوارة يوم 27 مايو 1922 بعد أن استكمل استعداداته العسكرية للتوجه لاحتلال الجبل ، ثم عاود إرسال أخرى في اليوم التالي

1 - ملحق رقم ( 97 ) من أرشيف الحاج محمد فكيني . الوثيقة رقم 8 بالملحق.  
2 - ملحق رقم ( 102 ) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة . الوثيقة رقم 13 بالملحق.  
3 - غراسياني، نحو فزان ، ص93.

الموافق 29 مايو من مقره في زواره في محاولة لاستمالة الحاج محمد فكيني حيث أخبره بأنه قبض على خليفة بن عسكر .

أما الحاج محمد فكيني والمجاهدون فلم يردوا على غراسياني إلا يوم 4 يونيو [8 شوال] . ثم رد غراسياني برسالته الثالثة بتاريخ 4 يونيو من مقره في سواني الكردي ، ورد الحاج محمد فكيني والمجاهدون برسالتهم الثانية في 11 شوال 1340هـ . ثم توالى رسائل غراسياني بتاريخ متتالية :- 7 و 8 يونيو ورد الحاج محمد فكيني والمجاهدون برسالة يوم 13 شوال ، ثم رد غراسياني برسالتين يومي [9 و 10] يونيو ، وأخر رسالة وجهها الحاج محمد فكيني كانت بتوقيعه منفرداً يوم 15 شوال [10 يونيو] ، وبعدها قامت الحرب بين الجانبين .

**ويلاحظ** مما سبق أن البادئ بالمراسلات هو غراسياني وليس الحاج محمد فكيني أو المجاهدين ، بما ينفي رواية القشاط ، وقوله أن الحاج محمد فكيني كان يكتب غراسياني .

#### \* - مسألة موقف الحاج محمد فكيني من عودة أهالي فساطو إلى الجبل

يحاول القشاط بقراءة مبتورة دون أن يأخذ في الحسبان الحالة السياسيّة والعسكريّة التي صاحبت إعادة احتلال ليبيا ، والتي بدأت باحتلال مصراته ، ومن ثم التوجّه نحو احتلال الجبل ، لتأمين عملية الاحتلال لكامل إقليم طرابلس والذرائع والحجج التي استعملتها إيطاليا لتبرير أعمالها العسكرية اللاحقة ، وذلك في حصر موقف قيادة المجاهدين في مواجهة التحركات العسكرية الإيطالية في مسائل فرعية على أنها موقف أساسي مبدئي ، لذلك فهو يقتطف الجمل كي تخدم الاتجاه الذي يرمي الوصول إليه حين يقول:- (( يمكن الاطلاع على رسائل فكيني لغراسياني في كتاب نحو فزان الذي يرى أن لا خلاف له مع الحكومة ولكنه ضد عودة أهالي الجبل للجبل .. ))<sup>(1)</sup> ، أو قوله:- (( .. بل إن الحاج فكيني كان يكتب الجنرال غراسياني قائلاً له :- [ إنه لا يعترض على قوات الحكومة ، ولكنه يعترض على صعود البربر إلى الجبل . ويجب إرجاعهم ] ))<sup>(2)</sup> .

1 - القشاط، من قيادات الجهاد ، ص 165.

2 - المصدر السابق ، ص 167.

\* - من المتفق عليه أن إيطاليا لم تستطع أن تسيطر على إقليم طرابلس سيطرة تامة إلا عام 1930 ، وبعد أن عملت بكل الوسائل طوال عقدين من الزمن على أن تحدث شرخاً في صلابة موقف المجاهدين في منطقة طرابلس ، وذلك باللعب على التباينات القبلية والمذهبية المرتبطة بتركيبة المجتمع ، والمبنية على التحالفات القبلية التي تسبق غزو إيطاليا لليبيا ، وما أنتجته من صراعات وحروب ، وعملت على تقوية وتغذية بعض النزعات والمطامع السلطوية لبعض من الزعامات أو القيادات ، وهو الأمر الذي أدى بتراكم الخصومات والنزاعات إلى انفجار صراعات في أكثر من منطقة في إقليم طرابلس ابتداءً بحدوث شرخ في موقف المجاهدين بعد صلح بني آدم ، وتكوين حكومة القطر الطرابلسي ، وظهور موقفين متباينين على شكل تحالفين على امتداد الموقع الجغرافي ، فكانت المواجهة الأولى بين مصراته وورفلة نتج عنها مقتل رمضان السويحلي ، وكانت الثانية بين فساطو ونالوت وحلفائهم مقابل الرجبان والزنتان وحلفائهم ، ونتج عنها جلاء فساطو ونالوت وحلفائهم إلى زواره .

**وحتى لا تظل هذه المسألة يكتنفها الغموض ، أو تحمّل تفسيرات ومعاني مخالفة للحقيقة ، ومتجنّية على بعض القيادات بالإشارة إلى أنها مرتبطة بأسباب شخصية أو عرقية أو لأسباب إقتصادية كما أشار إلى ذلك المرحوم عمرو بغني بقوله :- ((...وتلك هي الفتنة الأولى التي يخطئ من يزج فيها بأية قضايا أو مبادئ أو مواقف سياسية من أي نوع بل هي الفتنة وضعا وموضوعا لاتتعلق بشئ سوى تلك الصراعات الصفية السلطوية ، وحين تبدأ بأسباب سخيفة كنهب جمل وبضع بقرات يضاف إلى أسبابها ضغوط الحاجة الاقتصادية ))<sup>(1)</sup>.**

**فإن كل المصادر تشير إلى أن الحاج محمد فكيني كان لا يعارض عودة النازحين من أهالي فساطو وكاباو ونالوت إلى قراهم في الجبل ، ولكنه ضد عودة بعض زعاماتهم ، وهذا له مبرر ناتج من طبيعة حساسية الموقف في المنطقة آنذاك والخوف من عودة الصدام مرة ثانية ، ويقول رابكس :- (( عند مغادرتنا طرابلس أنا والكمندتور ببلي رأينا أن نسمح بأخذ مقعد معنا في السيارة لأحد خدم فكيني وقد أشعرناه خلال الرحلة أن يخبر سيده أن معاليكم تتعجب من سلوك فكيني وأنكم ترجون أن أحدا من تابعيه يعمل في الهضبة ضد خطوطنا . ثم سأله: كيف يريد**

1 - عمرو بغني، أصول حركة الصوف، مجلة الشهيد، العدد الرابع، 1983، ص 131.

أن يتصرف فكييني تجاه أهالي الجبل الذين يرغبون في العودة إلى بلادهم؟ فأجاب الخادم : أنه ليس لدى فكييني ما يمنع أهالي الجبل من نالوت ويفرن وفساطو من الرجوع إلى بلادهم ولكنه لا يسمح بعودة خليفة بن عسكر وموسى قرادة وسالم البرشوشي الذين يحمل لهم في نفسه بغضاً شخصياً حاداً<sup>(1)</sup>.

كما يؤكد هذا الموقف الحاج محمد فكييني والمجاهدون في الرسالة الموجهة إلى غراسياني ردًا على رسالته ، وذلك بتاريخ 11 شوال 1340 حيث جاء فيها :- (( إذا كان مرادك السلم وحقق الدماء رجّع الجبالية إلى محلاتهم بزواره ثم تكن المذاكرة والصلح وإذا تريد المكالمة ابعث لنا الترجمان رابيس والضابط سبريشه وعليهم الأمان نتذاكر معهما ساعة ويرجعوا إليكم ، ونحن تكاتب فينا بالسلم وطياراتكم ترمي القنابل ليس هذا فعل دولة ولا فعل رجال ، فنحن وعموم رجالنا تعودت بالحرب والموت في الشرف أحسن من الحياة ، فإن كنتم مأموري دولة يكن القول مطابق للفعل ))<sup>(2)</sup>.

**ولكي لا تظل مسألة المراسلات المتبادلة بين الحاج محمد فكييني** وغراتسياني مبهمة ومقتصرة على تفسيرات متعدّدة للرسالة المنشورة بكتاب غراتسياني في كتابات القشاط أو غيره ، فإنه وللمرة الأولى يتم الكشف عن تلك المراسلات ، مع مراعاة أننا نعرض هذه النصوص من الرسائل باعتبارها من وثائق تلك المرحلة دون الخوض في التعليق على كل مضمونها ، أو اتخاذ أي موقف منها ، ولكن فقط لتوضيح طبيعة هذه المراسلات ، وتترك مسألة التحليل الشامل لها للباحثين المختصين الجادين في فهم ظروف تلك الأحداث وملابساتها .  
وحول مضامين هذه المراسلات التي توضح مواقف كلا الطرفين في هذه المواجهة ، يعلق المؤرخ الإيطالي ( انجيلو ديلا بوكا ) بالقول :- (( بين التاسع والعشرين من مايو والعاشر من يونيو ، في الوقت الذي تفجرت فيه معارك الجبل بشكل متتابع ، أرسل غراسياني إلى محمد فكييني زهاء ست رسائل ، بأسلوبه العسكري الفظ ، مراوحًا بين الوعد والوعيد . في حين تميّزت ردود فكييني التي

1 - القشاط، معارك الدفاع عن الجبل الغربي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، 1983، ص 72.

2 - ملحق رقم (98) من أرشيف الحاج محمد فكييني ، تنشر لأول مرة ( الوثيقة رقم 9 بالملحق).

تثير الإعجاب بطابعها الواقعي ، ولإدانتها الفتن بصورة جليّة ولمشروعية مطالبها  
ولأسلوبها المتزن واللائق ((<sup>(1)</sup>).

**توجد** لدينا (11) رسالة تنشر لأول مرة متبادلة بين الحاج محمد فكيني  
والمجاهدين من جهة ، وغراتسياني من جهة أخرى ، وقد اتبعنا إعادة تركيب  
المشهد وتحليله ، وفيما يلي نستعرض هذه الرسائل ، وهي مرتبة بالتسلسل حسب  
تاريخها ، ثم نورد تحليلاً عاماً لأهم مضامينها :-

---

1 - انجيلو ديل بوكا ، على مقربة من المشنقة ، ص 157 .

رسالة غراسياني (الأولى) إلى الحاج محمد فكيبي

GOVERNO  
DELL TRIPOLTANIA

حضرة جناب محمد بك فكيبي رياس الرجبان والزنتان

كيف ما علمتم أن كل من أتى ضد الحكومة تكسر بالقهر وتسبب إلى نفسه ضرار قوي جدا ولى بلده الخراب وهمّ الشديد حيث الناس ليس توجد مساكن من جبهة الحرق والخراب الذينا وقعوا وكذلك تعلم أن بلدان الشط تماما معمورين مثل العادة .

يكون معلومكم أن فكر الدولة هو لتسكين بالراحة مع جملة أهاليها إلى مصلحة الجميع وتصير ممنونة عن رجوع أبناءها إلى حياشهم وبلدانهم بناء على ( غير مقروءة ) قد كلفتني الدولة أن نرفع الجبالية إلى حياشهم حيث أنهم أولاد الحكومة هذا هو سبب قدومي إلى الجبل ليس لأجل الحرب ، إلا إلى تسكين الراحة العامة ، فانقول إن شاء الله تأخذ نصيحتي ومنكم لم يصير تعدي على الجبالية أو على عسكر الدولة ، وسبب يذا وقع شئ تسببوا قتل ناسكم وخرب بلدانكم على كل حال جنابكم تأخذ الحياطات لازمة ، ويذا مرادكم في طاعة الحكومة تقدموا لينا من غير ( غير مقروءة ) خوف وكان تحريره في زواره في / 27 مايو / 1922

كولونيل قائد الجيش  
غراسياني

\* - ملحق رقم ( 95 ) من أرشيف الحاج محمد فكيبي ، تنشر لأول مرة .

## رسالة غراتسياني الثانية إلى الحاج محمد فكيني

محمد بك فكيني رياس الرجبان والزنتان

نخبركم عن مسك خليفة بن عسكر بموجب أمر من دولة الوالي وعزله من وظيفة قائمقام نالوت ، كافة عياله وأخيه عمر كلهم تحت حفظ الحكومة .

الحكومة قد أمرت بمسك خليفة بن عسكر لسبب الدين ما يريد إلا الحرب في الجبل والحال أن فكر الدولة هو لأجل توصيل الجبالية إلى حياشهم ليس بصورة حربية أو لأجل ضرر ناسكم وهذا مسك خليفة يصح ليكم جميع ما شعرت ليكم ، ويذا كان لم حبيت تفهم تبين إلينا ليكونكم فكركم ضدنا ، وإن شاء الله ربنا سبحانه وتعالى ينور فكركم على الصلاح وطريق الطيبة أنا لم نجعل شيئاً ضدكم أو ضد ناسكم يذا كان لم ريت منكم جنس تعدي على الجبالية أو على العسكر الذي معي ، ويذا كان نسمعا وجه بارود منكم نصير مجبور على براز سلاح المدهش وكافة الدماء التي يصيروا أنتم تكونوا السبب مع الله عزه وجل ومع عباده .

حرر بزواره في /29 ماجو / 1922

كولونيل قايد الجيش  
قراسياني

\* - ملحق رقم ( 95 ) مكرر من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة .

## رد المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني على رسالتي غراسياني

إلى جناب الكونينلي غراسياني

أمس ورد لنا جوابكم على قطعيتين وما به فهمناه وخلصته أنكم مسكتم ابن عسكر الذي قصده الحرب ومرادكم تسكين الجبالية... الخ... تعلم أن الجبالية أولا أعداء دولتكم ، ثم بخيانة مازيتي والباروني جعلهم حزب مازيتي أولاد الدولة ، تعجبنا من هذه المعاملات مع أننا ما عملنا مع دولتكم إلا الطيبة . ثم عند محارباتنا مع الجبالية ومدتهم حزب دولتكم بالسلاح والأموال والجبانة كل ذلك أغمضنا عنه النظر واتفقنا عموم الزنتان والرجبان وحزبنا على عدم التعدي على مواقع الحكومة . ووقع هذا الحرب الأخير من دولة الوالي على مصراته حتى اجتمعت الأعيان والهيئة الغربية وطلبوا مطالب لا تضر الحكومة ، وبتعصب الجبالية ومن على فكرهم ازداد الحرب وتأخرت أهالي الجبل مدة لعلّ وعسى تصير الهدنة حتى بدأت الآن بإخراج قوتكم لتسكين الجبالية بالجبر ، فعندنا ابن عسكر أهون من فساطو وخريشيه لأنه هو والباروني أهل فساد هذه الولاية أولا وأخرا إذا نظرتم التواريخ . وأمس نحن أخذنا كتابكم حتى تقدم قسم من جيشكم للحرب ، فبات رأي عمومنا على ألا نقبلوا الجبالية يرقون علينا بالقهر فإذا كنت تريد السلم ترجع بهم إلى محلاتكم بزواره ويجعل هدنة دولة الوالي معنا ومع الهيئة الشرقية مجلس المريض بك ورفقائه ؛ لأننا اتفقنا عموم العريان على أن يكون السلم والحرب على قاعدة عمومية وعندما تصير الهدنة ننظر المذكرات التي بها حقن الدماء وعماراة بلدان الولاية الخارية الناتجة بأسباب أحزابكم وقسم الجبالية ، وأما إذا كان مرادك ترقى الجبالية جبرا علينا فلا شك نعرفوكم دولة ولكن نحاربوا عن ديننا ووطننا وشرفنا الخ رمق فإذا نصرنا الله ذلك المراد ، وإذا غلبتونا ندخلوا عمومنا الصحرة ، وبعونه تعالى لا يقدر الجبالية أن يسكنوا بلادهم جبرا علينا ولن ترتاح عساكر دولتكم ، فهذا فكرنا الحرّ عموما ، وإذا رجعتم الآن وعلمتم الهدنة بعد المذكرات يصلح الله كل فساد ، وإننا الآن ما باشرناكم بالحرب حتى نروا فكركم ، والله الأمر من قبل ومن بعد منتظرين رد الجواب اليوم . ختاما 8 شوال سنة 1340 .

محمد بن محمد	عبد الواحد	أحمد بن ضو	أبوبكر بن عبدالقادر	محمد فكيني
علي أبوستة	محمد بن أحمد	عبدالله التوشي	عمر البكوش	
محمد بن عمر الغنيم	ابراهيم الفرّج	محمد الواعر	العلوي الشنطة	
عبدالرحمن جلال	عبدالله بن حمد	عمر .....		

(هذه هي نسخة الرسالة الأصلية للرسالة المنشورة في كتاب غراسياني ، ويتضح وجود اختلاف كبير في صياغتها ومعانيها عن تلك المنشورة في كتاب غراسياني ) ، تنشر لأول مرة ، من وثائق الحاج محمد فكيني . أنظر التحليل الخاص بها في موضعه .

\*- ملحق رقم ( 96 ) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة .



## رسالة غراتسياني الثالثة الى الحاج محمد فكيني

من سواني الكردي  
إلى الحاج محمد فكيني

قد أتانا جوابكم فهاده الليلة وبلغناه إلى طرف القورناتوري باش تكون معترفين بالإستعداد الذي يجعله ، وسانبلغو إلى طرفكم المضمون وقت الذي نستعدو على الجواب المذكور .

وقد نبهت بواسطة جوابي إلى مدير الصيعان لا يمكن أن تصير منهم مناشبة مع عساكر الدولة إذا أتوا إلى الجوش ، وإذا صارت منهم مناشبة بعدين الطيار يخرب بيوتهم .

وأمس مشو السبايس إلى بير ال أوكيم لأجل شراب الخيل ، وأفرادكم هم الذين زاحموهم الاولين وكذلك بعض من أفراد خريبيش لأجل شرب المي فهجموا عليهم وأسرتوهم عندكم وهم لا لهم نية في الحرب معد لأجل شراب المي وأفرادكم هجموا عليهم .

ولا تظنو في فكرك لكونك غلبت في الحرب على محلنتنا وسفك الدماء مع دم ابن أخيك مع القدر سمعنا بوفاة ابن أخيك وأسبابها انتم وبنأسف قد نظرنا الله يداوم على مجازاتكم في عائلتكم .

وهذه المعاملة لازم عليك أن تحكيها لقلبك وفكرك يخم عليها . طيب أنا قد أمرت أمس الطيار أن يرمي البومب على الجوش وإلى تاريخ اليوم يرمي معد على القصر وأركانه وهذا ما عندنا عرفنا به ، ومنتظرون حتى يأتيني أمر من طرف القورناتوري وأنت المخير لتجعل كيف ما تريد . ومع بلوغ سلامنا لكم وملاقاتنا الذي صارت بيننا توريكم محبتنا ، ولا لي عداوة إلا لمصلحة الدولة وأهالي كامل القطر الطرابلسي . وهذا الجواب يأتيك مع الطيار .

امضا  
القورونيللو قائد الحملة  
قراسياني  
4 يونيو / 1922

\*- ملحق رقم ( 97 ) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة.

(رد المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني (الثاني) على رسالة غراتسياني)

إلى جناب الكونينلي قائد جيش الوطنية

ورد جوابكم اليوم مضمون جوابنا وبعثوه مع الطيار يرمي القنابل النارية وطلبتم مقابلتنا ولاعطيتم رد جوابنا بالطيبة بل رديتو بصورة حربية ونحن قد مطلقناكم لأجل حقن الدماء والرجوع إلى السلم .

اعلم أن حروب الدول اليوم الأهالي فيها فوق العشر سنوات وقد نصحننا دولتكم مرارا واجتهدنا لتأييد القانون تكرارا حتى أن الحزب الخاين من مأموري دولتكم ومن الجبالية خانوا وحاربونا ، والمخابرات في دفاتر الولاية لو تجد صاحب حق . إذا كان مرادك في السلم وحقن الدماء رجّع الجبالية إلى محلاتهم بزواره ثم تكن المذاكرة والصلح وإذا تريد المكاملة ابعث لنا الترجمان رابس والضابط سبريشه وعليهم الأمان نتذكر معهما ساعة ويرجعوا إليكم ، ونحن تكتاب فينا في السلم وطيارتكم ترمي القنابل ، ليس هذا فعل دولة ولا فعل رجال فنحن وعموم رجالنا تعودت بالحرب والموت في شرف أحسن من الحياة ، فإن كنتم مأموري دولة يكن القول مطابق للفعل ، ولا تعطوا فكركم للجبالية أصحاب الخيانة والعناد وهذا جوابنا مع السؤال 11. شوال 1340

محمد فكيني	محمد المحروق	علي أبوستة	العلوي الشنطة
بلقاسم قرينات	أحمد بن عطية	خليفة بن حمد	محمد بن محمد عبدالله

\* - ملحق رقم ( 98 ) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة .

## رسالة غراتسياني (الرابعة) إلى الحاج محمد فكيبي

إلى محمد بيك افكيبي ريس الزنتان والرجبان

إن جوابكم صحيح هو من أشد الغرايب ، حيث أن جنابكم متماد في الضدية وكنت قررت كثيرا إلى الحكومة شفاها وبواسطة الغير بأنكم تحبون رجوع أهل الجبل لأوطانهم إلا أنكم متكدرين من إنسان قد ساعدت القدرة الإلهية عن تبيعه من غير إرادتكم ولا إرادت الحكومة والعساكر الذين بأيديهم السلطة على كافة البلدان قادرين على التوجه بدون معارض وذلك من الواجب عليهم ولمصلحة الجميع وحتى لو أن السبائيس صارت لهم مقابلة من طرف جيوشكم الحكومة أرادت أن تعطيك الوقت اللازم لأجل أن تفكروا طيب . والعاجز أقول إن شاء الله تأتيني لأجل المذاكرة على ما يخص العرب والجبالية خصوصا لجهت فساطو التي سكانها من العرب والجبالية جميعا ، ومقصدي الاجتماع معكم على هذا الخصوص حيث جنابكم رئيس الزنتان والرجبان والحكومة ليس مقصدها إدخال مسئلة أناسكم مع المسائل التي تخص رؤساء الدواخل الذين مسائلهم تريد فصلهم بوجه آخر . وفي تعديكم إنني أعطيك الوقت اللازم لأجل أن تفكروا طيب قبل أن تتسببوا في خراب أوطانكم وقتل أناسكم وإذا وقع تعدي فأنتم المسؤولون مع الإسلام والأهالي في جميع ما يصدر ، وافتكرا جيدا ولا تعمل مثل رؤساء الدواخل الذين مرادهم ضرركم من غير ما يكونوا مسئولين ويسعو في قلت الراحة . وفي هذا لم عندي ما أعرضه عليكم ، وأقول إن شاء الله نأخذ الطريق الصالحة للجميع . ولذلك حرر في / 7 يونيو

1922/

الإمضا

الكولنيل: قراسياني

\* - ملحق رقم ( 99 ) من أرشيف الحاج محمد فكيبي ، تنشر لأول مرة.

## رسالة غراتسياني (الخامسة) إلى الحاج محمد فكني

إلى محمد بيك افكني رئيس الزنتان والرجبان

بعد بلوغ جوابي المرسول إليكم بالأمس بواسطة الطيارات ، أفكرم على المظبطة المؤرخة في 31 ديسمبر /1921 وجوابكم المرسلين إلى الحكومة .

إن الوقايح التي صارت اليوم هي لسبب إعانتكم من غير علم منكم ولا علم الحكومة والوقت الذي جنابكم وصلت له هذه الحالة ، إن أناس الجبل يرجعون لأوطانهم وأعداءكم قد ساعدت الأقدار عن إبعادهم ، وعندما كتبت المظبطة فكرم حينئذ غير مستقيم ، والضدية التي عندكم مع الحكومة شيء آخر ، نسيتم كافة المصالح التي أخذتم من الحكومة .

وإني أطلب منكم اليوم بيان مقصدكم بالفعل وليس مجرد قول ، والمرجو منكم رد المضمون على وجه الحقيقة ، وإني كنت أوقعت بجيشكم خرابا في الأيام الماضية عند قريكم من جيشنا طبق جريان أحوالكم ، ولو إني لا زلت في المذاكرة معكم لا أقبل منكم أدنى تعدٍ على ساحتنا ولذلك حرر في / 8 يونيو سنة 1922 .

الكولونيل : غراسياني

\* - ملحق رقم ( 100 ) مكرر من أرشيف الحاج محمد فكني ، تنشر لأول مرة.

## رد المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني على رسالة غراسياني

إلى جناب الكونينلي غراسياني

ورد جوابك المؤرخ في / 8 يونيو سنة 1922 وأشرت فيه لتعريفنا للحكومة بالمضبطة المؤرخة في / 31 ديسمبر وجوابنا أقول لكم إن تعريفنا صحيح وأعطى عليه دولة الوالي أمرا من غير إجراء ، وذلك التعريف هو بواسطة التينينتي سبريشه والأعضاء الشيخ أحمد بك الفساطوي إذا تجروه يستحق لمذاكرة واجتماع وهدنة ليس هكذا بصورة حربية . وأما رجوع اجبالية بهاذه الحالة ومن غير مذاكرات وعهود بيننا وبين الدولة واجبالية تعرفو لا يمكن لأنه سابقا الحكومة لزمتم الحياد وخلصت بيننا وبينهم حتى خربوا بلداننا وسلبوا أموالنا وقتلوا أولادنا فكيف الآن تأتون بهم بصورة جبرية قبل الصلح وإعطاء المواد التي تلزمنا ...

فاللزم رجوعكم بهم للوطية ، ونقرر للهدنة وقتنا ومحلا للمذاكرة ، وأنتم تمسكو مكانكم ونحن جيوشنا بأراضيها حتى تتم المذاكرات التي بها تنتج المصلحة العامة \* \*

وإذا جعلتم هدنة عمومية في المذاكرات العمومية من ترهونة إلى الشرق إلى غريان إلى الجبل هذا لحال العموم وللحوض وأهالي الجبل نراه لصالح عموم الولاية ولصالح الدولة قاطعا لهاذه الحروب . وحسب تعريفي إليكم أول البارحة إذا يقدم لنا ترجمان الولاية بالأمان نتذاكر معه ويرجع إليكم ، وإذا لم تريد فترجمانكم ، وإذا تبغ معك بالذات ياتوا معك سبائس ظليان وعرب ونجتمع بمحل بعدما نقرره مع ترجمانكم هذا إذا لم يأتي ترجمان الولاية . والخلاصة نحب السلم إذا افتكينا من ظلم الجبالية وعنادكم ومساعدتكم لهم وفي الختام حرر في/ 13 شوال سنة 1340 .

محمد بن محمد بن عبدالله أبوالقاسم بن عبدالله أبو بكر بن عبدالقادر  
عمر البكوش محمد المحروق محمد فكيني العلوي الشنطة خليفة بن عمار  
علي أبوستة أحمد بن ضو محمد وازينة

\* \* ويحضرها أعياننا الذين بعثنا لهم وهم : علي بك الشنطة وأحمد بك الصيد والشيخ السيد أحمد السني والشيخ السيد أحمد البدوي ، وبرأي واتفاق الجملة تتم المصلحة ...

\* - ملحق رقم ( 101 ) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة.

## رسالة غراتسياني (السادسة) إلى الحاج محمد فكيني

### إلى الحاج محمد فكيني

كيف تتجاهل في الأسباب التي صارت لك سببا في رمي القنابل الطائرة؟لم أنذرتك سابقا أنت مع مدير الصيعان فعليه نكرر لك الأسباب :

أولا - هجوم مسلحينك على السبائس من غير سبب بحيث أنذرتك سابقا بجواب طويل وطالب فيه الأفكار السلمية .

ثانيا - لكوني أنذرت مدير الصيعان أنه إذا صار التعدي والتجاوز على بعض المسلحين الذين هم بمعيتي سأصير مجبورا برمي القنابل الطائرة على محلاتكم وكذلك صار الأمر وهو بأمرك .

ثالثا- لكون مسلحك تقربوا بقرب موافقي وقصدهم المناوشات والتعدي .

أعلم أنني رجل ذو كلمة وباقي في كلامي ووعدني في الأفكار الطيبة وغيرها ، إنما أنت قلت أنك بكونك لم أخذت الجواب الذي عزيتك فيه في ابن أخيك ولاكن أنا أمين بكونه وصلك سالما لكونه الطيار رمى هوك طيب وبينت لك فيه أسباب رمي القنابل الطيارة وخاطبت فيه حتى مدير الصيعان بذلك . إذا كان قصدك في إرسال بعض الأجوبة أرسلهم إلى المحل الذي رميت فيه الجواب السابق .

المسلحين عندهم الأمر القطعي في عدم تجاوزهم وخروجهم وإن القرار كان لمنع المناوشات . السيار الذي جاب الجواب لم عندك حجة في طلبه لكونه خاطيك وليس من رجالك ، وهذا الذي يرجعه من جوابك خاطبتك به والباقي يرجع لغيري والسلام .

### القولونيل قوماندان الجيش قراسياني

ملاحظة- يفهم من سياق النص ومن ترتيب الرسائل المتبادلة أن تاريخ هذه الرسالة هو على الأرجح في 9 / يونيو سنة 1922 .

\*- ملحق رقم ( 102 ) من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة .

## رسالة غراسياني ( السابعة ) الى الحاج محمد فكيني

رئيس محلة الزنتان والرجبان المحترم الحاج محمد افكيني بك

بعد السلام :

أخذت جميع جواباتك ، ولو أنه لم أتى من طرفك في هذه الليلة موسى القطرسي غدا كنت تأخذ مضموناتهم بالطيارات ، وعليه نرجع لكم مضمونات الجوابات بواسطة الشخص هذه ، الجواب السابق لم رجعتك لكم لكونه من البانده . أعلمك أنني أنا قوماندان العساكر الطليانية ليس كما خاطبتني سابقا قوماندان جيش الجبالية . نكرر لك على مقاصد الحكومة واجتهادها على الصلح والراحة العمومية ، وبينت لك في جوابي السابق أسباب رمي القنابل الطائرة وما أدراك ونعده زائد التعاد بناء عليه لا شك عن تجاوزك وتعديك مرة أخرى على عسكري نصير مجبور برد الجواب بجميع استعمال الوسائط الحربية ولا تنس جواباتي القادمة إليك في خصوص السلم والصلح ، مسلحينك صار منهم الهجوم على سبائس في الوخيم . أتجهل حاكميت الحكومة على ولايت طرابلس غرب ؟ فإن هي الحاكمة على الولاية عسكرها لهم الصلاحية التامة في التجول في جميع أركانها ، هذه نعلمك به لأجل المستقبل وعليه اجعل التخميم في أمان جيها الجبالية لازم يعيشوا في بلدانهم بالصلح والراحة ولا يعملوا شيئا يخل الراحة . فهذه قصد الحكومة فإن أنت تعارض ما قررتة الحكومة وقصدك ردان الجبالية لاشك بكونك معارض الحكومة . كذلك الحكومة لم تعمل شرائط مع من هو دون منها وراجع لها تعطيه عبارة الأوامر اللازمة والسلام . لازم تخمم بكون ساق السياسة تبدل ليس كما كنت تعرف . الحكومة لا تنسى لزوم إجراء الصلح بين الجبالية والعرب لكي يعيشوا بالهدوء والراحة فوق جبل نفوسه . فعليه إن كان قصدك في إجراء الصلح ولك فيه رغبة أنت يلزم تقدم إلى محلي لكوني أنا ممثل الحكومة بناء عليه حين تحركي بعسكري لأي محل كان ويصير التجاوز من مسلحينك على عسكري تكون أنت المسؤول بنفسك وأنت طالبه . فعليه يا حضرة فكيني بمعاملتك هذه مجتهد في جلب الأمور المعوقة للوطن الغربي وتجري على مصالح الوطن الشرقي . أنا لم نعرفك شخصيا فعليه لا تجري في مصالحك ولا مصالح الجبالية ولاكن في مصالح الحكومة . ولاكن ، إذا سمعت نصيحتي يكون استقبالك طيب ، ونسمع بيبك بكونه في السابق أنت صاحب فكر سليم وعدالة ، فعليه دبر حتى هذه المرة واسمع الكلام حتى الحكومة تسمع كلامك ونصائحك في خصوص إدارة الجبل قبل أن تصير المسألة بصورة حربية وجبرية ، وتصير إن شاء الله المسئلة كما تريد ولاكن بصورة عدلية لك وللغير لكونه جميع العربان والجبالية أولاد حكومة وحدة .بناء عليه إن شاء الله ، نراك وين ما تبي وأمن قصدك في أي محل كان لنجرو على الصلح العام لكوني عندي الصلاحية التامة في جميع الأمور وعليه لا فيه لزوم لا إلى الترجمان رابس ولا لى التيننتي اسبريشه ، ونعطيك كلمة شرف والأمان التام مني إذا أتيت إلى طرفي

لأجل المذاكرة . نختتم كلامي بالسلام ، ونتمنى إن شاء الله ملاقاتنا تصير سبب في محبتنا  
ومنفعت الأهالي ومصحة الحكومة ، والسلام

10 يونيو / 1922

القولونيللو قوماندان الجيش  
غراسياني

\*- ملحق رقم ( 103 ) من أرشيف الحاج محمد فكيبي ، تنشر لأول مرة .



إلى جناب الكونينلي غراسياني قائد الجيش

بعد السؤال

ورد جوابك الذي به الأبناد<sup>(\*)</sup>، ثم جوابك المؤرخ في 10 جنايو سنة 1922 ضمن جوابي قولكم التعدي على سبائك ، تعلم هم الذين هجموا ، وأصل الأمور ومحبتكم وتعصبكم الآن مع الجبالية نحكيها لكم : أول ما عاندوا الجبالية دولة إيطاليا لأجل استقلالهم واحتمالهم بدولة ثانية أجنبية . ونحن العربان ما رضينا ذلك حتى وقعت بيننا وبينهم حروب معلومة التواريخ عندكم ثم النهاية بعد الصلح الأخير وصدور القانون الأساسي نحن صرنا نحافظوا في إجراءاته والباروني وين عسكر أرادوا الفساد وهجموا على ماجور نالوت وأخذوا ما عنده ، وأمرت الحكومة بمحاربتهم معلومة التواريخ في الولاية وعند الماجور وولينو وقبطاته ، وقد وقع الحرب فعلا حتى مات فيه ابنا الحر الغيور حسن بك الذي كلفته حاكمية الولاية بالتوجه للجبل والحرب ومعلوم هذا عند الوالي الأسبق منجنجر ووكيله ، ثم بإعانة أحد أحزاب إيطاليا مدوا الجبالية بالسلاح والجبخانة والأموال لأعدائنا وأعدائهم أي أعداء الدولة الباروني وابن عسكر حتى خربوا بلداننا ، ثم تبرمت سياسة الوالي مركاتيلي فعلا مع الجبالية ، ثم بعد شكاياتنا المتعددة لزمنا الحياد وخلت الفتنة بين القبائل حتى نصرنا الله وقومنا على الجبالية وجلت قبائلهم كما جلونا . ولما أتى الوالي الحالي دولة الكونت وولبي صارت المخابرة بيننا وطلبنا منه ما يلزم لراحتنا وراحة أوطاننا ، وقد رأينا بعد مذكرات مع أعيان الولاية الشرقية أن الوفد الذي توجه إلى رومه مطالبه معقولة وليس فيها ضرر على الحكومة إنما فائدتها هي تؤيد منافع الدولة وراحة الأهالي حتى وقع الحرب والعناد ... وحيث نحن جبهة الجبال من ككله غربا قد تأخرنا عن الدخول في الحرب قلنا لعل الهدنة تتجدد لصالح الولاية حتى يديتم بإخراج الباندات على بير الغنم ، ومن هنا قصدكم إخراج الجبالية بصورة حربية قهرية . فأأي فائدة تنتج للحكومة من هذا ؟ فإن هو القصد محو عموم العربان فلا يبقى إلا الجبالية مع دولة إيطاليا . على كل حال ، العربان نسلهم حر وأصلهم شريف إسلامي ، نحارب عن ديننا ومسقط رؤوسنا إلى النهائية ثم نلتجوا لإحد الدول المجاورة وإلا فإن المولى يجعل لنا مخلص الخلاص . العاجز لست دولة ولا أعطوني أوطان الجبل الرياسة العمومية ، بل فكري تقديم المصالح الدولية والوطنية ، فخرجكم بالجبالية بانادات بهاذه الحالة ليس فيه صلاح ورجوعكم بهم هو المناسب ثم تصير المذاكرة الصلحية بيننا وبينهم بواسطة الحكومة حسب مكاتيبنا إليها ، وإن جعلت هدنة عمومية يكن بها صلاح عموم الولاية يكن أصوب لمصالح الدولة وعمران القارة . حسبما عموم رجال أوطان الجبل جعلوا لك مضبطة مختصرة في فكرهم ستأتيكم بعد هذا ، وأنا واحد منهم ونحب السلم والراحة ، ولا تخوفني بالطيارة والمسئولية ، العمر معدود والمسئولية لو فيه حق ورجال إيطاليا الأحرار يطالعوا أوراق الولاية المحفوظة من أول الحرب

\* - الأبناد : يقصد الحاج محمد فكيني المطالب السبعة المذكورة في الوثيقة السابقة رقم (4).

إلى نهاية جلساتنا في عضوية مجلس الولاية لا شك يعلموا أن الحزب المعاند مع الجبالية هو الذي يبذر في الفساد . وأملنا منك أن تكون حرا مثلهم وترجع الجبالية بسلم دون حرب وعلى يدك تكون العافية ، والسلام . حرر في / 15 شوال سنة 1340 محمد فكيبي

ملاحظة :-

هذه الرسالة الوحيدة بين جميع الرسائل بتوقيع الحاج محمد فكيبي وحده فقط والموجهة إلى غراسياني

\*- ملحق رقم ( 104 ) من أرشيف الحاج محمد فكيبي ، تنشر لأول مرة.

## التحليل :

من الملاحظ أن الكثير من الباحثين والدارسين لهذه الفترة المهمة لم ينتبهوا إلى التطور في مفاهيم الصراع ضد الإيطاليين ، فتعاملوا مع المصطلحات والعبارات على أساس أنها تعبر عن مرحلة واحدة متصلة تنسم بثبوت المفاهيم والمعاني العامة التي استخدمت ونشأت في بداية الغزو الإيطالي لليبيا ، فالكثير ظل يكتب على قرع الطبول والأهازيج الحماسية ، وكأنه يكتب في ساحة حرب ساخنة حامية تتعالى فيها الأصوات ، وتختلج فيها المشاعر والكلمات صراخاً وهتافاً رغم فارق البعد الزمني الذي من شأنه أن يتيح لنا مجالاً للقراءة والكتابة بعقل متماسك متنور من أجل أن نضع أيدينا على رؤية شاملة حقيقية لتلك المشاهد من زمن مضى ، ونضعها أمام أجيالنا القادمة كي تستعين بها في مواجهة تحديات المستقبل ، انطلاقاً من أن من لا يستطيع كتابة تاريخه بنزاهة وحيادية ، لا يستطيع بناء تعايش وتماسك في حاضره ومستقبله.

لذلك فمرحلة الجهاد والصراع والقتال ضد الإيطاليين شهدت مراحل متطورة تختلف عن بعضها البعض ، ففي الفترة ما بين 1911-1917 كانت الدعوة عامة للجهاد ، ونصرة الدين والوطن ، والتمسك بالخلافة العثمانية كمرجعية سياسية ودينية لليبيين تصبغ مواقفهم وخطاباتهم ، ثم جاءت مرحلة ثانية نتيجة تطور الأوضاع بعد استسلام تركيا ، وظهور الوعي القومي على امتداد الكثير من البلاد العربية ، وانتشار مبادئ تيودور ويلسون فيما يخص حق الشعوب في الحرية والسيادة وحقوق الانسان ، وغيرها من المفاهيم التي ظهرت آنذاك ، وإنقطاع الرجاء من وجود خلافة إسلامية تمثل مرجعية ولو في حدها الأدنى [ روحية ] فتطورت المفاهيم إلى القبول بمبدأ التفاوض السياسي للحصول على مكتسبات في ظل وجود سلطة إيطالية عليا تختلف قوتها حسب الأوضاع على الأرض وساهمت الأوضاع الدولية والداخلية التي لم تغب عن اهتمام قادة المجاهدين في طرابلس الغرب والذين استغلوا تلك الأوضاع لإعلان ميلاد كيان قومي يعتبر أول كيان من الناحية السياسية في البلاد العربية وهو إعلان قيام [ الجمهورية الطرابلسية ] الذي تميز بمفاهيم ومصطلحات ذات مضامين سياسية واجتماعية واقتصادية تتماشى وتعبّر عن تلك الفترة ، تم بعد ذلك إعلان اتفاق سواني بن آدم وإعلان حكومة قطر طرابلس ، وما أدت إليه مماطلات الإيطاليين في الالتزام بتنفيذ بنوده ، مما دعا

المجاهدين لإنشاء هيئة الإصلاح المركزي التي كانت تمهّد الأوضاع لإعلان الاستقلال التام عن إيطاليا ، وفق تقييم المجاهدين للظروف التي تمرّ بها .

ثم جاءت مرحلة الثالثة بعد صعود الفاشية في إيطاليا ، واتباعها لسياسة استعمارية عنيفة عبّرت عنها في مفهوم [ ليس مع الزعماء ، ولا ضد الزعماء ولكن بدون زعماء ] ، أفقلت فيها باب الدبلوماسية والتفاوض الندي مع المجاهدين واستعملت كل الوسائل القمعية لتحطيم حدّة المقاومة ، وإجبار المجاهدين على الاستسلام والخضوع ، وإلا فإن العقاب الذي اتخذ شكلاً وحيداً تمثل في الشنق والقتل هو لغة الحسم ، وبشكل عام نرى أن هناك تمايز في الخطاب واللغة المستخدمة خلال هذه المراحل الثلاث ، ينبغي عدم تجاهلها عند دراسة فترة الجهاد ومواقف المجاهدين ، وعدم استخدام قاعدة ثابتة لتحليل معاني كلمات ومواقف ومراسلات زعماء وقيادات الجهاد ، وبناء فرضيات وأحكام عليها .

لذلك ، ولما سبق فإنه ينبغي عند الدراسة التحليلية لفترة الجهاد ضد الإيطاليين لغرض فهم وقائع هذه الفترة من تاريخنا ، دون تعصّب أو تجنّب على أحد ، وبلغة علمية تحترم التاريخ وأحداثه ، وتبتعد عن المفاهيم السطحية ، والشائعات التي دأب القشاط على استعمالها ، دون أن يعطيه أحد الحق في مقاضاة أو تجريم هذا أو ذاك من المجاهدين ، ضرورة فصل هذه المراحل التي لا تشكل امتداداً فكرياً واحداً لا يتغيّر ، وإنما تتمايز عن بعضها البعض حسب الظروف السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة التي نشأت على أرض الواقع ، وتحليل مراسلات قادة الجهاد حسب ظروف الفترة ، والمرحلة التي كتبت فيها ، مع التأكيد على أن المفهوم العام المترسّخ لدى كل هؤلاء القادة في كل مراحل الصراع ، هو مواجهة الأطماع الإستعمارية والإستيطنانية للإيطاليين في ليبيا ، وتحليل نصوص الرسائل المتبادلة بين غراتسياني والحاج محمد فكيكي يلاحظ ما يلي:-

أولاً- هناك تباين وتمايز في معاني بعض المصطلحات بين الجانبين ، فمصطلح القانون والحكومة الذي يرد في مراسلات قادة المجاهدين خلال تلك الفترة يعني لديهم ( القانون الأساسي ، وحكومة قطر طرابلس ) التي استطاعوا دفع الجانب الإيطالي إلى القبول بها ، وما تمثله لهم من خطوة نحو تحقيق الاستقلال ، بحيث ظلّوا متمسكين بالدفاع عن القانون الأساسي ، والإشارة إلي أنهم لم يخرقوا هذا الإتفاق ، أما بالنسبة للإيطاليين خاصة للثالث غراسياني - فولبي - وموسيليني

الذي لا يعترف بحكومة قطر طرابلس ، وعمل على خرق الاتفاق القائم  
فالحكومة تعني لديهم [ حكومة إيطاليا الاستعمارية في روما ] .

**ثانياً:- جميع رسائل غراتسياني التي كانت توجّه إلى الحاج محمد فكيني تبدأ بصيغة [ رئيس الزنتان والرجبان ] باعتباره القائد العام للجيش المناظر له ، وهو اعتراف من الخصم بوضع ومكانة الحاج محمد فكيني ، وقد اُتسمت هذه الرسائل بلهجة التهديد والترغيب ، والتهويل بالقدرة العسكرية الجبارة بقصد إضعاف الخصم وتحطيم معنوياته ، ومحاولة استمالاته أو شقّ عصا الطاعة بين صفوفه منطلقاً في ذلك من السياسة التي أقرّت على المفهوم الفاشي الذي ذكرناه سابقاً ، حيث لم ينسُ غراتسياني دور زعماء المجاهدين الذين تسبّبوا في هدم سلطة إيطاليا في طرابلس عام 1919 حين قال :- (( كان الزعماء الرئيسيون الذين جعلوا حقنا مقصوراً على سلطة وقتية وهمية غير مباشرة وعلى موقف من مواقف التسامح والهوان على سلطة هؤلاء الزعماء هم [ رمضان الشتيوي] و[ أحمد المريض] و[ الصويعي الخيتوني] و[ عبدالرحمن عزام ] و[ محمد فكيني] و[ علي الشنطة ] والأخوان [ هادي ومختار كعبار] و[ خليفة بن عسكر] وغيرهم ... وسوف نرى في معرض الأحداث كيف أن الانتقام الإلهي قد أصابهم الواحد تلو الآخر ))<sup>(1)</sup>.**

**ونشير أن غراتسياني سعى للانتقام منهم واحداً بعد الآخر، باستخدام كل وسائل الحيل والمخاتلة لاستمالتهم أولاً ، ثم محاسبتهم على ماضيهم والانتقام منهم بالشنق ثانياً ، وتمكّن بعد مقتل المجاهد رمضان السويحلي ، ثم القبض على المجاهد خليفة بن عسكر ، ولاحقاً استطاع القبض على المجاهد الهادي كعبار والمجاهد علي الشنطة ، فأعدم الأول وسجن الثاني حتى توفي ، فيما استطاع كل من المجاهد أحمد المريض ، والمجاهد الصويعي الخيتوني ، والمجاهد عبدالرحمن عزام الهجرة إلى مصر ، أما المجاهد الحاج محمد فكيني فقد ظل يقارع غراسياني حتى عام 1930 حين اضطر ورفاقه للهجرة إلى الجزائر بعد أن ضاقت بهم ميادين القتال، مما دعا غراتسياني الذي كان يرغب في القضاء على عدوه اللدود الحاج محمد فكيني وسحقه، إلى توجيه الأوامر لقائد الطيران الإيطالي الجنرال [ فيروشيرو رانزا ] بإلقاء كافة أنواع القنابل المتوفرة من طائرات كابروني وروميو على المحلات المنسحبة إلى الجزائر على مدى ثلاثة أيام ، وقد كتب الصحفي ساندر**

1 - غراسياني ، مصدر سابق ، ص28.

ساندري الذي عايش تلك الأحداث يقول:- ((...هكذا انتهكت الصحراء وسقطت أسطورة العجوز محمد فكيني زعيم الزنتان والرجبان الذي وقف كالشبح المروّع أمام الجنرال غراتسياني منذ سنة 1922، فقد كتب له متحدياً في القتال: " إن كتب الله لنا النصر فذاك مرادنا؛ وإن فزتم أنتم؛ فسنلجأ جميعاً إلى الصحراء " ))<sup>(1)</sup>.

**ويلاحظ** في صياغة الرسائل استخدام غراتسياني بكثرة لغة القتل ، والتدمير واستعمال السلاح المدهش كما يسميه ، وهو هنا يقصد سلاح الطيران الذي لم يتردّد في استخدامه كوسيلة حربية لنقل رسائله للحاج محمد فكيني والمجاهدين حين يقول في رسالته يوم 10 يونيو أي قبل معركة الجوش:- ((أخذت جميع جوابات ولو أنه لم أتى من طرفك في هذه الليلة موسى الفرسطي غدا كنت تأخذ مضموناتهم بالطيارات (...))، إضافة إلى أنه وضع مقارنة بين الأوضاع في الساحل التي هي تحت السيطرة الإيطالية ، وينعم أهلها كما يقول بالراحة والعمران وبين المناطق التي لا تزال تقاوم وما تتعرض له من خراب ودمار .

**أما الترغيب** فهو أن غراسياني حاول جهده أن يستميل إليه الحاج محمد فكيني لكي يستسلم ، وقد وعده ضمناً بمنحه السلطة في الجبل أو في مناطق نفوذه على الأقل مع سماع رأيه في إدارة الجبل عموماً إذا استسلم ، فهو يقول:- ((...فعليه يا حضرة فكيني بمعاملتك هذه مجتهد في جلب الأمور المعونة للوطن الغربي وتجري على مصالح الوطن الشرقي . أنا لم نعرفك شخصياً فعليه لا تجري في مصالحك ولا مصالح الجبالية ولاكن على مصالح الحكومة . ولاكن إذا سمعت نصيحتي يكون استقبالك طيب ونسمع بيبك بكونه في السابق أنت صاحب فكر سليم وعدالة ، فعليه دبر حتى هذه المرة واسمع الكلام حتى تسمع الحكومة كلامك ونصائحك في خصوص إدارة الجبل قبل أن تصير المسئلة بصورة حربية وجبرية وتصير إن شاء الله المسئلة كما تريد ولاكن بصورة عدلية لك وللغير (...)) .

**ولكن** كل هذه الأساليب من الوعيد والتهديد والترغيب، لم تؤثر في موقف الحاج محمد فكيني والمجاهدين ، حتى أن غراسياني خرج عن طوره حين أبدى استغرابه من صلابة الموقف الندي للحاج محمد فكيني بقوله:- (( إن جوابكم صحيح هو من أشد الغرائب حيث أن جنابكم متماد في الضدية (...))، وفي موضع آخر من الرسالة يقول:- (( اتجهل حاكمية الحكومة على ولاية طرابلس غرب؟ فان هي

1 - انجيلو ديل بوكا ، على مقربة من المشنقة ، ص 192.

الحاكمة على الولاية عسكرياً لهم الصلاحية التامة في التجول في جميع أركانها...))، بل أنه أظهر الشماتة حين استشهد المجاهد حسين ابن الحاج محمد فكيني في معركة الوخيم [ والذي ينعته غراسياني خطأً بإبن أخيك ] ، وهو موقف لا يدل على احترام أو تقيد أخلاقي بقواعد الحرب حين يقول :- (( ولا تظن في فكرك لكونك غلبت في الحرب على محلثنا وسفك الدماء مع دم ابن أخيك<sup>(\*)</sup> مع - سمعنا بوفاة ابن أخيك وأسبابها أنتم وبتأسف قد نظرنا الله يداوم على مجازاتكم في عايلتكم )) .

**ثالثاً - وفي مقابل عنجهية غراسياني ولغة التهديد والوعيد ، والترغيب والاستمالة** اتسمت ردود الحاج محمد فكيني والمجاهدون وهم يعلمون قوة الخصم والأسلحة التي لديه ، بالقوة والحزم والصلابة ، ووحدة الموقف لكل المجاهدين ، سواء في منطقة غرب طرابلس أو شرقها ، حين دعا غراسياني إلى إثبات رغبته للصلح بأن يتراجع إلى زواره ، ويتم عقد هدنة مع الجميع سواء في منطقة الجبل ، أو في منطقة ترهونة لأن المجاهدين كلهم متفوقون على رأي واحد بالنسبة للصلح أو الحرب ، والدفاع عن المكاسب السياسية التي تحققت من توقيع الاتفاقات السابقة . مؤكداً التصميم على المواجهة رغم تفوق العدو ، واستعماله للطيران لمهاجمة معسكر المجاهدين :- ((...ونحن تكاتينا في السلم وطيارتكم ترمي القنابل فليس هذا فعل دولة ولا فعل رجال ، فنحن وعموم رجالنا تعودت على الحرب والموت بشرف أحسن من الحياة ، فإن كنتم مأموري دولة فليكن القول مطابق للفعل )) .

**رابعاً- إن الرسائل لم تعبر عن رأي الحاج محمد فكيني وحده ، بل إن الرجل كان** له كما يبدو مجلساً حربيًا استشاريًا من الرجبان والزنتان والسبعة يتشاور معهم بدليل توقيعاتهم في آخر الرسائل ، ولعل توقيع هؤلاء وهم أصحاب رأي وعصبية إلى جانب الحاج محمد فكيني دلالة على أن الجميع مصممون على المواجهة ويتضح ذلك من صيغة الجمع في كل الردود [ فليست المسألة كما يتخيلها البعض بأن فكيني يميل للصلح وأن بعض المجاهدين لا يرغب في ذلك ] ، فالأمور مرتبة ومنظمة ، والقرارات والردود تصدر جماعية بعد دراستها واتخاذ إجراء حيالها يعكس موقف الجميع ، وإن كانت في النهاية تحمل اسم الحاج محمد فكيني بصفته القائد العام للجبهة المقابلة للطلليان .

\* - أخطأ غراسياني ، والصحيح أن الذي استشهد هو ابن الحاج محمد فكيني "حسين" ، وليس ابن أخيه.

## 10- الإدعاء بأن قبيلة الصيعان ظلت وحيدة تقاتل الطليان بعد سقوط الساحل

### والجبل

\*- يقول القشاط في مقدمة كتابه :- (( ولقد بقيت الصيعان وحيدة في سهل الجفارة تقارع الطليان بعد سقوط الساحل وسقوط الجبل ... وهي معلومات ليست سرية ويمكن الاطلاع عليها من المصادر الإيطالية ، وفي الوثائق الليبية وفي رسائل قيادات الجهاد ))<sup>(1)</sup>.

من الأخطاء الجسيمة التي يقع فيها محمد سعيد القشاط دائما أنه يطلق كلامه على عواهنه دون تحقيق أو تمحيص أو تروّي ، لكي يسلم من الردّ عليه وتقنيد قوله ، فهو عادة يدّعي بأنه يستند على وثائق دون أن يسميها ، أو يشير إليها ليسهل على المتشكك ، أو غير المصدّق الرجوع إليها والتأكد من صحّة أقواله. ففي قوله السابق يؤكد بأن قبيلة الصيعان ظلت تقاتل الإيطاليين بعد سقوط الساحل والجبل ، وهو ما يعني بلغة السنوات والأعوام أن قتال الصيعان استمر بعد معارك الوخيم والجوش والسلامات ويفرن ، ثم احتلال غريان أي بعد عام 1922 وما بعده وأشار إلى أنها معلومات غير سرّية ، وموجودة بالمصادر الإيطالية والليبية وفي رسائل قادة الجهاد ، دون أن يذكر هذه المصادر أو يحدّدها. هكذا كلام مطلق مبهم ولمناقشة هذا القول والإدعاء بشكل موضوعي ، لا بد من توضيح النطاق الجغرافي الذي يتحدّث عنه في استمرارية قتال قبيلة الصيعان ومواجهتها للإيطاليين ، ثم الخوض بعد ذلك في تصحّح الوثائق الإيطالية والليبية التي تناولت تلك الأحداث.

من المعروف جغرافياً أن سهل الجفارة يقع بين الشريط الساحلي ، ومنطقة الجبل الغربي ، وبالتالي فإن على كل من يتّجه نحو الجبل أن يقطع سهل الجفارة وكذلك على كل من يتّجه نحو الساحل أن يقطع سهل الجفارة . لذلك فإن الجيوش الإيطالية في إعادة احتلالها للجبل بعد أن استكملت سيطرتها على الساحل بدأت معاركها التمهيدية لاحتلال الجبل بالسيطرة المطلقة على سهل الجفارة ، وخاضت عدة معارك كانت آخرها معركة الوخيم والجوش في يونيو 1922م حيث استطاعت بعد استعمال الطيران بشكل مكثف ، اجبار المجاهدين على التراجع إلى الجبل ، ثم ملاحقتهم والاشتباك معهم في معركة السلامة التي أدت إلى تراجع وتهقّر

1 - القشاط ، من قيادات الجهاد الليبي ، ص 10



المجاهدين باتجاه القبلة ، فيما بقيت جيوب مقاومة في يفرن ، وتم بعد ذلك القضاء عليها في معركة صفيت ، ما فتح الباب أمام الإيطاليين للسيطرة على الجبل من نالوت حتى مشارف غريان . هكذا كان تسلسل المعارك والأحداث بشكل عام ، لكن القشاط لم يحدّد مصدرًا معيّنًا من تلك المصادر التي أشار إليها يمكن الاستناد عليه في تأكيد استمرارية قبيلة الصيعان كما يقول في التصدي للإيطاليين بعد سقوط الساحل وسقوط الجبل ، ولم نجد أي مصدر يتحدث ولو بإشارات مقتضبة أو تلميح يفهم منه أنه موجه نحو هذه القبيلة ، بل كانت كل المصادر تشير صراحة إلى استسلام الصيعان والمناطق المجاورة بعد معركتي الوخيم والجوش ، بل أن المؤلف ذاته وهو دائم التناقض في كتاباته يؤكد هذه الحقائق فيما نشره سابقًا ويبدو أنه لم يكف نفسه إعادة الاطلاع عليه مرة ثانية فهو كما يقول تتكشف أمامه كل يوم حقيقة جديدة عن الحدث الواحد ، فيضطرّ إلى نقض ما كتبه سابقًا ، أما نتائج هذه الأحداث وبشكل تفصيلي ، فلا بد أن نشير إليها كما وردت في المصادر الإيطالية والوثائق الليبية كما يقول القشاط ، ومنها مصادر منسوبة إليه فغراتسياني الذي قاد معارك إعادة احتلال الجبل ، يقول :- (( كانت النتائج العاجلة لانكسار العدو واحتلال جادو هي:-

1- قرار أهالي الصيعان والحراية بالاستسلام النهائي وتسليم أسلحتهم بعد تردد طويل .

2- تعجيل عائلات نالوت وفساطو التي استطاعت في أيام قلائل أن تطمئن إلينا وتعتمد علينا بالعودة زرافات ووحدانا من الوطية إلى أقاليم كاباو وجادو .

3- امكان الاتصال عن كثب بأهالي يفرن والتأثير عليهم سياسيا وفعلا وصلت للحكومة من كل مكان تأكيدات من الأهالي بالإخلاص لها " من الريانة وقصر الحجيرة والأصابعة والمشاشي وأولاد بوسيف وغيرهم ) .

4- مراقبة الحدود التونسية ومن ثم منع التهريب حتى سفح الجبل .

5- تثبيت سلطاننا وزيادة احترام الأهالي الوطنيين للحكومة .

6- ازدياد المزايا الأخرى ذات الصفة العامة تبعا للموقف في الشرق ومن بين هذه المزايا أيضا إمكان التقدم نحو يفرن وغريان متى وكيفما أرادت الحكومة ذلك وقررتة ((<sup>(1)</sup>.

1 - غراتسياني ، المصدر السابق ، ص104.

**ويضيف** غراتسياني أنه:- (( كان من نتائج إعادة احتلال الجبل بين نالوت وغريان وسفح الجبل تسليم ما يقرب من خمسة آلاف بندقية من مجندي الحراية والصيعان وأولاد محمود والحوامد وككلة الحوض والأصابعة وغريان))<sup>(1)</sup>.  
**ويقول كذلك** :- (( كان من النتائج البعيدة والقريبة لاحتلال غريان والعمل السياسي الذي صحبه ما يأتي :-

- 1- قطع كل علاقة بين زعماء وأهالي الشرق وزعماء وأهالي الغرب .
- 2- إخلاء مزدة من رجال أحمد السني الذي اضطر للتقهقر والانسحاب نهائيا نحو درج دون أن تكون له بعد ذلك أية سلطة .
- 3- إصابة الزنتان والرجبان بهزيمة ساحقة ، ما أدى بهما منذ هذه اللحظة إلى الاستسلام الذي تم تدريجيا ، وإلى تسليم الأسلحة وعودة عائلتهما وترك جانب من أنصار فكيني له لاضطرارهم لمشاركته السير إلى مصيره .
- 4- تهديد مباشر لترهونة بتجمع كل القوات في مثلث غريان - طرابلس - الخمس
- 5- استسلام ورشفانة وعودة عدد كبير من الأهالي الفارين اللاجئين في الجبل إلى الواحات الساحلية .
- 6- عودة الأهالي البربر في أراضي يفرن .
- 7- تأمين الجفارة تأمينا نهائيا في جنوب غربي طرابلس -غريان .
- 8- زيادة النفوذ المباشر على ورفلة وفي بلاد القبائل عامة .
- 9- حدوث تأثير عظيم للغاية على موقف الثوار كله في شرق مصراته ((<sup>(2)</sup>).

**كما يضيف:-** ((... وفي السنوات :1922-1923-1924 تم بالتوازي مع عمل استعادة الإستيلاء العسكري، الإستعادة الكاملة التامة لإقامة الإدارات المدنية في الساحل وفي سفح الجبل. إن الضرورة الآن تقتضي أن ننقل إلى الأمام إلى خط الجبل هذا التنظيم المدني في عمومهم، ثم التوجه عسكرياً وسياسياً نحو مشاكل الجنوب. ولهذه الغاية صدر مرسوم من الوالي بتاريخ أول يناير 1925م لإنشاء ما يلي:-

1 - غراتسياني ، المصدر السابق ، ص151.

2 - غراتسياني ، المصدر السابق ، ص150.

- 1- قيادة أراضي الجنوب الطرابلسي وتشمل جميع أراضي الجبل بما في ذلك الأراضي الجنوبية التي لم يتم احتلالها بعد : أي الجفرة والقبلة بكاملها وفزان .
- 2- المتصرفيات المدنية لترهونة - وغريان - ويفرن.

ومع ذلك، فنظرا للعلاقات الوثيقة بين الأهالي الرحل وأهالي الجبل فإن قائد أراضي الجنوب قد حوّل سلطة اختيارية فيما يخص المتصرفيات المدنية وذلك لتمكينه من حل المسائل ذات الصبغة السياسية التي يمكن نظرا لأهميتها ومحتواها بالنسبة للأفراد والتجمعات أن يكون لها تأثير على الوضع في الأراضي جنوب الخط الجبلي . وفي أوائل سنة 1925م كانت طرابلس التي أعيد الإستيلاء عليها مقسمة كما يلي منطقة المتصرفيات المدنية بالساحل ، وسفح الجبل والجبل ترهونة - يفرن - غريان يتولاها موظفون مدنيون (...)(1).

**ويقول رابكس :-** (( كان من نتائج سقوط الجوش في أيدي قواتنا أن حل الارتباك الشديد بفصائل محمد فكيني المسلحة التي اضطرت إلى الفرار عبر مسالك الأودية المختلفة ، وإلى استسلام جميع سكان القرى والأرياف الواقعة بين الجوش وبين كاباو وفي هاتين البلدتين ))(2).

**كما يقول أيضا :-** (( .... ولقد قضى التقدم الكاسح الذي قام به العقيد غراتسياني ورجاله على كل محاولة للعدو للتصدي والمقاومة ؛ فقد أذعن أهالي الصيعان والحراية ، واستسلموا للحكومة ، وسلموا خمسمائة بندقية (...)) (3).

**كما يقول الشيخ الطاهر الزاوي :-** (( وعلى إثر معارك الجوش التجأ كثير من العرب إلى القبلة ، ولم يبق إلا قليل قاموا بمناوشات لتأخير تقدم العدو مؤقتا حتى يتمكنوا من النجاة . وكانت جيوش الطليان تمتد من زواره إلى الجوش على طريق الوطنية والهبيلية والزرير ))(4).

**ويورد المؤرخ خليفة محمد التليسي نتائج معركة الوخيم والجوش وأثارهما على مستقبل حركة الجهاد في منطقة طرابلس بعد إحكام السيطرة على منطقة**

---

1- رودولفو غراتسياني ، إعادة احتلال فزان ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ترجمة عبدالسلام باش امام، طرابلس ، 1995 ، ص55-56.

2 - رفاثيل رابكس ، مصدر سابق " مخطوط " ، ص 284 .

3 - المصدر السابق، ص 285.

4 - الطاهر الزاوي ، مصدر سابق ، ص417.

الساحل وسهل الجفارة والجبل بالقول :- (( وقد ترتب على احتلال الإيطاليين للجبل النتائج التالية :-

- 1- السيطرة على الحدود التونسية الليبية ومنع تهريب الدعم الحربي للمجاهدين .
- 2- تجريد الأهالي من السلاح.
- 3- التمهيد السياسي والعسكري لاحتلال مناطق القبلة وجبال ترهونة .
- 4- استغلال الرعب الذي أحدثته حركات القمع العنيفة الوحشية في اقناع الأهالي بقوة الحكومة وطغيانها وقدرتها على الملاحقة ، وعدم امكانية الصمود أمام قواتها البرية والجوية واستغلال ظروف الفقر والمجاعة والآثار النفسية التي خلفتها الفتن في النفوس لتأكيد سيطرة الحكومة ))<sup>(1)</sup>.

\*\*\*\*\*

**لقد** أعقبت فترة السيطرة العسكرية الإيطالية إعادة تنظيم المنطقة سياسياً ومدنياً ووضعت تحت إشراف غراتسياني الذي قام بأعمال التنظيم خلال الفترة من يونيو إلى سبتمبر 1922 وأعاد تثبيت الوجود الإيطالي في المراكز الإدارية التالية الجوش - نالوت - كاباو - الحراية - الرحيبات - فساطو ، ودلّ على إحكام السيطرة الإيطالية على المنطقة ، وخلوها من أية أعمال قتالية بعد استسلام معظم سكان المنطقة ، ومن بينهم الصيعان ، هو قيام غراتسياني بعد شهرين فقط من إعادة الاحتلال بجولة عبر خط سفح الجبل من الجوش إلى نالوت ، ثم التنقل في الجبل كله من بلدة إلى أخرى ابتداء من نالوت إلى جادو ، ومعه حرس لا يزيد عن عشرين رجلاً .

**فهل** عجزت القبيلة التي يقول القشاطر أنها ظلت وحيدة في سهل الجفارة تقارع الطليان بعد سقوط الساحل وسقوط الجبل عن مواجهة جنرال إيطالي يتجول في هذه المنطقة برفقة عشرين رجلاً !!! ؟  
أم أن هناك أعداء آخرين ما زالوا يتربصون بالإيطاليين ؟ .

يقول المؤرخ خليفة محمد التليسي :- (( فرغ الإيطاليون من احتلال الجوش ونالوت وجادو ، بنهاية شهر مايو 1922 .. وكان من وجهة نظر غراتسياني أن يواصل الزحف الفوري على يفرن وغريان ولكنه اضطر إلى تأجيل

1 - د. خليفة محمد التليسي ، المصدر السابق ، ص 85.

ذلك إلى أواخر أكتوبر 1922، أي خمسة أشهر كاملة ! لأسباب سياسية وعسكرية تعبر عن بعضها هذه الرسالة الهامة التي بعث بها فولبي إلى غراتسياني ليحد من جموحه وليعرض عليه بعض الأوضاع التي كانت خافية عليه .. وهي مؤرخة في 2 يوليو 1922 . [ إذا كان فصل القيض وخبرة الماضي لا تشيران بالتريث الحكيم فمن المؤكد أن امكانية زحف قواتك إلى يفرن ، ومنها إلى غريان تبدو مغرية وخاصة إذا اقترنت بمقاومة لا تذكر وصعوبات محلية لا معنى لها .. إلا أنه ، فوق كل شئ علينا أن نضع في تقديرنا أن مثل هذا الزحف يقتضي إقامة خط جديد للتموين بالنسبة ليفرن عن طريق الزاوية وبئر الغنم ، وبالنسبة لغريان عن طريق العريزية وفي الوقت نفسه لا يمكن التخفيف من التجهيزات التي تعتمدون عليها في الوقت الحاضر ، وذلك إما لضرورة الاحتفاظ بقوات في جبل نفوسة بقصد مواجهة احتمالات عودة فكيني إلى الهجوم ، وإما بسبب السكان المدنيين ... إن المقاومة السياسية ، كما تعلم ، تتركز في ترهونة ومصراته ، وعلينا أن نترك لهذين المركزين الزمن لكي يضعنا في الحسبان أن إقامة العلاقات مع السنوسي في برقة لن تعود عليهم بطائل . وأنه إنما ينضم إليهم تحقيقا للطموح السياسي ولكنه لا يستطيع أن يقدم إليهم مسلحين ، ولا ذخيرة ، وهما الشيطان اللذان تفتقر إليهما ترهونة ومصراته . لضمان وجودنا في جبل نفوسة ينبغي حصر الفكيني والسني والقبلة بصفة عامة ، واترك للزمن أن ينضج ذلك العنصر المفتت الذي ذكرت أنه أخذ في الانتشار في قطاعك ] ((<sup>(1)</sup>.

### فمن هم الأعداء يا ترى ؟

هذا السؤال والتساؤل يطرحه غراتسياني ذلك المزهو بانتصاراته وسيطرته على الأوضاع في منطقة الجفارة والجبل ، إذ لم يمنعه ذلك النفاخر بالنصر الذي حققه بالسيطرة على الساحل والجبل من أن يتساءل بالقول :- فمن هم الأعداء يا ترى ؟ ثم يجيب بعد أن يستعرض الوضع العام في منطقة الجبل وسهل الجفارة بأن الأعداء هم الزنتان والرجبان ، حيث كان يرى فيهم دائما النواة الرئيسية للشوار فيقول :- (( ... وكان أهالي الزنتان والرجبان هؤلاء هم نواة الشوار المركزية والتشكيلات الثورية في ترهونة ))<sup>(2)</sup>.

1 - د. خليفة محمد التليسي ، المصدر السابق ، ص 109.

2 - غراتسياني ، نحو فزان ، ص 260.

يقول رفائيل رابكس:- (( أوبرق العقيد غراتزياني من يفرن إلى الحكومة في طرابلس يوم 9 نوفمبر بما يلي :- يجب أن أقول أولاً وقبل كل شيء بأنه من غير المناسب بأي حال من الأحوال تنفيذ الفكرة القائلة بالهبوط إلى العزيزية من غريان وإخلاء الجبل . إن الأهداف التي نوّهت عنها لا تدرکہا عقلية الأهالي ؛ وإذا كانت الظروف الراهنة مؤاتية فما ذلك إلا نتيجة لتواجدنا بقواتنا المسلحة في الجبل أما إذا هبطنا من الجبل ، فإن الوضع سينقلب رأساً على عقب وفي غير مصلحةنا تماماً ؛ وعليه فإني استند في رأيي إلى فكرة أساسية وهي بقاؤنا في الجبل بأي شكل من الأشكال ومن الأفضل أن نركز بقاؤنا على نقطة مسيطرة واحدة في الجبل تحتشد فيها قواتنا بحيث يكون في مقدورنا التحرك في أي اتجاه نريده ؛ ... وأما القبائل المناوئة لنا كقبائل الحرابة وككلة والصيعان فقد باتت عاجزة لا حول لها ولا قوة وترتجى حضورنا إلى موطنها . فمن هم الأعداء يا ترى ؟ هم الزنتان والرجبان ؛ ولكن بما أنه من غير المعقول بأي حال من الأحوال أن ينكفئ أهالي الجزء الشرقي إلى الجزء الغربي من البلاد لأسباب بديهية لا حاجة إلى سردها هنا فالشيء الذي يُخشى إذن أن تقوم به قبائل الزنتان والرجبان التي تشكل مجموعة صغيرة من المتمردين محشورة في منطقة الجبل بأسرها لا يدعو أن يكون عمليات انتقامية تستطيع العناصر المسلحة غير النظامية المنتشرة في طول هذه المنطقة وعرضها على مقاومتها...))<sup>(1)</sup>.

ويقول رابكس أيضا :- (( ....هذا، ومن أجل حماية سكان الجبل من أية غارات محتملة قد يشنها المسلحون من الزنتان والرجبان ، الذين ما زالوا يشقون عصا الطاعة على الحكومة، فقد أذن الوالي فولبي لكل قائم مقامية بأن يجتد عدداً من الأشخاص يتناسب مع الضرورات الدفاعية الفورية عن مناطق المراعي وكان على السكان المحليين أن يتكفلوا بنفقات هذه الفرق الدفاعية؛ وهكذا أصبح الأهالي يساهمون في تكاليف الخدمات العامة الضرورية؛ وجدير بالذكر أن الحياة المدنية انتعشت بسرعة في كل من الجبال والجفارة، واستؤنفت الحركة التجارية وسجل تحسن ملموس في الحياة الاقتصادية في كامل المناطق، حتى إن النازحين من أبناء الزنتان والرجبان الذين نال منهم الجوع والبرد، وأنهكتهم المآسي والآلام واضطروا

1 - رفائيل رابكس ، المصدر السابق ، ص 477 .

إلى رفض الاستمرار في اتباع محمد فكيني في موقفه الأحمق، طلبوا السماح لهم بالعودة إلى ديارهم والاستسلام إلى الحكومة...))<sup>(1)</sup>.

أما ما يؤكد استسلام الصيعان ، وانتهاء جذوة المقاومة لديهم كقبيلة وليس كأفراد أو جماعات فضلت الالتجاء مع الرجبان والزنتان إلى مناطق القبلة يحذوها الأمل في تنظيم صفوف المقاومة والتصدي من جديد للإيطاليين ، فهو ما يرويهِ محمد سعيد القشاط ذاته حين يقول :- ((...ومن المعتقلات الجماعية التي لا زالت خيرا يروي مأساة تذكر معتقل " العقيله " ومعتقل الجوش . وإن كان معتقل الجوش أهون قليلا لأنه لم يحط بأسلاك شائكة . وقد حملت عدة قبائل من محلها الأصلي ومسكنها إلى مناطق أخرى كما فعلوا مع قبائل رياح بالجفرة بالجنوب حيث أبعدها إلى سهل الجفارة أما عن الأشخاص فحدث ولا حرج فقد ينفى من يشنبه فيه إلى واو حريره بالصحراء أو إلى إيطاليا أو يودع في غياهب السجن هذا إذا حاله الحظ ولم يقتل ... وفي الجوش جمعت إيطاليا قبائل الصيعان من سهل الجفارة وأرغمتها على الإقامة مجتمعة بالقرب من قرية الجوش بجميع حيواناتها التي لم يكن بالقرب من المركز ما تقتات به من نبات الأرض ... وأعلن الحاكم العسكري عن إقامة سوق في القرية كل يوم خميس مدعوا لحضوره جميع الرجال ومن يتخلف يعرض نفسه للسجن والضرب والغرامة ، ويبعث في هذا اليوم مجموعة من العساكر تفتش البيوت عليها تعثر على الرجال . وفي يوم من أيام السوق قبضت إيطاليا على أحد عشر شخصا هم أعيان المنطقة من بينهم مدير المنطقة نصر بن الحاج . وصودرت جميع حيواناتهم ، وما يملكون وأودعوا السجن في يفرن . ونقل بعضهم إلى إيطاليا بعد هزيمة الإيطاليين في الحرب الثانية ومات بعضهم في السجن ...))<sup>(2)</sup>.

**ويضيف :-** (( وكم من حيوانات ماتت جوعا في معتقل الجوش الذي حملت إليه قبائل الصيعان من سهل الجفارة وأرغمت على البقاء جميعها في قطعة أرض قرب المركز لا وجود فيها لخضراء ولا يابسة . ناهيك عن الذين حملوا إلى واو حريره أو القبائل التي حملت من الجفرة إلى الجفارة وغيرها ))<sup>(3)</sup>.

1 - المصدر السابق ، ص 329.

2 - محمد سعيد القشاط ، صدى الجهاد الليبي في الأدب الشعبي ، ص 84 - 92.

3 - المصدر السابق ، ص 19.

ولأن محمد سعيد القشاط يصرّ على اعتبار قصائد الشعر الشعبي وثيقة رسمية تتساوى في قيمتها مع الوثائق التاريخية الأخرى ، ولا يجوز الطعن فيها ، بل القبول بما يرد فيها كمسئمة تاريخية حقيقية ، فإننا نورد بعض من قصائد الشعراء الشعبيين أمثال :- خليفة الكردي ، ضو العساس ، والتي أوردتها القشاط تنمة للحديث السابق كوثائق نوّكد بها تحليلنا [ وإن كنا نتحفظ على اعتبار القصيدة الشعبية وثيقة يستند عليها في تقييم وتفسير الأحداث والوقائع التاريخية ] .

**ويستمر القشاط بالقول :-** (( والشاعر خليفة الكردي كان على اتصال بهؤلاء الرفاق يحمل إليهم بعض الأكل وهم في السجن لأنه كان على قرابة ببعضهم . وهو يروي لنا مأساة هذا النجع وهؤلاء الرجال وكيف يعاملون في السجن وكيف يعامل الزوار أيضا ، وأن الحراس على أهبة الاستعداد لاطلاق النار وأن عائلات المسجونين مكلفة بالانفاق عليهم في السجن .

**يقول الشاعر خليفة الكردي في قصيده [نختار منها هذه الأبيات ]**

وتوه دوته امحصره والغير نصبله  
 يشبح له في سبله  
 كل من يطرف بيلكه والشنق اقرب له  
 يرجى في ريح الفرج راقد عل زبله  
 يامهموم اصغانا  
 نحكي لك باللي طري وافهم معنانا  
 وتوه فوق المردفه عدنا من تالي  
 والمودير قبالي  
 وولى مرجع شيرتي عند الجهالي  
 طقوا عنه البوجلّه واقفال حصينه  
 حطوه افتركيينا  
 عاشر بين " الكاشفوا " وبين " الكابينا"  
 والف بق احيوطهم وترك ظنينا  
 شاف العكس بعينا  
 عساسه يتلاودوا يساره ويمينا  
 عشره ديمه اسلاحهم مسفي تيمينا  
 ومحروود اماشينه  
 فوق الحبس قعادهم رواشينه  
 فيينا يربخ سوطهم لاكان بطينا  
 ثمه الهول يجينا  
 تسمع كان دريزهم والباب رنينا ((<sup>(1)</sup>).

1 - القشاط ، المصدر السابق ، الصفحات 93 إلى 99 .



كما يورد القشاطر قصيدة للشاعر ضو العساس التي نختار منها هذه الأبيات التي تصف اعتقال قبيلة الصيعان داخل معتقل الجوش ، فيقدّم لها بالقول :-  
 (( والشاعر ضو العساس يصف لنا في قصيد عملية التجنيد هذه . كما يصف حالة الوطن بعد غياب رؤساء الجهاد - إما بالهجرة أو بالموت - وحالة المواطنين من المجاعة وانتشار الجواسيس في كل مكان . كما يتعرض لذكر معتقل الجوش في هذا القصيد :-

عَيّطت لك كان لعياط يجيب	لومي على لنقر نظيف الشاش
نبغي الفرع منكم يكون قريب	هاهي عربنا في قفا لجواش
زي الغنم لا يذ علينا ذيب	ليلة ارعود وزادها رشراش
ومشغشمه من الجرح والتتبيب	هجاجيل ما تلقاش فيها اكباش
راحوا	اليوم مده واسنين طاحت حرمتنا
وبعد اطيور اللوم لعدا ظامتنا	توه هفك وكان متقلح فينا

**وقصيد الشاعر ضو العساس [ والكلام للقشاطر ]** بعد أن وصف حالة الشعب في ذلك الوقت وموضوع التجنيد الإجباري ... ثم يبيّن حالهم في هذا المعتقل الذي يقع [ شمال الأجواش ] بأنهم كالغنم السائبة التي حامت حولها الذئاب في ليلة مظلمة زادت رعباً السحب المتراكمة والرعود المجلجلة ، أكثر فيها الذئاب من التجريح والقتل ولم يبق بها فحل واحد ، ثم ينتقل في [ القفلة ] [ الراداه ] إلى الحديث صراحة إلى أن رؤساءهم قد راحوا وأطاح الزمان بهيبتهم وبعد غياب الرجال البارزين ظلمهم الأعداء وأصبح كل "هفك" أي كل حقيير سيّداً مسيطراً عليهم<sup>(1)</sup>.

كما يضيف بأن (( الشاعر خليفة الكردي يقول في قصيد يعاتب فيه قومه عندما عادوا بعد الهجرة حين سمعوا بصدور العفو الشامل الذي كان خدعة انطلقت عليهم فما أن عادوا حتى سجن كبرائهم وأهين معظمهم وشرّدوا وأجبروا على المعيشة في المعتقلات. كما يصف حالة الذل والمسكنة التي كان عليها قومه [يقصد الصيعان] بعد العودة والتهديد والوعيد الذي يتعرضون له . وأن العدو يكاد أن يدخل عليهم بيوتهم لتأديبهم وإذلالهم لولا لطف الله وقدره .

1 - القشاطر ، المصدر السابق ، الصفحات 109 إلى 113 .

## يقول الشاعر خليفة الكردي:

ليّام بالتقليبه  
كانوا ظراري يعركوا عل صيبه  
واليوم سلّموا السجع والتحريبه  
اسلب سلاح عربنا  
و الدهر للمغفول يحدث عيبه  
ماطالبين العون من عدواهم  
وولوا مغافي في مثيل انساهم  
وطاح قدرنا وناموسنا وطربنا  
طلبنا وظيفة طوعهم وارضاهم  
هذا دوانا وطب من يشاهم  
طينا بدينا عسكريه ورعيته  
غير فضل مولانا الكريم قسام  
رمنا عوج ليّام وحذيناهم ((<sup>(1)</sup>).

### ومن العرض السابق يمكن استنتاج الحقائق التالية :-

- 1- دور قبيلة الصيعان في حركة الجهاد كان ضمن الجموع التي تنادت بتليبة لنداء الجهاد ، ولكن دون أن تبرز لها قيادات معروفة من مستوى الصف الأول ، أو تكون حركتها كقبيلة بشكل منفصل ، وإنما كانت تتحرك تحت قيادة بعض الزعامات التقليدية في المنطقة آنذاك مثل : الشيخ سوف المحمودي أو خليفة بن عسكر أو الحاج محمد فكيني .
- 2- تجمع كافة المصادر الليبية والإيطالية على أن دور الصيعان كقبيلة في حركة الجهاد توقف بعد معركة الجوش 12 يونيو 1922 م ، حينما سيطر الإيطاليون على قرية الجوش ، ووضعوا أهلها من الصيعان في معتقل الجوش ، ويؤكد ذلك أيضاً الشاعر محمد سعيد القشاط في كتابه [ صدى الجهاد في الشعر الشعبي ] الذي نشره نهاية عام 1970 م .
- 3- رغم استسلام قبيلة الصيعان ، وانتهاء دورها كقبيلة في حركة المقاومة والجهاد التي استمرت بعد ذلك حتى عام 1930م ، إلا أن هذا لا ينفي وجود جماعات مقاتلة من القبيلة قرّرت عدم إلقاء السلاح ، والاستمرار في المقاومة، ولكن ضمن القبائل التي اضطرت إلى النزوح نحو القبلة ، خصوصا قبيلتي الرجبان والزنتان ، وهذا لا يشكل في حد ذاته أمراً مستغرباً أو غير وارد،

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص198-199-200-201.

لأن قيادة قبائل المنطقة في تلك الفترة ، وتحديدًا قبائل الرجبان والزنتان والصيعان والحراية والرحيبات ، كانت بيد الحاج محمد خليفة فكيني ، خاصة وأن قبيلة الصيعان سبق وأن قدّمت مضبطة الولاء لقيادة الحاج محمد فكيني كغيرها من القبائل الأخرى ، وبالتالي فحركة هذه المجموعات تأتي مع طبيعة الأمور، ولشعور الجميع بوجود مرجعية قيادية لهم يتبعونها ويتلقون الأوامر منها، ويؤكد هذا الرأي [ خليفة التليسي] حين يتحدث عن نهاية المقاومة في طرابلس والقبلة بالقول:- (( وكانت تلك خاتمة للمقاومة في طرابلس الغرب وفزان. تلك المقاومة التي تولتها حتى اللحظة الأخيرة جماعات من الزنتان والرجبان والمشاشي وأولاد أبي سيف وأولاد سليمان والقذافة والمقارحة والحساونة وغيرهم وفي ذلك ما يقطع بأن الحرب قد استمرت في طرابلس الغرب -كما كانت تعرف في الوثائق الإيطالية- نفسها حتى سنة 1930))<sup>(1)</sup>.

4- جميع المصادر الليبية والإيطالية لم تتعرض لذكر أي دور أساسي للشيخين علي كلة ، و المبروك الغدي في حركة الجهاد الليبي ، وحتى تلك التي استند عليها القشاط كقصائد الشعر الشعبي ، ذكرتهم كأفراد ، وليسوا كزعامات ، أو قيادات من المستوى الأول ، ومحاولة القشاط اقحامهم في هذا الخضم ، هو في الحقيقة إساءة بالغة لهم ولأسرهم ، قبل أن تكون مفاخرة بهم في مواجهة الآخرين ، خاصة وأنه ذكر بعض الأحداث والسلوكيات التي صدرت عنهما تجاه قيادات وزعامات وطنية وهي إن صدرت عنهما حقيقة كما يقول القشاط فهي لا تدلّ على سلوك قويم منضبط .

---

1 - د . خليفة محمد التليسي ، المصدر السابق ، ص 257.

## 11- إدعاء تقديم الشيخ سليمان الباروني لعلي كله الى السلطات التركية لتعيينه رئيساً للمجاهدين

يقول القشاط :- (( سار الشيخ سليمان الباروني إلى اسطنبول لاستلام وثائق تعيينه، واستلام المهام الجديدة وكان علي كلة قد أبل من مرضه ولكنه لا يزال ضعيف فرافق الشيخ الباروني ليقدمه للسلطات التركية ليتم تعيينه رئيساً للمجاهدين في طرابلس الغرب فما أن وصلا اسطنبول حتى انتكس الشيخ علي كلة ومرض فأودع المستشفى، وسار الشيخ الباروني راجعا إلى ليبيا بدون<sup>(1)</sup>)).  
نشير إلى أن مذكرات الشيخ سليمان الباروني التي تقع في أكثر من ألف صفحة لم يرد فيها اسم الشيخ علي كلة إلا مرة واحدة وفق النص التالي الموجه إلى الشيخ سوف المحمودي :- (( ملحق للشيخ سوف : ابنكم عون افندي جاءني منه جواب يتشكى تعطيل شهرين من معاشه فراجعت الحكومة فأرسل تلغرافيا إلى الوالي في عدم تعطيله فأعطاه في الحال . الحاج كان مريض وشفى وسعينا له في معاش شهري . الشيخ علي كلة جلبناه مرفها ليأتي معنا وتخصص له ولعائلته معاش ثم مرض عدناه يوم سفرنا حصل له الشفاء التام ولكونه ضعيف لا يقبله تحت البحر أخرناه ليأتي مع جماعة أخرى 19 محرم 1334 ))<sup>(2)</sup>.

لذلك فإن تفسير النص السابق وفق عباراته تشير إلى أن الشيخ سليمان الباروني يقصد حين يقول [ جلبناه ] أي بمعنى أحضرناه معنا [ بإرادتنا ] كي نؤمن له معاشاً بمعرفتنا وعلاقتنا مع السلطات التركية التي تسبق حتى تاريخ الغزو الإيطالي للبيبا وعندما مرض قمنا بزيارته ، وحين [ رأنا ] ويقصد أن علي كله لم يكن يتوقع أن يزوره ويعوده في مرضه شخص في منزلة الشيخ سليمان الباروني ، فكان هذا من أسباب فرحه وسروره وانبساط نفسه ، حتى أنه حصل له الشفاء في حينه ، ولكونه ضعيفا [ أخرناه ] وهو [ أمر واجب الامتثال له ] بالبقاء والعودة مع المجموعة التالية.

ويفهم من هذا النص الوثائقي الواضح أن الشيخ سليمان الباروني اصطحب علي كله معه لكي يؤمن له معاشاً يرتزق منه وأسرته ، لا ليطلب تعيينه قائداً للمجاهدين كما يفهم من المعلومات التي أوردها القشاط في كتابه .

1 - القشاط ، من قيادات الجهاد الليبي ، ص 117.

2 - زعيمة الباروني، صفحات خالدة من الجهاد الليبي، الجزء الثاني، ص 43.

## 12- مغالطات تشكيل حكومات ونظم سياسية خلال مرحلة الجهاد

**حفل** كتاب القشاطر بكثير من الصور لحكومات وأنظمة سياسية يقول أن المجاهدين أنشؤوها خلال مرحلة الجهاد ، وهكذا يقرر القشاطر بكل بساطة ، ودون أن يوضح على ماذا استند عند تشكيل هذه الحكومات والنظم السياسية خلال مراحل عرضه للأحداث في كتابه ؟ ، فقد كان يتخيل ويرى في كل مجموعة يتجاوز أفرادها شخصين اثنين حكومة ، وبإستثناء [حكومة مصراته] أو حكومة الجبل [الإدارة المختارة] كما سماها الشيخ سليمان الباروني أو [الجمهورية الطرابلسية] وهي تنظيمات سياسية تعتبر من حقائق تلك المرحلة ، فإن ما يطرحه القشاطر من تشكيلات ونظم سياسية تثير انتباه القارئ ، وتدخل في دائرة الهزل والطرح الساذج ومنها على سبيل المثال :-

### 1- جمهورية طرابلس الأولى

ورد في الصفحة الثالثة من أوراق علي كلة :- (( وكان الشيخ سليمان الباروني رئيس جمهورية طرابلس لكل الوقت وكان مقر رئاسة الجمهورية الأولى بيد الشيخ سليمان الباروني )) .

**هكذا** بكل بساطة يثبت من يسعى أن يوصف بالمؤرخ جمهورية جديدة في تاريخ حركة الجهاد الليبي ، خلافاً لما ورد في كل الوثائق والكتب حتى أن الشيخ سليمان الباروني لم يتجرأ فيقول في مذكراته أنه أعلن الجمهورية ، أو أقامها في بداية مرحلة الجهاد الأولى !! ؟ .

### 2- حكومة الحراية :-

**قال** القشاطر ما يلي :- (( وتقدم الإيطاليون نحو المناطق الداخلية يسبقهم دعائهم من المستسلمين الليبيين ويحتلون البلدان بدون حرب . وجعل الباروني من يفرن عاصمة له ، واتخذ الشيخ سوف من بئر الحراية مقراً له تحيط به مخيمات الراحلين من الساحل زواره نوائل ، سعفات ، خويلد ، وريمه حميدات ، علائقة عجيات ، والصيعان الذين يستقرون في المنطقة بحكم تواجدهم والحرارات والقديرات ، والشعاليل هم أيضا تواجدوا في المنطقة . وكان يدير كل قبيلة زعماءها ، الذين تشكلت منهم إدارة ، مديرون ومشايخ . كان الشيخ سعد حلبودة مديراً على الصيعان يساعده المشايخ علي كلة ، ونصر بالحاج

والشيخ الغدي ، والشيخ عمر بن حنين ، وكان الشيخ حرب بن نصر النائب مديرًا على النوازل ، والشيخ سلطان بن شعبان مديرًا على زواره ، والشيخ مفتاح الحراري مديرًا على الحرارات ، والشيخ علي بو جناح مديرًا على القديرات ويساعد كل مدير مجموعة من المشايخ ، وتقدم الطليان واحتل غريان بدون حرب...))<sup>(1)</sup>.

لا أحد يدري على ماذا استند القشاط في وجود حكومتين منفصلتين إحداهما في يفرن برئاسة الشيخ سليمان الباروني ، والأخرى في الوطية [بئر الحرايبة] برئاسة الشيخ محمد سوف المحمودي ، لأن صيغة فعل [اتخذ] تعني استقلالية القرار لدى الشيخ سوف في إنشاء إدارة خاصة به ، وتوسّع في الشرح ، فأوضح الهيكل التنظيمي لها فجعل لها مديرين وشيوخ وزعمهم على مجاميع الأهالي الموجودين هناك .

**ولتفنيدها** هذا الادعاء ، نورد بعض الوثائق التي تسجّل أحداث تلك الفترة بالتحديد ، وهي الفترة التي أعقبت توقيع الصلح بين تركيا وإيطاليا ، ومنح طرابلس الاستقلال فنشير إلى الرسالة التي وجهها الشيخ سليمان الباروني إلى الأمير عمر طوسون باشا عزيز باشا محمد باشا يكن ، محمد علي باشا ، وذلك في غرة ربيع أول 1331 والتي جاء فيها :- (( على إثر إعلان الصلح وتوقيف الحرب : اجتمع الأعيان والمأمورين كافة من سرت إلى حدود تونس في العزيزية ، وتذاكرنا فيما يلزم أن نتخذه لأنفسنا ، وبعد مجادلات دامت نحو ثلاثة أيام قرر ح ، ب ، ت قائمقام العزيزية وقائمقام النواحي وقائمقام الزاوية ، ترهونه والعجيلات وزواره ومن معهم من الأعيان : وجوب سرعة التسليم لإيطاليا بدون طلب شيء . وأصررت أنا على وجوب الثبات في خط الحرب ومخاطبة إيطاليا على شروط تنفع أهل البلاد ، وإن لم تقبل فيلزم دوام الحرب ولو في الجبال ، إلى أن تحصل نتيجة تنفع . فامتنعوا وركبوا في الحال ودخلوا المدينة ، ولم يطلبوا شيئاً سوى إبقائهم في الوظائف فقبل منهم ذلك . فارتحلت أنا بمجاهدي الجبل والقبلة وزواره والنوازل وغيرهم ، وأسست مركزاً واحداً في الرابطة تحت غريان ، ومركزاً آخر في الوطية أمام زواره جهة حدود تونس . وفي الحال جلبت تلك الجماعة عسكر إيطاليا إلى العجيلات والزاوية والعزيزية وترهونه وغريان وكلفوه بالزحف حالاً

1 - القشاط، من قيادات الجهاد الليبي، ص 97.

على مجاهدينا في الرابطة والوطية فلم يساعدهم ، وكان مجاهدونا إذ ذاك 400 فقط : لأنني فرقتهم مؤقتا لعدم وجود الأرزاق ، وما القصد بإبقائهم إلى تأسيس المركز ، وكذلك في الوطية .

ثم جمعت الأعيان كافة وذاكرتهم على إعلان الاستقلال ولو سوريا حسب الفرمان السلطاني [ربما يحصل لين من إيطاليا فتساعدنا في شيء]..<sup>(1)</sup>.

كما قام الشيخ سليمان الباروني بتعيين الشيخ محمد سوف قومندانا على الساحل وأسند إليه إدارة مركز الوطية ، ونجد الشيخ سوف يرد على الباروني بالرسالة التالية :- (( عن نزاد الجبل - السيد سليمان بك الباروني :

بالأمس توجه الشيخ حرب بعموم المجاهدين . والعاجز انتظرت الصيغان ، ولما أتوني اليوم صارت حركتي للوطية ، وعند وصولي إن شاء الله أتوجه للهجوم بدون تأخير . أرجو من الله النصر أفندم / 17 ربيع أول 1331

قائمقام نزاد : محمد سوف ))<sup>(2)</sup>

### 3- جمهورية شمال أفريقيا :-

تحت عنوان جمهورية شمال إفريقيا 1915 يقول القشاط :- (( نتج عن دخول تركيا الحرب إلى جانب الألمان في الحرب الكونية الأولى أن أشرفت على نشاط المجاهدين المهاجرين فيها من شمال إفريقيا وشجعتهم على الثورة ضد فرنسا وإيطاليا ، ووعدتهم بالأسلحة والذخائر والأموال ، وهكذا اجتمع منهم مجموعة في تركيا وقرروا تكوين جمهورية تضم شمال إفريقيا وسموها [جمهورية شمال إفريقيا] [واعترفت بها ألمانيا والنمسا... الخ]<sup>(3)</sup>.

كما يقول :- (( وحتى لا يترك الليبيون فراغا سياسيا قرروا إعلان جمهورية تحت اسم الجمهورية الطرابلسية وهي أول جمهورية في الوطن العربي بعد جمهورية شمال إفريقيا ))<sup>(4)</sup>.

من الواضح أن غير المتخصص ، وغير المدقق ، يقوم بعملية نقل للمعلومة دون التمحيص والتدقيق ، وفهم مفرداتها ، وتحميل النصّ معاني أخرى لا تعبّر عن

1 - زعيمة الباروني، المصدر السابق ، ص 422.

2 - المصدر السابق ، ص 422.

3 - القشاط، المصدر السابق ، ص 130.

4 - القشاط، المصدر السابق ، ص 134.

واقع المعلومة ، إما بالتضخيم والتفخيم والمبالغة ، أو بالتصغير والتحقير وفي كلتا الحالتين يفقد النص الأصلي معناه ، ويحدث الانحراف الذي يترتب عنه فهم مغلوط للحدث ، فالقشاطر هنا وحسب مرجعية الشعرية التي تميل في الغالب إلى المبالغة والتفخيم كعادة الشعراء عند تناول الحدث ، لم يستطع أن يفرق في المعنى بين (الهيئة) كنشاط ، وتنظيم يهدف إلى تحقيق نتائج سياسية ، وبين (الجمهورية) كنظام سياسي له كيان ومؤسسات ، فكلاهما يبدو أن له معنى واحداً لديه فهو هنا يرى في (خطة عمل) وضعتها الدولة التركية بالتعاون مع ألمانيا عند نشوب الحرب العالمية الأولى ، لإثارة الأوضاع ضد إيطاليا وفرنسا في مستعمراتهما في شمال إفريقيا وتحديدًا في طرابلس وتونس والجزائر ، (كيان سياسي قائم) ، حيث شكّلت هيئة ضمت عددًا من المناضلين اللاجئين لديها من بينهم : سليمان الباروني وعبدالعزیز الثعالبي والأمير شكيب أرسلان ، وعبد العزیز جاويش ، ومحمد فريد .

وكان يشرف على نشاط هذه الهيئة ، ويمدّها بما تحتاج إليه من إمكانيات لبدء نشاطها السيد علي باش حامبه الذي عينه وزير الحربية التركي أنور باشا مديرًا لدائرة التشكيلات الشرقية ، وعلى هذا الأساس رجع الشيخ سليمان الباروني عن طريق غواصة ألمانية أنزلته على شواطئ مصراته ، لتنظيم حركة الجهاد ابتداءً من عام 1915 ، ورجع الشيخ عبدالعزیز الثعالبي إلى تونس وشكّل جمعية انضم إليها عدد من المناضلين التونسيين ، وبدأ نشاطه داخل تونس .

هذه الأعمال والنشاطات ذات الطابع السياسي ، لم تكن ترقى إلى مستوى يمكن أن يطلق عليه [جمهورية] ، وهو ما أخطأ فيه أيضًا الشيخ الطاهر الزاوي بإطلاق لفظ جمهورية على هذا النوع من النشاط السياسي ، الذي هو في ظاهره مساعدة الليبيين والتونسيين والجزائريين ، وفي مغزاه وباطنه خدمة مصالح تركيا وألمانيا في حربهما ضد الإيطاليين والفرنسيين ، وهو يقع في دائرة الصراع الذي شمل أيضًا نشاط البريطانيين ضد الأتراك بشبه جزيرة العرب وبلاد الشام ، وقد نقله القشاطر على علاقته دون تمحيص أو تدقيق كما يدعى أو يحاول أن يختلق صورًا للأحداث وفي هذا الخصوص يقول البشير بن الحاج عثمان الشريف تحت عنوان هيئة غزو شمال أفريقيا :- (( وفي هذه السنة قرّرت الدولة العثمانية أن تؤسس في الأستانة هيئة لغزو شمال أفريقيا بالاتفاق مع رجالها اللاجئين ))<sup>(1)</sup>.

1 - البشير بن الحاج عثمان الشريف، أضواء على تاريخ تونس الحديث، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، الطبعة الأولى، ص 169 .



كما يقول د/ صالح الخرفي حول نفس الموضوع :- (( يشير أبو اليقظان إلى الحملة التي كانت محاورها المخططة والمحرّكة تتمثل في [علي باش حامبة] في الآستانة و[سليمان الباروني] في طرابلس ، و [عبدالعزیز الثعالبي] في تونس و[محمد الخضر حسين] ، و[محمد باش حامبة] في برلين . كان [علي باش حامبة] مدير دائرة التشكيلات الشرقية في وزارة الحربية التركية بعد تعيين [أنورباشا] وزيراً لها عند قيام الحرب العالمية الأولى . [سليمان الباروني باشا] كان في هذه الفترة في الآستانة. عضواً في مجلس الأعيان تقديراً لجهوده في الحرب الطرابلسية، فطلب منه [أنور باشا] العودة إلى طرابلس الغرب واستئناف الجهاد. يقول [سليمان الباروني] عن هذا المخطط : " كان "علي بك" يقصد باش حامبة يعلق على انتصاراتنا في طرابلس آمالاً عظيمة ، نحو وطنه تونس الخضراء حتى أنه عزم على زيارتنا أخيراً في غواصة ، لما تقرر إجراء الترتيبات على الحدود الغربية الطرابلسية استعداداً للزحف على تونس))<sup>(1)</sup>.

**ويوضّح د/ جلال يحي طبيعة هذا النشاط فيقول :-** ((... وفي توافق مع الدولة العثمانية في كل شمال أفريقية . اتصلوا في الآستانة بالأمير شكيب أرسلان والباروني ، وعبدالعزیز جاويش ، ومحمد فريد ، وألفوا في عاصمة الدولة العثمانية هيئة لتحرير شمال أفريقية ، تعاونت مع السنوسيين في برقة ، واتصلت بعدد من رجال الطوارق في فزان وجنوب تونس والجزائر ، ووصلت دعايتها إلى قلب الصحراء الكبرى . وكانت هذه اللجنة وراء إمداد السيد أحمد الشريف السنوسي ببعض ما يحتاج إليه ، وتوجيهه صوب التوغل في حدود مصر الغربية وفي الوقت الذي كان على جيش جمال باشا أن يقوم فيه بمهاجمة مصر من ناحية قناة السويس . وكان كذلك وراء إرسال الباروني إلى طرابلس ، وعمله من هناك على إثارة حركة تحريرية تمتد من طرابلس حتى تونس والجزائر . وحاولوا تجميع قوات من أبناء المغرب الموجودين في أوروبا وإرسالهم إلى شمال أفريقية والمشاركة في عمليات التحرير . ولقد أشرف على كل ذلك علي باش حمبه الذي كان يعتبر الموجّه لحزب تونس الفتاة...))<sup>(2)</sup>.

1 - صالح الخرفي، عبد العزیز الثعالبي من أثاره وأخباره في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1995، ص431.

2 - جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير ، الفترة المعاصرة وحركات التحرير، الجزء الرابع ، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص242.

ولعلّه من المستغرب أنه لم يكن من بين أعضاء هذه الهيئة الشيخ علي كله باعتباره كما يقول القشاطر أحد قيادات الجهاد الليبي ، وهو حينذاك ما يزال في تركيا ، والذي يدعي القشاطر أيضاً أن الشيخ سليمان الباروني سعى قدر جهده لتقديمه إلى السلطات التركية ليكون قائداً للمجاهدين ولم ينجح في مسعاه !! ؟ وهو الذي يقول عنه :- (( كان زعيماً وطنياً وفارساً يقارع الأعداء ومحارباً شرساً ومدار الرأي ، منه يبتدئ وإليه يعود ... ))<sup>(1)</sup>.

#### 4- حكومة بني وليد

يقول القشاطر :- (( استقر عبد النبي في بني وليد ونظم الإدارة ، وأسّس مجموعة من القائمقيات تتبع للمتصرفية المركز ، قائمقيات شميخ ، قائمقيات المردوم ، قائمقيات بونجيم ، وعيّن لكل قائمقيات قائمقاماً يدير شؤونها ... ))<sup>(2)</sup>. ولم يكتف القشاطر بتفصيل تكوينات النظم السياسية على قياس القبيلة ولكنه سعى إلى إدخال مرادفات وألفاظ تستخدم في هذا العصر، فأشار إلى أن الحاكم عبد النبي بالخير تعرض لانقلاب لتغيير الحكم من قبل عثمان سكيب ولكنه فشل فقال :- (( ... وقد حاول عثمان في السنوات المتأخرة أن يرتب انقلاباً ضد عبد النبي في ورفله ولكنه لم يفلح بل وأطلق النار على أخ عبد النبي المسمى المبروك وجرحه جرحاً بليغاً ... ))<sup>(3)</sup>.

1 - القشاطر ، المصدر السابق ، ص 273 .

2 - القشاطر، المصدر السابق ، ص 191.

3 - القشاطر، المصدر السابق ، ص 191.

### 13- مغالطة أسباب وفاة المجاهد عمرو غنغانة

يقول القشاط :- (( في رواية للشيخ عون الشبلي أن مجموعات فكيبي عندما وصلوا إلى تمزدة وطردوا خريبيشه طلبوا من الشيخ غنغانة أن يحضر لهم قسعة الطعام على رأسه كما يفعل العبيد فمرض ومات بعد ثلاثة أيام عليه رحمة الله ))<sup>(1)</sup>.

هذه الحكاية التي دسّها القشاط في حديثه ، وهي إساءة الرجبان والزنتان معاملة المجاهد عمرو غنغانة الذي توفي كمدًا وقهراً من سوء المعاملة والإهانة التي لحقت به من حلفائه ، وتكبرهم له بإهانتته ، وهو حين يقدم هذه الحكاية على هذا النحو بالذات من سوء القصد ، فهو يمسّ جانباً مهماً وحساساً في العلاقة بين الجذمين المتجاورين قروناً في ظل التسامح والتعاون الذي عرفته المنطقة ، فالقشاط يستخدم حكايات وردت في روايات الأقدمين تحتل الصدق وتحتل النفي ، وهي تخدم بشكل مباشر أو غير مباشر المخططات الخارجية التي تستهدف تفنيت الجبهة الوطنية .

ونحن لن نكذب القشاط برواية نوردها من عندنا ، بل نفتح صفحات من كتابه الثاني [ معارك الدفاع عن الجبل الغربي ] ونقرأ ما كتبه حول وفاة عمرو غنغانة ولنذع القشاط يفند ذاته بأقواله ورواياته المتناقضة .

فقد كتب سابقاً عن عمرو غنغانة ما يلي :- (( هو أحد المجاهدين الصادقين من بلدة فساطو ، ساهم كغيره من سكان المنطقة في معارك 1911-1912-1913 م وفي عام 1915 نجده في وادي مجزم مع خليفة بن عسكر ولم نستطع الوصول إلى معرفة الطريقة التي وصل بها إلى هناك فاشترك في معارك "ماترس" و "سوينية يعقوب" و "سيناون" و"كاباو" و"نالوت" و"تكوت" وعندما أعلن يوسف خريبيشه الانضمام لاييطاليا في صيف 1916 كان عمرو غنغانة ضمن المجاهدين الذين حاصروا فساطو واستولوا عليها وأنزلوا من على ساريتها العلم الإيطالي وفر من أمامهم يوسف خريبيشه مهزوماً للطلليان في زواره . وفي أواخر عام 1917 عام المجاعة الكبرى توفي عمرو غنغانة ببلدته تمزدة مريضاً عليه رحمة الله ))<sup>(2)</sup>.

1 - القشاط ، من قيادات الجهاد الليبي ، ص 151.

2 - القشاط ، معارك الدفاع عن الجبل الغربي ، ص 316.

## (ج) - بيان مواضع التحريف والتغيير في النصوص المقتبسة

يستند محمد سعيد القشاط حين يسعى إلى تأكيد وجهة نظره تجاه المسائل والقضايا والمواقف التي يطرحها في كتبه على نصوص يقتبسها من مصادر تاريخية عاصرت الحدث وأرخت له ، كان أصحابها عنصراً أساسياً في صناعة الحدث ، أو ممن توفرت لهم امكانية المشاركة أو الإطلاع على الأرشيف المتعلق بها ، وقد تجاوزت النصوص المقتبسة في كتابه الأخير [ من قيادات الجهاد الليبي ] (103) نصً مقتبساً من أكثر من (16) مصدرًا من كتابات ووثائق الشيخ سليمان الباروني ، الشيخ الطاهر الزاوي، العقيد رودولفو غراتسياني العقيد رفائيل رابكس ، العقيد أ. بيلارينيلي ، وهي تعتبر من المصادر المهمة في تأريخ حركة الجهاد الليبي ، ولا غنى لأي باحث من الإطلاع عليها أو الاستفادة منها ، إضافة إلى مصادر أخرى لباحثين معاصرين.

وهناك العديد من الملاحظات المهمة تبرز عند مراجعة هذه النصوص

المقتبسة ومقارنتها بالنصوص الأصلية منها : -

\*- أدخل القشاط تعديلات وتغييرات على هذه النصوص أثرت على معناها وذلك حسب نوعية الحدث والشخصية التي يتناولها ، وقد تراوحت التغييرات ما بين تغييرات شكلية بسيطة تأثيرها محدود على النصّ الأصلي ، وأخرى جوهرية عميقة غيرت بالكامل تفسير النص ومعناه بشكل مغاير له تمامًا ، وذلك إما بحذف كلمة أو جملة ، بحيث يلتبس المعنى على القارئ ، ويتحوّل النصّ من معنى محدّد إلى معنى عام غير محدّد ، لا ينتبه إليه القارئ العادي ، أو حذف جملة من النصّ وربط جمل متباعدة في النص وليست متصلة لتكوين جملة جديدة داخل النصّ الأصلي تؤدي إلى تغيير تام في معاني الجمل ، وباتجاه يسيئ في الغالب للحدث أو للشخصية الجهادية التي يتناولها القشاط .

\*- يتعمّد القشاط حين يريد أن يؤكد فكرة ما تجاه حدث أو شخص جمّع عدد من النصوص المقتبسة وإن اختلفت طبيعة الموقف والحدث التي تشير إليه تلك النصوص في الأصل دون الأخذ في الاعتبار التسلسل الزمني لها ، حيث يجمع نصوصاً متباعدة زمنيًا ، وأحياناً تكون النصوص المقتبسة تتناول حدثًا لاحقًا فيوردها القشاط لتأكيد وجهة نظره تجاه حدث سابق لها زمنيًا ، وليوهم القارئ بصحة وجهة نظره نحو المسألة .

\*- يلجأ القشاطر في عملية التغيير والتحرير للنصوص المقتبسة إلى أسلوب الاختيار المتعمد ، حيث يقوم بإحداث تغييرات جوهرية تطال النصّ وتغيّر معناه باتجاه مخالف للمعنى في النصّ الأصلي وبشكل مسيء عندما يكون الأمر متعلقاً بقيادات الجهاد من قبيلتي الرجبان والزنتان ، أو بدور عموم القبيلتين في حركة الجهاد ، فيحذف ويضيف ، ويربط جملاً متباعدة لتكوين جمل تعكس موقفاً سلبياً يحاول أن ينقله للقارئ تجاه موقف الشخصية أو الحدث ، ومن المؤكد القول أن هناك أسباباً شخصية في علاقة القشاطر بهاتين القبيلتين تدفعه إلى مثل هذا التحامل المتعمد تجاه دورهما في حركة الجهاد .

أما في النصوص المقتبسة الأخرى والمتعلقة بأحداث أو شخصيات أو قيادات أو قبائل أخرى لا يوجد تماس شخصي بينه وبينها ، فإن التحويلات والتغييرات التي يقوم بها على النصّ بسيطة وغير ذات أهمية ، وتكون في الغالب بحذف كلمة أو إضافة أخرى .

ومما لاشك فيه أن هذه التغييرات والتحويلات المتعمدة للنصوص هي أمور تفقد محمد سعيد القشاطر عنصر الحيادية والمنهجية العلمية في الكتابة التاريخية ، وتمسّ بشكل مباشر البعد الأخلاقي له على المستوى الشخصي ، والذي هو شرط أساسي ومهمّ ، ينبغي أن يتوفر فيمن يقوم بعملية النقل والاقتباس بحيث لا يضيف أو يحذف كلمة ، أو جملة ، أو يعيد صياغة النصّ الأصلي ، وتحمله معاني وعبارات لم ترد فيه ، وألا يتصرّف فيه كما يطلو له ، وفي حالة ما إذا كانت له ملاحظات أو تعليقات أو وجهة نظر على النصّ الأصلي ، فعليه أن يضع ذلك بين قوسين خارج النصّ ، لأن الكاتب حين يفقد هذا الوازع الأخلاقي المهمّ فإن مصداقيته على المستوى الشخصي تتأثر سلبياً لدى القارئ ، وتتحول كتاباته مهما اجتهد أو حاول أن يؤكد تجرّده وحياديته ، إلى مجرد سباب وشتم وتهجم تعكس نظرته السلبية تجاه الآخرين ، ومن ثم تفقد أية قيمة علمية أو معرفية .  
ونورد فيما يلي أمثلة لما سبق على سبيل الاستدلال لا الحصر :-

## 1- النصوص المقتبسة من مذكرات الشيخ سليمان الباروني

اقتبس القشاط عدة نصوص من مذكرات الشيخ سليمان الباروني ، ولكنه تعمّد تطويع النص بحذف جمل أو إضافة كلمات كي يوجّه تفسير النصّ في الاتجاه الذي يريده :-

### النص الأول:-

- في هذا النصّ أضاف وحذف وغير في عبارات النصّ الأصلي ، وهي عبارات ذات أهمية لأنها غيرت المعنى بالكامل ليتحوّل تفسير النصّ باتجاه أراد من خلاله أن يلصق بالحاج محمد فكيني صفات الهروب والخيانة والنكوص وذلك على النحو التالي :- (( وصل المخترش قرب البلاد وترصدوا اسقاءهم فأتى سعد بن برنيه الفكحال إلى القومندان وأخبره أن الجماعة وصلت فأمر السواري بالكشف عنهم ومعهم سعد وهو صادق وياشر من في البلاد الهجوم وقصدوا المحبوسين فأخرجوهم واشتدت الحرب فأرسل محمد فكيني من الرجبان رجلين ليفهم الحقيقة فبقوا مع المجاهدين فأرسل في أثرهما بتذكرة هددتهما إن لم يرجعا فتركا الحرب ورجعا ، ودامت الحرب (9) أيام محاصرة وفكيني منع الرجبان كافة من الفرع .

وفي هذه الأثناء هرب الطليان من فساطو ومن يفرن ومن غريان ومن ترهونه والجوش بعد أن أتوا إلى شكشوك لملاقاة الذين في فساطو بسلح ووداع مع أصحابهم وكلف فكيني خربيشه ومحمد بن سعيد أن يرافقوهم إلى شكشوك وهو رجع بالجاندركة (60) إلى الرجبان بوسيلة تسكينها وعدم اتباع الطليان وهرب وأرسل أخاه مسعود إلى فساطو ليأخذ سهمه من متروكات الطليان التي لا تحصى ثم أتى الزنتان ليظهر المشاركة في الحرب وخابر هو والبدوي الطليان على التسليم وأخبرهم بما جرى في فساطو وغيرها فتيقنوا ففروا في الليل واتبعهم الزنتان فقتلوا من قتلوا وأسروا نحو (45) هذا في آخر شعبان ((<sup>(1)</sup>).

إن مقارنة هذا النصّ مع النصّ الأصلي ، تظهر كيف تعامل [ المؤرخ محمد سعيد القشاط ] حين تجرّد من صفات الباحث وأخلاقه وحياديته ، خاصة وأن هذا النصّ موثق يؤرخ لحوادث وقعت منذ أكثر من تسعين عاماً ، فحذف وأضاف في عبارات النصّ الأصلي بحيث تغيّر المعنى بالكامل ، وتحوّل التفسير لدى

1 - زعيمة الباروني ، الجزء الأول ، ص 149.

القارئ غير المطلع على الوثائق والأصول الأصلية ، باتجاه يخدم نواياه السيئة تجاه الحاج محمد فكيني ، ونورد توضيح ذلك على النحو التالي :-  
- نسب المؤلف النصّ إلى الشيخ سليمان الباروني حين قال في تقديمه للنصّ مايلي:- (( وبعد انكسار الجيوش في غدامس ، ومرسيط والقرضابية ومهاجمة المجاهدين للقوات الإيطالية في الجبل الغربي يقول الشيخ سليمان الباروني في مذكراته عن معركة " الكردون " ببلدة الزنتان التي خاضها المجاهدون من مختلف قبائل القبلة الذين خاضوا معركة مرسيط ))<sup>(1)</sup>.

هذا النصّ الذي أورده ونسبه إلى الشيخ سليمان الباروني ، هو في حقيقته للشيخ أحمد السني قدمه إفادة للشيخ سليمان الباروني ، في حين أن الشيخ سليمان الباروني يؤكد أن تعليقاته على النصّ كان يضعها بين قوسين داخل نص الإفادة. ويلاحظ أنه في موضع آخر من كتابه في الهامش رقم 2 ص 158 ، أعاد نسب النص لصاحبه الشيخ أحمد السني .

من ناحية ثانية فإن إفادة الشيخ أحمد السني تحتمل المناقشة لأنها تقرير جامع لأخبار الأحداث التي وقعت ، ولم يكن حاضرًا فيها جميعًا ، وأن معلوماته في البعض منها نقلًا عن راوية أو رواية .

- وقد أدخل القشاطر تغييرات على النص كالتالي :-

\*- التغيير والتحوير البسيط :-

- تم حذف الكلمات والجمل التالية التي تحتها خط من النص الأصلي لتغيير معناه .

- في نص القشاطر ((..فأمر السواري بالكشف عنهم ومعهم سعد وهو صادق...)) أما في النص الأصلي (( ..فأمر السواري بالكشف ومعهم سعد فأحاط بهم الجماعة وقتلوهم ونجا سعد وهو صادق... )) .

- (( .... وقصدوا المحبوسين .... )) ، وفي النص الأصلي (( ..وقصدوا دار المحبوسين .. )) .

- أضاف حرف الجر [عنهم] إلى النص (( ..فأمر السواري بالكشف عنهم... )) وهي غير موجودة في النص الأصلي .

1 - المصدر السابق ، ص 149 .

- استبدال حرف الجر [ في ] ووضع بدلا منه حرف الجر [ من ] مما أدى إلى تغيير بسيط في المعنى ، فالجملة في النص الأصلي تقول :- (( وفي هذه الأثناء هرب الطليان من فساطو وفي يفرن وفي غريان وفي ترهونة والجوش... )) أصبحت في نص القشاط :- (( وفي هذه الأثناء هرب الطليان من فساطو ومن يفرن ومن غريان ومن ترهونة والجوش )) .

#### \*- التغيير والتحريف الجوهرى في النص

حين يتحدث عن الحاج محمد فكيني فإنه يقتطف كلمة محدّدة ، ويلغي السطور التي بعدها ، كدأبه دوماً حين يريد الإساءة إليه ، ليبنى عليها حكماً جائراً يقول في نصه:- (( ... وهو رجع بالجاندرة (60) إلى الرجبان بوسيلة تسكينها وعدم اتباع الطليان وهرب وأرسل أخاه مسعود ...)).  
إن النصّ بهذا المعنى يشير إلى أن الحاج محمد فكيني هرب بما في الكلمة التي وضعها بتعمّد القشاط من إساءة وتجريح لمجاهد في مكانة الحاج محمد فكيني .  
أما النصّ الأصلي فيقول ما يلي :- (( ...وهو رجع بالزاندرة (60) إلى الرجبان بوسيلة تسكينها وعدم اتباع الطليان لمحاربتهم ، ولما وصل البلاد جرد الزاندرة من السلاح وأخبرهم أن التليان هرب وأرسل أخاه مسعود ... ))  
وتفسير النصّ الأصلي كما أوردناه يشير إلى معنى آخر لا يقبل الشك وهو هروب الطليان ، والفرق في معنى النصّين وتفسيرهما واضح وجلي .

#### النص الثاني

في الصفحة (152) أورد رسالة الشيخ علي القبلاوي للحاج محمد فكيني بعد أن حذف منه بعض حروف الجر والجمل، وأضاف كلمة أو حرف، وفسر المعنى على هواه.

#### \*- التغيير والتحوير البسيط على النص

- حذف حرف [ الهاء ] من حرف الجر ففي النص الأصلي:- (( ... لأحدكم منه للحكومة .. )) ليصبح في نص القشاط (( لأحدكم من الحكومة )) .



- أضاف [ سيما ] للنص وهي غير موجودة بالنص الأصلي لتصبح الجملة:- ((..))  
رغما عن تطفل الغير عليها بدون حق ولا أهلية سيما وأغلب فساطو نادمون على  
ما فرط منهم ..)).

#### \*- التغيير والتحريف الجوهري للنص

تعمد القشاط حذف جملة مهمة من النص الأصلي ، فجاء نصه كالتالي ((...وأملنا  
أن تكون أول طليعة لطاعة الغربيين على العمى طوعا للأشقياء...)).  
أما في النص الأصلي :- (( ... وأملنا أن تكون أول طليعة لطاعة عموم  
الجبـل سيما وطنك ومجاوروك وهم الزنتان والرحيبات والريانية إن أصر الغربيون  
على العمى طوعا للأشقياء...)).

#### 2 - النصوص المقتبسة من كتابي [ نحو فزان ] و[ إعادة احتلال فزان ]

##### لغراسياني

ينتقي القشاط اقتباساته من هذين المصدرين بشكل يحاول أن يسيئ فيه إلى  
دور الحاج محمد فكيـني وقيادات الجهاد من قبيلتي الرجبـان والزنتان ، ويورد عدة  
نصوص في مواضع مختلفة ليربط بينها معنى يؤيد فكرته ، وكذلك يحذف بعض  
الكلمات ليصبح المعنى عاماً بعد أن كان في النص الأصلي محدداً .

##### النص الأول

أورد القشاط النص بعد أن حذف منه كلمة [ الليبية ] وموقعها بعد كلمة  
الكتيبة ، ليتحوّل المعنى إلى عام بدل التحديد :- (( ولقد سبب ذلك اليوم الشديد  
الحرارة عدة إصابات بضربة الشمس بين أفراد الكتيبة ... ))<sup>(1)</sup>.

##### النص الثاني

#### \*- التغيير والتحريف الجوهري للمعنى

يضع القشاط هذا النص المقتبس مبتورا من أجل أن يوهـم القارئ بصحة  
ما يريد طرحه حيال معركة الجوش ، من أن الصيعان هم وحدهم كانوا يدافعون  
عن الجوش ، ولكي يلصق تهم الهروب وعدم المشاركة في القتال للدفاع عن واحة

1 - غراسياني ، مصدر سابق ، ص 165.

الجوش بالمجاهدين ، وتحديداً من الرجبان والزنتان والرحيبات التي مهد لها في حديثه ، فيورد النصّ على النحو التالي :- ((... وهكذا وصل الآلاي إلى الآبار وقد تناقصت مقدرته إلى حد بعيد وفي حالة لا تمكنه من التقدم في اليوم التالي نحو [ الجوش ] التي كانت الهدف الذي يجب بلوغه ...))<sup>(1)</sup>.

ودون أن يكمل بقية النص لكي يكتمل المعنى الذي قصده غراتسياني وهو ((دون أن يلحق بها خطر الانكسار أمام تشكيلات الثوار التي يقودها " الحاج محمد فكيني " وجميع زعماء " الزنتان" والتي تعترض الزحف والتقدم نحو آبار " الوخيم" القريبة )) .

**ويتضح** سوء النية لدى القشاط عندما يتناول هذه المعركة ، ويتعلق الحال بقبائل الرجبان والزنتان فإنه لا يكتفي ببتنر المعنى ، وإنما يقدّم لما يريد طرحه من إساءات بجمل وعبارات جارحة ، فيصف قيادة الحاج محمد فكيني للمجاهدين بأنها [ مهلهلة وضعيفة ] ، ولا يراعي اتصال الكلام والمعنى في النصوص الأصلية في كتاب غراتسياني، فما يهّمه هو السعي لتركيب معنى من جمل مبتورة فيقول في تقديمه لنصّ يقتبسه من كتاب غراتسياني ليؤكد به ما يريد طرحه :- ((وعلى الذين يرون في حديث غراسياني هو الصدق الحقيقي يقول في كتابه نحو فران :- "... ويؤكدون أيضا أن من يوم واقعة الوخيم "3 يونيه" بدأ أهالي الزنتان والرجبان في الفرار بمنتهى السرعة نحو القبلة بعد أن استبد بهم الفرع والذعر الشديدين وأن آلافاً من المواشي قد ذبحت بسبب ما أصابها من العطش" ))<sup>(2)</sup>.

**وعلى** هذا الاقتباس المبتور سعى المؤلف في سطورهِ اللاحقة لتأكيد تهم الهروب بالرجبان والزنتان ، وتأكيد الصمود لقبيلته مستنداً في كلامه على أقوال لأشخاص من نفس قبيلته ، أو من قبائل على خصام مع قبيلتي الرجبان والزنتان ودون أن يتخلّق بخلق الباحث الذي يفترض فيه أن يصل الكلام والمعاني ببعضهما ويستنتج منهما رأيه الذي يودّ طرحه ، فلم يذكر القشاط أن غراتسياني حين قال هذا الكلام كان قد مهّد له بكلام عن وقائع وحوادث حين قال :- (( وكان من شأن تلك الأيام التي تلت الاحتلال أن أعطت في تلك الأثناء الإحساس الدقيق بكل ما كانت لضربات الوخيم والجوش والسلامات من أثر في انكسار قوات فكيني وهزيمته . وبعد أن قامت الكتيبة الاريتزية بضربات مستمرة في بلاد الرجبان

1 - المصدر السابق ، ص 166 .

2 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 169 .

والزنتان استطاعت أن تدرك في الواقع كيف أصبحت هذه البلاد خاوية على عروشها . وقد اتفقت جميع المعلومات التي وردت تدريجيا على التأكيد بأن فكيني انسحب إلى مزدة وبأن قبائله قد انتشرت بين [بئر علاق] و[بئر الكلاب] و[بئر سانية الجديد] في [القبلة] وكانت الخسائر التي أصيب بها في الأعيان والأقارب والرجال والمواشي فادحة للغاية . ويؤكدون أيضا أن من يوم واقعة الوخيم [3 يونيو] بدأ أهالي الزنتان والرجبان في الفرار بمنتهى السرعة نحو [القبلة] بعد أن استبد بهم الفرع والذعر الشديدان وأن آلافا من المواشي قد ذبحت بسبب ما أصابها من العطش ((<sup>1</sup>).

إن كلام غراتسياني المتصل يعطي معنى متكاملًا منطقيًا للأحداث ونتائجها وهذا ما أكدّه المؤرخ خليفة التليسي تعليقا على تلك الأحداث بالقول:- ((.وقد استغل هذه الفترة الكولونيل غراتسياني أسوأ استغلال للاستعداد لحملاته القادمة وللانتقام من الأهالي وخاصة أولئك الذين كان لهم موقف سابق من مقاومة الاحتلال الإيطالي وقد اضطرت كثير من القبائل إلى مغادرة مواقعها والنزوح إلى القبلة . كما فعلت قبيلة الزنتان وقبيلة الرجبان ...))<sup>(2)</sup> .

ولكن ما يلاحظ على محمد سعيد القشاط أنه يقفز بالافتباسات والعبارات دون مراعاة لتسلسلها الزمني، ونطاق معناها، ليكون منها جملا أو معنى لما يريد طرحه، فيأتي باقتباسات تتحدث عن أحداث وقعت بعد معركتي الوخيم والجوش ليضعها تمهيدا لمعركة الجوش، وليظهر للقارئ حين يستدل بكلام لأناس قال أنهم رووا له ما حدث، أن من تصدى للإيطاليين هم رجال قبيلته فقط، وأن الرجبان والزنتان قد فروا، ولم يشاركوا في الدفاع عن الجوش التي يقول عنها غراتسياني (( حوالي الساعة الثامنة والنصف هاجمتي وحدات قوية من وحدات العدو كانت تتلقى على الدوام امدادات من المحلات التي كانت تأتي من الوخيم وكانت هذه كلها من الزنتان والرجبان والحراية والصيعان وغيرها " قوامها 2500 بندقية " وكلهم من الرجال المدربين على الحروب، والذين كانوا يفاخرون بانتصاراتهم علينا التي أحرزوها في سنة 1915 ))<sup>(3)</sup>.

1 - غراسياني ، المصدر السابق ، ص 102.

2 - د. خليفة محمد التليسي ، مصدر سابق ، ص 110.

3 - غراسياني ، المصدر السابق ، ص 95.

ولم يكتف القشاط بهذه الإساءات ، بل أنه وضع نفسه محلاً عسكرياً في مواجهة القائد الإيطالي غراتسياني ، فنراه اعتماداً على روايات لأفراد أغلبهم لا يعرف لغة الحرف والرقم ، يفند بها كتابات غراتسياني وأرقامه وحساباته الاستراتيجية التي رسمت في روما ، ويستخدم المعلومة في غير محلها فيقول:- (( ولما سألت المجاهدين عن تعدادهم في هذه المعركة كانت أقوالهم غير متفقة فمنهم من قال إنهم 350 مجاهداً ومنهم من قال إنهم حوالي 400 ومنهم من قال إن المجموعة لا تزيد عن 500 ... ولكن غراتسياني بمبالغته المعهودة يقول إن تعداد الثوار 4500 وهناك من صدق هذا القول وأعجبته الكثرة التي إن كانت حقيقة فإن الهزيمة مأساة لا مبرر لها ولكن غراتسياني في نفس كتابه يقول عن تعداد المجاهدين في أغلب معاركهم التي خاضوها " ونحن نعرف بحكم تجاربنا الطويلة أن [محللات] العدو من الصعب أن تجتمع كلها سوياً في صعيد واحد - وذلك بسبب صعوبة التمويل وإيجاد مستلزماتها. ونعرف أنه متى كانت [المحلة] كبيرة العدد لا يصل عددها إلا إلى [ 500 ] رجل لذلك كانت قوة أقل من قوة كتيبة من كتائبنا))<sup>(1)</sup>.

هكذا أورد القشاط هذا الجزء الموجود في كتاب غراتسياني في الفصل التاسع المعنون [ نحو تهديئة المستعمرة واحتلالها بالكامل ] في الصفحة (409) وهذا الفصل على خلاف الفصول الأخرى هو خلاصة لرأي القائد الإيطالي من تجاربه في القتال ضد المجاهدين ، وقد استغلّ القشاط هذه الجملة ليشير إلى أن غراتسياني يؤكد أن المحلة لا تزيد عن (500) رجل ، ليحاول أن ينقض ما أورده غراتسياني من أن عدد المجاهدين كان في حدود (4500) ، ونسي في خضم عباراته أن غراتسياني حين تحدث عن معركة الجوش أشار إلى محلات الثوار بصيغة الجمع ولم يقل واجهت محلة واحدة كي ينطبق عليها تحليل محمد سعيد القشاط الذي بدأ شاعراً شعبياً ، ثم نراه محلاً سياسياً وعسكرياً استراتيجياً .

ورغم الملاحظات والانتقادات التي يبديها البعض حول دقة وحيادية المصادر الأجنبية ، أو انحيازها لوجهة نظر واحدة ، إلا أنها من وجهة نظر علمية منهجية تظل المصدر الهام الأساسي الذي لا غنى عنه عند تناول تلك الأحداث والوقائع ، وفي هذا الخصوص يشير المؤرخ د. خليفة محمد التليسي إلى أهمية هذه

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 172.

المصادر، خاصة المصادر الإيطالية فيقول :- ((... وقد شغلني وأنا أتابع هذه الأعمال العلمية أن أجدهم قد تقصّوا كل شيء ودرسوا كل شيء وأرخوا لكل شيء وتابعوا الأحداث والوقائع متابعة تامة ، وكان أشد ما آمني ألا أجد لدى الكثير من الشباب والأجيال الناشئة الصاعدة سوى صورة ضبابية غائبة موشحة بالخطابية ومملوءة بسحر الكلمات عن هذا الجهاد الطويل العنيد ، ثم ألتفت إلى المصادر الإيطالية فأجدها قد وثقت لحروبها في ليبيا وسجلتها تسجيلًا تاريخيًا يعتمد أسلوب المعاجم والموسوعات ( الانيكلوبيدي) أو التسلسل والتتابع الزمني (الكرونولوجي) أو العرض والسرود التاريخي العام))<sup>(1)</sup>.

### النص الثالث

**كعادته** في تصيّد الجمل المبتورة ، نراه لكي يجد منفذًا لاتهام المجاهد أحمد المريض بورد اقتباسًا من كتاب غراتسياني دون أن يكمله كي يفسح المجال لروايته التي أصبحت تشبه إلى حد كبير روايات ألف ليلة وليلة ، فهي صناعته يقف بها على مفاصل الكلمة والحدث ، ليؤسس بعدها مواقف لشخوص روايته ، ويضخّ فيهم روح الاستمرارية ، فالملحمة ماتزال في بدايتها ، وكي يكون لهم دور فيها ينبغي أن تتساقط كل الرموز الجهادية المعروفة ، وكي يكون لأبطال روايته شأن ينبغي أن تكون لهم مواقف في مواجهة هذه الرموز ، وليستمرّ ذاك البطل في رفع راية التحدي ، فهو ما يزال على خصام ، وعداوة مع إيطاليا وجيوشها يقطع الأرض شرقًا وغربًا حاملاً راية العصيان ببندقية فارغة العتاد !!!.

**فيورد** القول التالي المنسوب إلى غراتسياني دون أن يكمل الجملة ليغمز في صدق جهاد وموقف الشيخ أحمد المريض :- (( وقد انسحب جانب من رجال ترهونة المسلحين إلى مصراته في أثر [ المريض ] وبقوا فيها حتى تم احتلالنا لبني وليد ))<sup>(2)</sup>.  
أما بقية الجملة التي لم يكملها فهي :- (( وكانوا يحاولون القيام بهجوم مضاد في فصل الصيف - كما سنرى - ويشتركون في عملية المقاومة في ورفلة والجانب الآخر استسلم فوراً وسلم في أيام قلائل 1806 ببندقية))<sup>(3)</sup>.

1 - د. خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972، ص9.

2 - القشاط، المصدر نفسه، ص 187.

3 - غراسياني، المصدر نفسه، ص 162.

وفي الصفحة نفسها من كتابه يورد نصاً لغراتسياني حول محاولات إيطاليا دفع المجاهد أحمد المريض للاستسلام ، ولكنه كعادته يختزل الجمل والكلمات التي تعطي للنص معناه الحقيقي ، ويضمّ كلماته المختزلة لتعطي المعنى الذي يريده فيقول القشاط:- (( وقد حاولت إيطاليا عن طريق الخونة فرض استسلام المريض ولكنها لم تفلح في مسعاها . يقول غراتسياني في محاولات إيطاليا لاستسلام أحمد المريض: [ لم تتأخر الحكومة في طرابلس عن العمل مباشرة بوساطة الرجل العاقل الشديد الإخلاص حسونة باشا وأحمد المنتصر على إقناع المريض الذي كان في وقت ما أنه يقبل الاستسلام ، ولكنه سرعان ما اتخذ طريق العدوان ] ))<sup>(1)</sup>.

أما النصّ الأصلي لغراتسياني فهو :- (( لم تتأخر الحكومة في طرابلس عن العمل مباشرة بوساطة الرجل العاقل الشديد الإخلاص حسونة باشا وأحمد المنتصر على إقناع المريض وزعماء ترهونة الآخرين الأقل شأناً بأن يقبلوا الاستسلام من تلقاء أنفسهم دون قيد أو شرط . وقد حاولت قيادة منطقة الجبل التي كانت قد وضعت مقرها في غريان أن تعمل هي الأخرى على التأثير على المريض الذي كان في وقت ما أنه يقبل الاستسلام ولكنه سرعان ما اتخذ طريق العدوان ))<sup>(2)</sup>.

إن الفرق واضح بين النصين ، فنصّ القشاط وضعه عمداً على هذا النحو كي يشير إلى تأرجح الحالة النفسية للمجاهد أحمد المريض ، في حين أن نصّ غراتسياني يؤكد صلابة موقف المجاهد أحمد المريض بالرغم من محاولات التأثير عليه من أكثر من طرف ، ووسط كل الظروف القاسية التي تحيط به ، وذلك ليصل إلى هدفه بسبك روايته وأحكامه ضد رمز من رموز الجهاد الشيخ أحمد المريض ليصفه بالنكوص والهروب ، بل ويورد شعر هجاء فيه فيقول :- (( ولكن أحمد المريض خيب آمالهم ، فما إن سقطت ترهونة مباشرة حتى ارتحل إلى سرت بأسرته وأقربائه ، وترك المجاهدين الذين التفوا حوله يلاقون مصيرهم في أرض يجهلون لها ، وبإمكانيات ضعيفة وقدرة متردّية . وهنا يقول الشاعر الككلي أحمد الفيتوري البوموسى:

يا زعم باشتنا الوين عطاها خش الخلا ورعيته خلاها))<sup>(3)</sup>.

1 - القشاط ، المصدر نفسه ، ص 187.

2 - غراسياني ، المصدر نفسه ، ص 162.

3 - القشاط ، المصدر نفسه ، ص 199.

## النص الرابع

اقتبس القشاط من كتاب غراتسياني الثاني [إعادة احتلال فزان] نصاً واحداً وضعه بشكل يسيئ به إلى المجاهد سالم بن عبد النبي ، فأورد عن غراتسياني قوله (( خلال فترة الاحتلال الأولى كان موظفاً تابعاً لنا بالقريات ))<sup>(1)</sup>.

وقد أراد القشاط من ذلك الإيحاء بأن الشيخ سالم بن عبد النبي كان تابعاً للطلليان ودون أن يكمل الشطر الثاني من الجملة ليعطي المعنى الكامل للعبارة فالنص الأصلي لغراتسياني يقول: - (( خلال فترة الاحتلال الأولى كان موظفاً تابعاً لنا بالقريات، ثم ساهم مساهمة نشطة في التمرد عام 1915م ، وقاد الهجوم على حامية الزنتان ودمرها في يونيو 1915م ))<sup>(2)</sup>.

كما أنه لم يتورّع عن وصف هجرة الشيخ سالم بن عبد النبي إلى تونس أواخر عام 1930 بعد أن ضاقت به ميادين الجهاد [بالفرار] ، في حين يصف رحيل أحد بطلي روايته [بالمهاجر] والحرب ما تزال في بدايتها عام 1913 !!.

## 3- النصوص المقتبسة من كتاب القبلة لبيلاردينيلي

اقتبس القشاط من كتاب [ القبلة ] حوالي (18) نصاً ، ودون الدخول في كيفية عرض هذه النصوص وأماكن الاستدلال بها ، فإن هناك نصين أوردهما القشاط ، وتعمد ألا يستكملهما بحيث يتر المعنى الكامل الذي أورده المؤلف ، ولكي يخدم الاتجاه الذي يريده وهما:-

### \*- النص الأول

وضع القشاط في كتابه النص التالي :- ((...بعد زوال الحكم العثماني عاد إلى الجبل ليصطدم بزعيم البربر سليمان الباروني الذي لم يكن أقل منه طموحاً ليس ذلك فحسب بل بدافع من غيرته على ما كان يتمتع به فكييني من سيطرة كاملة على الجبل أقصاه من السلطة عندما بدأ في توزيع الوظائف والمناصب المدنية على مختلف مراكز الجبل فاستشاط فكييني غضباً ونقمة عليه وبعدما شكل لجنة تضم أعيان مديريته قدم إلى طرابلس ليستسلم للسلطات الإيطالية وظل حتى سنة 1915 وفيها للحكومة التي عينته قائمقام جادو ويعتقد أن ولاءه كان صادقاً))<sup>(3)</sup>.

1 - القشاط ، المصدر نفسه ، ص 249.

2 - غراتسياني ، إعادة احتلال فزان ، ص 303.

3 - بيلاردينيلي ، القبلة ، مخطوط ، ص 130-131.

أما باقي النص الذي يعكس التفسير التام له ، فلم يورده القشاط ولسان حاله يقول [ لا تقربوا الصلاة ] ونورد بقية نص الفقرة كما ورد في الهامش من كتاب القبلة:- (( وعند انسحاب حاميات الدواخل إلى الساحل، انضم إلى صفوف العصاة فحاربنا وقاتلنا بعناد وإصرار لا يلين حتى أنه أنفق قسماً كبيراً من ثروته في سبيل ذلك، فامتد نفوذه وانتشرت سمعته حتى اجتازت الحدود الفاصلة بين قائمقاميته والمناطق الأخرى فأصبح في مقدمة متزعمي حركة العصيان ضدنا وتزعم حركة المقاومة طوال فترة إعادة احتلالنا للجبل ومناطق الدواخل (1922) إلا أن الأحداث والتقلبات التي صادفها في حياته جرفته معها وجرفت معه ثروته الطائلة: والآن يعيش آخر سنوات حياته لاجئاً في تونس بعد أن فقد بصره ))<sup>(1)</sup>.

#### \* - النص الثاني

وضع القشاط هذا النص الطويل :- (( ومهما يكن من أمر فإنه لم يبق بالقبلة إلا بضع قبائل من الرحل الذين كان يسيطر عليهم نفوذ أحمد السني رئيس زاوية مزدة الذي ما زال متوقفاً في الطابونية وأحمد البدوي رئيس زاوية الطبقة . في 14 أبريل 1914 وتنفيذا لاتفاقات سابقة جرى حوار في القرية الغربية بين المقدم قرانزيولي رئيس المكتب السياسي العسكري وهذين الزعيمين اللذين سبق وأن تقدما إلى الرائد باننانو للإعراب عن ولائهما للحكومة الإيطالية وكان في تلك المناسبة أن سلمت لكل من هذين الزعيمين وثيقتنا امتيازات قديمة مؤرختين في 5 أبريل 1914 وكانتا تحملان توقيع الوالي قاريوني] أن حكومة طرابلس الغرب تعترف للسيد أحمد السني رئيس زاوية مزدة ولأقاربه وأفراد أسرته بالمزايا القديمة الممنوحة لهم شريطة أن يحافظ اتباعه على أمن وسلامة طرق القوافل التي تمر بمناطقهم].

وسلمت براءة امتياز مماثلة لأحمد البدوي رئيس زاوية الطبقة .

ومن وثيقة قديمة تتعلق بتلك الحقبة من الزمن أن الامتيازات المنوه عنها

فيما تقدم كانت تتضمنها المواد التالية :-

---

1 - المصدر السابق ، ص 133.



- **مادة (1)** مخصصات شهرية قدرها 500 ليرة لزاوية مزدة اعتباراً من أول يولييه 1912 يستلمها الشيخ أحمد السني شريطة أن يعود إلى مقر إقامته الأصلية في مزدة وهو ما يبرهن بصورة ملموسة على خضوعه للحكومة .
- **مادة (2)** مخصصات شهرية قدرها 200 ليرة لزاوية الطبقة اعتباراً من أول أبريل 1913 يستلمها الشيخ أحمد البدوي الأزهري رئيس الزاوية المذكورة المقيم بها حالياً .
- **مادة (3)** يمنح الرئيسان المذكوران وعائلتهما وكذلك زاويتا مزدة والطبقة والزوايا التابعة لكل منهما مباشرة " أي مسلاته برقن الحراية والقلعة بالنسبة لمزدة وونزريك والدويصة والزائدة بالنسبة للطبقة مقابل اعفائهم من أداء الضرائب التعهد بضمان أمن وسلامة تلك البقعة وحرية نقل مؤننا وعتادنا على طريق قوافل فزان نيابة عن الحكومة وذلك بممارسة ما للسني والبدوي وغيرهما من رؤساء الزوايا من نفوذ أدبي على أهالي القبلة .
- وهذه الامتيازات تعتبر مقتصرة على مبنى كل زاوية والحقل الصغير الملحق بها وليس على أي شيء آخر .
- **مادة (4)** يمنح نفس امتياز التعويض من واجب أداء الضرائب بواجب ضمان وسلامة طرق القبلة وذلك بالنسبة لأفراد قبائل أولاد أبوسيف عندما يقيمون في القبلة ، أي المناطق التي يهم الحكومة ضمان أمنها وسلامتها بواسطتهم ولا يمنح أي امتياز خاص لأهالي المشاشي والزنتان القاطنين في القبلة الذين ليست لهم تقاليد دينية خاصة كأولاد بوسيف .
- **مادة (5)** تكون للحكومة حرية كاملة ومطلقة لإقامة حاميات خاصة ولعبور قواتها مناطق القبلة كلما رأت لزوماً لذلك ، ولها أيضاً أن تلغي الامتيازات المذكورة عندما يثبت لديها قيام الرؤساء المذكورين بأعمال معادية لنا ، أو بما يثبت إخلالهم بالشروط المقررة ((<sup>(1)</sup>).

1 - بيلاردينيلي، المصدر نفسه ، ص 140-141.

**ولكن القشاط** كعادته لم يورد تكملة نص بيلاردينيلي السابق الموجود في الكتاب نفسه ، وهو على النحو التالي:- (( إلا أن رغم هذه الامتيازات وما بذلته الحكومة من جهود لاختضاع هؤلاء القوم لسلطتها أو تحويلهم إلى عناصر حماية ضد أعمال قطاع الطرق<sup>(\*)</sup> لم تتحقق أبدا أية نتيجة عملية ملموسة لصالحنا ))<sup>(1)</sup>.

---

\* - قطاع الطرق الذين يقصدهم بيلاردينيلي هم المجاهدون الذين كانوا يهاجمون القوات الإيطالية التي توغلت في القبلة، وهذه الأوصاف والتي من بينها العصاة، والمتمردين والفلافة دأبت إيطاليا على وصف المجاهدين بها.  
1 - المصدر نفسه ، ص 142.



## الفصل الثالث

الثابت والمتغير  
في كتابات ومواقف  
الشاعر محمد سعيد القشاط



## \* - مفاهيم: الثوابت والمتغيرات، المبادئ والمصالح

### - مدخل عام

تمثل الثوابت قيم إنسانية عالية يحرص الفرد على أن يتحلى بها ، ويسعى المجتمع عبر مؤسساته التعليمية والثقافية ، وقنواته التربوية ابتداءً من الأسرة والجامع والمدرسة ، إلى بيئات الوسط الاجتماعي المختلفة على غرسها في نفوس النشء لبناء جيل سليم ، ومجتمع خالٍ من الأمراض الإجتماعية ، كما أن الديانات السماوية كلها تحتّ عليها وتدعو لها ، وهي من مكارم الأخلاق وسموها ورفعتها فالصدق ، والأمانة ، والشجاعة ، والثبات على الموقف ، والحرص على قول المعروف ، والنهي عن المنكر ، كلها قيم أخلاقية سلوكية عالية تُغرسُ في الفرد منذ صغره ، فينشأ مواطناً صالحاً : أياً صادقاً ، أميناً ، وفيّاً ، غيوراً ، وطنياً .

وهذه القيم الأخلاقية تسمى مبادئ ، وعندما يتحلى بها الشخص يطلق عليه صاحب مبدأ ، أو صاحب موقف ، أو رجل ذو وجه واحد ، فيجلبه الناس ويحترمه العدو قبل الصديق ، لأنه إذا حدث صدق ، وإذا وعد أوفى ، وإذا خاصم كان شريفاً في خصامه ، كما أنه ثابت في مواقفه وقناعاته ، فتأتي كلماته وأحاديثه صادقة ومواقفه راسخة لا تتأثر بالضغوط أو الاستمالة .

وفي مقابل هذه القيم النبيلة هناك صفات مذمومة ينفر منها الناس ، وتنتهي عنها الأديان ، وتستهجنها الأعراف والتقاليد ، ويقف المجتمع منها موقفاً معادياً فالكذب ، والرياء ، والخيانة ، والسرقه ، والتزوير ، والتقلب في المواقف الخ وكلها صفات إذا وجدت في شخص كرهه الناس ، وابتعدوا عن مخالطته أو الاستماع إليه ، أو تصديقه ، ويشار إليه بأنه انتهازي ، منافق لا مبادئ له صاحب مصلحة ، وهو أيضاً لا يتورّع عن فعل الخبائث ، وخيانة بلده وأمتة والسعي لبث الفتنة بين أفراده .

هذه الصفات المذمومة تدرج تحت مفهوم (( الانتهازية )) وهو مفهوم شامل لمعاني المصلحية ، والنفعية ، والرياء ، والنفاق ، الخ ، ويطلق على المنّصف بها الشخص الانتهازى والنفعى وتعرّف منظومة المصطلحات مفهوم الانتهازى والانتهازية بما يلي:- (( الانتهازية هي سلوك بشري لا يعرف السكون على حال معينة بل يتلونّ بحسب مقتضيات المنفعة الذاتية بلا مبالاة للمسائل الاعتبارية ، فالإنتهازى شخص دؤوب في سعيه الحثيث لبلوغ موقع اجتماعي أو

سياسي متقدم وهدفه الأول والأخير تحقيق منفعة مادية صرفة ليس إلا ، فالإنسان الانتهازي يكون ثاقب النظر في تشخيص متطلبات المرحلة الجديدة ومتغيراتها الطارئة على شكل الحكم وطبيعة المجتمع ، تجده يغيّر آراءه وأفكاره التي يؤمن بها لأنه يعتبرها أصبحت بالية ، ولم تعد نافعة له فالمبادئ الأخلاقية والتقاليد والأعراف لا قيمة لها في قاموسه لذلك لا يتوانى عن تغييرها ((<sup>1</sup>)).

#### \* - تحديد معاني المفاهيم عند محمد سعيد القشاط:-

عادة ما يستخدم الكاتب أو الباحث جملة من المفاهيم والمصطلحات عند تناوله مجالاً من المجالات ، أو قضية من القضايا ، ولكلّ مصطلح دلالة يجب أن تتطابق مع الاستخدام ، وهذه المفاهيم يضعها وفق مدلولاتها ، ومعانيها المثق عليها حسب تعريفها ، لتوضيح وتأكيد مسار البحث لديه ، ونادراً ما يحيد الباحث أو ينحرف في تفسير مفهوم أو مصطلح بشكل مغاير لمعناه الأصلي ، ويحدث هذا في حالات التعمد المُسبق التي تعكس نوايا الكاتب والباحث تجاه المسألة التي يخوض فيها .

تعكس بعض هذه العبارات والجمل المختارة من كتابات محمد سعيد القشاط والتي يعبر من خلالها عن قناعاته ومواقفه ومبادئه وثوابته ، رغم قسوتها وحدة معانيها ، والمنتبئة في كتبه " خليفة بن عسكر: الثورة والاستسلام " و" معارك الدفاع عن الجبل الغربي " و" من قيادات الجهاد الليبي " انطباعاً لدى القارئ بأن **سخط** الكاتب وقسوته ، نابعة من كونه صاحب مبادئ ومواقف ثابتة ومشاعر وطنية أصيلة ، بحيث أنه لا يقبل تحت أي ظرف أو وضع أن يلتقي مع المنافقين والانتهازيين ذوي المصالح ، الذين تتأرجح مواقفهم وولاءاتهم حسب مصالحهم فموقف تكتيكي من مجاهد ، أو إطلاق كلمة ، تعني لدى القشاط (( **الخيانة** )) التي تستوجب العقاب ، وإصدار الأحكام القاسية ، كما تعكس أيضاً نوع المشاعر التي يشعر بها تجاه أبناء المجتمع ، والتي تنبعث منها مشاعر كثيرة متناقضة : الكراهية والمحبة ، والتحدّي والعتاب ، والتي تتضح أكثر حين يدّعي دون سند تاريخي ، أن قبيلته (( **الصيعان** )) كانت تقاتل الفرنسيين وقدمت عشرات الشهداء منذ عام 1881

1 - شبكة المعلومات الدولية ، (تعريف مصطلح الانتهازية).

إلى 1911 في الوقت الذي كان فيه بقيّة الليبيين يرفلون في الراحة والدعة ، ولم يمدّوا لهم يد المساعدة ، وقد سبق في الفصل الثاني دحض هذه الادعاءات !!!.

#### \* - نماذج من تلك الكتابات والعبارات :-

(( .... وقد كان معظم المسؤولين وقتها من أبناء وأحفاد المساعدين لإيطاليا على احتلال ليبيا وعلى رأسهم الملك ادريس . فتولد لدي اصرار على التحدي لمتابعة البحث التاريخي و ابراز دور المجاهدين الحقيقيين الذين قتلوا أو هاجروا في سبيل الله . وتوضيح الدور الخبيث الذي لعبه الخونة في مساعدة المستعمرين على توطيد أقدامهم في تراب الوطن . فعقدت العزم بإذن الله على تأليف سلسلة من الكتب تتناول زعماء الجهاد يكون مصدرها الرواة من المجاهدين الذين أمد الله في عمرهم من مختلف المناطق .....عدم وعي المواطنين بأهمية نشر الحقائق وخوفهم من بطش النظام فكانوا يقفزون على الحقائق وسرد الوقائع التي تمس الخونة وأذئاب إيطاليا بحجة أن هذا يثير نقمة بعض المسؤولين ..))<sup>(1)</sup>.

(( إن الخيانة لا تورث فكثيرون ممن كان أجدادهم خونة أثبتوا وطنية منقطعة النظير، وإن الإخلاص لا يورث، فكثيرون ممن كان أجدادهم أشرفا ومجاهدين واستشهدوا في سبيل الوطن ، نكصوا على أعقابهم وسقطوا" كجلمود صخر حطه السيل من عل" على رأي امرئ القيس. وحتى لا نظلم الكثيرين . فهناك من شابه أباه خيرا أم شرا ... لقد كتبت من مفهوم أن التاريخ ملك للجميع ولا يدعي أحد أنه يرث كتابة التاريخ أو يرث مفاخر الجهاد، أو يرث مواهن الجهاد. إن التاريخ الوطني والقومي هو ملك لكل الأجيال. وإن إيجابياته وسلبياته يجب أن تدرس لاستخلاص العبر وتجنب مواقع الزلل مستقبلا.

لقد كتبت ما كتبت على ضوء وثائق توفرت لدي وعلى ضوء شهادة شهود العيان للمعارك وعلى ضوء شهادة أفراد معاصرين لمن صنع حدثا أو تولى تسيير أمر من الأمور واعتبر ما كتبتة حقيقة ثابتة على ضوء هذه المستمسكات المتوفرة وقد يأتي المستقبل بجديد من الوثائق التي لم تنتشر ، والشهود الذين لم يسعفني الحظ اللقاء بهم ، فيصح ما يجب تصحيحه ، ويثبت ما يجب تثبيته وسأقبل ذلك بقلب مفتوح وبشعور غامر من السرور... لأن تلك هي ديناميكية الحياة ، وللحقيقة جوانب وشعب ومتشعبات قد يبرز بعضها وقد يغور البعض الآخر ، ولكن

1 - محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر ، ص 9-10.



إلى حين فالحقيقة لن تموت وسيبعث الله لها من يحييها ويبعثها ولو بعد حين من الدهر .(1)

(( .... ولكنني أردت من ذلك وضع كل شخص في الموقع الذي وضع فيه نفسه بأعماله وتصرفاته تدفعني الغيرة على هذا الوطن تلك الغيرة التي تجعلني لا أتساهل مع الخونة الذين خانوا أقدس قضية وتخلوا عن وطنهم يوم احتياجه لهم بل وتسببوا في سقوطه وهو المثخن بالجراح . كما كان حرصي على أن يبقى كل شخص في حجمه الطبيعي دون أن يرفع التعصب القبلي أشخاصا على حساب الآخرين الذين لا قبائل لهم وساهموا بجهد نظيف يجب أن يذكر لهم . ويجب أن لا يسرق جهادهم وتضحياتهم . ... إن الذين يقيّمون الماضي بنظرة الحاضر سيخطئون والذين يتوقعون أن التاريخ مزارع الأهواء والحزازات وحدائق التباهي إنهم يخطئون في حق أنفسهم وفي حق التاريخ وفي حق الآخرين . والذين يتوقعون أن الحقائق يطمسها التزييف والتحريف واهمون فالحق لا بد وأن يظهره الزمن طال ذلك أم قصر . والذين يتوقعون أنهم وحدهم يملكون الحقيقة في التاريخ واهمون وقصيري نظر وناقصي اطلاع فالحقيقة في التاريخ نسبية وتاريخ الوطن لم تجمع وثائقه بعد ولم نطلع على جميع الوثائق المتعلقة بنا والحقيقة الكاملة يملكها الله وحده جل شأنه ..... لقد كتبت هذا الكتاب على ضوء الوثائق التي تحت يدي واعتبرت قصائد الشعر الشعبي ووثائق تاريخية كما اعتمدت ذلك منظمة " اليونسكو " ولذلك أوردت ما وجدته منها يؤيد موضوع الكتاب . وليعلم عقلاء هذا الشعب أن جميع القبائل والعائلات الليبية ساهمت في الجهاد دون استثناء وبدرجات متفاوتة وأن أي قبيلة تتوقع أنها جاهدت أكثر من غيرها واهمة وينقصها الموضوعية في تصورها هذا ..... إن التاريخ لا ينسى ، ولا يرحم ، ولا يجامل ، ولا يمكن تفسيره على ضوء الواقع وعلى نظرة الواقع ، فلكل زمن نظرته ورجاله... ))(2)

(( وأن قبيلة الصيعان - قد يخفى على البعض - مع قبيلة النوائل ، وأولاد مريم والحوامد ، ووازن ، ونالوت ، كانت تقارع الاستعمار الفرنسي منذ دخوله إلى تونس عام 1881 ، أي قبل الاحتلال الإيطالي بثلاثين سنة ، وسقط من هذه

1 - محمد سعيد القشاط ، معارك الدفاع عن الجبل الغربي ، ص 356-357.

2 - محمد سعيد القشاط ، من قيادات الجهاد الليبي ، ص 533-534-536.

القبائل العشرات من الشهداء وعشرات الجرحى ونفقت وصودرت آلاف الرؤوس من المواشي، وبقية الليبيين يرفلون في ثوب الراحة والدعة ... ))<sup>(1)</sup>.  
( ..... وإنني سأقبل بكل رحابة صدر، أي نقد أو رأي مخالف تدعمه الوثائق والروايات الصادقة ، فلا أحد من العقلاء له مصلحة في تزوير التاريخ أو إخفاء الحقائق. أما العواطف الجامحة المتفجرة في الأساليب الإنشائية والكرامية الشخصية والحسد الأكل للنفوس، فإنني لا أبه به، ولا يؤثر في نفسي حُب أحد أحب، أو كره أحد كره، ما دمت على اقتناع بأنني أسير في الطريق الصواب لأنال رضا ربي قبل كل أحد، ذلك العظيم الذي لا تخفى عليه خافية ، ومرضيا ضميري الذي يعيش معي دون سواه. وأن التاريخ هو شهادة ستلاقي الإنسان يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وإن الذين يحاولون إعطاء بعض الأشخاص أو القبائل حجما أكبر من حجمهم يضررون بهم وبتاريخهم ... ))<sup>(2)</sup>.

**والمطلع** على كتابات الشاعر محمد سعيد القشاط يلاحظ أن معاني المفاهيم والمصطلحات لديه ضبابية وغير دقيقة ، ولا تعكس المعنى الأصلي ، حيث يستخدم القشاط المفهوم حسب نواياه ورغبته المُسبقَة ، في توجيه مسار كتاباته في الاتجاه الذي يريده ، وليس الاتجاه الذي تفرضه المعاني الحقيقية للمفهوم ، ولذلك يصطدم القارئ دائماً من الصفحات الأولى ، وأحياناً من مجرد قراءة غلاف الكتاب بانحراف النصّ والمفهوم عن النزاهة والحيادية ، والمنهجية في الطرح لقضايا غاية في الأهمية ، لأنها تمس قيم ومشاعر أبناء كلّ المجتمع ، مما يتسبب في إثارة المشاحنات والحساسيات ، وأحياناً الردود الإنفعالية التي في الغالب تجد لها مبرراً نتيجة للاستخدام اللامسئول للمعلومة والمفهوم من طرف القشاط . فمصطلح ومفهوم : **الوطنية - الخيانة - الجهاد - الاستسلام - العمالة - الإقدام - النكوص - الهجرة - الفرار - الثبات - التقلب ، الخ ، يتكرّر بمعاني غير محدّدة** وأحياناً يتناقض المفهوم أو المصطلح الواحد في أكثر من موقف في الكتاب الواحد أو مع كتبه الأخرى ، وذلك حسب الموضوع والاتجاه الذي يريده القشاط للحدث أو الشخصية التاريخية.

1 - المصدر السابق ، ص 9 .

2 - المصدر السابق ، ص 12 .

وكتابات القشاطر مليئة بمثل هذه النماذج، ففي الأحداث والشخصيات خلال مرحلة الجهاد لا يتناول القشاطر هذه الشخصية أو تلك من خلال المشهد الكلي للأحداث، ومداه الزمني الذي يصل إلى (20) عاماً من الصراع والدسائس والفتن والقوة والضعف وقسوة الطبيعة بجديها وجفافها وقوة العدو بمصانعه وآلاته وعتاده، وحدية المعنى عند القشاطر تتمثل في أنه انفعالي التحليل لا يتحكم في مشاعره وعواطفه، ولا يستخدم المنطق والقياس بتجرّد، فيعمد إلى كلمة أو جملة قبلت دون أن يتأكد من صحتها أو موقف اتخذ تكتيكاً في لحظة ما قد تفرضها ظروف وأوضاع خارجة عن إرادة الفرد أو الجماعة إلى إطلاق وصف الخيانة أو النكوص أو الاستسلام وما إلى ذلك، ثم يعود في موضع آخر فيصف فعل خياني متعمّد، أو موقف استسلامي واضح بأنه جهاد أو هجرة أو ثبات على موقف ففي لحظة يكون الشخص (( مجاهداً ))، وفي أخرى (( خائئاً ))، وفي الثالثة (( مهاجراً ))، والرابعة (( فاراً ))، فعند حديثه عن قائد من قادة المجاهدين قضى عشرين عاماً من عمره وهو يقاتل الإيطاليين دون أن يكلّ أو يركن، وحين اضطرتّه القوة وضاقّت به ساحات القتال إلى عبور الحدود تحت وابل قصف الطيران الإيطالي بأنه (( فرار ))، في حين يصف مجاهد آخر فرداً ترك ميدان القتال مبكراً (( 1913 )) ورحل إلى بلاد الشام، وعاش فيها منعماً بعيداً عن الحروب وأهوالها، ثم عاد بعد ( 7 ) سنوات، ليبقى ( 3 ) سنوات ثم يرحل (( بالمجاهد المهاجر )) الذي لا تلبس قناته ولا يركن إلى العدو، وإليه مبتدأ الأمر ونهايته. أو ذلك الآخر الذي انضم لعدو المجاهدين خليفة الدعيك الزاوي وقاتل معه ضد جبهة المجاهدين في مرزق، وحين قُتل وصفه بالمجاهد الفارس البطل الشهم الذي رفض مهادنة العدو أو التسليم له، والذي قاتل بضرارة كما يقول القشاطر، فمن هو العدو الذي لم يهادنه حتى قُتل (( فالعدو هنا ليس إيطاليا ))؟؟!!!.

هذا النموذج، وتقاس عليه نماذج كثيرة، فالمفاهيم لا تعني للقشاطر معنى محدداً يقيده، وإنما هي مطاطية القياس حدية المعنى، وهكذا على هذا المنوال يستمرّ القشاطر في تناول نفس الأشخاص والحوادث في نفس الحيز المكاني، ولكن بمفاهيم مختلفة ومتناقضة تحت دعاوى ظهور حقائق ووثائق جديدة تدفع به إلى إصاق صفات ليست حقيقية بتلك الشخصية، أو ذلك الحدث، بغرض التهمج والتجريح والتخوين.

ويشير عمر المجذوب زبيدة في مقال له بعنوان: ((على هامش ندوة الخيانة في حركة الجهاد الليبي)) والتي أقيمت بمركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي عام 1984 حول (تحديد مفهوم الخيانة في حركة الجهاد الليبي) والتي كان محور النقاش فيها كتاب محمد سعيد القشاط "معارك الدفاع عن الجبل الغربي" بالقول: - ((والحوادث التي تناولها الأخ القشاط في كتابه عن حركة الجهاد هي جزئية من كل تاريخ الجهاد بأبعاده الزمنية، والجغرافية عامة، من اقتصادية وسكانية، سياسية... وغيرها. والكتاب - إذا سلم من قصور في إدراكي لمضمونه - لم يقدم أو يذيل للواقعة التاريخية بأسبابها الموضوعية، ولذلك فهو قد حرم القارئ من إمكان الاقتناع بما أصدر فيه من أحكام على الحوادث، أو حكم على الواحدة؛ سواء كانت الحادثة جماعية، أم فردية، وبالتالي هل تصلح الحادثة أن تستعمل كقياس لمثيلاتها حتى مع اختلاف الزمان والمكان. وإذا كان ذلك لا يخلي القارئ من واجب تقديم الشكر للأخ القشاط على ما بذله من مجهود اكتنفته صعوبات جمّة، في مقدمتها أنه من غير ذوي الاختصاص بالتأليف في التاريخ....))<sup>(1)</sup>.

**ويخلص الكاتب إلى القول:-** ((ومع ذلك فإطلاق عبارة الخيانة التاريخية قبل جمع الأدلة أو تكامل جمعها قد تكون عبارة فيها الكثير عن مدلول الوقائع التاريخية وبالتالي فإن إصاقها بأشخاص، أو جماعات في فترة ما من التاريخ قد لا تجد المبرر المسلم به . ))<sup>(2)</sup>.

ورغم هذا الموقف النقدي على تسرع القشاط في إطلاق الأحكام دون تكامل الأدلة والوثائق حول مواقف قادة الجهاد، فإن الكاتب وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه القشاط حين اختتم مقاله بتناول مواقف بعض قادة الجهاد بإدانة رمزية لهم بالخيانة حين قرّر وفق ما توقّر لديه من أدلة بقوله متسائلاً:- ((فما تكون هذه المواقف من الجهاد - وما نوع عمل هؤلاء الزعماء؟!))<sup>(3)</sup>.

---

1 - عمر المجذوب زبيدة، على هامش ندوة الخيانة في حركة الجهاد الليبي، مجلة الشهيد، مركز دراسات الجهاد الليبي، العدد الخامس، 1984، ص 315.  
2 - المصدر السابق، ص 319.  
3 - المصدر السابق، ص 320.

## \* - الثابت والمتغير في كتابات ومواقف الشاعر محمد سعيد القشاط.

لأننا في هذا الكتاب نتناول بالنقد منهج محمد سعيد القشاط في الكتابة التاريخية والذي يرتكز بالأساس على القناعات والمبادئ ، والقيم التي يؤمن بها القشاط ، فإنه من الضروري التعرف على ماهية هذه الثوابت والقيم والمبادئ لأنها تشكل المدخل الرئيسي للوصول إلى نتائج منطقية ، تبرر وتوضح طبيعة كتاباته ومدى صحتها ، وسلامة تحليله ، إضافة إلى أننا لا نحلل شخصية القشاط بقصد الإساءة أو التعرض له على المستوى الشخصي ، ولكن للتعرف على مضمون هذه الشخصية واتجاهاتها ، ومن محاسن الصدق أننا في هذا الكتاب نتعرض بالنقد لهذه الشخصية وهي معاصرة حيّة ، يتاح لها الردّ والدفاع عن مواقفها وكتاباتها وتصحيح ما قد يكون مخالفاً للحقيقة ، أو تجنباً عليها ، وبالتالي تكون له فرصة للدفاع عن نفسه ومواقفه ، وحاله دون شك أفضل من حال أولئك الأبطال المجاهدين الذين يتعرض لهم بالنقد اللاذع ، والتحريف المتعمد لكلامهم والطعن في مواقفهم ، واتهامهم بالخيانة والنكوص عن واجب الدفاع عن وطنهم وهم بجوار ربهم .

**فالمنتبّع** لحياة ومسيرة الشاعر القشاط، وكتاباته التي تعكس مواقفه تجاه المجتمع الذي يعيش فيه، والقضايا السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة التي تقع ويتفاعل معها ضمن التركيبة الاجتماعية والثقافية السائدة، يلاحظ وجود مرحلتين واضحتين في المعالم ، ومتباينتين تبايناً حاداً في مواقف القشاط تجاه هذه القضايا وهما:-

## \* - المرحلة الأولى

منذ بداية الستينيات وحتى 1969/9/1 (( قيام ثورة الفاتح من سبتمبر )) عرفت الساحة الثقافية في ليبيا محمد سعيد القشاط في أوائل عقد الستينيات حين بدأ الكتابة في الصحف والمجلات ، ونشر أول ديوان له (( بين نجوع البادية )) عام 1963 ، كما قدّم برنامج (( الأدب الشعبي )) في الإذاعة المسموعة، وشارك في المسابقات الشعرية ، وتحصل على الجائزة الأولى في الشعر الشعبي ، وخلال هذه الفترة صدرت له عدة دواوين شعريّة منها (( عشيات وادي غدو )) و (( ريم على الغدير )) و (( من ليالي السمر ))، إضافة إلى دراسات في الأدب الشعبي الليبي منها: كتاب (( الأدب الشعبي في ليبيا )) و كتاب ((سوف المحمودي نشأته وشعره)).

تنوّعت المجالات التي تناولها القشاطر في شعره ودواوينه خلال هذه الفترة فشمّلت الغزل الذي أخذ حيزاً كبيراً في أشعاره ، والوطنيات التي تغنّى فيها بالوطن بما يمثّله من تاريخ جهادي مجيد ، والسلطة القائمة التي تناغم معها دون اصطدام والاجتماعيات التي حاول أن ينتقد ، أو يسلط الضوء فيها على بعض المظاهر السيئة في المجتمع .

ففي جانب الشعر الغزلي أجاد القشاطر في التشبيه ورسم الصور الجميلة التي استعارها من واقع الحياة البدوية، بصحرائها ورمالها وطريقة معيشة أهلها وحركة حيواناتها البرية من: قفز، وجري، وانتباه حين تجفل من غريب، أو خطر داهمها، وله قصيدة نرى أنها حوت وصفاً دقيقاً فيقول في قصيدة بعنوان (( داروا رواشن )) نختار منها بعض الأبيات التالية كمثال على دقة التعبير وغناه.

اعيون بنت كيف المقارين طاشن  
وحييت في الجاش داروا رواشن

اعيون بنت كيف جدي الصحاري  
وقيس العشية رقب في ظهاري  
شبحوا ونبحوا وسبحوا جراري  
ودنقر وعنقر ازنقر يباري  
حظّب وجلب وقمر اجباري  
تريّح وصيّح وميّح يصاري  
أشرب الواري  
وبانوا ضواري  
وربحوا البراري  
وواتوا حفاري  
وخش الجفاري  
جلايب اطاشن  
تراقص تماقس ظراريه شاشن

اعيون بنت تحت الشعر لمعكس  
وتحلف رواق الماهو اموكس  
يقطف يخطف يشبه يدنكس  
بيرطع يقطع ينطع ينكس  
يعقط ينقط يققط يشكس  
اتمرض اتنكس  
وللريح يعكس  
يرقص يفنكس  
ايبنقص ايدكس  
وحاذا براشن

وفي فج يرعب وسمعوا شناشن<sup>(1)</sup>.

1 - محمد سعيد القشاطر ، ديوان شعر ( ريم على الغدير ) ، الطبعة الأولى ، ص 79 .

ولكن هناك مأخذ على القشاط في هذا المجال ، إذ أنه لم يتعفف في شعره فجاءت بعض أشعاره متجاوزة حدود الأدب السائد في المجتمع المحافظ آنذاك ومثال ذلك أنه نشر في ديوانه الأول بيت من الشعر ، يتغزل فيه بصبيّة دون الرابعة عشر أسماء (( المعطش )) نكتفي بالإشارة إليه دون أن نورده احتراماً للذوق العام<sup>(1)</sup>.

وفي باب الإجتماعيات ، تطرّق في شعره إلى نقد بعض الظواهر السيئة كالتدخين ومضارّه ، ونشر قصيدة حملها حين تغيّرت الأوضاع السياسيّة في ليبيا بعداً سياسياً آخر ، إضافة إلى نقده لأولئك النوع من البشر الذين يفتنون في ولائهم ومواقفهم الانتهازية ، لتحقيق مصالحهم الخاصة على حساب القيم والأخلاق والمبادئ.

أما في المجال الوطني فكانت له قصائد تعبّر عن قناعاته ومواقفه الواضحة من تاريخ مضى لجيل مجاهد ، قاوم الإيطاليين بكل ما أوتي من جهد وقدرة فجاءت قصائده مديحاً لتلك البطولات ، وهؤلاء المجاهدين دون استثناء ، وتجاه واقع سياسي يعايشه الشاعر تمثل في العهد الملكي ، الذي تناغم الشاعر معه بكل جوارحه ومشاعره ، فأورد قصائد كثيرة ملأت دواوينه وكتاباته ، تمجّد ذاك النظام ورموزه ، وتسبغ عليهم صفات ومواقف وأمجاد كثيرة ، ومن خلال مراجعتنا لدواوينه ومقالاته في الصحف والمجلات الصادرة آنذاك ، لم نجد ما يمكن أن يسجل على القشاط أنه قال شعراً أو نثراً أو كلمة عارض أو انتقد فيها النظام السياسي القائم ، وبما يحسب له كموقف معارض للنظام ، أو ناقد لسياساته ، أو أنه كتب ما كتب تحت ضغط أو إكراه ، بل كانت كتاباته وأشعاره تعبّر عن الولاء المطلق للنظام ، والتمجيد لكل خطواته ، وكان دائماً يقدّم دواوينه بالقول :- (( ديوان من الشعر الشعبي الليبي ضمّ بين دفتيه مختارات من القصائد في أبواب ومواضيع شتى تتجلى فيها كلها عاطفة جياشة وحرارة مخلصّة وصدق تعبير ودقّة وصف ورقة عبارة هي صور ناطقة عن حياة الشاعر في ربوع ليبيا ومجتمعاتها ))<sup>(2)</sup>.

ونورد بعضاً من أبيات مختارة من عدد من القصائد من دواوينه للتدليل:-

1 - القشاط ، ديوان بين نجوع البادية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1963 .  
2 - القشاط ، ديوان عشيات وادي غدو ، مكتبة الفكر ، طرابلس ، الطبعة الثانية ، 1968 .

## \* - ديوان بين نجوع البادية

يعتبر هذا الديوان باكورة انتاج الشاعر، وقد صدرت الطبعة الأولى منه في (( سبتمبر )) 1963، وتضمّن عدد من القصائد الشعبيّة التي ترتّم بها الشاعر مدحاً في الواقع السياسي القائم آنذاك ومنها:-

\* - القصيدة الأولى بعنوان (( إن بعد العسر يسر )) قدّمها الشاعر بقوله:- (( قيلت هذه القصيدة بمناسبة الذكرى العاشرة لاستقلال ليبيا )) نختار منها هذه الأبيات:

كنا في حالات اعسار	عكس الوقت اسنين
اليوم عنا سطعت لنوار	وصرنا حريين
مدة ساد الاستعمار	على دولة لسلام
حاموا بيه ارجال اصقور	ادريس جيشه تبغيله
ادريس فيها للشعب رزم	وقال نبغي استقلال
على الشعب الليبي يخمم	وما يهنا له بال
في قضية ها لوطن خدم	ا^ لتحقيق الآمال
رفعها ا^ ليا هيئة لمم	واللي يبغي نال
اعلن بالمرسوم رسم	اليوم يوم استقلال
بدي الشعب الليبي ينعم	علم نجمه وهلال
من الحرب اللي فات غنم	قرار واحد وخمسين
وصار الشعب اللي حاكم	وهو المحكومين
صار ابن الشعب رئيس	ايسدد في خطواته
يعيش ملك الأمة الإدريس	عمم باصلاحاته
على رفعتْ ها لوطن حريص	يتمم مشروعاته
على ترفيه الشعب حريص	ويحيي فيه الدين
وكشافه ورئيس عظيم	ولي العهد الزين
ادريس بحوال البر عليم	ايطول عمره آمين
توّه عشر اسنين قضينا	في عهد الحريه
بفضل اخطط ادريس الزينا	وشعب الليبيين
رامي تاجه فوق جبينه	باني مجد متين <sup>(1)</sup> .

1 - القشاط ، ديوان بين نجوع البادية، ص16.



\* - القصيدة الثانية وهي بعنوان: (( حوار بين مواطن وعائد من الهجرة )) نختار منها هذه الأبيات

**المواطن :**

تفراج بعد المعسره والضيقه ومن قال بيلاقي الصديق صديق

**العائد :**

بعد لمشاق افراجت وعكست علينا افوقتها واعواجت

**المواطن :**

لولا المليك وجيشه قعدت ابلادك خاليه ووحيشه  
عليهم زحف ودارهم في شيشه ومش رافعه وهي عليهم ظيقه  
ومنها مشي الطليان لابس خيشه حذفوه في وسط البحر وغريقه

**العائد :**

فرحنا لكم جمليه وقت البديتوا مملكه ليبيه  
معاي المرا في البيت وظراربه من الفرح نبكوا والدموع دفيقه

**المواطن :**

باهي طيب هگه انتمنوا حال كل احبيب  
وهالحكم مولاي عليه ايهيب ناس يعملوا للمصلحة بحقيقه

**العائد :**

رئيس بالدين الحنيف ايصرح وصرنا منارة في شمال افريقه

**المواطن :**

ابنادم الحق ايقوله كانت بلادنا لييبا مجهوله  
بفضل المليك اليوم وأهل الدولة والشعب يتبع فيه شد طريقه  
أصبح العالم كافة نمشوا له وفي كل هيئة انوقعوا مواثيقه

**العائد :**

يا رب بارك فيهم ارجال مملكتنا من العدو انتجيهم  
مليك لييبا قاد السفينة بيهم بنجاح نجاها البحر وغريقه  
يحييه ربي الملتحي حاميهم ويحيا ولي العهد دوم رفيقه(1).

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص28.

\* - القصيدة الثالثة : وهي بعنوان (( هنيئا لك يا وطن )) ويقول الشاعر أنه نظمها بمناسبة إعلان الوحدة الليبية ، ونشرت بجريدة فزان تحت توقيع البدوي نختار منها هذه الأبيات :

توحدت يا وطن نلت التمني	اربوعك تهني	والفين يا وطن	مبروك مني
فرح شعبنا اليوم يزداد خيره	وملكك	امهني	
طرق وتر في القلب والله نصيره	وبيه شعب هالوطن	يشكر يثني	
خطاهم مليك وطنا الحر بينا	افمجدك	اييني	
زعيم حر من راد ديمه صلاحك	وعتك	موئي	
وجاب الدوا بيه ضمّد جراحك	ويا بشرت الخير في الوطن	مني	
اليوم غات للتاج ترفع تحية	وطبرق النالوت فيها	اتهني	(1).

\* - القصيدة الرابعة وهي بعنوان: (( خبر سعيد )) أشار الشاعر في تقديمه لها أنه قالها بمناسبة اعلان الوحدة الليبية ونشرت بجريدة "فزان" بتوقيع البدوي نختار منها هذه الأبيات .

سعيد خبر بيه امصدره الجريدة	وقوف صف كنا نشتهوا	توحيد	
خبر بالاذاعة جانا	رقصت عليه اقلوبنا	فرحانا	
اليوم ملكنا ثوب التقطع خاطه	وكلف ارجال التصلحه	وانجيد	
اتهني شباب الأمة	والشعب هللي افليبيا	الملتمة	
الوطن صارت رقعته منظمة	ادريس بعد حكم الله	هو سيده	
وجلّى علينا من كساده وغمّه	موش عيب لينا	نكثروا	تمجيد(2).

كما يقول أيضاً عام 1968 :- (( وعندما قامت الحرب العالمية الثانية وانضم الليبيون الموجودون في مصر إلى الإنجليز بقيادة الملك الإدريس (\*) سارع شعراء الملحون في داخل الوطن للتمجيد بهذه الخطوة ... ))(3).

1 - المصدر نفسه ، ص 35.

2 - المصدر نفسه ، ص 38.

3 - القشاط ، الأدب الشعبي في ليبيا ، الطبعة الأولى ، 1968 ، ص 75 .

\* - يلاحظ القارئ أن القشاط خلال كتاباته في هذه المرحلة دائما يعرف اسم العلم ( إدريس ) وذلك تفخيما وتمجيذا.

أما حين تحدّث عن شعر الوطنيّات يقول :- (( شعر السياسة : الشعر السياسي وهو ما عرف عندنا في المدة الأخيرة بالوطنيات لم يكن موجودا كما أسلفنا قبل العهد الإيطالي في ليبيا . ولم يتبلور ويكتسب صبغة السياسة حقا إلا في عهد الاستقلال فسارع الكثير من الشباب يزاحمهم في ذلك من بقي من شعراء العهود الماضية إلى الحديث عن الوضع الداخلي والأممي والتفاعل مع أحداث المشرق والمغرب . فتغنوا بالجزائر وتمجيد ثورتها تحرير فلسطين وتأييد القوى الوطنية في الكونغو إلى جانب تمجيد الوطن ورجالاته .... ولقد كثرت القصائد الوطنية حتى صار من الصعب جمعها رغم أن شعراءها معاصرون . والسبب أن الشعراء يتسابقون إلى قرصها وإلى الإكثار منها ))<sup>(1)</sup>.

### \* - المرحلة الثانية :- منذ الفاتح 1969 وحتى الآن

في 1/8/1969 انتهى القشاط من تأليف كتابه (( صدى الجهاد الليبي في الأدب الشعبي )) ، وهو كتاب تناول فيه القشاط دور الشعراء الشعبيين في رصد حركة الجهاد ، ومعاناة الليبيين في معسكرات الاعتقال الخ ، وبقدر ما كان هذا الكتاب من حيث المحتوى محاولة جادة مبكرة من القشاط لتوثيق الشعر الشعبي حول تلك المرحلة ، إلا أنه شكّل علامة فارقة ومؤثرة على توجّهات ومواقف محمد سعيد القشاط ، نقلت ولاءاته للنظام الملكي من حالة التناغم والولاء ، إلى حالة المعارضة والعداء في لحظة تاريخية في حياة ليبيا والليبيين ابتدأت مع فاتح سبتمبر 1969 بقيام الثورة المباركة ، انتهزها القشاط ليبدأ مرحلة جديدة مختلفة ومتناقضة بشكل حدّي متطرّف مع المرحلة السابقة التي كان يحياها .

ولأنه في منطق الأشياء هو عدم الكمال ، وأن التاريخ يسجّل كل شيء ولا يغفل أي شيء مهما كان صغيراً أو تافهاً لا قيمة له ، ليتم عن طريقه كشف الحقائق التي يحاول المرء إخفاءها ، أو طمس شواهداها ، ولو بعد عشرات أو مئات السنين فقد كتب القشاط ملاحظة في آخر الكتاب قال فيها :- (( جهزت هذا الكتاب للطبع قبل الثورة ، وتجنباً لإيراد شعر المديح وغيره اكتفيت بثمانية فصول فقط ولم أضع فصلا عن عهد الاستقلال . ولما فجرّ الله ينبوع رحمته مع فجر سبتمبر الأغر ارتأيت أن أزيد فصلا تاسعا يوضح الشعر في عهد الاستقلال

1 - المصدر نفسه ، ص 113

والثورة . أيد الله العاملين على تخليص هذه الأمة من نير الرق والعبودية وهداهم إلى ما فيه خير لبيبا والعرب )) . محمد القشاط

من المؤكد أن قيام الثورة كحدث سياسي فاجأ القشاط وأربكه ، وهو يرى جهوده التي كان يبذلها طوال هذه السنين مدحاً بالكلمة والموقف للنظام الملكي تضيع في لحظة مع سقوط هذا النظام على يد الثورة ، فالكتاب جاهز للطبع بعد أن انتهى منه في (( 1969/8/1 )) أي قبل قيام الثورة بشهر واحد ، وبقدر تسارع الأحداث على المستوى الوطني منذ انبلاج الثورة ، والتفاف الشعب بكل فئاته حولها مؤيداً ومناصرها لها ، بقدر ما سعى القشاط أن يواكب سرعة هذه التغيرات بتغيير مواقفه وولاءاته السابقة ، فكان كما قال وكتب أنه :- (( أول شاعر سمع الشعب قصائده يوم الفاتح من سبتمبر 1969 ))<sup>(1)</sup> .

يقول القشاط :- (( من القصائد التي ألفت في أول أيام الثورة هذا القصيد

للمؤلف :-

نور نار بين الفجر والتظلمه	لحق على الباطل كبير غريمه
نور امنور	اسنين ياسره شعبي عليه يدور
الخاين على نفسه قعد يتطوى	وزال من اصباغه ثروته ونعيمه
وعهد الفساد الكل راح يسوه	وجانا سرور النفس والتبسيمه
علينا شعاع الفجر كيف ازين	جلى على الخاطر اهموم قديمه
لا فقر عل شعب البلاد امطين	لا جهل كذب افكذب في تعليمه
لا واسطه في فرضها تتحين	لا مدح لا تسييد بالتلزيمة
اليوم حكم الحق كيف تعين	والزور لحقت بيه شر هزيمه <sup>(2)</sup>

وعودة إلى مضمون الكتاب ، فقد فرضت هذه الأحداث على القشاط إعادة مراجعة ما كتبه ، بما يتلاءم والوضع السياسي الجديد ، ويبدو أنه في خضم تسرعه في إعادة ترتيب محتويات كتابه لم يتمكن من قطع صلته بالماضي ، حتى لا يتعرف أحد على مواقفه ، فبعد أن حذف شعر المديح الذي لم يوضح أي نوع

1 - القشاط ، خليفة بن عسكر - الثورة والاستسلام ، (صفحة الغلاف) .

2 - القشاط ، صدى الجهاد الليبي في الأدب الشعبي ، ص 279 .

هو ، ويتحرّج القشاطر من إبقائه في الكتاب ، هل هو شعر المديح في المجاهدين وكفاحهم ضد الإيطاليين الغزاة!!! أو التعتني بقيم الوطن وإيداع أهله !!! أم ذلك الشعر الذي حوته دواوينه مدحا في النظام الملكي ومسؤوليه !!! ؟، فنتسي أن يحذف التاريخ المثبت لانتهائه من إعداد الكتاب وهو 1969/8/1 ليأتي التاريخ علامة تناقض واستغراب من القارئ لوجود مواضيع مستقبلية يتنبأ بها كتاب أعد بتاريخ سابق لوقوعها.

وكان القشاطر قد أشار في الملاحظة التي دونها للاستدراك في الكتاب إلى أنه أضاف فصلين أحدهما عن الشعر في عهد الاستقلال (( العهد الملكي )) والآخر في عهد الثورة ، ولنبدأ أولاً بالتعرّف على ما كتبه في الفصل المتعلق بالشعر في عهد الثورة ، ثم بالفصل المتعلق بالشعر في عهد الاستقلال ، إضافة إلى نماذج من كتاباته اللاحقة للدلالة لا الحصر، ونحاول أن نجد رابطاً بينها ، وبين كتاباته السابقة قبل قيام الثورة للمقارنة ، والتأكد من ثبات أو تغيير الموقف والمبدأ لديه .

\*- يقول القشاطر :- في الفصل المتعلق بالشعر في عهد الثورة :- (( جاءت الثورة في ليبيا هزة بعد سبات وفرحة بعد يأس وحدثا أخرج الناس من العدم وانتشل الشعب من ظلام القرون الوسطى إلى نسماة القرن العشرين ، فاندفع الشعب يعانق ويطوق جيشه بأكاليل الزهر بعدما طوقه الجيش بأكاليل النصر .

واندفع الشعراء يمجدون الثورة التي ردت لهم اعتبارهم في قصائد مطولة ومنذ يومها الأول بغزارة إنتاج وبتفتح قريحة لم يشهد الوطن في أحداثه الماضية نظيراً لما حدث عند انبلاج فجر الثورة مع غرة سبتمبر الأغرّ . وعندما أوضح هنا بعض القصائد لا أقصد من ذلك الحصر فقصائد الثورة أكثر من أن تحصر وأغزر من أن يجمعها بحث كهذا . ولكنها تتفق جميعها في سرد فضائح العهد البائد المباد وإظهار عوراته وفساده وتبيان وسائله المعوجة لابتزاز الأموال والسمسرة وإباحة البلاد للأجنبي الذي يتصرف وكأنه المواطن الأصلي فيها وامتهان حرمة المواطن الليبي والمتاجرة في عرق جبينه واضطهاده . والسلبية التي فرضها العهد البائد على ليبيا حيال القضايا العربية .

وهناك من الشعراء من خاطب الوزراء السابقين بتهكم ، ومنهم من خاطب سيارة المرسيديس التي بقيت ورثة وتركة ، ومنهم من خاطب القصور التي عادت

للشعب ناهيك عن القصائد التي كانت تدبج في الإشادة بالجيش وكيف استطاع أن يعيد لنا حقا طال انتظاره واغتصابه (...)(<sup>1</sup>).

\*- أما في الفصل المتعلق بالشعر في عهد الاستقلال فيقول :- (( لاشك في أن الكفاح الأكبر ابتدأ مع عهد لاستقلال . فلقد كان هذا الشعب يكافح في الماضي عدوًّا سافرًا بيِّنًا ظاهرًا للعيان . ولكن بعد اعلان الاستقلال المزيف أصبح الشعب يحارب عدوًّا غير منظور مقنعا يقبع خلف التحف التي نصبها تماثيل للشعب يزاول بها رغائبه ويحقق عن طريقها ما يأمله من مطامع .

**وانقسم الشعراء في هذا العهد إلى أقسام منهم من انزوى منطويا على نفسه يلهج بالقصيد ولا يرى النور ويحدث نفسه ويحاول ألا تسمعه ، ومنهم من ذهب إلى التورية والرمزية بيثها أحزانه وينشر قصائده على الناس فيفهم البسطاء المعنى القريب ويغيب على الرقيب ومقصده المعنى المراد فيجيزها تخفيا بها . وما الرقيب إلا مواطن يحس إحساس الشاعر .**

**وقسم ثالث من الشعراء رماه الطمع والفر في أحضان الإذاعة التي كانت تعطي بعض الدريهمات نظير كل قصيد فلهج هذا الفريق بالمدح المبتذل السخيف يجعلون من الملك المخلوع خليفة لله في أرضه وملاكا لا يتصرف الشعب في شيء إلا من أفضاله ونعمه . ويشجع هذا الفريق تصريحات المسؤولين من أولي السلطة في البلاد الذين كانوا يؤلهون الملك وحاشيته .**

**والمسابقات التي كانت تعلن عنها وزارة الإعلام والثقافة في العهد المنصرم كانت تجعل المدح ركيزة لا يمكن أن يتجاهلها الشاعر إذا أراد أن يشترك في المسابقة . وقد زادوا مغالاة في ذلك أن كانوا يختلقون للمؤلف الذي لا يمتدح الملك أعدارًا وأسبابًا واهية يتخذونها ذريعة لمصادرة مؤلفه . ولقد حدثني أحد وزراء الإعلام السابقين عندما جئت أراجعه عن مؤلف لي صودر قال لي : إنك لم تمتدح الملك فأجبتته أن الشعر لم يكن لي وإنما أنا دارس لشعر الشاعر . والشاعر لم يمدح الملك فكيف لي أن أختلق قولاً وأنسبه لرجل مات منذ خمسين عاما ؟ قال لي : يجب أن تمتدحه في المقدمة .**

**قلت له : ماذا أقول . أقول في عهده .؟ فالشاعر لم يكن في عهد الملك . أقول بقيادته ..؟ فالشاعر لم يجتمع بالملك قط ولم يعرفه ولم يكن له فضل عليه .**

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 277.

**فأجابني الوزير :** هذه سياسة الدولة " ادهن السير يسير" كما عرض عليّ إعادة طبع الكتاب على نفقة الوزارة مع دفع تعويض مناسب في حالة ما إذا وضعت اسم الملك ومدحته في كتابي الذي هو دراسة عن شخصية جاهدت قبل أن يخلق الملك . وطبعا رفضت وصور الكتاب .

**بهذه العقلية** كان حكام العهد البائد يضغطون على الكتاب والشعراء ليختلقوا بطولات قام بها الملك المخلوع وبطانته . وقد سايرهم البعض ورفضهم البعض الآخر . فاغدقوا العطاء للأولين وحورب الآخرين . وأنا هنا ما جئت لأقيم مسالك الشعراء وأحدد وطنية كل منهم ولكنني أتحدث عن الاتجاه الشعري في عهد ما يسمى بالاستقلال ويحلو لي أن أسميه ما قبل الثورة ((<sup>1</sup>)).

\*- **كما** حاول القشاط تحميل بعض قصائده ذات الطابع الاجتماعي الصرف وسبق له أن نشرها في دواوينه السابقة بعداً رمزياً ، وتضمينها موقفاً سياسياً مناهضاً للنظام الملكي ، فيقول :- (( ومن القصائد الرمزية التي نشرت في العهد الملكي قصيد للمؤلف عنوانه " اجتماع الدخان" هذا القصيد تناولت فيه التفرقة التي تسود الوطن والأناوية وحب الذات وغطرسة الأجنبي في بلادنا ونظرة الاستخفاف التي ينظر بها إلينا وكيف نستطيع بالاتحاد أن نتخلص من جيروته وغطرسته . وقد نشر هذا القصيد في جريدة " فزان " بعد تخوفات من رئيس التحرير آنذاك ونشر بديوان " عشيات وادي غدو " ((<sup>2</sup>)).

**ونورد** القصيد لمعرفة مكامن الرمزية فيها ، والتي قدّمها حين نشرها في ديوانه بالقول :- (( اجتمعت أصناف السجاير اللببية والأجنبية وكل صار يعدد مزاياه وخصائصه :-

الدخان داير مجتمع وخطابه	مزاياه يبغي تسمع الشرابه
الرايس : أنا انعاشر البدويّه	ميعادهم لازم يرسم بيّه
امعاهم انقضّي في ليالي هنيّه	وكل حد لازم يرسم بيّه
يطلع من الكانون جمره حيّه	ويبحث عليّه فسلفته واحبابه

1 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 257.

2 - القشاط ، المصدر السابق ، ص 259.

جفاره : الرايس شرابه بايخ  
أعيان القبائل كلهم ومشايخ  
وبالثلثن يا رايس عليك انفايخ  
من يشربه يقعد نهاره دايخ  
كان ما لقوني بايتين غضابه  
ليك زاد ثمني النصف للطلابيه

اسبيريا : شن قال ساك اجفاره  
يعقب الكحه وفي المذاق مراره  
أنا اسبير مشهور في السيجاره  
بالحق ما يصلحش حتى باره  
اخسارة الفارس ركبته وانقابه  
وكل حد بيّه امعبيات اجياه

لبده : في اول كلامي نبدا  
وكل من خذي ويذوق مني جبهه  
استخلصت من دخان كيف الزبده  
مشهور واسمي عل مدينة لبده  
يلقى تحسن فكرته وطياه  
ممتاز فوق العال يا شرابه

سفير : أنا السفير اللبيي  
فلتر ونكهه حزتها في نصيبي  
الكل دبلوماسي منحشي في الجيب  
سفير ينبعث تذكار كل حبيب  
وفي يشربوا حتى صقيل انياه  
انزيده شجاعه وفلسفه واخطابه

سنيور

سرفيس : أنا بريطاني  
ما تقدروشي توصلولي شاني  
(هاي هاي فيري قود) فسط اوطاني  
سنيور سرفيس (نيم) موش غرابه  
وفي ليبيا هابه عليك اذوابه  
غريان : خرف وارفس  
غير اسمعوا شن قال عمك سرفس  
مغرور جاي فوطنا تفلس  
توه كفيينا بلادنا يا بابيه  
زمان كنت في محل السفير بتعفس  
واليوم من فضلك ترا تتبابه

كنج سايز : (آي أم اكنج سايز )  
شهادات من عالم اكله حايز  
نغني الرياضي عمل لكسر سايز  
( أول كمنترز) بيعث إليّ عايز  
( نوون ) في التاريخ مثلي جابه  
انخليه مثل الوحش وسط الغابه

ودان : اذهب عطيك ثقيله  
من بسك معاد يرفع حيله  
تسحاب بتعدي علينا لحيله  
ويقعد امفلس فارغات اجياه



الدخان ليبي ما هناك مثيله منتوج وطني رخص زاد طيابه<sup>(1)</sup>

كما يورد القشاط قصيدة أخرى فيقول :- (( وفي قصيدة " أحوال " من نفس الديوان رمزا لما يعانيه الوطن من ألم وتبرم من الفساد الذي ضرب أطنابه وقد قدمت لها بقولي هذا : " عندما يرى المرء حيف الزمان ولا يستطيع أن يغيّر شيئا من مجرياته فما عليه إلا أن يردد قولي هذا " . يقول القصيد رامزا إلى العهد الذي كنا نعيشه يومها :-

حوال حايله حال الزمان وعكسه	وحال المرض بعد الشفي والنكسه
حوال اتبكي	حوال حايله مسعودها متكي
حوال صابغه صبغت اصباغ اللكي	فجرد الكتافي تحت لي العكسه
بين الصماغ كثر لي حكي	وشيب العوارض في شبابك وكسه
حوال حويله	حوال ما عرفتلها هوى لاحيله
حوال هولها ياويل من لا جيله	اتخليه قيل البيع يعطي مكسه
حوال وقت كيف البير في تمطيله	كيف كسب لا يكسيك لا يستكسي <sup>(2)</sup>

**ويلاحظ القارئ أن كلمات ومعاني القصيدتين واضحتين وضوحاً شديداً لا تحتمل التورية والرمزية لموقف سياسي أو معارض أو نقدي .**

\*- كما يقول في مواضع أخرى :- (( وقد كان معظم المسؤولين وقتها هم من أبناء وأحفاد المساعدين لإيطاليا على احتلال ليبيا وعلى رأسهم الملك إدريس ... عدم وعي المواطنين بأهمية نشر الحقائق وخوفهم من بطش النظام فكانوا يقفزون على الحقائق وسرد الوقائع التي تمس الخونة وأذئاب إيطاليا بحجة أن هذا ينير نقمة بعض المسؤولين ...<sup>(3)</sup>

**إذن ما هي الثوابت ، وماهي المتغيرات لدى الشاعر محمد سعيد القشاط ؟**

تشير هذه النماذج المختارة من كتابات القشاط في المرحلة الثانية إلى انقلاب متطرف سريع في الموقف والكلمة ، فمن كان بالأمس محلّ مدح بقصائد

1 - القشاط ، ديوان عشيات وادي غدو ، ص 182.

2 - القشاط ، صدى الجهاد في الأدب الشعبي ، ص 262.

3 - القشاط، خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام ، ص 9-10.

قال عنها القشاطر أنها تعبّر عن عاطفة جياشة ، وحرارة مخلصّة ، وصدق تعبيري ودقة وصف ، انقلبت إلى هجو وذمّ ، وقدح ونعت بكلّ النعوت المسيئة ، ومن كان يدعو للبيبين جميعهم إلى أن يجعلوه تاجاً فوق رؤوسهم داعياً الله أن يطيل في عمره أصبح خائناً فاسداً من أذنان الاستعمار ، ولتحديد الثوابت والمتغيّرات في المواقف والكتابات عند محمد سعيد القشاطر ، نعيد الانتباه إلى ما أوردناه سابقاً حول قيمّ المبادئ ، وصفات الانتهازيّة ، ومدى انطباق أيّ من هذه القيمّ والصفات على كتابات ومواقف القشاطر ، فنشير إلى أنه سبق أن قسمّ مواقف الشعراء من العهد الملكي إلى ثلاثة أنواع :-

\*- النوع الأول : منكفيّ على ذاته ونفسه يلهج بقصيد لا يرى النور ويحدث نفسه ويحاول ألاّ تسمعه ، كناية عن الخوف والحذر من العقاب .

\*- النوع الثاني استخدم التورية والرمزيّة بيثها أحزانه ، وينشر قصائده على الناس ، فيفهم البسطاء المعنى القريب ، ويغيب على الرقيب ومقصده المعنى المراد فيجيزها تخفياً بها .

\*- النوع الثالث : رماه الطمع والفقر في أحضان الإذاعة ، التي كانت تعطي بعض الدريهمات نظير كلّ قصيد ، فلهج هذا الفريق بالمدح المبتذلّ السخيف يجعلون من الملك المخلوع خليفة الله في أرضه ، وملاكاً لا يتصرف الشعب في شيء إلاّ من أفضاله ونعمه . ويشجع هذا الفريق تصريحات المسؤولين من أولي السلطة في البلاد الذين كانوا يؤلهون الملك وحاشيته .

إن التساؤل الذي يُطرح هنا على ضوء ما سبق الإشارة إليه ، هو إلى أي من هذه الأنواع الثلاثة ينتمي الشاعر محمد سعيد القشاط ، وهو من شعراء تلك المرحلة؟.

لم يكن محمد سعيد القشاط من النوع الأول إطلاقاً ، إذ لم ينكفئ على نفسه وذاته بل قال شعره في العلن ، ونشر دواوينه ودراساته ومقالاته على الملأ ولم يكن من النوع الثاني فلم يلجأ إلى التورية والرمزية في شعره ، بل كان واضحاً وضوح الشمس في تعابيره ومعانيه ، فهل في هذه الأبيات التي نوردتها كمثال أي تورية أو رمزية من أي نوع :-

صار ابن الشعب رئيس      ايسدد في خطواته  
يعيش ملك الأمة الإدريس      عمم بإصلاحاته  
على رفعت ها لوطن حريص      يتم مشروعاته  
بفضل اخطط إدريس الزينا      وشعب الليبيين  
رامي تاجه فوق جبينه      باني مجد متين

أما النوع الثالث فهو ينطبق شكلاً ومضموناً على القشاط ، فقد التحق بالإذاعة وقدم برنامج الأدب الشعبي فيها ، وشارك في المسابقات التي تنظمها وزارة الإعلام آنذاك وفاز بالترتيب الأول ، ونظم شعراً في مدح النظام الملكي على نحو ما أشار إليه القشاط في وصف النوع الثالث من الشعراء ، فقد جعل من الملك خليفة الله وسيداً على الليبيين بعد الله ، ودعاهم إلى تمجيده حين يقول في هذه الأبيات على سبيل المثال لا الحصر :-

اليوم ملكنا ثوب التقطع خاطه      وكلف ارجال التصلحة وانجيده  
الوطن صارت رفته منظمة      إدريس بعد حكم الله هو سيده  
ولى علينا من كساده وغمه      موش عيب علينا نكثروا تمجيده

وحول التغيير في المواقف يقول د. عاصم الدسوقي :- (( وعلى الباحث ألا يعفي نفسه من النقد الذاتي متى وضح خطأ أفكاره . والنقد الذاتي لا يعني أن يراجع الباحث أفكاره ومواقفه السياسية نتيجة تغيير الظروف السياسية - راجع تغيير مواقف بعض الكتاب من مؤيد لعبد الناصر في عهده إلى معاد له في عهد

السادات - لأن هذا ابتذال لمعنى النقد ، وإبعاد للباحث عن الموضوعية ، ويضعه في صفوف الانتهازية ))<sup>(1)</sup>.

كما أن ما قدمناه من تحليلات سابقة لكلّ كتابات محمد سعيد القشاط تؤكّد أنه لا يتحرّى الصدق فيها ، ويقوم بعمليات تحوير وتغيير للنصوص التي يقتبس منها مخالفاً الأمانة العلميّة ، كما أنه يغيّر ولائته تبعاً لمصالحه ومنافعه ، وأنه يستخدم الكتابة في اتجاه يثير الفتنة ، وينشر الحساسيات والتعصّب في المجتمع وليس من أجل المصلحة العامة ، والوفاق الوطني .

لذلك يتضح مما سبق أن الثوابت لدى محمد سعيد القشاط ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتحقيق منافع خاصة أي (( المصالح )) التي تقوم على انتهازية الموقف والكلمة ، في حين أن المتغيّرات وهي تلك (( القيم الأخلاقية والمبادئ )) التي تعني الثبات على الموقف والكلمة ، فهي تتغيّر حسب مقتضى الحال ، وواقع اللحظة التي يمرّ بها القشاط ويتأثر بها إيجاباً أو سلباً .

ونختم تحليلنا بقصيدة للشاعر محمد سعيد القشاط في ذمّ هؤلاء الانتهازيين عديمي المبدأ ، نشرها مبكراً في الستينيات بعنوان : (( ابتعد عن عديم المبدأ )) .

ابنادم بلا مبدأ تنفر منه	اتتال التعب لا كان تسأل عنه
اتتال التعب عل جاله	ويكشف حوالك كان تستر حاله
اتصدق مقاله وقت ما تصغاله	ولك يشتكي يخليك حابر منه
ثعلب امرأوغ كاذبات أقواله	اليا نال منك سر ما يتهنى
ابنادم عديم اشواره	انوصيك عنه بالسراب تواره
اخصوصن اليا كان عبد البار	كما الغصن وقت ايهب ربح اثنى
يرطاب ويديرك وديع اسراره	يخبّر عليك ايزيد يعمل رنه
انوصيك خوذ نصيحة	من كبد من خبث الخبيث جريحه
سرك اليا ماتشتهيش اتبيحه	السندوك ما تخليه يخرج منه
وخلطة الغري ما تكون صحيحة	عقاب خلطته لا بد اتولي عنه
وسع عليه وباعد	وفوق من ابعاد الباعده تتباعده
يرقق اسلوبه ليك فيك ابواعد	يلقاش منك خرم يمرق منه
يرميك لارايف عليك امساعد	ايفوت يتركك من طعنته تننى

1 - د .عاصم الدسوقي ، مصدر سابق ، ص 15 .

ما تقربه بقرايب  
 خُلطتْ صغير العقل كل مصايب  
 لا تكلمه لا تراسله بكتايب  
 قربه جحيم البعد عنه جنه  
 ايجحش على مطراح كنت اتظنه  
 على حالته راهو قليل افايده  
 وحرت السطح مالك نفيعه منه  
 الحسناات يغسلهم مثيل التايد  
 اليا باحها ما هي غريبه عنه ((1)).  
 ولسرار ما هي للقبيح عوايد

لقد فطن الشاعر وهو في ريعان شبابه ، ومقتبل عمره إلى هذا النوع من الناس الذين ليس لهم مبدأ ، أو قيم أخلاقية تحكم سلوكهم وتصرفاتهم تجاه الآخرين والذين يسيطرون على أنفسهم حبّ الذات والطمع ، فيستعملون كل الوسائل للوصول إلى أطماعهم ، حتى وإن كان ذلك على حساب الآخرين ، أو ظلمهم أو أذيتهم فراه يوصي وبشدة بالابتعاد عن مثل هذا الصنف من البشر ، لأنه لا يكتف سرّاً عرفه ، ولا يؤمن جانبه ، خاصة إذا كان عبداً للمال ، والشهوات ، والمطامع فينتهز كلّ فرصة سانحة ليستفيد منها دون أن يتمسك بالقيم والثوابت ، ولن يتردد في تشويه سمعة الآخر ، بل سيزيد من اختلاق الكذب ليضخم الأمر فيقول :-

اخصوصن اليا كان عبد البارہ  
 يرطاب ويديرك وديع اسرارہ  
 كما الغصن وقت ايهب ریح اثنی  
 يخبر عليك ايزيد يعمل رنه

ويذهب الشاعر إلى التأكيد على ضرورة البعد عن هذا النوع الذي يراه صغير العقل لا يجلب إلا المصائب ، فيصور أن مخالطته ، والتعامل معه كمن يعيش في الجحيم وأن البعد عنه ، وازدرائه ، تجعل المرء في راحة بال وهناء كمن يعيش في الجنة ، وينجح الشاعر في تصوير خبث وحقارة هذا النوع من البشر، حين يقول إن أفعال هذا النوع من البشر فيها من البهذلة الشيء العجيب ويورد كلمة (( ايجحش )) وهي من مفردات البيئة الرعيّية التي تعتمد على الحيوانات خاصة الحمير في تنقلاتها ، ونقل امتعتها ، فحين يتمتع الجحش عن المسير و (( يحرن )) فلن يستطيع صاحبه مهما انهال عليه بالضرب أن يزحزحه قيد أنملة عن مكانه ، وكأن الشاعر يقول لنا إن هذا الصنف حين يجد فرصة فلن يتركها تفلت منه دون أن يستغلها ويتشبّت بها ويجحش عليها فيقول:-

1 - محمد سعيد القشاط ، ديوان : بين نجوع البادية ، ص129

خُطتْ صغير العقل كل مصايب      قربه جحيم البعد عنه جنه  
ايخلك تشبح بهذله وعجايب      ايجش على مطراح كنت اتظنه  
وهنا يصورّ الشاعر حياة هذا النوع من البشر التي تفني عمرها ، وهي  
تفعل السيئات فنتعاطم آثامها ، ونقلّ حسنات أعمالها ، فيصورّ كيف تزيل السيئات  
كل الحسنات كفعاليّة مسحوق صابون التايد في تنظيف الأوساخ ، أو كمن يحرث  
زرعه فوق سطح بيته فلا يجني منه شيئاً فيقول :-  
الحسنات يغسلهم مثيل التايد      وحرث السطح مالك نفيعه منه  
ولسرار ما هي للقبيح عوايد      اليا باحها ما هي غريبه عنه



## الخاتمة





## مثل الثعلب والظيل

**قال دمنه :-** (( زعموا أن ثعلبًا أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة ، وكلما هبّت الريح على قضبان تلك الشجرة ، حرّكتها فضربت الطبل ، فسُمع له صوت عظيم باهر ، فتوجّه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته . فلما أتاه وجده ضخماً فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم ، فعالجه حتى شقّه ، فلما رآه أجوف لا شيء فيه قال : لا أدري لعلّ أفضل الأشياء أجهرها صوتًا وأعظمها جثة .

**وإنّما ضربتُ لك هذا المثل ، لتعلمَ أن هذا الصوت الذي راعنا ، لو وصلنا إليه لوجدناه أيسرُ ممّا في أنفسنا.))<sup>(1)</sup>.**

..... وبعد ،،،

**فهذه الضجّة والجلبة التي أحدثها الشاعر محمد سعيد القشاط بكتاباتهِ وتحليلاته السياسيّة والعسكريّة ، وتطويعاته للنصوص والوقائع ، وأحكامه القاسيّة التي يطلقها تجاه رجالٍ صنعوا تاريخًا مجيدًا ، في مواجهة آلة حرب جهنميّة ظالمة لا تفرّق بين أعزلٍ ومسلّح ، وسط دوائر النار والبارود ، والموت ، والجوع والنفي والاعتقال .**

**فإن ما حوته هذه الكتابات من مغالطات تاريخية من السهل تفنيدها وبيان عدم صحتها .**

---

1 - بيديا ، كليلة ودمنة ، نقله من الفهلوية إلى العربية عبدالله بن المقفع ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ص119



ونحن نصل إلى خاتمة دراستنا لمنهج وأسلوب الشاعر الشعبي محمد سعيد القشاط في الكتابة التاريخية ، والثابت في مواقفه ، والمتغير منها ، فإننا نخلص إلى جملة من النتائج النقدية المرتبطة بهذه الشخصية المتقلبة في أحكامها ومواقفها والتي تعتمد أسلوب الكتابة القائم على العاطفة ، والانفعالات الشخصية ، والقبلية وعدم الحيادية في الطرح ، والإصرار على أن يقف موقف الخصم والقاضي ، تجاه وقائع وأشخاص تاريخية من الماضي دون أن يمتلك الأدلة الوافية ، أو المطالعة الشاملة للحدث وفق ظروف وقوعه ، فيصدر أحكامه جزافاً متهمًا بالخيانة من ضحواً بأنفسهم ، وأبنائهم وأموالهم في سبيل هذا الوطن ، ويورد حكايات وروايات ويثير الحساسيات والتعصب والكرهية في مجتمع ما تزال القبيلة هي النموذج الاجتماعي السائد الذي يحكم سلوك وتصرفات أبنائه فيما بينهم ، كما أنه غير أمين في نقله للنصوص من مصادرها ، فتراه يغير النص ، ويطوّعه حسب رغباته وغاياته ، سواء بالحذف أو الإضافة ، أو ربط جمل منه متباعدة ليشكل منها معنى مخالفًا للنص الأصلي.

أما من حيث مضمون المادة ، فالقشاط لا يقدم مادة علمية تعتمد المنهج العلمي والحقائق ، ولكنه يقدم المروي والمحكي على السنة العامة ، والتي تختلط بخيالات وصور ، تزداد وتتلون بأشكال وألوان جديدة ، وفي كل مرة يتضح مدى الخيال وتنقص مساحة الحقيقة ، كما أن القشاط لا يراجع كتاباته ، فتأتي بالكثير من المتناقضات ، وهذا يدل على عدم الاطلاع والمراجعة ، كما تعوزه الفطنة والمقدرة على تحليل الكلمات والمعاني ، وقراءة ما بين السطور التي ينبغي أن تتوقف في الباحث ، فيورد بتباهي وفخر الكثير من الوثائق ، خاصة تلك التي تتعلق بقبيلته (( الصيعان )) ، وفيها تعريض بمواقف وأوضاع تسيء إليهم .

ونستخلص من تحليل كتابات القشاط ومواقفه ، أن القشاط تتجسد فيه مزيج من نزعات سلبية لنماذج من شعراء عبروا التاريخ ، وهم يصارعون أقدارهم في الحياة ففيه - مع بعده عنهم بُعد المشرقين - : نزعة المتنبّي الطموحة لامتلاك وجاهة أو سلطة ما ، وحنق ابن الرومي على الدنيا التي لم تستقبله استقبالاً يليق به كعلم مفرد فيها ، وهجاء الحطيئة لكل شيء بما في ذلك ذاته وناسه ، وتهتك أبي نواس في شعره ، وتزلف شعراء البلاط ووجود هذه النزعات على اختلافها ، وتصارعها في شخص واحد ، قدراته المعرفية محدودة وفي حيز زمني ومكاني محدود ، تشكل عاملاً مهماً في عدم ثبات مواقفه وكتاباته

تجاه كل شيء ، وتؤكد في ذات الوقت عدم قدرته وأهليته للخوض في مثل هذه المواضيع التي تمسّ وجدان وحياة المجتمع ، والتي تتطلب قدرًا عاليًا من الانضباط السلوكي والمعرفي فيها ، لأن آثار كتاباته كلها تصبّ في الاتجاه السلبي الذي يؤثر على وحدة المجتمع واستقراره ، سواء في المدى القريب أو البعيد وينبغي عليه أن يتوقف عن الكتابة على مثل هذا النحو ، لأن كل شرائح المجتمع ترى في منهجه وأسلوبه [ القائم على التخوين ، والحطّ من أدوار أفراد وقبائله عن فترة زمنية في الماضي ، تحت حجة البحث العلمي] تهجماً غير مبرّر ، لأنه في حقيقة الحال حتى وإن لم يخطئ أحد ، أو يضعف ، أو يركن ، أو يهادن في مرحلة الجهاد ، فإن مجريات الأمور ما كانت لتتغيّر ، أو توقف اندفاع العدو الغازي لاحتلال ليبيا التي جاءت ضمن موجة شاملة لحركة قوى الاستعمار ، وكان لا بد لها من أن تأخذ مداها الزمني والجغرافي ، وهذه الموجة كانت مدججة بالسلاح والمعرفة ضد الآخر الذي لا يمتلك للمواجهة إلا العزيمة والشجاعة.

**وبشكل عام نتفق مع د . مصطفى هويدي في نقده لمنهج القشاط في الكتابة التاريخية حين يورد عدداً من الأسباب التي يرى أنها محلّ اختلاف له مع القشاط وهي :-**

- 1- في الأخذ بالرواية الشفوية المفردة التي أرى ضرورة الإجماع فيها .
- 2- في عدم التوثيق للحدث أو وجهة النظر مصدريا أو مرجعيا أو توثيقيا .
- 3- في تناول الحديث والكتابة بصورة التعميم .
- 4- في عدم الدفع بالأسباب المقنعة والمحججة للأحكام التي يطلقها .
- 5- في الأسلوب الكتابي الشعبي العامي .
- 6- في تناقض الأفكار في الكتاب الواحد أو في كتاباته المختلفة .
- 7- وفي الخروج عن عنوان الدراسة أو الفكرة في حد ذاتها زمنيا ومكانيا ((<sup>1</sup>)).

**وقد تشكلت ، واتضحت معالم المنهج الذي يتبعه الشاعر القشاط في الكتابة في التاريخ ، حيث تبرز الملامح الرئيسية للأسلوب على النحو التالي :-**

---

1 - مصطفى هويدي ، تقديم كتاب :المجاهدون المنسيون ، أحمد كريم ، ص 8 .

- 1- التركيز على البعد القبلي ، ومحاولة رسم دور رئيسي لقبيلته ، بوضع روايات مفتعلة عن دور بعض مشايخها ، كقيادات وزعامات من الصف الأول في معارك الجهاد الليبي ، كمدخل لموضوعه الأساسي بالتهجّم على القيادات والزعامات والقبائل الليبية المجاهدة .
- 2- اتباع أسلوب التهجّم ، والتخوين ، والتخاذل على القبائل والزعامات التي كان لها دور رئيسي في مرحلة الجهاد في المنطقة ، ومحاولة النيل من مركزهم وجهادهم ، والتركيز بشكل انتقائي مبتور على عبارات ، وأحداث لصياغة موقف أو إصدار حكم قطعي للإساءة إليها .
- 3- استخدام الكتابة في اتجاه يفتح باباً للفتنة بين أبناء المجتمع الليبي ، وهم في أمسّ الحاجة إلى تناسي جراحات وآلام الماضي ، من أجل تعزيز وتقوية روابط اللحمة الوطنية ، في مواجهة كافة الأخطار التي تتربّص بهم من الداخل والخارج.
- 4- إثارة النعرات القبليّة ، ومحاولة إحياء الفتن بين مختلف القبائل ، بسرد حكايات مختلفة تسيء إليهم على المستوى الاجتماعي أو الجهادي .
- 5- حشو المادة التاريخية بروايات وأحداث لا داعي لطرحها وذكرها ، لانعدام العلاقة السببيّة بينها وبين المضمون .
- 6- تفسير الأحداث من منظور أحادي ضيق الأفق ، بما يتماشى والغاية التي يرمي الوصول إليها.

**إن خطورة هذا الاتجاه في الكتابة التاريخية التي لم تُعرَف إلا في العقدين الأخيرين وخاصة المنهج الذي يتبعه القشاط في أنه يشكل عامل تفتيت ، وفرقة وضعف في العناصر المكوّنة للمجتمع ، ويصبّ في المحصلة التي بدأت تتشكّل صورتها ببروز المشاحنات والحساسيات بين الأفراد والقبائل ، والتي لم تكن موجودة بمثل هذه الحدة ، ممّا يؤشّر إلى إمكانية ظهور وضع اجتماعي في المستقبل مهلهل ، ضعيف ، متناحر ، متباعد ، متعدّد الولاءات ، أمام قوى خارجية شرسة تريد أن تهيمن وتسيطر عليه ، وتستحوذ على امكاناته المتوفرة حالياً والتي قد تزداد أهميتها في المستقبل كالطاقة الشمسية ، لتضمن استمرار حياة شعوبها على حساب الشعوب الأخرى ، فحوادث التاريخ تشير إلى أن دورة الاستعمار تتكرّر باستمرار كلما توفرت شروطها ، وتتم بدوافع اقتصادية في الغالب**

نتيجة لضغوط تزايد السكان وقلة الموارد ، أو لتأمين موارد تحتاجها لاستمرارية تطورها وتأمين حياة الرفاهية لشعبها ، كما يحدث الآن من تنافس شرس بين الدول للسيطرة على موارد الطاقة في العالم ، وهو ما يعني إعادة الهيمنة من جديد وإن كانت بأشكال مختلفة ، ويكفي أن نشير هنا أن إيطاليا عندما غزت ليبيا كانت تحت ضغط انفجار سكاني بلغ (50) مليون نسمة ، وتناقص في الامكانيات الاقتصادية في حين كان سكان ليبيا لايتجاوز (مليون) نسمة مع وجود أرض بكر غير مستغلة .

**وعودة الاستعمار تكون بلا شك سهلة عندما تكون في مواجهة مجتمع ضعيف تسوده الصراعات والخلافات ، وتتعدّد فيه الولاءات ، فتراهم جميعاً وقلوبهم شتى ، وهذا الوضع تتشكل وتتهيا أرضيته عبر فترة من الزمن تبدأ بكلمة وتنتهي بكلمة قاضية ، عندما يقوم فرد أو فئة بعمل متعمّد ، أو دون قصد ، أو معرفة ، أو تقدير لآثاره السلبية على المجتمع في المستقبل ، بمسّ جوانب حساسة في نسيج المجتمع مما يؤدي إلى انتشار الحساسيّة والخلافات ، والتي من السهل أن تنتشر بعد ذلك كالمرض ، فيوهن المجتمع ، وتضعف قدرته ومناعته ، ويصبح سهل المنال ، فهل سيكون القشاط (( سعيداً )) إذا وصل المجتمع الليبي نتيجة مهارته إلى هذه المرحلة من الوهن ، والكراهية ، والشقاق بين أفراد وقبائله ومناطقه بعد أن كان متراحماً مترابطاً متناسياً آلام الماضي ، ففي ما مضى من الأيام دفعت امرأة جاهليّة قومها للفناء بسبب ناقة ، فقيل : أشأم من البسوس ، فهل يريد القشاط أن يقول الأحفاد ذات يوم في زمن قادم : أشأم من القشاط .؟!!!**

**لذلك وفي هذا المقام ومن منطلق الحرص على وحدة المجتمع ، ندعو مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية الذي أنشأه المجتمع خصيصاً لتوثيق تاريخ هذه المرحلة الهامة ، أن يقوم بدوره الذي أناطه به المجتمع في مواجهة مثل هذه الكتابات من واقع الوثائق والمصادر المتوفرة لديه .**

**كما ندعو الجميع إلى تعاهد جماعي ، على مستوى كافة شرائح المجتمع ومكوناته يكون على شكل التزام أخلاقي عند تناول تلك المرحلة ، بعدم الانحراف في تنصيب أنفسنا قضاة فلا نجرّم ، ولا نخون أحداً من جيل التضحية والمعاناة وأن يراعى عند تناول هذه المرحلة النظر بشموليّة لجميع العوامل التي ساهمت أو صنعت تلك الأحداث ، وعدم اطلاق التهم بالخيانة أو النكوص ، أو ما شابه ذلك على أي مجاهد ، أو زعيم ، أو قبيلة ، أو منطقة ، فما عاناه الليبيون جميعهم آنذاك**

من قتل وتدمير، وبث للفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، وفق سياسة مدروسة اعتمدها المستعمر الإيطالي منهجاً نفذه بإحكام يفوق الوصف ما تزال أثاره باقية حتى الآن ، ولذلك لا يجوز للبعض مآ أن يظلّ يسلم هذه النظرة الضيقة تجاه تلك الأحداث من واقع منظور اليوم ، ويظلّ يسبّ ويلعن ويتهجم على هذا وذاك ، في تعبير واضح عن فشله في القدرة على التعايش ، والمساهمة مع الآخرين في بناء حاضر ومستقبل هذا المجتمع ، ويعيد بكتاباته الطفولية ونظرته القاصرة ، تهيئة الظروف لنجاح الغازي مرة ثانية في استعمارنا .

ولذلك ينبغي أن نكون أكثر حكمة ، وتفهم في دراسة وتحليل تلك المرحلة لنستفيد من تلك التجربة الغنية بمشاهدها ، لزيادة تماسك اللحمة الوطنية في مواجهة كافة المخاطر، واضعين نصب أعيننا قول الله تعالى في محكم آياته :- (( تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون (140) سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (141) ))<sup>(1)</sup>.

وختاماً ونحن نطوي آخر صفحة من هذا الكتاب نوّكد ونقول ،،

ومع كل ذلك فإن الجميع يحفظ للشاعر محمد سعيد القشاط قدره وقيّمته مهما خالفهم فيما يدّعيه ، أو ينشره ، فلا يرفعونه مداهنة ، ولا يحطّونه احتقاراً ولكن ينزلونه منزلته : شاعراً معروفاً على امتداد هذا الوطن ، ولكنه أبداً لن يكون في مرتبة المؤرّخ ، والباحث ، فذلك فن وعلم نتركه للمتخصصين فيه الذين يملكون أدواته وأهمها : النزاهة العلميّة ، والموضوعيّة ، والحياديّة ، والثقافة العميقة التي تمكّن المؤرّخ من تحليل الوقائع ، واستنباط النتائج الصحيحة ، وهذه الخصائص بمجملها ، أو على حدة لا تتوفر في كتابات القشاط وتحليلاته ، وقد قيل في الأمثال والحكم : - رحم الله رجلاً عرف قدر نفسه فنزل دونها .

1 - سورة البقرة ، الأيتان 140-141.





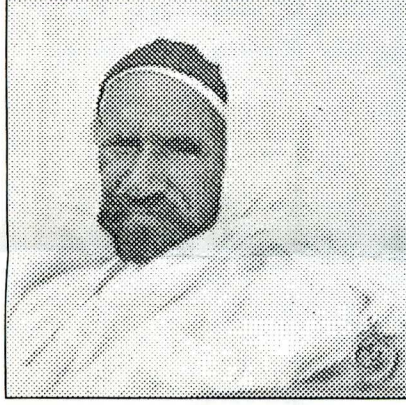
## الملاحق

تضم (23) وثيقة منها (20) وثيقة تنشر لأول مرة

الوثائق مرتبة حسب التسلسل الزمني لها



## نبذة عن الحاج محمد خليفة فكيني



\* - ولد في بلدة تاردية بقبيلة الرجبان في 4 شوال عام 1276هـ ، وتلقى تعليمه الأول بكتاتيب الرجبان ، وزاوية الرجبان وتعلم اللغة التركية " لغة الدواوين " .

\* - درس على شيوخ عاملين أجلاء أمثال : الشيخ أبو القاسم محمد العيساوي والشيخ ابن منيع ، والشيخ ابن مصطفى ، والشيخ محمد بن عثمان الحضيري وغيرهم .

### \* - تولى الوظائف التالية :-

- انخرط في سلك الإدارة العثمانية في شوال 1297هـ في وظيفة باش كاتب متصرف لواء الجبل .
- أمين صندوق مال قضاء فساطو سنة 1300هـ .
- مدير مال بقضاء غدامس سنة 1304هـ .
- مدير مال فساطو سنة 1308هـ .
- مدير عام الطابو بلواء الجبل سنة 1326هـ .
- قائم مقام قضاء نالوت سنة 1328هـ .
- قائم مقام قضاء فساطو سنة 1332هـ .
- متصرف لواء الجبل 1915-1916 .
- مفتش عمومي للقسم الغربي من ولاية طرابلس سنة 1335هـ (1917) .
- متصرف لواء فزان سنة 1335هـ (1917) .

- عضو مجلس شورى الجمهورية الطرابلسية عام 1918 .
- عضو مجلس حكومة قطر طرابلس 1919-1920 .
- عضو هيئة مؤتمر غريان .
- عضو في مفاوضات الصلح في العزيزية وسواني بن آدم وفندق الشريف وفندق بن غشير .
- وكيل رئيس هيئة الإصلاح المركزية 1921 .

**\*- الأوسمة :-**

- نال وسام الامتياز سنة 1320هـ .
- نال وسام الشجاعة سنة 1322هـ عندما قاد فرقة من العساكر ، وهزم حملة من المجندين بقيادة فرنسية في معركة سانية الرجل قرب سيناون .

**\*- عايش الحاج محمد فكيني كامل مرحلة الجهاد ضد الإيطاليين من بداية الغزو 1911 وحتى 1930 ، وشارك في معارك : الهاني وعين زاره وسيدي المصري ، وقاد المجاهدين في القسم الغربي من طرابلس ضد زحف غراسياني في معارك الوطنية وسواني الكردي والوخيم والجوش والسلامات ، واستشهد في هذه المعارك ولداه : حسن فهمي عام 1920 ، حسين فهمي في معركة الوخيم عام 1922 ، كما شارك بعد ذلك في معارك زمزم والمويلحات وعلاق ووادي التلث وأوال والعصمة ، وقد أجبر وإخوانه المجاهدون على الانسحاب ودخول الأراضي الجزائرية تحت قصف طائرات القوات الإيطالية في معركة تارات على الحدود مع الجزائر يوم 1930/2/15 .**

**\*- كان الحاج محمد فكيني على قدر كبير من الذكاء والمعرفة والثقافة ، وقد شهد له الأعداء والأصدقاء بالمقدرة والشجاعة والثبات ، وأيده وزكاه على استقامته وإخلاصه وصدقه المجاهد الفذ ، والرجل الصالح السيد محمد بن عبدالله البوسيفي قائد وشهيد معركة القارة في وادي الشاطئ بفزان قرب قرية محروقة كما شهد له أيضا الولي الصالح الشيخ عبدالله بن فضل العجيلي الذي استشهد منفياً في جزيرة سردينيا في إيطاليا .**

**\*- أدرسته المنية في دار الهجرة في مدينة قابس مساء يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الأولى 1369هـ الموافق 28 مارس 1950م عن عمر ناهز الثلاثة والتسعين عاماً ، ودفن بجوار الصحابي الجليل سيدي أبي لبابة الأنصاري رضي الله عنه .**

\*- رثاه العديد من الشعراء الليبيين والعرب ، ومن بينهم :- رفيقه في الجهاد  
والهجرة الفقيه الفاضل والعالم الشيخ محمد النعاس الفهري الورفلي شيخ زاوية  
سيدي سعد في زغوان فقال مرثيته التي نظمها بمناسبة مرور عام على وفاة  
الحاج محمد فكيني نورد منها هذه الأبيات :-

مجاهد صادق بيض أيديه وجيرة الصحب من أعلى أمانيه أن مات في هجرة زانت مساعيه في المكرمات ولكن من يضاهيه مقاوم الظلم والعدوان يرديه قاد الجيوش دفاعا عن مغانيه من ذا يفاخره أو من يدانيه بسنة المصطفى الهادي وأهليه هذا الفكيني الذي كالبحر ماضيه خضر مرابعه ، حمر مواضيه	أبا لبابة هذا في كفالتكم قد كان يأمل نوما في رحابكم فحقق الله ما يرجو وتم له لله درك من شهيم غدا مثلا برّ أمين نزيه ، مخلص بطل ليث الوغى فارس الهيجاء في وطن فاهناً بقرب صحابي سما شرقاً فأنت في زمرة الأبرار منتظم هذا الزعيم الذي كالشمس مطلعته بييض صنائعه ، سود وقائعه
---	---

وكذلك الشاعر المصري الكبير أحمد خيرى باشا الذي زار ضريح المجاهد محمد  
فكيني في مدينة قابس عام 1958 ونظم قصيدة قال فيها :-

على سمعي وفاخر بالنضال فأمسوا يحرزون على الكمال يحرزون المفاخر والمعالي وتونس والجزائر بالظلال غواقها تعاقب بالتوالي بقابس فيه أضواء الجلال تحلى بالحميد من الخلال ذوو المجد الغني عن السؤال ويدينه الكفاح بلا ملال وكم للكرّ عشاق عجال	أعد ذكر المعامع والنزال رعى الرحمن أبطالاً تعتوا وضمخ أعظماً كانت كماء وأكرم ربنا شهداء ليبيا وأنزل رحمة من معصرات على رمس به يثوى فكيني نبيل في مآثره عريق وتقفه أساتذة كرام فعاش حياته حرّاً وفيّاً له ولدان في الميدان قتلى
--	---

\*\*\*\*

أمر ولائي بوضع إكرامية  
لمن يقبض على الحاج محمد فكيني

BOLLE TINO UFFICIALE DELLA TRIPOLITANIA  
TAGLIA SULLA PERSONA DEL  
HAG MOHAMED FGHENI BEN HALIFA BEN ABDALLAH

نحن  
الحامل لوسام الدولة الأعظم  
( ( المشير جواني أميليو ) )  
والي القطر الطرابلسي

نظرا للمناسبة السياسية في وضع إكرامية خصوصية على الشخص المتمرد الأهلي  
الحاج محمد فكيني بن خليفة بن عبدالله ووفاية بنت أحمد المتولد بتاردية من ناحية الرجبان .

وبعد الإطلاع على الأمر الملوكي المؤرخ / 14 مايو سنة 1915 عدد 777 وعلى  
المادة 8 و9 من الأمر الملوكي المؤرخ / 9 يناير سنة 1913 عدد 39 وبعد الإطلاع على المادة  
251 من القانون الجزائري العسكري

وعلى أمر الولاية المؤرخ / 15 مايو سنة 1915

نأمر بما يأتي

قد وضعت إكرامية قدرها عشرة آلاف فرنك على شخص الحاج محمد فكيني بن خليفة  
بن عبدالله التارديتي الرجباني ، وسيصير دفع المبلغ المذكور مكافأة لأولئك الذين يتوقفون في  
القبض على الشخص المذكور الحاج محمد فكيني أو في قتله .

طرابلس في / 11 سبتمبر 1916

والي الولاية : أميليو

رسالة الجنرال بانتانو إلى قادة المجاهدين عام 1919

من جنزور / 26 فبراير 1919

COMANDO DELLE TRUPPE DELLA TRIPOLITANIA IL GENERALE

إلى المحترمين الأفاضل :  
رمضان بك الشتوي وأحمد بك المريض وسليمان بك الباروني ومختار بك كعبار وعبد النبي  
بك بالخير والهادي بك كعبار والحاج محمد بك فكيكي وعلي بك بن تنتوش

دام مجددهم آمين

بعد إهداء السلام عليكم أعلمكم أن حضرة الجنرال تارديتي رئيس دائرة السياسة  
العسكرية كان أرسل لكم مكتوبا وذكر فيه تقريبا ما هو مذكور أدناه :

الحكومة الإيطالية بيدها سلاحها وجيشها حاضر ، وتعلم أنكم أنتم كذلك حاضران ولكم قبل  
انصباب الطرفين في المعارك رأت واجبا عليها وعليكم حل كل شيء لكي لا تسفك الدماء ثانيا  
وأنا أظن في الإمكان فهم المشاكل بحضور الطرفين والمكالمة تفصيلا وبكامل الحرية ، ولأجل  
هذا فأنا أسألكم الاجتماع ، وأظن أن رجالا مثلكم عقلاء ومدربين لا يمتنعون عن هذا ، ولا أظن  
أنكم تحملون وجدانكم سفك الدماء المأمول .

وإنني منتظر إشعاراتكم أين وكيف ومتى تكون الملاقاة ... هذا قد كتبه لكم الجنرال  
تارديتي ، وأنا أعيد لكم ثانيا على لسان الجنرال تارديتي ، بإرسال مكتوب لكل واحد منكم  
لأن مكتوبا واحدا محتمل ضياعه وأيضا يضيع وقت كثير في قراءته من طرف كل واحد منكم .  
وأعرض على جميعكم سلامي واحترامي .... والجواب يكون إلى الجنرال تارديتي بطرابلس .

الجنرال : بانتانو LE GENERALA : PANTANO

\*- من وثائق الحاج محمد فكيكي ، سبق نشر صورة من نفس الرسالة في كتاب الجمهورية الطرابلسية للدكتور  
مصطفى هويدي .



الوثيقة رقم (3)

مضبطة الصيعان الموجهة إلى  
الحاج محمد خليفة فكياني  
بتجديد الطاعة والمبايعة لقيادته

10 جمادي الثاني 1338  
(1920/2/29)

حضور جناب ذوي المكارم أعضاء حكومة القطر الطرابلسي  
الحاج محمد فكياني وعلي بك الشنطة دام حفظهما أمين

بعد مزيد السلام عليكم ورحمته تعالى وأزكى تحياته والسؤال عن حالكم (غير مقروءة) وبعد فقد بلغنا وتشرفنا بجوابكم المؤرخ 12 جمادي أول سنة 1338 ، قولكم أن خليفة بك بن عسكر جعل اعلانات وبعثها لبعض محلات وكما لا يخفاكم معاملته السابقة معنا والفتنة التي وقعت بيننا وبينه وهي من جانب الغنائم التي أخذناها وهو أكلها منا فمن ذلك الوقت منقطعة العلاقة بيننا في جميع الأمور ولو أنه كاتبنا لا تظنوا يغرنا قوله ولا نعتبروا أحواله . وتعلموا أن عمومنا منسرة وممنونة بما جعلتم من تلك المصالح الذي حصلت وقولكم مناصحته هذا تعلموه لا ينظر قولنا ولا يمتثله ، ونحن مثلنا مثل عموم اسلام الولاية وقلدناكم أمورنا حيث جعلكم الله لتوفيق مصالحنا ولازلنا ندعو لكم بدوام العز وطول العمر والتوفيق في جميع أموركم والسلام .

10 جمادي الثاني سنة 1338

أعيان	أعيان	أعيان	أعيان
ضو الرقيق	لطيف الحطاب	محمد أبوطيب	المبروك الغدي

مدير ناحية الصيعان  
نصر بن الحاج

توقيع  
قائم مقام الجوش  
إبراهيم أبو الأحباس



نص  
المضبطة ولائحة المطالب  
التي أشار إليها غراسياني  
في رسالته إلى الحاج محمد فكيني في (الوثيقة رقم 11 بالملحق )

إلى حضرة دولة والي الولاية الطرابلسية  
بعد السؤال عن حضرتكم وضمنا (ربطاً) جواباً لأوامركم أما الأمر المشترك ، فإن المشتركين  
معي بعدوا لسكناهم بعيدين المسافة ولزومهم الحياد عن هاذه الاصلاحات الواقعة في الجبل وقد  
أن الوقت لمخابرة دولتكم وطلبنا منكم تبعيد أصحاب الفساد ، وهما سليمان الباروني وخليفة  
بن عسكر ، وانظروا تاريخ أعمالهم ، وإجراء مجازاتهم بما فعلوه فعندها يصير بث الراحة  
العمومية بالجبل . وأملنا إجراء ما هو مطلوباً باللائحة المتقدمة بواسطة المحترم الشيخ أحمد  
بك الفساطوي والسنيور أنطونيو سبريشه . ومنى فائق الاحترام لسمو دولتكم .  
في جمادى الأولى سنة 1340 هـ 30 ديسمبر 1921 م

محمد فكيني

ملاحظة:

ربطاً لائحة المطالب المقدمة لسيادتكم .

1- وبعد لا يخفى أن هذه الفتن الواقعة بالجبل هي أسبابها سليمان الباروني وحزبه من أولها الخ

2- ونحن مع حزب الحكومة الحر أردنا المحافظة على القانون الأساسي ، ولما فعل خليفة بن عسكر مع الماجور ، أمرت الحكومة بزجره على ما فعلوه حتى خربوا بلداننا وقتلوا أولادنا ونهبوا أموالنا ، بعاونهم حزب الكولونيل مازيتي ومن معه .

3- والخ الوقوعات حتى الآن أفضت الأمور وأتضحت على أكاذيب سليمان الباروني وحزبه وخراب أوطانهم بأسباب ما فعلوه وما أضمره لفساد القانون الأساسي وخراب أوطان الجبل وعموم القارة

4- وحيث كان الأمر كذلك ، فالجبال والقبلة ولواء فزان كلهم يدا واحدة ونفوذهم لقومنا وحزبنا الحر ، وقصدنا عمران هذا القطر . ولنا الأمل الوطيد بمساعدة الحكومة لأجل عمران البلاد وبيت الراحة والأمن حتى تتسهل منافع الأهالي والحكومة بالخدمات الأرضية والمعادن والطرق المفيدة للمنافع العمومية ، وذلك بطرد سليمان الباروني وخليفة بن عسكر وتبعيدهم والحكم عليهم بما فعلوه من الفساد أولا وآخرًا .

5- وأيضا على شرط مساعدة الحكومة لنا بإعطائنا الامتيازات التي كان يؤملها وقررها سليمان الباروني مع الحكومة أولا ، ثم إذا هي المقررات المطلوبة من حزب غريان المركزي وسمحت الولاية بإعطائنا الأمر لترتيب منصب أمير مسلما فنحن ممنونين به ، أما أن يكن السيد إدريس أو بانتخاب عموم الولاية لغيره فهذه مصلحة عمومية تصير بها راحة البلاد العمومية.

6- وإن لم تسمح الحكومة فنحن قطر الجبل بعد هذه المكابدات ، لاشك أن الحكومة فهمت غيرتنا الوطنية ولاشك أنها يلزمها أن تعلم أن القبلة وفزان تحت نفوذنا ، فأملنا إعطائنا امتيازات مخصوصة وهي ما قررتها لسليمان الباروني وسمحت له بها وما يكون صلاحا لوطننا ومناسبا لديانتنا بصلاحيه التامة ؛ ومساحة هذه الأراضي وصلاحيه أراضيها وسكانها أراضيها فهي زيادة عن نصف معمورة هذه القطعة الطرابلسية .

7- بحيث تكون لنا وسعة عالية بعموم المأمورين : من متصرف إلى النهاية والعسكرية الأهلية بالترتيبات الحسنة الموافقة للقانون الأساسي .

- فهذه الأبناد السبعة نطلب أن يفهمها حضرة الوالي ويساعد في إجرائها إذا يراه مناسبا وبعده لها فروع تصير المذاكره في بيانهم وفي ضمن البيان حرر هذه .

1 جمادى الأولى سنة 1340

(الموافق 30 ديسمبر نة 1921م)

النص الأصلي للوثيقة رقم (4)

الحق في ذلك والولاية الطرابلس  
بعد السؤال عن مقتضى وخلافه جواباً لا وأمره اعالا الماشرد جان المشركين معي  
بعدوا كفاً مع محمودة اصيلتم وازدوم العباد عن كفاة الاصلاحات الواضحة بما يجيد  
معدان الوقت لمخابة روكتم وطلبتنا عنكم تبعد اصحاب البساد من هذا السليمان  
الباروني وخليفه عيسى وناظر وناظر تاريخ اعمالهم واجزى مجازاتهم بما جعلوا بعضهم  
بش الواضحة المحرم باليد واعلنا اجز ما هو مطلوبنا بالائتحة المشفوعة بواسطه الشيخ  
الشيخ احمد بن البيهقي والسنيور افطوبيا سريش رضى فانفع الاحترام لسمو  
دعوتكم  
احمد الله  
١٩١١

ويعمل في امانه هذه الصفة الواقعة بالجبل صلبا بلهيبا لسان البارون اوريان

١) مع حزب الحكومة الحراردا المحافظين... (تصحيح مع المجلد امرت الحكومة بوجوه...)

٢) عيانتهم حزب... (تصحيح مع حزب الحكومة...)

٣) والخ الوفوعات حتى الان اجفت الامور... (تصحيح على الكاذب لسان البارون و حزبه...)

٤) وميث كما الامور في الخيال والفيد... (تصحيح في كذا...)

٥) امن عمران البلاد... (تصحيح في كذا...)

٦) المكنزي وسحت الورثة... (تصحيح في كذا...)

٧) وانما تسع الحكومة... (تصحيح في كذا...)

٨) فاملنا اعطاء امتيازات... (تصحيح في كذا...)

بجيشنا نكولنا وسمكنا كايه نجهن انا مودر... من قلوبنا اننا نرايه والعسكريه الا اهل بيته بالترتيب...  
الحواشي للقانون الاساسي  
جهازه الا بناد السبعه فطلب ابا براهيم مفضه الولد مريبا عدي اجرا برب اول  
براه عند سبله رجوعها مروج نيرا نرايه بجا بيانهم ربح في البيان حرد صاده  
الحاج محمد باقر

\*- ملحق : ب / 15 من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

رسالة غراسياتاني (الأولى) إلى الحاج محمد فكيني

GOVERNO  
DELL TRIPOLTANIA

حضرة جناب محمد بك فكيني رياس الرجبان والزنتان

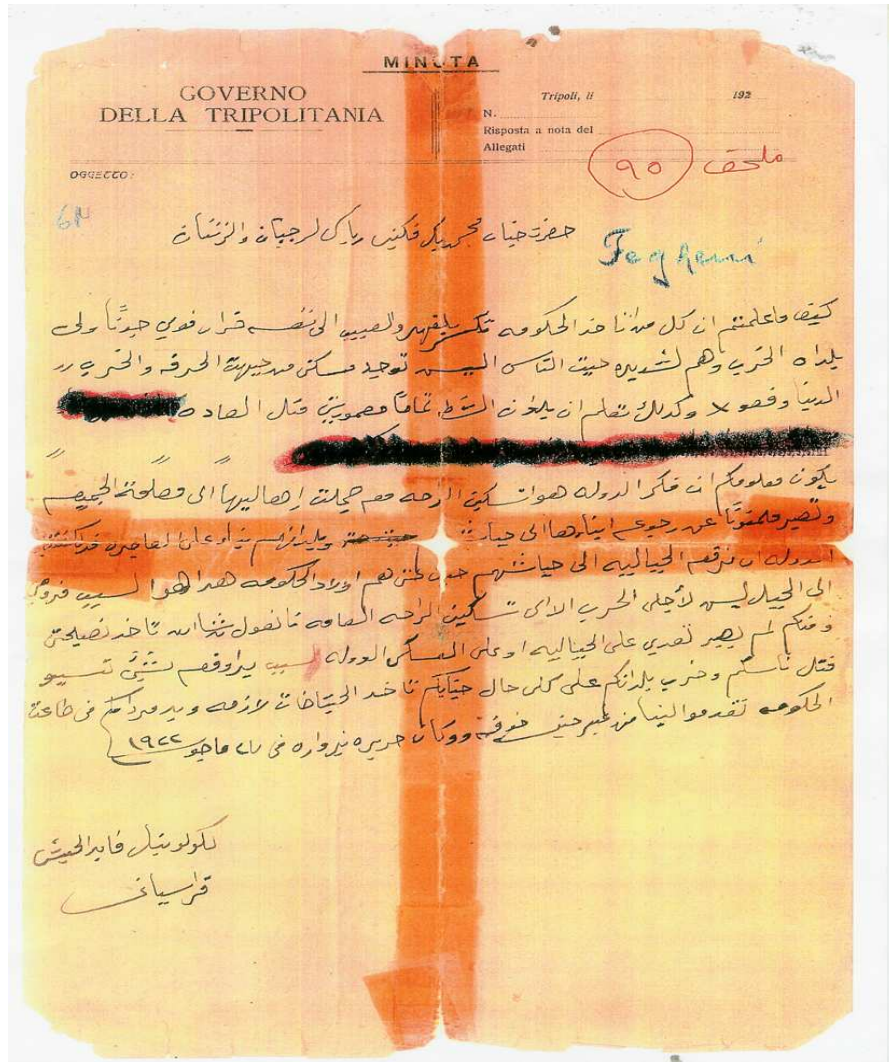
كيف ما علمتم أن كل من أتى ضد الحكومة تكسر بالقهر وتسبب إلى نفسه ضرار قوي جدا ولى بلده الخراب وهم الشديد حيث الناس ليس توجد مساكن من جبهة الحرق والخراب الذيننا وقعوا وكذلك تعلم أن بلدان الشط تماما معمورين مثل العادة .

يكون معلومكم أن فكر الدولة هو لتسكين بالراحة مع جملة أهاليها إلى مصلحة الجميع وتصير ممنونة عن رجوع أبناءها إلى حياشهم وبلدانهم بناء على ( غير مقروءة ) قد كلفتني الدولة أن نرفع الجبالية إلى حياشهم حيث أنهم أولاد الحكومة هذا هو سبب قدومي إلى الجبل ليس لأجل الحرب ، إلا إلى تسكين الراحة العامة ، فانقول إن شاء الله تأخذ نصيحتي ومنكم لم يصير تعدي على الجبالية أو على عسكر الدولة ، وسبب يذا وقع شئ تسببوا قتل ناسكم وخراب بلدانكم ، على كل حال جنابكم تأخذ الحياطات لازمة ، ويذا مرادكم في طاعة الحكومة تقدموا ليننا من غير ( غير مقروءة ) خوف وكان تحريره في زواره في / 27 مايو / 1922

كولونيل قائد الجيش  
غراسياتاني



النص الأصلي للوثيقة رقم (5)



\* - ملحق رقم (95) من أرشيف الحاج محمد فكني ، تنشر لأول مرة

\* - يلاحظ في هذه الرسالة وغيرها من الرسائل الموجهة من غراسياني إلى الحاج محمد فكني ضعفها الإنشائي وكثرة أخطائها اللغوية ، وبنائها اللغوي الذي يعتمد أساسا على اللهجة الدارجة فتكتب الكلمة كما تنطق بالعامية مما تسبب في ركاكة جملها وصعوبة فهم المعنى المقصود أحيانا في النص .

رسالة غراسياني الثانية إلى الحاج محمد فكيني

محمد بك فكيني رياس الرجبان والزنتان

نخبركم عن مسك خليفة بن عسكر بموجب أمر من دولة الوالي وعزله من وظيفة قائمقام نالوت ، كافة عياله وأخيه عمر كلهم تحت حفظ الحكومة .

الحكومة قد أمرت بمسك خليفة بن عسكر لسبب الدين ما يريد إلا الحرب في الجبل والحال أن فكر الدولة هو لأجل توصيل الجبالية إلى حياشهم ليس بصورة حربية أو لأجل ضرر ناسكم وهذا مسك خليفة يصحح ليكم جميع ما شعرت ليكم ، ويذا كان لم حبيت تفهم تبين إلينا ليكونكم فكركم ضدنا ، وإن شاء الله ربنا سبحانه وتعالى ينور فكركم على الصلاح وطريق الطيبة أنا لم نجعل شيئاً ضدكم أو ضد ناسكم يذا كان لم ريت منكم جنس تعدي على الجبالية أو على العسكر الذي معي ، ويذا كان نسمعا وجه بارود منكم نصير مجبور على براز سلاح المدهش وكافة الدماء التي يصيروا أنتم تكونوا السبب مع الله عزه وجل ومع عباده .

حرر بزواره في /29 ماجو / 1922

كولونيل قائد الجيش  
قراسياني

النص الأصلي للوثيقة رقم (6)

١١٢  
محمد بك فكيني راجع لرجباته والرتبانه  
ملحق (95) مكرر

تشرىكم عهد ملك خليفه بن عكر بلوجيه اقر من دولته الوالي وعزله من وظيفته  
فانضمامه بالونه كما كتبت عياله واخيه عكر كلسهم تحت حفظه الحكومه  
الكلوه فوافرت عكر خليفه من عكر لسبه الدين فايريد الاله بيليين والملك افضل  
الدوله نعم للاجل توصيل الجياليه الى حياتهم ليس بصوره حريه او تدبيره وناسك  
ولقد اسلك خليفه يصح ليكم جميعه الشكره ليكم ويزاكنه لم حبيبت لكم تيين اليه  
ليكونكم فكركم ضرنا ويشا الله لربنا صوابه ونقاه نبوه وكركم على اهداهم بطريق  
الطيبه اناسم فصل نشر فكركم اوضع اناسم يركانه لم ربيته منكم حشره تصدري  
على الجياليه او على الصكره لدين فصح ويندكانه نسهم وجه بارود منكم بصير مجبور  
على براره سلاح المدشره وكافته الدفاع لدين بصير وانتم تكونون عنه لسبه ص  
الله عزه وجله وصف عبادته حريه براره في الله حاجه

كولونيل فايد الجيس  
فراسياني

\* - ملحق رقم (95) مكرر من أرشيف الحاج محمد فكيني ، تنشر لأول مرة .

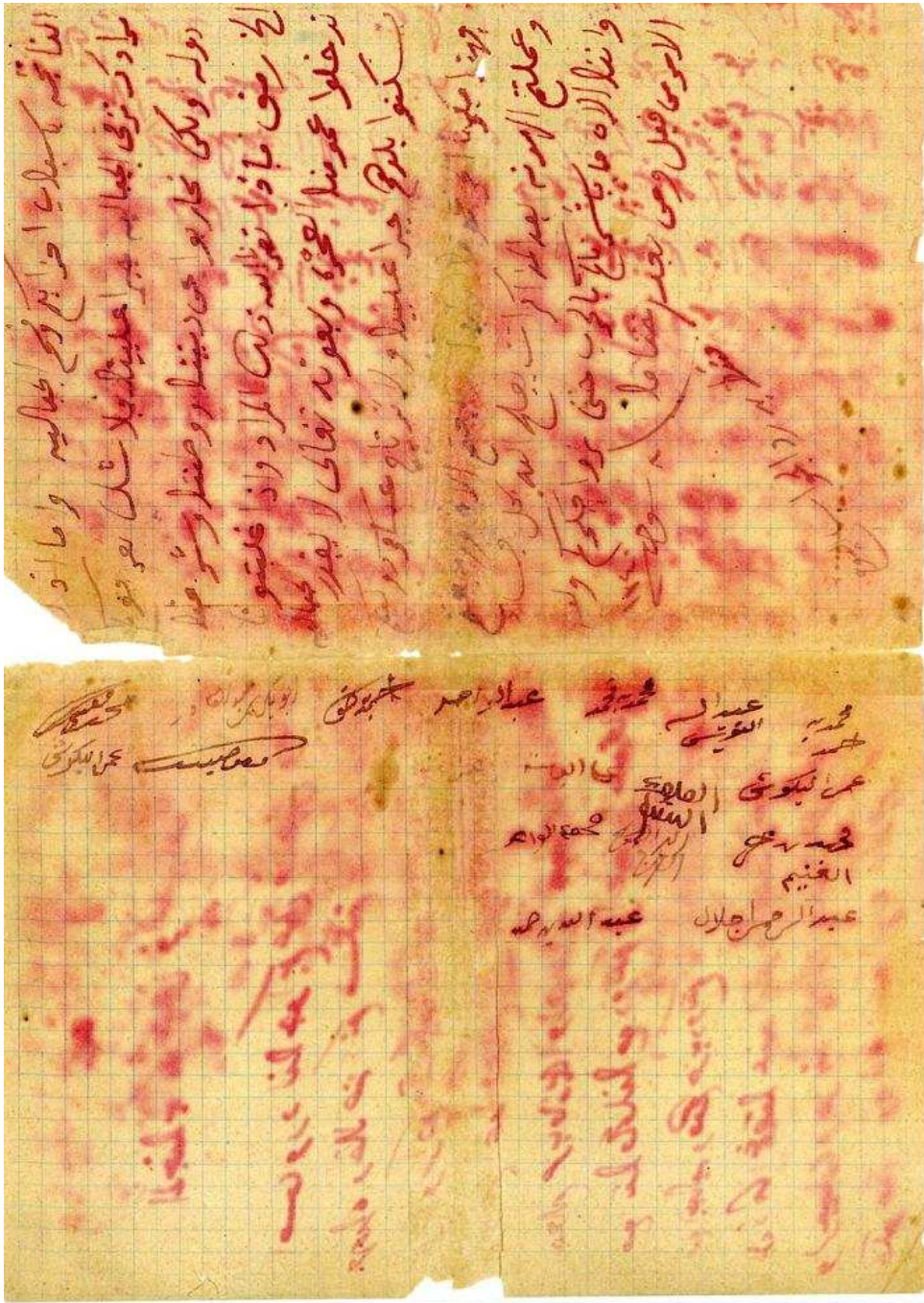
(رد المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني على رسالتي غراسياني)

إلى جناب الكونينلي غراسياني

أمس ورد لنا جوابكم على قطعيتين وما به فهمناه وخلصته أنكم مسكتم ابن عسكر الذي قصده الحرب ومرادكم تسكين الجبالية... الخ... تعلم أن الجبالية أولا هم أعداء دولتكم ثم بخيانة مازيتي والباروني جعلهم حزب مازيتي أولاد الدولة ، تعجبنا من هذه المعاملات مع أننا ما عملنا مع دولتكم إلا الطيبة . ثم عند محارباتنا مع الجبالية ومددهم حزب دولتكم بالسلاح والأموال والجبانة كل ذلك أغمضنا عنه النظر واتفقنا عموم الزنتان والرجبان وحزينا على عدم التعدي على مواقع الحكومة . ووقع هذا الحرب الأخير من دولة الوالي على مصراته حتى اجتمعت الأعيان والهيئة الغربية وطلبوا مطالب لا تضر الحكومة ، وبتعصب الجبالية ومن على فكرهم ازداد الحرب وتأخرت أهالي الجبل مدة لعلّ وعسى تصير الهدنة حتى بدتكم الآن بإخراج قوتكم لتسكين الجبالية بالجبر ، فعندنا بن عسكر أهون من فساطو وخربيشه لأنهم هو والباروني أهل فساد هذه الولاية أولا وأخرا إذا نظرتم التواريخ . وأمس نحن أخذنا كتابكم حتى تقدم قسم من جيشكم للحرب ، فبات رأي عمومنا على أنه لا نقبلوا الجبالية يرقو علينا بالقهر فإذا تريد السلم ترجع بهم إلى محلاتكم بزواره ونجعل هدنة دولة الوالي معنا ومع الهيئة الشرقية مجلس المريض بك ورفقائه ؛ لأننا اتفقنا عموم العريان على أن يكون السلم والحرب على قاعدة عمومية وعندما تصير الهدنة ننظر المذاكرات التي بها حقن الدماء وعماريت بلدان الولاية الخاربة الناتجة بأسباب أحزابكم وقسم الجبالية ، وأما إذا كان مرادك ترقى الجبالية جبرا علينا فلا شك نعرفوكم دولة ولكن نحاربوا عن ديننا ووطننا وشرفنا الخ رفق فإذا نصرنا الله ذلك المراد ، وإذا غلبتونا ندخلوا عمومنا الصحرة ، وبعونه تعالى لا يقدر الجبالية يسكنوا بلادهم جبرا علينا ولن ترتاح عساكر دولتكم ، فهذا فكرنا الحرّ عموما ، وإذا رجعتم الآن وعملتكم الهدنة بعد المذاكرات يصلح الله كل فساد ، وإننا الآن ما باشرناكم بالحرب حتى نروا فكركم ، والله الأمر من قبل ومن بعد منتظرين رد الجواب اليوم ختاماً / 8 شوال سنة 1340.

محمد بن محمد	عبد الواحد	أحمد بن ضو	أبوبكر بن عبدالقادر	محمد فكيني
علي أبوستة	محمد بن أحمد	عبدالله التوشي	عمر البكوش	
محمد بن عمر الغنيم	ابراهيم الفرج	محمد الواعر	العلوي الشنطة	
عبدالرحمن جلال	عبدالله بن حمد	عمر .....		





(هذه نسخة الرسالة الأصلية للرسالة المنشورة في كتاب غراسياني ، ويتضح وجود اختلاف كبير في صياغتها ومعانيها عن تلك المنشورة في كتاب غراسياني ) ، أنظر التحليل الخاص بها في موضعها .  
 \* - ملحق رقم ( 96 ) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

رسالة غراتسياني الثالثة إلى الحاج محمد فكيني

من سواني الكردي  
إلى الحاج محمد فكيني

قد أتانا جوابكم فهاده الليلة وبلغناه إلى طرف القورناتوري باش تكون معترفين بالإستعداد الذي يجعله ، وسانبلغو إلى طرفكم المضمون وقت الذي نستعدو على الجواب المذكور .

وقد نبهت بواسطة جوابي إلى مدير الصيعان لا يمكن أن تصير منهم مناشبة مع عساكر الدولة إذا أتوا إلى الجوش ، وإذا صارت منهم مناشبة بعدين الطيار يخرب بيوتهم .

وأمس مشو السبايس إلى بير ال أوكيم لأجل شراب الخيل ، وأفرادكم هم الذين زاحموهم الاولين وكذلك بعض من أفراد خربيش لأجل شرب المي فهجموا عليهم وأسرتوهم عندكم وهم لا لهم نية في الحرب معد لأجل شراب المي وأفرادكم هجموا عليهم .

ولا تظنو فيفكر ككونك غلبت في الحرب على محلتنا وسفك الدماء مع دم ابن أخيك مع (غير مقروءة) لم سمعنا بوفاة ابن أخيك وأسبابهم انتم وبنأسف قد نظرنا الله يداوم على مجازاتكم في عايلتكم .

وهذه المعاملة لازم عليك أن تحكيها لقلبك وفكرك يخمم عليها . طيب أنا قد أمرت أمس الطيار أن يرمي البومب على الجوش وإلى تاريخ اليوم يرمي معد على القصر وأركانه وهذا ما عندنا عرفنا به ، ومنتظرون حتى يأتيني أمر من طرف القورناتوري وأنت المخير لتجعل كيف ما تريد . ومع بلوغ سلامنا لكم وملاقاتنا الذي صارت بيننا توريكم محبتنا ، ولا لي عداوة إلا لمصلحة الدولة والاهالي كامل القطر الطرابلسي . وهذا الجواب يأتيك مع الطيار .

امضا  
القورونيللو قايد الحملة  
قراسياني  
4 يونيو / 1922

النص الأصلي للوثيقة رقم (8)

ملحق ٩٧

مد سواف كهن دي

الى الحاج محمد فكيهني

قد اتانا جوابكم فهداه الله وبلغنا الاطراف القورنا توري باشن نكوتو معترضيه  
 بلاست عباد الله يجعله وسانبلغو اطرافكم المضمونه وقت الذي نتعدت وعلى الجوار المذكور  
 وقد ندرت بوالله جوابي الى مصدر الصعابه لا يمكنه تصحيح مناشيه معه عاكر الدوله  
 اذا اتوا الجورشن وادان نصيب مندهم مناشيه بعيد بيده الطيبا بحزن بنوردهم  
 واحسن مشو السبايس الي بيك او لكم لاجل شراب الخيل وافرادكم هم الذي زاهموهم  
 الاولييه وكذا لك بعضه افراد فربيشن لاجل شراب النبي صرحه عليهم والسر توههم عندكم  
 وهم لا لهم نية فاحسبوا معد لاجل شراب النبي وافرادكم هجره عليهم  
 ولا تظنوا انهم كلكونك غلبت على محالنا وسفدت الدمع مع دم ابسه اخيك  
 مع القدر سمعنا وفات ابه اخيك واسبا برهم انتم وبنا سف قد نضرنا الله يدوم  
 على عجز انكم نفعنا بكم

وهذا الاعماله لا هم صايله انه ككسب اوليات وتكررت رشم عليه بالايه اننا نضر  
 انتم الطيار في يوم البوم على الجورشن والى تاريخ اليوم برمي عهد على الضم وارمانه  
 وهذا ما عندنا عن فتابه ونظير به حكي يا بني امه طرف القورنا توري والله العجز  
 لتعمل كيف حاسر يدوم مع بلوغ سد عننا عليكم وعلا حاتنا الذي حارت بيننا  
 نوز بكم محبتنا ولا في عدوه الا في صلحت الدوله والاها في كاعل فطر طرا لسن وهذا الجواب  
 يا نيك مع الطيار

اعضا

العور ونيللو ما يدرا محله  
 حراسي في  
 ١٩٤٤

ع جونيويو

\* - ملحق رقم (97) من أرشيف الحاج محمد فكيهني تنشر لأول مرة .



(رد المجاهدين بقيادة الحاج محمد فكيني (الثاني) على رسالة غراتسياني)

إلى جناب الكونينلي قائد جيش الوطنية

ورد جوابكم اليوم مضمون جوابنا وبعثوه مع الطيار يرمي القنابل النارية وطلبتم مقابلتنا ولاعطيتم رد جوابنا بالطيبة بل رديتو بصورة حربية ونحن قد مطلقناكم لأجل حقن الدماء والرجوع إلى السلم .

اعلم أن حروب الدول اليوم الأهالي فيها فوق العشر سنوات وقد نصحننا دولتكم مرارا واجتهدنا لتأييد القانون تكررنا حتى أن الحزب الخاين من مأموري دولتكم ومن الجبالية خانوا وحاربونا ، والمخابرات في دفاتر الولاية لو تجد صاحب حق . إذا كان مرادك في السلم وحقن الدماء رجّع الجبالية إلى محلاتهم بزواره ثم تكن المذاكرة والصلح وإذا تريد المكاملة ابعث لنا الترجمان رابيس والضابط سيريشه وعليهم الأمان نتذاكر معهما ساعة ويرجعوا إليكم ، ونحن تكاتب فينا في السلم وطياراتكم ترمي القنابل ، ليس هذا فعل دولة ولا فعل رجال فنحن وعموم رجالنا تعودت بالحرب والموت في شرف أحسن من الحياة ، فإن كنتم مأموري دولة يكن القول مطابق للفعل ، ولا تعطوا فكركم للجبالية أصحاب الخيانة والعناد وهذا جوابنا مع السؤال 11.

شوال 1340

محمد فكيني	محمد المحروق	علي أبوستة	العلوي الشنطة
بلقاسم قرينات	أحمد بن عطية	خليفة بن حمد	محمد بن محمد عبدالله



رسالة غراتسياني (الرابعة) إلى الحاج محمد فكيني

إلى محمد بيك افكيني ريس الزنتان والرجبان

إن جوابكم صحيح هو من أشد الغرايب ، حيث أن جنابكم متماد في الضدية وكنت قررت كثيرا إلى الحكومة شفاها وبواسطة الغير بأنكم تحبون رجوع أهل الجبل لأوطانهم إلا أنكم متكدرين من إنسان قد ساعدت القدرة الإلهية عن تبيعه من غير إرادتكم ولا إرادت الحكومة والعساكر الذين بأيديهم السلطة على كافة البلدان قادرين على التوجه بدون معارض وذلك من الواجب عليهم ولمصلحة الجميع وحتى لو أن السبايس صارت لهم مقابلة من طرف جيوشكم الحكومة أرادت أن تعطيك الوقت اللازم لأجل أن تفكروا طيب . والعاجز أقول إن شاء الله تأتيني لأجل المذاكرة على ما يخص العرب والجبالية خصوصا لجهت فساطو التي سكانها من العرب والجبالية جميعا ، ومقصدي الاجتماع معكم على هذا الخصوص حيث جنابكم رئيس الزنتان والرجبان والحكومة ليس مقصدها إدخال مسألة أناسكم مع المسائل التي تخص رؤساء الدواخل الذين مسألهم تريد فصلهم بوجه آخر . وفي تعديكم إني أعطيك الوقت اللازم لأجل أن تفكروا طيب قبل أن تتسببوا في خراب أوطانكم وقتل أناسكم وإذا وقع تعدي فأنتم المسؤولون مع الإسلام والأهالي في جميع ما يصدر، وافتكرا جيدا ولا تعمل مثل رؤساء الدواخل الذين مرادهم ضرركم من غير ما يكونوا مسئولين ويسعو في قلت الراحة . وفي هذا لم عندي ما أعرضه عليكم ، وأقول إن شاء الله نأخذ الطريق الصالحة للجميع . ولذلك حرر في / 7 جونيو 1922/

الإمضا

الكولنيل: قراسياني



رسالة غراسياني (الخامسة) إلى الحاج محمد فكيني

إلى محمد بيك أفكيني رئيس الزنتان والرجبان

بعد بلوغ جوابي المرسول إليكم بالأمس بواسطة الطيارات ، أفكركم على المظبطة المؤرخة في 31 ديسمبر /1921 وجوابكم المرسلين إلى الحكومة .

إن الوقائع التي صارت اليوم هي لسبب إعانتكم من غير علم منكم ولا علم الحكومة والوقت الذي جنابكم وصلت له هذه الحالة ، إن أناس الجبل يرجعون لأوطانهم وأعداءكم قد ساعدت الأقدار عن إبعادهم ، وعندما كتبتم المظبطة فكركم حينئذ غير مستقيم ، والضدية التي عندكم مع الحكومة شيء آخر ، نسيتم كافة المصالح التي أخذتم من الحكومة .

وإني أطلب منكم اليوم بيان مقصدكم بالفعل وليس مجرد قول ، والمرجو منكم رد المضمون على وجه الحقيقة ، وإني كنت أوقعت بجيشكم خرابا في الأيام الماضية عند قريكم من جيشنا طبق جريان أحوالكم ، ولو إني لا زلت في المذاكرة معكم لا أقبل منكم أدنى تعدٍ على ساحتنا ولذلك حرر في / 8 يونيو سنة 1922 .

الكولونيل : غراسياني



إلى جناب الكونينلي غراسياني

ورد جوابك المؤرخ في / 8 يونيو سنة 1922 وأشرت فيه لتعريفنا للحكومة بالمضبطة المؤرخة في / 31 ديسمبر وجوابنا أقول لكم إن تعريفنا صحيح وأعطى عليه دولة الوالي أمرا من غير إجراء ، وذلك التعريف هو بواسطة التينينتي سبريشه والأعضاء الشيخ أحمد بك الفساطوي إذا تجروه يستحق لمذاكرة واجتماع وهدنة ليس هكذا بصورة حربية . وأما رجوع اجبالية بهاذة الحالة ومن غير مذاكرات وعهود بيننا وبين الدولة واجبالية تعرفو لا يمكن لأنه سابقا الحكومة لزمتم الحياد وخلصت بيننا وبينهم حتى خربوا بلداننا وسلبوا أموالنا وقتلوا أولادنا فكيف الآن تأتون بهم بصورة جبرية قبل الصلح وإعطاء المواد التي تلزمنا ...

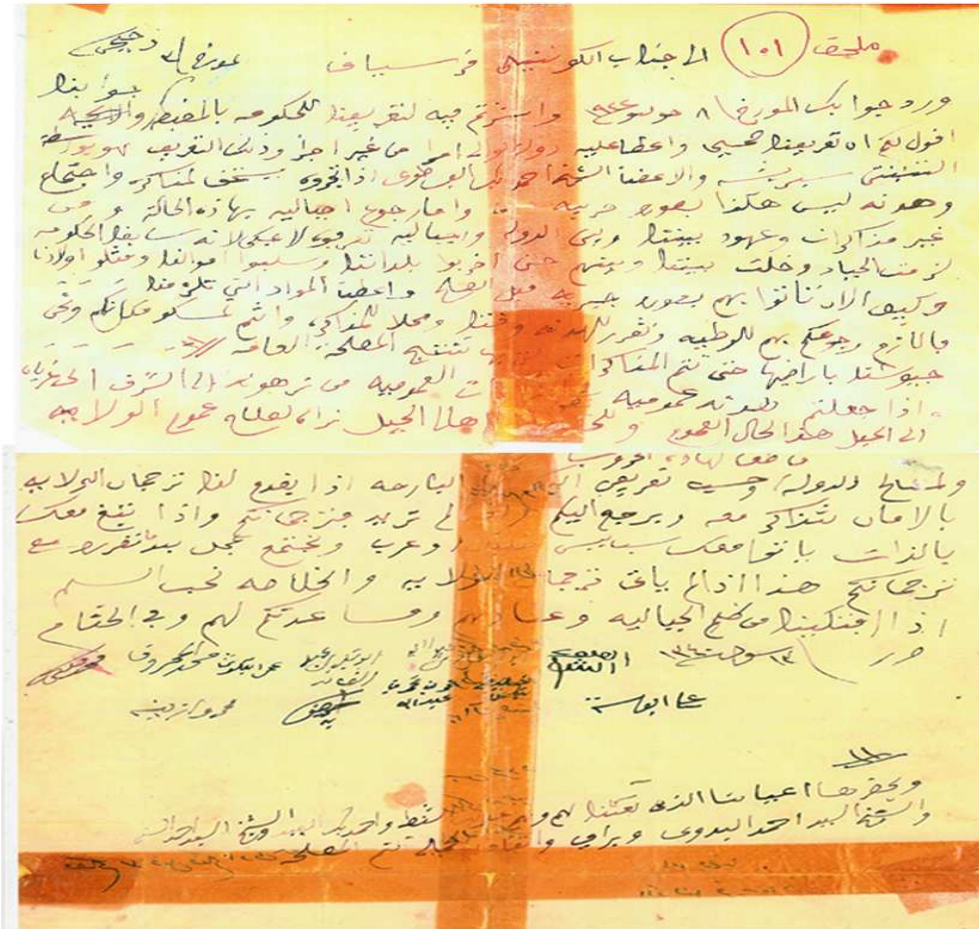
فالألزم رجوعكم بهم للوطية ، ونقرر للهدنة وقتا ومحلا للمذاكرة ، وأنتم تمسكو مكانكم ونحن جيوشنا بأراضيها حتى تتم المذاكرات التي بها تنتج المصلحة العامة \*

وإذا جعلتم هدنة عمومية في المذاكرات العمومية من ترهونة إلى الشرق إلى غريان إلى الجبل هذا لحال العموم وللحوض وأهالي الجبل نراه لصلاح عموم الولاية ولصالح الدولة قاطعا لهاذة الحروب . وحسب تعريفي إليكم أول البارحة إذا يقدم لنا ترجمان الولاية بالأمان نتذاكر معه ويرجع إليكم ، وإذا لم تريد فترجمانكم ، وإذا تبغ معك بالذات ياتوا معك سبابس طلبان وعرب ونجتمع بمحل بعدما نقرر مع ترجمانكم هذا إذا لم يأتي ترجمان الولاية . والخلاصة نحسب السلم إذا افتكينا من ظلم الجبالية وعنادكم ومساعدتكم لهم وفي الختام حرر في/ 13 شوال سنة 1340 .

محمد بن محمد بن عبدالله أبوالقاسم بن عبدالله أبو بكر بن عبدالقادر  
عمر البكوش محمد المحروق محمد فكيني العلوي الشنطة خليفة بن عمار  
علي أبوستة أحمد بن ضو محمد وازينة

\* ويحضرها أعياننا الذين بعثنا لهم وهم : علي بك الشنطة وأحمد بك الصيد والشيخ السيد أحمد السني والشيخ السيد أحمد البدوي ، وبرأي واتفاق الجملة تتم المصلحة ...

النص الأصلي للوثيقة رقم (12)



\*- ملحق رقم (101) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة



رسالة غراتسياني (السادسة) إلى الحاج محمد فكيبي

إلى الحاج محمد فكيبي

كيف تتجاهل في الأسباب التي صارت لك سبب في رمي القنابل الطائرة ؟ لم أذرتك سابقا أنت مع مدير الصيعان فعليه تكرار لك الأسباب :

أولا - هجوم مسلحينك على السبائس من غير سبب بحيث أذرتك سابقا بجواب طويل وطالب فيه الأفكار السلمية .

ثانيا - لكوني أذرت مدير الصيعان أنه إذا صار التعدي والتجاوز على بعض المسلحين الذين هم بمعيتي سأصير مجبورا برمي القنابل الطائرة على محلاتكم وكذلك صار الأمر وهو بأمرك .

ثالثا- لكون مسلحيك تقربوا بقرب موافقي وقصدهم المناوشات والتعدي .

أعلم أنني رجل ذو كلمة وباقي في كلامي ووعدني في الأفكار الطيبة وغيرها ، إنما أنت قلت أنك بكونك لم أخذت الجواب الذي عزيتك فيه في ابن أخيك ولاكن أنا أمين بكونه وصلك سالما لكونه الطيار رمى هولاك طيب وبينت لك فيه أسباب رمي القنابل الطياره وخاطبت فيه حتى مدير الصيعان بذلك . إذا كان قصدك في إرسال بعض الأجوبة أرسلهم إلى المحل الذي رميت فيه الجواب السابق .

المسلحين عندهم الأمر القطعي بعدم تجاوزهم وخروجهم إن القرار كان لمنع المناوشات السيار الذي جاب الجواب لم عندك حجة في طلبه لكونه خاطبك وليس من رجالك ، وهذا الذي يرجعه من جوابك خاطبتك به والباقي يرجع لغيري والسلام .

القولونيل قوماندان الجيش  
قراسياني

النص الأصلي للوثيقة رقم (13)

الحاج محمد فكيحي

كيف تتجاهل في الاسباب التي صارت لك في زعم القنايل الطيارة؟ لم اذنتك سابقا انت  
 مع سيرة الصعامة فعليه تذكرت الاجابات  
 اولاً - هجوم مكثف على السبحة من قديم حيث اذنتك سابقاً بجواب طوي وطلب  
 الانكشاف له.  
 ثانياً - لكون اذنتك سيرة الصعامة فاذا صارت الريح والنجار وزعم بعضه المسكين الرتبة  
 بحيث يفيد جوارحه من القنايل الطيارة في مختلفاته - وكذلك صارا امر وهو بامر  
 الثالث - لكونه مكثف تقرباً من قدامه وتقسيم المنازل والنعمة.  
 اعلم اني - هو - ذو كمال وياقوتة في كلامي لا وعدي في الافطار الطيبة وفيها  
 انما انت كنت تكلمت في احدى الجوانب التي عنيتك فيها فانه اخذت ولانه انما  
 يكون وصدق المالك الطيار من جهول طيب وبيتك في ايام من  
 الطيارة - فما طقت فيه حتى سيرة الصعامة بوالك - اذا تصدقت في ارضك  
 الاخرى استوفى الاموال الذي رمت بين الجوانب التي  
 التي عنيتك في الاموال القطعة في الفرح في زعمهم وهو وهم في انه القدر لا يمنع الا  
 السبا - الذي يجاب الجوانب لم عنيتك في طيبة اذنتك في طيب وبيته  
 وهذه الذي رجعت به جوابك في طيبك به والباقى - جمع لغتري واستمع.

التعاليم في سنة 1922  
 قرأها سيدي

١٩٢٢  
 ٩ جوانيو

ملاحظة-

يفهم من سياق النص ومن ترتيب الرسائل المتبادلة أن تاريخ هذه الرسالة هو على الأرجح في 9 / يونيو سنة 1922 .

\* - ملحق رقم (102) من أرشيف الحاج محمد فكيحي تنشر لأول مرة

## رسالة غراسياني (السابعة) إلى الحاج محمد فكيبي

رئيس محلة الزنتان والرجبان المحترم الحاج محمد فكيبي بك

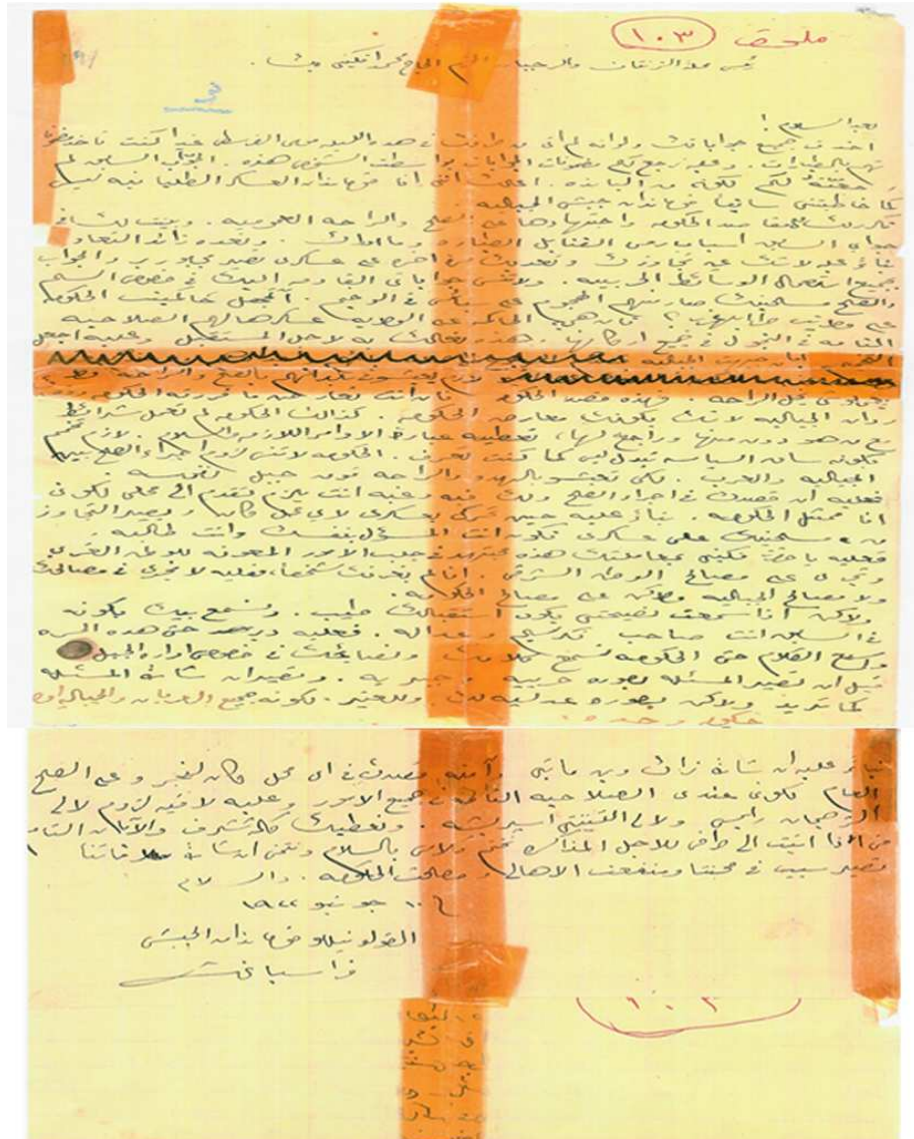
بعد السلام :

أخذت جميع جواباتك ، ولو أنه لم أتى من طرفك في هذه الليلة موسى القطرسي غدا كنت تأخذ مضموناتهم بالطيارات ، وعليه نرجع لكم مضمونات الجوابات بواسطة الشخص هذه ، الجواب السابق لم رجعتك لكم لكونه من البانده . أعلمك أنني أنا قوماندان العساكر الطليانية ليس كما خاطبتني سابقا قوماندان جيش الجبالية . نكرر لك على مقاصد الحكومة واجتهادها على الصلح والراحة العمومية ، وبينت لك في جوابي السابق أسباب رمي القنابل الطائرة وما أدراك ونعده زائد التعاد بناء عليه لا شك عن تجاوزك وتعديك مرة أخرى على عسكري نصير مجبور برد الجواب بجميع استعمال الوسائط الحربية ولا تنس جواباتي القادمة إليك في خصوص السلم والصلح ، مسلحيتك صار منهم الهجوم على سبابس في الوخيم . أتجهل حاكميت الحكومة على ولايت طرابلس غرب ؟ فإن هي الحاكمة على الولاية عسكرها لهم الصلاحية التامة في التجول في جميع أركانها ، هذه نعلمك به لأجل المستقبل وعليه اجعل التخميم في أمان جبهت الجبالية لازم يعيشوا في بلدانهم بالصلح والراحة ولا يعملوا شيئا يخل الراحة . فهذه قصد الحكومة فإن أنت تعارض ما قررتة الحكومة وقصدك ردان الجبالية لاشك بكونك معارض الحكومة . كذلك الحكومة لم تعمل شرائط مع من هو دون منها وراجع لها تعطيه عبارة الأوامر اللازمة والسلام . لازم تخمم بكون ساق السياسة تبدل ليس كما كنت تعرف . الحكومة لا تنسى لزوم إجراء الصلح بين الجبالية والعرب لكي يعيشوا بالهدوء والراحة فوق جبل نفوسه . فعليه إن كان قصدك في إجراء الصلح ولك فيه رغبة أنت يلزم تقدم إلى محلي لكوني أنا ممثل الحكومة بناء عليه حين تحركي بعسكري لأي محل كان ويصير التجاوز من مسلحيتك على عسكري تكون أنت المسؤول بنفسك وأنت طالبه . فعليه يا حضرة فكيبي بمعاملتك هذه مجتهد في جلب الأمور المعوقة للوطن الغربي وتجري على مصالح الوطن الشرقي . أنا لم نعرفك شخصيا فعليه لا نجري في مصالحك ولا مصالح الجبالية ولاكن في مصالح الحكومة . ولاكن ، إذا سمعت نصيحتي يكون استقبالك طيب ، ونسمع بيبك بكونه في السابق أنت صاحب فكر سليم وعدالة ، فعليه دبر حتى هذه المرة واسمع الكلام حتى الحكومة تسمع كلامك ونصائحك في خصوص إدارة الجبل قبل أن تصير المسألة بصورة حربية وجبرية ، وتصير إن شاء الله المسئلة كما تريد ولاكن بصورة عدلية لك وللغير لكونه جميع العربان والجبالية أولاد حكومة وحدة .بناء عليه إن شاء الله ، نراك وين ما تبي وأمن قصدك في أي محل كان لنجرو على الصلح العام لكوني عندي الصلاحية التامة في جميع الأمور وعليه لا فيه لزوم لا إلى الترجمان رابس ولا لى التيننتي اسبريشه ، ونعطيك كلمة شرف والأمان التام مني إذا أتيت إلى طرفي لأجل المذاكرة . نختم كلامي بالسلام ، ونتمنى إن شاء الله ملاقاتنا تصير سبب في محبتنا ومنفعت الأهالي ومصحة الحكومة ، والسلام

10 يونيو / 1922

القولونيلو قوماندان الجيش  
غراسياني

النص الأصلي للوثيقة رقم (14)



\*- وثيقة رقم (103) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

إلى جناب الكونينلي غراسياني قائد الجيش

بعد السؤال

ورد جوابك الذي به الأبناد\*، ثم جوابك المؤرخ في 10 جنايو سنة 1922 ضمن جوابي قولكم التعدي على سبائيسك، تعلم هم الذين هجموا، وأصل الأمور ومحبتكم وتعصبكم الآن مع الجبالية نحكيها لكم: أول ما عاندوا الجبالية دولة إيطاليا لأجل استقلالهم واحتمائهم بدولة ثانية أجنبية. ونحن العربان ما رضينا ذلك حتى وقعت بيننا وبينهم حروب معلومة التواريخ عنكم ثم النهاية بعد الصلح الأخير وصدور القانون الأساسي نحن صرنا نحافظوا في إجراءاته والباروني وبن عسكر أرادوا الفساد وهجموا على ماجور نالوت وأخذوا ما عنده، وأمرت الحكومة بمحاربتهم معلومة التواريخ في الولاية وعند الماجور وولينو وقبطاته، وقد وقع الحرب فعلا حتى مات فيه ابننا الحر الغيور حسن بك الذي كلفته حاكمية الولاية بالتوجه للجبل والحرب ومعلوم هذا عند الوالي الأسبق منجنجر ووكيله، ثم بإعانة أحد أحزاب إيطاليا مدوا الجبالية بالسلاح والجبخانة والأموال لأعدائنا وأعدائهم أي أعداء الدولة الباروني وابن عسكر حتى حاربوا بلداننا، ثم تبرمت سياسة الوالي مركاتيلي فعلا مع الجبالية، ثم بعد شكاياتنا المتعددة لزمنا الحياد وخلصت الفتنة بين القبائل حتى نصرنا الله وقومنا على الجبالية وجلت قبائلهم كما جلونا. ولما أتى الوالي الحالي دولة الكونت وولبي صارت المخابرة بيننا وطلبنا منه ما يلزم لراحتنا وراحة أوطاننا، وقد رأينا بعد مذكرات مع أعيان الولاية الشرقية أن الوفد الذي توجه إلى رومه مطالبه معقولة وليس فيها ضرر على الحكومة إنما فائدتها هي تؤيد منافع الدولة وراحة الأهالي حتى وقع الحرب والعناد... وحيث نحن جبهة الجبال من ككله غربا قد تأخرنا عن الدخول في الحرب قلنا لعل الهدنة تتجدد لصالح الولاية حتى بدبتم بإخراج الباندات على بير الغنم، ومن هنا قصدكم إخراج الجبالية بصورة حربية قهرية. فأى فائدة تنتج للحكومة من هذا؟ فإن هو القصد محو عموم العربان فلا يبقى إلا الجبالية مع دولة إيطاليا. على كل حال، العربان نسلهم حر وأصلهم شريف إسلامي، نحارب عن ديننا ومسقط رؤوسنا إلى النهائية ثم نلتجوا لإحد الدول المجاورة وإلا فإن المولى يجعل لنا مخلص الخلاص. العاجز لست دولة ولا أعطوني أوطان الجبل الرياسة العمومية، بل فكري تقديم المصالح الدولية والوطنية، فخرجكم بالجبالية باتدات بهاذه الحالة ليس فيه صلاح ورجوعكم بهم هو المناسب ثم تصير المذاكرة الصلحية بيننا وبينهم بواسطة الحكومة حسب مكاتيبنا إليها، وإن جعلت هدنة عمومية يكن بها صلاح عموم الولاية يكن أصوب لمصالح الدولة وعمران القارة. حسبما عموم رجال أوطان الجبل جعلوا لك مضبطة مختصرة في فكرهم ستاتيكم بعد هذا، وأنا واحد منهم ونحب السلم والراحة، ولا تخوفني بالطيارة والمسئولية، العمر معدود والمسئولية لو فيه حق ورجال إيطاليا الأحرار يطالعوا أوراق الولاية المحفوظة من أول الحرب إلى نهاية جلساتنا في عضوية مجلس الولاية لا شك يعلموا أن الحزب المعاند مع الجبالية هو الذي يبذر في الفساد. وأملنا منك أن تكون حرا مثلهم وترجع الجبالية بسلم دون حرب وعلى يدك تكون العافية، والسلام. حرر في / 15 شوال سنة 1340 محمد فكيني

\*- الأبناد: يقصد الحاج محمد فكيني المطالب السبعة المذكورة في الوثيقة السابقة رقم (4)



رسالة المجاهد / عبدالرحمن عزام إلى الحاج محمد فكيني

سعادة المجاهد الغيور الحاج محمد بك فكيني  
تحية وسلاما ، وبعد فقد طرق آذان المسلمين خيران كادا أن يتنازعا أطراف الحس  
خبر هزيمتك للأعداء ، وخبر فقدانك الحسين ؛ فأما بالنسبة لآخرتك فجزاء مضاعفا بما ضمنه  
من الإحسان في رفع الكفر عن الأوطان ، وشهادة الولد في ميدان الجهاد أكبر ما يجد الوالد  
يوم لقاء الرحمن ... ولدنيك التي هجرتها شغف بك فما طردها أحد إلا وتبعته ، وإن ما حزته  
من الثناء والفخر هو أعز مكسوبات هذه الفتاة .

نعم .. إن نفوسنا لتخور تحت آلام الفراق والمحبة ، ولكن إذا ذكرنا من سبق ونظرنا  
فيمن لحق لوجدنا العاقبة سواء ؛ فلتكن في سبيل الله حيث ضمنت الجنة وحق الجزاء .

إن الولد فلذة الكبد ونور المهج ، ولكنه لا يولد بحق ولا يموت على حق إلا إذا ولد  
كما ولدت وضمن النعيم الأبدي كما ضمنت . وقد وعد الله بركات مضاعفة لأصحاب مصابك  
فارتقب هذه الخيرات فإنه لن يخلف وعده ، والبركة حيث وضعت ، لاهي بالكثرة ولا هي  
بالإختيار .

جزاكم الله عن الإسلام خيرا وبارك فيكم ولا يسمعنا عنكم مكروها ولا أوصيك بالصبر  
فإني أعلم أنك بتوفيقه يتولاك بعنايته ويعينك على نصرته دينة .

عبد الرحمن عزام  
وادمتم محفوظين / 18 شوال سنة 1340

- ملحق : مع هذا خطاب من سيدي عبدالعزيز العيسوي وهو متشوق جدا لزيارتكم فلا بأس  
إذا وجهتم له بعض الأعيان لدعوته ومرافقته . وأحوال السنوسية وأهل الشرق حسنة  
جدا والله يتمم بالخير :  
عزام

- \*- عبدالرحمن عزام : من المجاهدين المصريين الذين شاركوا الليبيين الجهاد ضد الإيطاليين  
- التحق بالمجاهد أحمد الشريف نهاية عام 1915 ، ثم انتقل إلى طرابلس عام 1916 .  
- سافر إلى الأستانة عام 1917 ثم عاد إلى مصراته عام 1918  
- شارك في تأسيس الجمهورية الطرابلسية ، وساهم في مفاوضات صلح بن يادم عام 1919  
- كان له دور في عقد مؤتمر غريان ، وعين مستشارا لهيئة الإصلاح المركزي .  
- عاد إلى مصر عام 1922  
- أنتخب عضوا في مجلس النواب المصري عام 1924 ، كما تقلد مناصب دبلوماسية خلال الفترة ما بين 1936-  
1939 في العراق - إيران - الحجاز - أفغانستان - تركيا .  
- تولى وزارة الأوقاف عام 1939 ، ثم وزارة الشؤون الاجتماعية عام 1940 .  
- عندما أنشئت جامعة الدول العربية عام 1945 ، أنتخب أمين عام لها ، قام بدور هام في مفاوضات استقلال ليبيا  
خلال فترة الأربعينيات .

المصدر: جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، الشيخ الطاهر الزاوي

النص الأصلي للوثيقة رقم (16)



\*- ملحق رقم ( ) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة



رسالة يوسف خريشه إلى أهالي قبيلة الرجبان  
يدعوهم إلى العودة بعد انسحابهم إلى القبلة  
وسيطرة الإيطاليين على الجبل

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم  
فساطو في 1 محرم 1341

حضرات المحترمين الشيخ عبد الرحمن قرينات وأعيان أولاد عطية وأعيان أولاد جابر وأعيان  
البراهمة وأعيان أولاد عبد الجليل وأعيان أولاد مسعود وأعيان أولاد عبيد وأعيان اشفي  
ومشايق السبعة ومن معهم عموماً ، حفظهم الله آمين .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، عندما وصلنا فساطو أرسلنا لكم جوابات أدت بها  
واجب الأخوة الإسلامية وحق الجيرة ولم يأتي منكم المضمون ولا أدري ألم تصلكم أم هناك  
سبب آخر ، ولكي لا أكون فيما بعد مقصراً في الواجب الديني والوطني عاودت الكتابة إليكم  
وأرسلت هذا لتتأكدوا من صفاء نياتنا وعدم التفاتنا إلى الماضي . وأقسم لكم بالله وبشرفي أنني  
لا قصد لي غير السعي في الراحة العمومية وإطفاء الفتنة التي أضرت بالبلاد والعباد ، ويكفيكم  
دليلاً إرسالي إلى الحاج محمد بك فكيني وعموم الرجبان والزنتان بحقيقة نواياي، وطلبت منهم  
الرجوع إلى بلادهم والكف عن زيادة إشعال الفتنة التي لا نتيجة من ورائها غير الخراب  
وضياع الأموال وقتل النفوس البريئة بلا ذنب أو مقصد عندها بل تساق إلى مذبحه الأغراض  
الشخصية كما تساق الأغنام إلى المجزرة فتراها تسير إلى هلاكها وهي غير عالمة إلى أي  
طريق يسوقونها ولا حول ولا قوة إلا بالله والله يهدي من يشاء .

ولا يخفى عليكم الآن أن الحكومة لا يمكن مقاومتها من الأهالي الذين لو قتل منهم رجل  
لا يعوضونه وإن صرخوا فوشيكه لا يجدون غيرها ، فكيف نستطيع أن نقاوم حكومة لو قتل  
لها ألف تأتي بألوف ، وأما السلاح والجبنات بأنواعها فلا تحتاج إلى بيان مقدرتها على الإتيان  
بالملايين بلا انقطاع ، وهذا أمر لا ينكره إلا من لا عقل له فعلى هذا لا نتيجة من وراء هذه  
الفتنة العمياء ، وما الساعي في إشعالها إلا كمن يسعى لهلاك نفسه . وإني لا أشك بأنكم من  
ذوي العقول الذين هم يدركون العواقب ويقنعون بهذه الحقائق ، إنما ربما يمنعكم من الرجوع  
إلى وطنكم ما يشيعه عنا أصحاب الفساد المغرضين من الأكاذيب وما يزعمون بأننا فعلنا وفعلنا  
وما جئنا إلا للانتقام ، وهو أمر لا يخطر لنا ببالي ، وعزة ربي وجلاله ، فما جئنا إلا مع  
الحكومة لعمارة الأوطان وليعيشوا عموم إخواننا في الدين والوطن معنا في راحة وهناء .  
وحيث أن الدين النصيحة فنصيحتي لكم أن تعودوا إلى أوطانكم اليوم خير من رجوعكم إليه في  
الغد ( لأنكم سترجعون يوماً ) ، فعمارة بلادكم الآن هي عايدة إلى منفعتكم في المستقبل . ولكم  
مني وعد صدق ، وأقسم لكم بربي وبذمتي وشرفي أنكم تكونوا مأمونين على أموالكم وأنفسكم  
وتكونوا معنا أخوة صادقين ناسين ما مضى وما صار بقضاء الله وقدره . وكذلك الحكومة تعفو  
عن الماضي لكل من يأتيها اليوم طانعا ولا تنظر إلا إلى المستقبل لأن مقصدها الأهم إطفاء

نار الفتنة التي شعلتها أيدي المفسدين ولتنشر ألوية الأمن والسلام في كافة الولايات . فإذا وعيتم قولي هذا وعلمتم بنصيحتي وعولتم على الرجوع إلى عمارة بلادكم عرفوني لأجعل لكم الترتيبات التي تكفل لكم راحتكم بحيث تعيشون تحت ظل الحكومة وعدالتها في أرغد عيش وأهناً راحة ، أما إذا جعلتم في نفوسكم ميداناً لخرافات المفسدين أصحاب الأغراض والمقاصد فالذنب واقع عليكم وستندمون في الدنيا حيث لا ينفع الندم وتسالون يوم القيامة أمام الله عن الدماء التي تسيل ظلماً في سبيل الأغراض الذاتية . وها أنا قد أدت الواجب عليّ لكل مسلم والسلام .

قوماندان القربو  
يوسف خريبيش

وللأستاذ / الأخضر أبو القاسم العيسوي تعليق على الوثيقة يقول فيه :-

- خاطب يوسف خريبيشه في صدر رسالته الشيخ عبدالرحمن قرينات ، ثم ثنى بالتوجه إلى أعيان قبائل الرجبان والسبعة عامة ، ولهذا معنى مقصود ، فالشيخ عبدالرحمن قرينات من الأشخاص المؤثرين وأحد مستشاري الحاج محمد فكيني ، وأحد رؤساء العصبيات الحربية ، وهو إلى جانب ذلك كله من " أصحاب " يوسف خريبيشه ، ولذلك خصه بالذكر لعله يؤثر على الناس ، ومع ذلك لم يرجع مع من رجع ، وواصل المقاومة والهجرة فيما بعد .

وكلمة " صاحب " تمثل عند الرجبان والزنتان والسبعة وجادو والرحيبات والصيعان وكاباو ونالوت معاني عديدة نبيلة ، وهي تعني الكثير ، وتدل على اللحمة بين أهل الجبل على اختلاف أجناسهم ، وكان " للصحة " أثارها الإيجابية حتى في زمن الصراعات التي اجتاحت الجبل ، فكان " الصاحب " من الطرفين يحمي " صاحبه " وقت الشدة فيمنعه ولا يسمح بالاعتداء عليه إذا وقع أسيراً ، ويفديه بنفسه وأهله ويقسم الأيمان أنه سيقتل من يؤذيه ولو كان من أهله ، وهو ما يعبر عنه بـ " صنعته " إذا منعه من القتل بعد أسره ، وكثيرون من الطرفين المتحاربين منعوا أصحابهم وأمتوهم ووفروا لهم الحماية ، ومنعوا حرق بيوت أصحابهم بعد فرارهم ، بل هناك من جاهد في إطفاء النار التي تلتهم بيت صاحبه ، فالأصل في علاقات أهل الجبل " الصحة " بما تحمله من معان نبيلة سامية بين الطرفين ، أما الفتنة والعداوة فهي شيء طارئ أوجدتها ظروف قاسية متعددة ، وغالباً ما تكون بغير رغبة الطرفين وفي حال السلم ، وهو سمة العلاقات بين أهل المنطقة ، فإن حاجة الصاحب مقضية مهما كانت ، بل إنه يقضي حاجة صاحبه ويقدمها على حاجة قريبه ، وإذا قدم أحدهم إلى بيت صاحبه فكأنه في بيته وبين أفراد عائلته ، ومن النادر أن تجد بيتاً في جادو أو الرجبان ليس له صاحب مقابل في بلد الآخر ، ولا يزال ذلك إلى الآن .





\*- ملحق رقم ( 108 ) من أرشيف الحاج محمد فكيحيى تنشر لأول مرة

إنه من عبد ربه سبحانه محمد صفي الدين الشريف السنوسي  
إلى جناب المقدم الغيور الأخ الحاج محمد بك فكيني حفظه الله أمين

سلام عليكم ورحمته وبركاته . وبعد فقد وصلني خطابكم المؤرخ 1 ذي الحجة سنة  
1341 وفهمنا كل ما شرحتم ، ولقد سرنا دوام العافية وما أنتم عليه من المثابرة والثبات على  
مبدأ الجهاد والدفاع ، ولم يبلغنا عنكم لحد الآن إلا الجد والاجتهاد في الأعمال ببارك الله فيكم  
وسهل أمام المخلصين كل صعاب الأمور .

وقد كنا قبل ورود كتابكم بقليل وجّهنا لجهاتكم وفدا مؤلّفا من الأعيان حاملا لتحريرنا  
ومزودا بما يلزم من الوصايات مأمورا بالمذاكرة وباستصحاب أعيان من كل قسم لتتميم  
المذاكرة معنا رأسا لأجل أن تتأسس الأمور بعد التفاهم الحقيقي ولذلك فقد أخرجنا القطع في  
ترتيب جهاتكم الإدارية والحربية إلى حين عودة الوفد إلينا ، وعليه يقتضي منكم الآن  
الاستمرار على نشاطكم في جمع المجاهدين وترتيب الخطوط والمبادرة للتقدم على العدو  
ومشاغلته حيث خطوط هذه الجهة باشرت في الحركات ، وقد فوضنا إلى إقدامكم ولباقتكم  
المنطقة التي تبدأ من الرحيبات إلى نهاية الرجبان ، كما عرفنا كلا من السلطان أمود والسيد  
أحمد السني والسيد أحمد الأزهري بمناطقهم ، ندعو الله التوفيق والنصر القريب .

فأصرفوا كل غيرة وناصحوا المنحازين تحت العدو بالالتحاق والانضمام إلى الجامعة  
الإسلامية وأمنوا كل من طلب الأمان ، ولا تتركوا ميدانا للغزو إلا على العدو وكرواناته  
وأعلموا أن بقدر نزاعة موقعكم وأهميته السياسية والحربية وتأثيره على المواصلات عبرة  
وانتباه . ومدوا يد الاتفاق لكل من مدها إليكم سواء كان من أولاد بوسيف أو من المشاشية  
ومن معهم . فالأمل أن ينتبه كل لواجبه الديني والوطني وأن تكون الحوادث السابقة وأفعال  
العدو للجميع درس عبرة وانتباه ونحن مهتمون بمطلوبكم وبكل ما يؤيدكم وسينجز قريبا إن  
شاء الله . وقد ورد إلينا أمس التاريخ بريد من الجهة الشرقية يفيد قرب تشريف سمو الأمير  
من مصر وإن الانتصارات في الحروب متوالية ، غم المسلمون في الوقعتين الأخيرتين ثمانية  
كراهب مدرعة أخرى غير الاتنتين وثلاثين كرهية في الوقعة السابقة التي يعرفوكم عنها  
أعضاء الوفد حيث أنهم كانوا حاضرين البوستة الأولى . وها هو يأتيكم علم الإمارة لتركزوه  
في مركز المجاهدين ، وحيث أقمتم . مع بلوغ سلامنا لكافة من معكم من المجاهدين ودمتم  
سالمين 1 محرم سنة 1341 . نائب سمو الأمير

وها هو العلم الرسمي المخصوص للإمارة تستعملونه في الأيام الرسمية التي هي الجمعة  
والأعياد ووقت الحرب ، جعله الله بالنصر والظفر أمين

توقيع

نورد  
٤١٩

انه من عبد - سبحانه محمد صفي الدين الشريف الشوسي  
 الى جناب المقام الغير - الافخ الحج محمد بك اقليتي حفظه الله امين  
 سلام الله عليكم ورحمة وبركاته . وبعد فقد وصلي فطابح الموضع ، ذاب المرحوم ورحمته  
 شرحت . ولقد سنا دوام العافية وما اتم عليه من المنايرة والنبات على عهد الجهاد والفرار  
 ولم يلقنا عنكم لحد الان الا الحمد والاجتهاد في الاعمال بارك الله فيكم وسأل الله المخلص  
 كل صايد الامور .  
 وقد كنا قبل - ود كنا بكم بقليل وجهنا لجهاتكم وقد امرنا فامه الاعيان هاملاتنا برنا  
 مزودا بما يقزم من الوصايات ما حرمنا بالمشاورة وباستصحاب اعيان مده كل قسم لتتم المذاكرة  
 معارفا لاجل ان تناسس الامور بعد التفاهم الحقيقي ولذلك فقد اخذنا القسط في  
 حبيب جهاتكم الادوية والحريم من عهد عهدة الوفاء والى وعلية يقصر من الان  
 الاستمرار على نشاطكم في جميع الجاهلية وترتيب المخطوط والبادرة لتتقدم على العود  
 ومن غلة حيث فطرت هذه الجهة باسرت في الحركات وقد فرضنا الى اقدامكم ولياقتكم  
 المنطقية التي تبدأ من الرحيبات الى نهايت الرجبان كما عرفنا ملامه اللطاف امور واليه  
 السني والسيد احمد الازهرى بما فطمتم تدعو الله التوثيق والنظر القريب .  
 فامرنا كل غيرة وناحو المنازير تحت الله وبالالتحاق والانضمام الى الجمعية الاستاذية  
 واسوكل من طلب الامان . ولا تتركوا ميدانا للفرد الاعلى المدو ورواياته واعلموا  
 اننا بقدر نزالة مرفعتكم واهميتها السياسية والحربية وتأثيره على المواصلات بحجة وانباها . و  
 به الاتفاقه لكل من مدها اليهم سواء كان من اولاد بوسيف ارمه المشايخ ومهمهم . فالاول انتم  
 كل لرا حيم الدين والوطن وان تكون الحاديات اية وافضل المدو والبيع ديس بحجة وانباها .  
 ممتوى بطلو بكم وكل ما يزيدكم وسينجز قريبا ان شاء الله . وقد ورد الينا بجمع التاريخ بريد  
 من الجهة الشريف يفيد قرب تشرية سر الامور وهو من الانتصارات في الحرب من الزا

عنهم المسلمون في الوقفية الاخيرية ثمانية كراهب مد ربح اخرى غير الانية وثلاثة كرهيم الذين  
في الوقفة السابقة التي يعرفونم عنها اعضاء الوقفة حيث انهم مفرقة البرسة الاولى . وها هو بايتيم  
علم الامارة لتزكوه في مرتبة المجاهدة به وحيث اتتمت مع بلوغ سادسنا لكافة من معتم من المجاهدين

رستم سالميه الحاج محمد الخادم  
نائب سوادير  
محمد النورج

وهو العلم الرسمي المحمود  
للاشارة لتعوده في اليوم  
الرسمية التي هي الجهد والاداء  
وصفت الحبيب عبد الله بالث  
والظفر ابيض

\*- ملحق رقم ( 121 ) من أرشيف الحاج محمد فكيكي تنشر لأول مرة

رسالة من غراسياني الى الحاج محمد فكيني عام 1923

المحترم الحاج محمد فكيني

قد طرق سمعي أنك كتبت جوابا إلى الحكومة إنما لم أطلع عليه لكوننا تخاطبنا في الطريق ،  
فحين وصولي إلى طرابلس كنت تسقذت\* منها .

اليوم قدمت لكي نتكلم مع مشايخ الرجبان والزنتان ، وإن شاء الله نهدبهم إلى النور وإلى  
طريق الرشاد . قلبي سليم لكوني سمعت من بعض أحبابك بأنك ندمت كثيرا لعدم استماعك إلى  
نصائحي وقت كنت نهدبي فيك إلى طريق النجاة وقت كنا في سواني الكردي .

الآن أسألك باسم الله تعالى ما هذا التاني ولماذا لم تفتكر عاقبة الأمور ؟  
ألم تعلم بأن قصر العنكبوت المبني في ترهونه عن قريب يبدا في التراب تحت يدي القاهرة  
المستعينة بالله في جميع أفعالها لكون أفعالها حسنة مع عباده ؟

ما مرادك ، وما أفكارك ، ألم تعلم أن الأوهام أوانها قد رحل وما بقي إلا الأعمال الصحيحة  
والأفعال المليحة ؟ ألم تر أن الله تبارك وتعالى يكافي فيك في أعمالك يوما فيوما في ذريتك  
وشيعتك وفي جميع ما عندك؟ وأنت باقي على ما أنت عليه والآن تارك رحمة الله خوفا من  
الحكومة ، والحال الله تعالى والحكومة رحمتهم واسعة لكل من التجأ إليهم وتاب ، ويعاقبوا  
العقاب الشديد لمن داوم على ما عليه .

بناء عليه أندرك مرة ثانية ، وربما الأخيرة ، وما بعد الإنذار أذار فاختر لنفسك أي القرار  
تختار ، والسلام 4 يناير 1923

قوماندان المنطقة الجبلية  
الكولونيل : غراسياني

\*- تسقذت : يعني مشيت أو ذهبت



النص الأصلي للوثيقة رقم (19)



\* - ملحق رقم ( 114 ) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة

رسالة من غراسياني الى الحاج محمد فكيني عام 1923

الحاج محمد فكيني

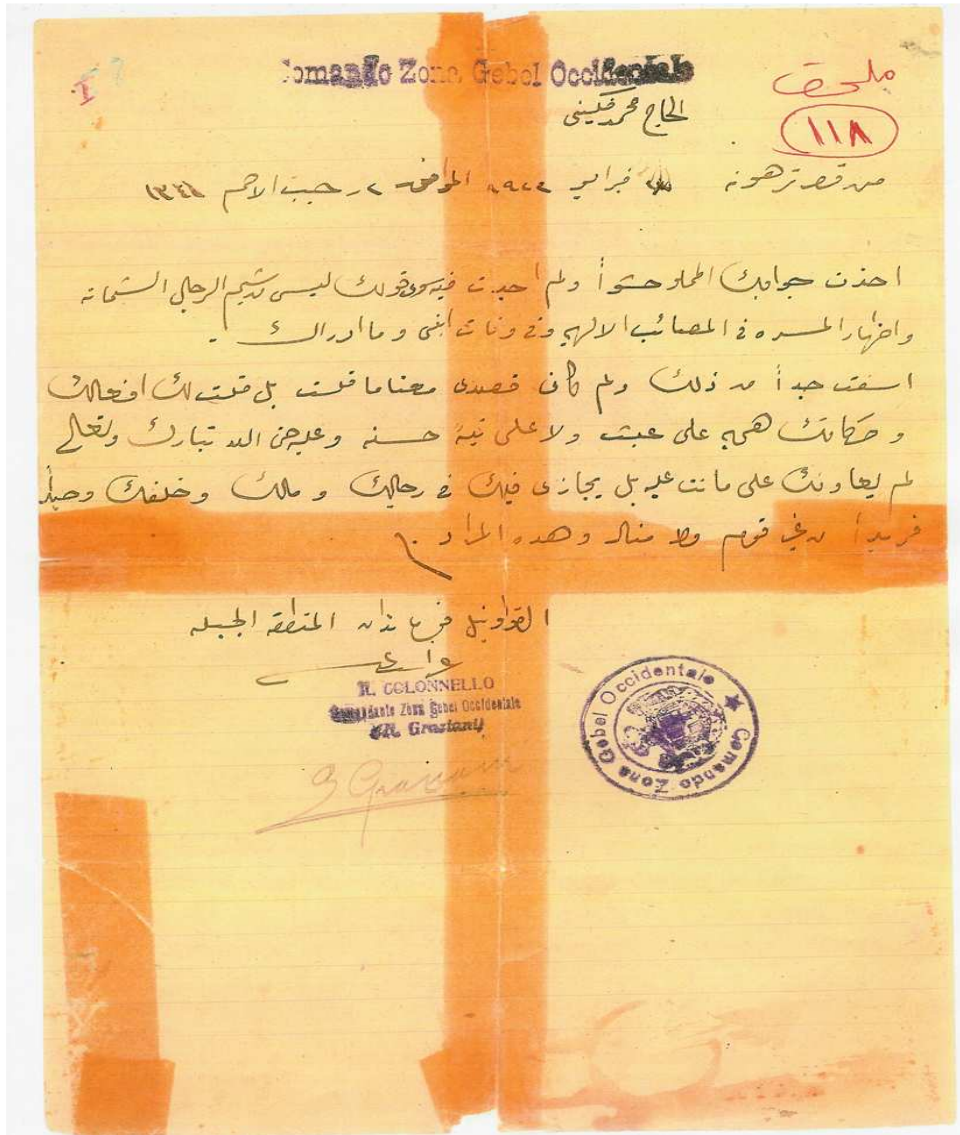
من قصر ترهونه 17 فبراير 1923 الموافق 2 رجب الأصم 1341

أخذت جوابك المملوء حشوا ، ولم أجد فيه سوى قولك ليس من شيم الرجال الشماتة وإظهار المسرة في المصائب الإلهية وفي وفاة ابني وما أدراك .

أسفت جدا من ذلك ، ولم كان قصدي معنى ما قلت بل قلت لك أفعالك وحركاتك هي على عبث ولا على نية حسنة ، وعليه حتى الله تبارك وتعالى لم يعاونك على ما أنت عليه بل يجازي فيك في رجالك ومالك وخلفك وحيدا فريدا من غير قوم ولا منال وهذا المراد .

القولونيل قومندان المنطقة الجبلية  
غراسياني

النص الأصلي للوثيقة رقم (20)



\*- ملحق رقم ( 118 ) من أرشيف الحاج محمد فكيحيى تنشر لأول مرة

الوثيقة رقم (21)

مرسوم ولائي  
مصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة لبعض الثوار  
رقم 1/211 وتاريخ 28 فبراير 1924

حكومة طرابلس الغرب  
بعد الإطلاع على المرسوم الملكي رقم 886 بتاريخ 17 مايو 1919  
وعلى المرسوم الولائي رقم 640 / أ بتاريخ 17 يوليو 1922  
وعلى المادة 1 من المرسوم رقم 320 / أ بتاريخ 11 أبريل 1923

قررت أن :  
تصادر جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة أينما وجدت العائدة للثوار المبيينين أدناه :

سوف المحمودي  
عون بن محمد سوف  
عبدالصمد النعاس  
عبدالنبي بالخير  
مصباح بن عبدالنبي بالخير  
بوعزوم بن عبد النبي بالخير  
يوسف بن عبدالنبي بالخير  
الحاج محمد بن خليفة فكياني  
مسعود بن خليفة فكياني  
الطاهر البازجي  
الحاج فرحات القاضي  
إبراهيم بن رمضان الشتوي  
محمود المسلاتي

حرر بتاريخ /23 فبراير سنة 1924

\* — الجريدة الرسمية لطرابلس الغرب رقم 6 ص 69 الصادرة بتاريخ 16 مارس 1924

## رسالة من المجاهد بشير السعداوي

إلى الحاج محمد فكيني بعد دخوله الأراضي التونسية عام 1930

## اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية

سعادة المجاهد الكبير سيدي الحاج محمد بك الفكيني حفظه الله  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد بشرني أخو الجميع أحمد فاضل بك بوصولكم إلى  
القطر التونسي سالمين فسرتت من جهة وأسفت إذ أن البلاد فقدت بطلا من أبطالها وعضدا  
كبيرا من رجالها لأنكم من الذين أعز الله بهم الإسلام والمسلمين في تلك السديار ولقد كنتم  
السيف المسلط على رقاب الخائنين والكفار لذلك تراني أسفا . وعلى كل فاني أحمد الله الذي  
أنجاكم من المهالك وسهل لكم المسالك ومن سلمت له نفسه الذي هي رأس ماله ونفذ بعياله  
وأطفاله ووجد سبيلا للخلاص بعد ما كان يظن أن لا نجاة ولا مناص فما أحقه أن يحمد مولاه  
على ما أسداه إليه من خير وعافاه مما ابتلى به الغير ، والأمر كله لله فهو وارث الأرض ومن  
عليها وهو خير الوارثين . وقد كفانا شرفا أننا قمنا بواجب الجهاد وبذلنا ما في وسعنا لإتقاذ  
البلاد من مخالب المستعمرين وعذاب القوم الظالمين ، ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها ولكل أجل  
كتاب ولنا في رسول الله أسوة حسنة يوم هاجر من مكة مع أصحابه وكذلك يترك الرجال  
مواطنهم وينزحون عنها لنصرة الحق وتأييده غير مباليين بالعناء وما يلاقونه من المشاق والآلام  
الغربة . [ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرة وسعة ] فالله وعدنا السعة  
[ والله لا يخلف الميعاد ] . نعم : إن فراق الوطن والبعد عن الديار امتحان كبير قد قرنه الله  
بقتل النفس فقال [ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلا  
منهم ] وأنا نحمد الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا وهو الذي يوفى الصابرين  
أجرهم بغير حساب . وقصارى القول : فاني بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن الجالية  
الطرابلسية البرقاوية في هذه الجهات أهنئكم بالسلامة وأدعو لكم بطيب الإقامة . وإنني  
يا سيدي الأخ عندما أقعدني الحظ عن الاشتراك معكم في تلك المواقف الأخيرة عولت مع فريق  
من إخواننا في هذه الجهات على خدمة قضية بلادنا من الوجهة الفكرية ؛ إذ لا يخفى على  
حضرتكم أن الكفاح في هذا العصر لا يقوم بالسيف وحده بل لا بد من أقلام تعززه وآراء تؤيده  
ولذلك فإنا منذ مدة طويلة نعالج قضيتنا بالأساليب السياسية والنشر على صفحات الجرائد  
وطبع الرسائل . وسنيسط لكم ذلك في غير هذا الكتاب وأكتفي الآن بهذه الإشارة . وإنني لأرجو  
من حضرتكم أن تعرفوني عن أخباركم كما وسأعرفكم بما لدينا وما سنصل إليه إن شاء الله  
من النتائج الحسنة والله يوفقنا وإياكم لما فيه الخير . هذا وإن عموم الإخوان المقيمين في  
هذه الجهات يهدونكم عطر السلام وأرجو أن يكون جوابكم مفصلا عن رحلتكم الأخيرة ومن أي  
طريق دخلتم الأيالة التونسية ومن كان معكم على وجه التفصيل ودمتم سالمين [ تشرين ثاني

/ 1930 ]

أخيم المخلص

بشير السعداوي

عنواني : الشام - المهاجرين - عدد

176

دمشق

النص الأصلي للوثيقة رقم (22)

البحر التنقيح  
 كتاب القانون  
 ١٤٠

معادة الجواهر الكبير سي الحاج محمد بن الفقيه  
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد سرت في هذا المجلع احرف فاجعل يد بروركم الى القطر التوسى سائيه شرفه  
 سعته واستقرار ان البعد قدمت بطولها اذ عطف كبره طرازا فتم من الزيد اعز الله بهم اوسوم والمصنوع  
 في نقد الدنيا ولقد تم السيف المصلحى قاب الخاتمة والفقار . ذلك ترى اسفا وعلى حق فاني احمل له الذي اتجامل  
 من المرات وسهولكم المالك وسهلت لطف الذي لمس مال ونقد بعينه واظفاله وهو سيبه ليعرف بعد ما لا  
 يظهر له الاخرة ولو ما صر فما احق ان تجد مولاه على ما اسده اليه من غير دعافه بما انك اليه الغير وارو صر  
 فبو طر قاراهه ومهبط وهو غير الوارثيه . وقد لفتنا سرفا انا قما بواجب الجواد وبذلنا ما في وسعنا لرفعنا  
 البعد من الملتغيبه وغذايا لعم الظالمه وكفه اهور من لونه باوقانر ولكن هو كتاب . والآخر سولاد اسوة  
 يوم تصاجر سيرة مع صاحبه وكذا ترى الربيل والام . يتزهرون على اسفة المحر تأييده غير بيليه بالقاء وبهذه  
 المتاه والام الغربة [ ومهجاجه سيب السجود في الورده ملعنا ليرة وسعة ] فله دعنا السعة او السعة كلف المعاد  
 نعم ! ان فاره الوطيه والبعد عن الدنيا اتجان كبير قد قرنه الله بهن النفس قما [ ولو ان كتبنا عليهم انما نقول  
 واخره ما ديانم ما فعلوه الرقيب منهم ] وانا نخرير لعم الذي لا يبيع اجرمه به عجز وهو الذي يوفى العاربه اجالته  
 حساب . وقصارى القول : فاني بهد صلته غنى واليانية على البرية الطامسة البرقادية في هذه المرات انهم بالسلامة  
 واروكم بطيبا رامة . واتى باسب طروف عنما اقدر في لفظ على اشتراك معكم في نقد المواقف الوردية عولت مع فريده من  
 اخوانا في هذه المرات على خصة خفية بولنا من الوجه القدرية ان يرضى على مقدم انه الكفاح في هذا العسر ليعلم بالصف وهذه  
 بل لا يلبس من قديم تعززه طاروتويه وذلك فانا سة طوية تعال في قفنا بولنا السيرة والشرعى ففوا ليرتبه  
 وطلع ارساق وسنبت لهم ذلك في غير هذا الكتاب وكفنا اسه من الارساق . ذى لا يبره من مقدم ان تعزوني سة  
 لنا وساعرفكم بما لدينا وما سنعن الارساق والاسد من التاج المنة والديوقنا واليالم لما في لير . لهذا وان يحس الرضوخ  
 القبية فانه المرات به يتم على السلام والجهاد بولم مفصلا عن هذم الوردية ومدى طبعه وقدم الارساق القوية  
 وربه معكم على وجه التفتين ودمتم سائيه ا .  
 عفاك  
 ١٧٦  
 المرجعية  
 التام  
 وسنة

\* - ملحق رقم (140) من أرشيف الحاج محمد فكيني تنشر لأول مرة  
 \* - رد الحاج محمد فكيني على هذه الرسالة برسالتين نشرهما الأستاذ تيسير بن موسى في كتابه " كفاح الليبيين  
 السياسي في بلاد الشام 1925-1950 في الصفحات 187-190 .

(( ... وقبل ذلك بيومين أو ثلاثة مرّ علينا ذوات من نالوت اخوان ابن عسكر وقصدهم نظره في الزنتان ، فقلت لهم : فهموا خليفة بن عسكر أن يهرب لظرفنا ويقصد الشيخ سوف في الجوش وألا يخاف شيئا ، ولما أخبروه هرب في الحال على طريق قصر الحاج أدنى الجبال حتى وصل إلى الشيخ سوف في الجوش وأتى رجال نالوت وكاباو وبقوا كلهم مع الشيخ سوف (...))

(( وفي تلك الظروف صارت كبار السنوسية يرسلون في الحاج محمد فكيني حيث أنه الحاكم بقضاء فساطو ونظارة الجبال وأنه حاكما على الزنتان والرجبان والرحيبات...))

(( وعندما أتينا إلى بلدنا اجتمعت علينا أعيان الزنتان والرجبان قدر خمسين فارسا من غير الرجال ، واتفقوا انهم يمنوني من الهجرة ، وأن الرأي الذي ننتجه لهم يقبلوه ولا يسمعون لسليمان كلاما ولا لغيره وإذا وقع الاتفاق بين الرجبان والزنتان فعموم الجبل لا يخالف لهما رأيا لأنهما أكبر قبائله وهما أقرب لبعضهما من بقية أهل الجبل ، فجعل لي ذلك الايئتاس وكلفتهم اليمين بكتاب الله العزيز فحضر لدينا مصحف القرآن ودار بين الحاضرين بواسطة أحد الطلبة وحلف به كل من حضر ذلك المجلس من الزنتان والرجبان وبعد أدائهم اليمين بالمصحف أرددوا عليه يمين الطلاق بالثلاث ويمين العتق على أننا يد واحدة ولا نترك بعضنا ونموت جميعا على صغير منا وما يبديه لنا الحاج محمد فكيني من الرأي والتدبير فلا نخالفه ونتبعه فيما يراه لنا من المصالح لما يعلمون من محبتي لهم ومودتي مع التجربة عندهم مرارا والوقوف في مصالحهم فهذا كله بحضور عموم أعيانهم وعلمائهم وحررنا مضبطة على هذا المنوال وجعلنا منها عدة نظاير، وعلى ذلك افترق المجلس الواقع في يوم الجمعة 12 في حجة الحرام سنة 1330 ومرادنا بالنظاير لنرسلها لعموم أوطان الجبل وقبائله ...)).

النصوص الأصلية للاقتباسات الواردة في متن الكتاب من مذكرات الحاج محمد فكيني

ورجل يورثه ابيه قبل ذلك ليعود به اولاد من مروا عليه زوات من نالوث اخوان  
 فذكرهم تفرغوا من الدنيا بقلوبهم بوضوح جرموا فقيبه به بهربا لظننا  
 الشيخ في سنة ١٢٤٠ هـ واولادهم لما بلغوا سن ١٢٤١ هـ  
 على طوبى ففداوا اذنا الجبال حتى بلغوا سنة صوب البحر واتوه رجلا  
 وكباو بفرا الجبل من سنة صوب

واولاد الجبل من سنة صوب اولادهم من نالوث اخوان  
 في الجبل من سنة صوب اولادهم من نالوث اخوان  
 من سنة صوب اولادهم من نالوث اخوان  
 واولادهم من نالوث اخوان

ويمكن ما اتينا الى بلدنا اجتمع علينا اعيان الزنتان والرجيا فذكر خمسين فارسا من غير الرجال  
 واتبعوا انهم ينعرون من التجمه وان الرأي القوي نتجده لهم يقاوه وايضا جمعوا المسلمين كلاما  
 والقيم واذا وقع الاتعاوية الرجيا والزنتان فجمعوا الجبل للنجاف لكسار اتيال انهم اكرموا يله  
 وعما اقربا لبعضهم من يقينه اهل الجبل فجلسوا في ليل الايسنا سر وكلمتهم اليميز بكتاب الله العزيز  
 محضادينا مصعبا فترانا ودار بين الحاضر في امكنة اهل الصلابة وحلبه به كل من حضه بلده  
 المجلس من الزنتان والرجيا وبعد اذ اجتمعت اليهم بالمصعب ارجووا علينا بين الطلاب بالثلاث  
 وبين العتف على اننا بعد واحدة واننا نرى بعضنا ونكون جميعا على اصغر منا وما يبد لنا الحاج  
 محمد فكيني من الرأي والتعظيم والالتعاوية ونسبهم مما يدرك لنا من المطالع لما يعلمون من محبت  
 لهم ومودته مع التجمه كمندهم مرزا والوقوف في مصالحهم فوجدنا كلهم بحضور كصوم  
 اعيانهم وعلمنا بهم وحررنا مضبطة على حيز المنوال وجعلنا صفها كحدوة نظائره وعلى ذلك  
 اقره المجلس النوا فبع في يوم الجمعة عده حجة الترام <sup>١٢٤٢</sup> هـ ومرادنا بالخطاير لم يسلسها  
 لعدم اوطان الجبل وفيما يلهر فلما اتمت ناولط مع علي باغ تغلاء يعز وجعنا طوا اولاد فوسيب  
 بتبعنا رايانا هذا وطلع يعز





## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: - المصادر

#### ( أ ) مصادر غير منشورة ( الوثائق )

- 1- محمد فكيني، البدر المنير لحقائق من حوادث طرابلس في العهد الأخير، مذكرات غير منشورة.
- 2- الرسائل المتبادلة بين الحاج محمد فكيني والجنرال غراتسياني.

#### ( ب ) مصادر منشورة ( المخطوطات )

- 1- العقيد أ. بيلاردينيلي، القبلة، "مخطوط"، حكومة طرابلس الغرب، بحوث ودراسات استعمارية، المطبعة الحجرية، 1935.
- 2- رفائيل رابكس، ترسيخ السيادة الإيطالية على طرابلس الغرب، "مخطوط"، الجزء الأول والثاني.

### ثانياً: - المراجع

#### ( أ ) الكتب

- 1- إبراهيم أحمد أبو القاسم، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية، مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله للنشر والتوزيع، تونس، 1992.
- 2- أحمد صدقي الدجاني، وثائق تاريخ ليبيا الحديث- الوثائق العثمانية 1881-1911، جمع وترجمة الحاج عبدالسلام أدهم، منشورات جامعة قاريونس، مطابع دار صادر، بيروت، 1974.
- 3- أحمد كريم علي، المجاهدون المنسيون، دار الكلمة، طرابلس، الطبعة الأولى، 2005.

- 4- الطاهر الزاوي، عمر المختار: الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، مؤسسة الفرجاني، طرابلس، الطبعة الثانية، 1970.
- 5- الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دارف المحدودة، لندن، الطبعة الثالثة، 1984.
- 6- السيد عبدالعزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1981.
- 7- البشير ابن الحاج عثمان الشريف، أضواء على تاريخ تونس الحديث: 1881-1924، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى.
- 8- أنجيلو ديل بوكا، الإيطاليون في ليبيا، ترجمة د. محمود علي التائب، مراجعة عمر محمد الباروني، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، الطبعة الأولى، 1995.
- 9- أنجيلو ديل بوكا، على مقربة من المشنقة، دار ميلالي، فرنسا، الطبعة الأولى، 2008.
- 10- أنجلو بتشولي، إيطاليا ما وراء البحار، ترجمة عبد الرحمن العجيلي، مراجعة د. صلاح الدين السوري، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1993.
- 11- السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية 1891-1908، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977.
- 12- بيدبا، كلية ودمنة، نقله إلى العربية ابن المقفع، المكتبة الثقافية، بيروت.
- 13- تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1935-1950، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1983.
- 14- جلال حقي، تاريخ المغرب الكبير (ج4) الفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
- 15- جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، ترجمة وتحقيق محمد عبدالكريم الوافي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، الطبعة الأولى، 1972.

- 16- جويد فورناري، الإيطاليون في الجنوب الليبي، ترجمة د. عبدالرازق فوقى، مراجعة وتحقيق محمد سعيد القشاط، الطبعة الأولى، 2007.
- 17- جيمس ريتشاردسن، ترحال في الصحراء، ترجمة د. الهادي مصطفى أبوالمقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1993.
- 18- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، الجزء الأول، تحقيق محمد الأسطى - عمار جحيدر، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1984.
- 19- حسن عثمان، منهج البحث العلمي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، 1970.
- 20- خليفة محمد التليسي، بعد القرضابية: دراسات في تاريخ الاستعمار الإيطالي بليبيا (طرابلس الغرب 1922-1930)، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1973.
- 21- خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972.
- 22- رابطة الأدباء والكتاب والفنانين الليبيين، كتاب الفصول الأربعة: 7 أكتوبر قراءة في الوقائع الليبية.
- 23- رودolfo غراتسياني، نحو فزان، ترجمة طه فوزي، مكتبة الصايغ، القاهرة، 1976.
- 24- رودolfo غراتسياني، إعادة احتلال فزان، ترجمة عبدالسلام باش إمام، مركز دراسات جهاد الليبيين، طرابلس، الطبعة الأولى، 1995.
- 25- زعيمة الباروني، صفحات خالدة من الجهاد الليبي للمجاهد الليبي سليمان الباروني، الجزء الأول، مطابع الاستقلال الكبرى، مصر، 1964.
- 26- زعيمة الباروني، صفحات خالدة من الجهاد للمجاهد الليبي سليمان الباروني، الجزء الثاني، بيروت، 1968.
- 27- شارل فيرو، الحواريات الليبية، نقل وتحقيق د عبدالكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، الطبعة الثانية، 1983.
- 28- صالح الخرفي، عبد العزيز الثعالبي: من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1995.

- 29- عاصم الدسوقي، البحث في التاريخ : قضايا المنهج والإشكالات، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1991.
- 30- عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي : دراسات اجتماعية واثروبولوجية، بيروت، الطبعة الأولى، 1968.
- 31- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق الأستاذ حجر عاصي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1983.
- 32- عبد الحميد جودت السحار، محمد رسول الله والذين معه، دار مصر للطباعة، القاهرة.
- 33- علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة والإستعمار في ليبيا، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 1995.
- 34- عمر فروخ، العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، المكتب التجاري، بيروت، الطبعة الثانية، 1966.
- 35- فارس أحمد العلاوي، قبائل الصيعان وبلدانهم، مكتبة أوغاريت، دمشق، الطبعة الأولى، 2000.
- 36- فتحي ليسير، خليفة بن عسكر بيوغرافيا قائد غامض، مركز سرسينا للبحوث حول الجزر المتوسطية، تونس، الطبعة الأولى، 2001.
- 37- ليلى عبدالله محمد سوف، أبطال وشهداء في تاريخ الجهاد العربي الليبي، دار الكلمة، طرابلس، الطبعة الأولى، 2005.
- 38- مجموعة من الباحثين، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911- 1943، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1984.
- 39- محمد الفاضل ابن عاشور، تراجم الأعلام، الدار التونسية للنشر، 1970.
- 40- محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، الطبعة الأولى، 1974.
- 41- محمد سعيد القشاط، بين نجوع البادية، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 1963.

- 42- محمد سعيد القشاط، ريم على الغدير.
- 43- محمد سعيد القشاط، عشيات وادي غدو، مكتبة الفكر، طرابلس، الطبعة الثانية، 1968.
- 44- محمد سعيد القشاط، الأدب الشعبي في ليبيا، الطبعة الأولى، 1968.
- 45- محمد سعيد القشاط، سوف المحمودي حياته وشعره، الطبعة الأولى، 1969.
- 46- محمد سعيد القشاط، صدى الجهاد الليبي في الأدب الشعبي، دار لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1970.
- 47- محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر الثورة والإستسلام، دار المسيرة، بيروت، 1987.
- 48- محمد سعيد القشاط، معارك الدفاع عن الجبل الغربي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، 1983.
- 49- محمد سعيد القشاط، مذكرات المجاهد عون بن سوف، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.
- 50- محمد سعيد القشاط، في ظلال السدر.
- 51- محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، الجزء الأول، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، 1982.
- 52- محمد عبدالكريم عبد الوافي، الطريق إلى لوزان، دار الفرجاني، طرابلس، الطبعة الأولى، 1987.
- 53- محمد عبد الوهاب الزنتاني، حقيقة الدفاع عن معارك الجبل الغربي ضد الغزو الإيطالي، الجزء الأول، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ودار اليوم للإعلام المحدودة، طرابلس، 1993.
- 54- محمد عبد الوهاب وأخرون، السير والرد على التزوير، الدار الأطلسية، تونس، الطبعة الأولى، 2006.
- 55- محمد عبد الجواد محمد، ملكية الأراضي في ليبيا، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1974.

## ثالثاً: - الدوريات

### (أ) - المقالات

- 1- أحمد محمد عدوان، مدخل إلى علم التاريخ عند العرب في المشرق، مجلة كلية التربية، العدد التاسع، 1987، جامعة الفاتح، طرابلس، ص 251.
- 2- الهاشمي محمد بالخير، الحس الشعبي بأهمية وضرورة الاستعداد العسكري قبل الغزو الإيطالي، مجلة الشهيد، العدد الرابع، 1983، ص 43.
- 3- خليفة الذويبي، لمحات عن الحالة العسكرية في طرابلس الغرب قبيل الغزو الإيطالي، مجلة الشهيد، العدد الخامس، مركز دراسات جهاد الليبيين، 1984، ص 7.
- 4- سعيد الجيطلاوي، الحياة الاجتماعية في برقة وطرابلس قبيل حرب إيطاليا- تركيا 1911-1912، موقع ليبيا اليوم، شبكة المعلومات الدولية، 2006.
- 5- صلاح الدين حسن السوري، الضرائب العثمانية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي في العهد العثماني الثاني، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة السادسة 1984، ص 367.
- 6- عبدالله علي إبراهيم، حول إعادة كتابة التاريخ، مجلة البحوث التاريخية، السنة الثامنة، العدد الأول، 1986، ص 23.
- 7- عبد المولى صالح الحرير، التمهد للغزو الإيطالي وموقف الليبيين منه: بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، مركز دراسات جهاد الليبيين، طرابلس، 1984، ص 15.
- 8- عبد الرحمن عمر البريكي، معركة وادي الوخيم، مجلة الشهيد، العدد السابع والثامن، 1988، ص 111.
- 9- عمر المجدوب زبيدة، على هامش ندوة الخيانة في حركة الجهاد الليبي، مجلة الشهيد، العدد الخامس، 1984، مركز دراسات جهاد الليبيين، ص 315.
- 10- عمرو بغني، أصول حركة الصفوف وأثرها على حركة الجهاد الليبي، مجلة الشهيد، العدد الرابع، 1983، ص 91.

- 11- قاسم خلف الجميلي، المنحى العلماني للفئة المثقفة الطرابلسية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 27، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2003، ص 59-69.
- 12- محمد الطاهر الجراري، لماذا مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، مجلة البحوث التاريخية، السنة الأولى، العدد الأول، 1979، ص 9.
- 13- محمد الطاهر الجراري، الخصوصيات الليبية أو ثقافة الذنب والعار، مركز دراسات جهاد الليبيين، شبكة المعلومات الدولية.
- 14- محمد الطاهر الجراري، أهمية الأرشيف العثماني والخصوصية الليبية: ندوة أهمية الأرشيف العثماني بالنسبة للتاريخ الأقليمي والعالمي، اسطنبول، 2005.
- 15- محمد سعيد القشاط، الحاج محمد بن خليفة فكنيني، مجلة الوحدة العربية، العدد السادس، سبتمبر 1970، ص 82.
- 16- مختار الهادي بن يونس، ملاحظات نقدية حول المذكرات المنسوبة لعون سوف المحمودي، مجلة الشهيد، العدد الخامس، مركز دراسات جهاد الليبيين، 1984، ص 251.
- 17- مصطفى هويدي، عرض كتاب: خليفة بن عسكر، مجلة الشهيد، العدد الرابع، 1983، ص 267.
- 18- ميلاد المقرحي، الجالية الإيطالية في ليبيا: دراسة تاريخية اقتصادية، مجلة قورينا، العدد 4-5، السنة السادسة، مارس 1972، ص 24.
- 19- ميلاد المقرحي، ملاحظات حول كتابة التاريخ والبحث التاريخي، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة السادسة، 1984، ص 477.
- 20- نوري حمودي القيسي، منهجية البحث التاريخي عند العرب، مجلة المؤرخ العربي، العدد 43، السنة السادسة عشرة، 1990، بغداد، ص 209.

\*\*\*\*\*



## هذا الكتاب

لأننا جميعاً نشترك في تاريخ واحد، سجل فنصارتنا واختلافاتنا وأفراحنا وأحزاننا، وأحلامنا وآلامنا، هذا التاريخ الذي صنعه الأجداد والآباء بالدم والمعاناة، والتضحية بكل غال ورضيخ في مواجهة آلة التدمير الغازية من وراء البحار، وقسوة الطبيعة الجديدة قبله لا يجوز لأي كان أن يعيد بوقائعها وحقائقها من أجل تحفيق مصالح ومطامع وأهراض شخصية.

لذلك فإن هذا الكتاب يرد على تلك الكتابات المشوهة لهذا التاريخ الجهادي المجيد، ويفند بالادلة والوثائق كل تلك المغالطات المتعمدة ويبين في الوقت نفسه بالادلة والبراهين أن تلك الأرقام لا تكتب عن فدائيات وثوابت تركل على القسيم والميادين، وإنما تغير كتاباتها حسب المواقف واللحظة.



الطبعة الأولى: ٢٠١١

١٤٣٢ هـ  
٢٠١١ م